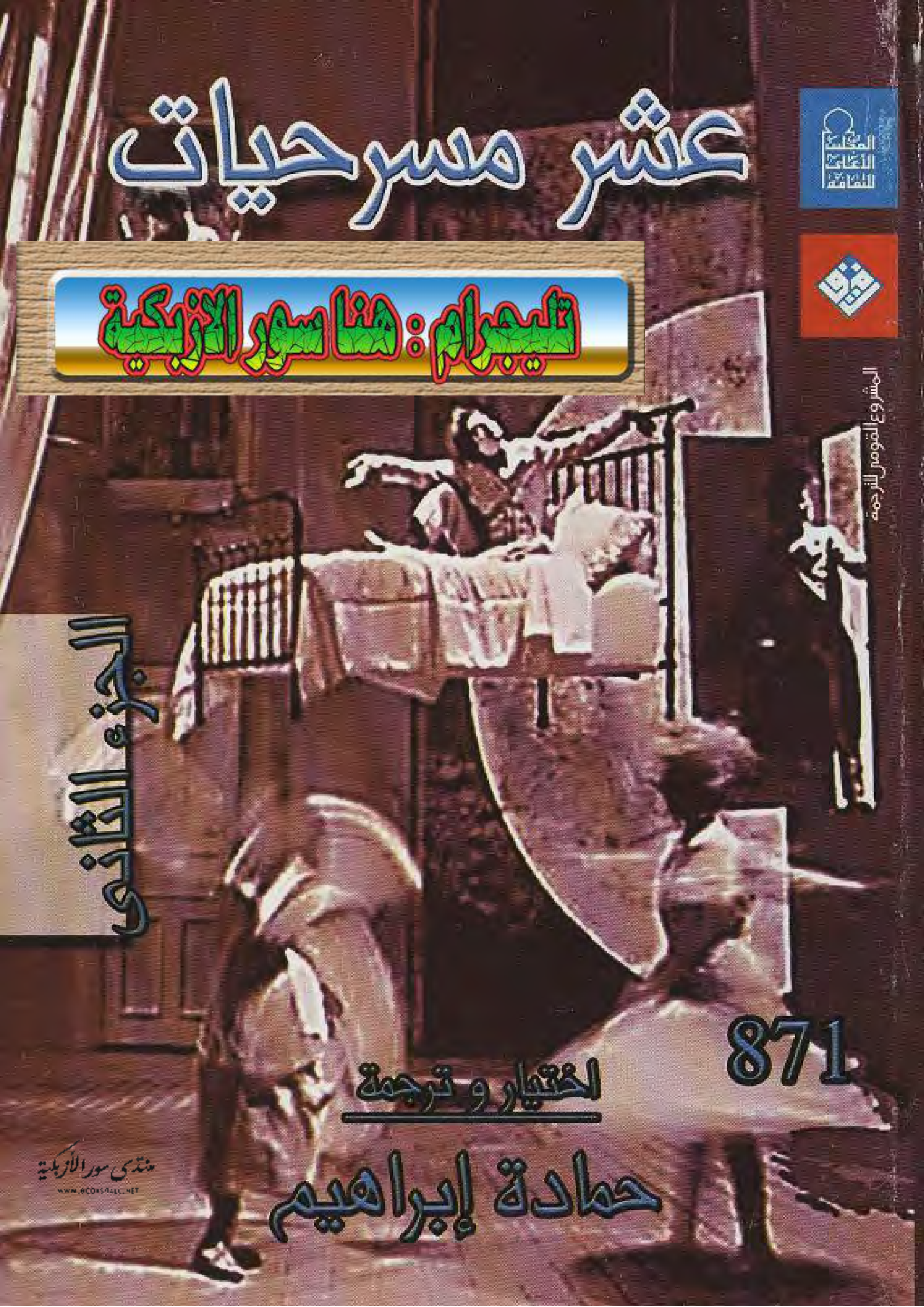

عشر مسرحيات
تليجرام : هنا سور الأزبكية
الجزء الثاني
871
اختيار و ترجمة
حمادة إبراهيم
منتدى سور الأزبكية
المشروع القومي للترجمة


تليجرام
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
باحثون
محمد خطاب

المشروع القومى للترجمة

عشر مسرحيات

(الجزء الثانى)

تأليف : مجموعة من الكُتَّاب

ترجمة : حمادة إبراهيم



المجلس الأعلى للثقافة
٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٨٧١
- عشر مسرحيات (الجزء الثانى)
- مجموعة من الكُتَّاب
- حمادة إبراهيم
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة عشر مسرحيات مختارة

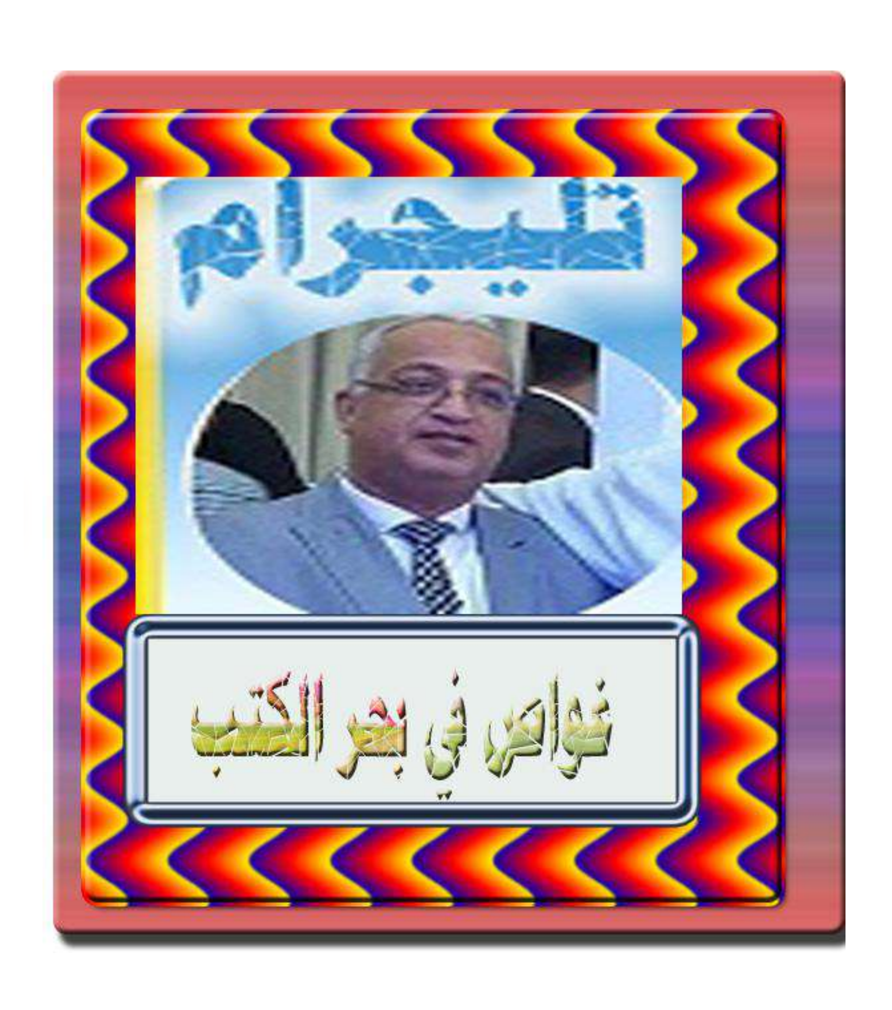
شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084



تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .


تليجرام
غواص في بحر الكتب

فـدائيـــون

" ثورة الشعب الفلسطينى من خلال ثقافته وأناشيده الوطنية "

للدراماتورج الإيطالى الحائز على جائزة نوبل

داريو فو


il collettivo teatrale
LA COMUNE DI MILANO
FEDAYN
DARIO FO
FRANCA RAME
la rivoluzione
del popolo palestinese
attraverso la sua cultura
e le sue canzoni
per informazioni telefonare al n.

داريو فو

ولد عام ١٩٢٦ فى إيطاليا ، من أسرة متواضعة ومكافحة .

عاش فى ظل النظام الفاشى الذى كان يحكم إيطاليا بالحديد والنار . كاتب ومخرج وممثل ومرتجل بارع .

جعل من المنصة منبرا للنضال ، من أجل نصرة المقهورين والمظلومين فى الداخل ، والدفاع عن الشعوب المغلوبة . هاجمت أعمالُه عصاباتِ المافيا وتجار المخدرات والاستبداد السياسى . ونددت بالاستعمارِ فى شيلى وفيتنام وفلسطين وباقى دول العالم .

مسرحياته الأولى من نوع مسرح الكاباريه ، حيث ربط الارتجال بالكوميديا ديللارت القديمة .

كتب أكثر من خمسين مسرحية ، بدأها بمسرح المنوعات مع زوجته ورفيقة كفاحه " فرانكارامى " التى تزوجها عام ١٩٥٤ .

– قدم فى إذاعة إيطاليا مونولوجات فكاهية فى الخط النقدى اللاذع نفسه .

– أولى مسرحياته كتبها عام ١٩٥٣ ، وعرضها على مسرح بيكولوتياترو بميلانو بعنوان : "الإصبع فى العين "ثم" أصحاء مجانين".

أثار نقده العنيف سخط السلطات السياسية، والدينية، فمنعت العرض.

قدم في التلفزيون الإيطالي مسلسلا من تأليفه وإخراجه وبطولة زوجته . تدخلت الرقابة بالحذف فتوقف المسلسل .

بعد أحداث مايو الكبرى في فرنسا عام ١٩٦٨ ، ونجاح حركة الطلاب والعمال في إسقاط ديجول، قرر داريو فو الانخراط في المعركة . مما عرضه للسجن وعرض زوجته للاعتقال .

جاب إيطاليا ، وقدم عروضه أمام آلاف العمال والطلبة ، في مراكز تجمعاتهم ، وفي الإستادات الرياضية . وكان يعقب كل عرض ندوة تناقش القضية المطروحة ، مما أثار السلطات والحزب الشيوعي الذي كان يؤيده ، فسحب الحزب تأييده وجماهيره ، مما اضطر داريو فو إلى تكوين فرقة خاصة باسم " البلدية " .

عام ١٩٧٢ قدم عرضا عن كفاح الشعب الفلسطيني . استعان فيه ببعض الفدائيين الفلسطنين واللبنانيين .

آخر عناوين مسرحياته :

الحكايات المخجلة ، يوميات حواء ، الفجلة والفولة . أرليكينو ، القناص ، البابا والساحرة .

شدد التنكيل على الاستعمار القديم والاستعمار الحديث الذي تمثله أمريكا ، مما جعل الأمريكيين يمنعونه من دخول أمريكا لتقديم عروضه أكثر من مرة ، ولم يُسمح له بالدخول إلا لفترة أيام قليلة ليحضر عرضا له قام مخرج أمريكي بتقديمه .

* * *

الجـــــزء الأول

ممـــثــلـــة : فـي العام الماضى ، وفى العرض الذى قدمناه عن كفاح الشــعب فى إيطاليا وفى فلسطين وفـى الأردن ، روينا نكتة طريفة جدا عن الأميرال " مينسون " قائد البحرية الأمـريكيـة ، وهو واحـد من قـواد حلف شمال الأطلنطى (الناتو) ، نكتة فى غاية السخرية ، بالذات لأنها صادرة عن أميـرال فى البحـرية ، تقـول النكتـة إنه خـلال حـفل كوكتيل ، سـألت سيدة الأميرال قائلة : مـا أكبر حاملة طائرات أمـريكيـة؟ فـرد الأمـيـرال قـائلا ، وكـان سكرانَ ولذلك كـان جـوابه طريفـا جـدا ، قـال الأمـيرال : " أكـبـر حـاملة طائرات أمـريكيـة اسـمـهـا إيطاليـا." فـاسـتطردت السـيـدة وهـى مندهشـة : " إيطاليـا ؟ " هـل عندنـا حـاملة طائرات اسـمـهـا إيطاليـا ؟ وأين ترسـو ؟ " فـأجـاب الأمـيـرال : " فى البـحـر المتـوسط ، وهى مـرابطة هناك تحـرس الشـرق الأوسط ، وأول عـربى يحـاول أن يتـحـرك تقوم بتدميره على الفور .

فالواقع إنه من شبه جزيرتنا الإيطالية لا تتم مراقبة السوق والسياسة الخاصتين بالبحر المتوسط بأسره فقط، ولكن أيضا أى تحرك ذى طابع عسكرى . ففى كعب الحذاء الذى يمثله جنوب إيطاليا يوجد من حاملات الطائرات الخاصة بالحراسة والمراقبة أكثر من مثيلاتها الموجودة فى جميع بلدان حلف شمال الأطلنطى .

وماذا عن مصافي البترول الخاصة بشركات شيل وإيسُّو والشركات الأخرى المنتشرة فى شبه الجزيرة الإيطالية ؟

توجد فى إيطاليا مصافى بترول أمريكية أكثر من الموجود منها فى أوربا كلها . وهذا يفسر السبب الذى من أجله اختيرت مدينة نابولى الإيطالية لتكون المقر العسكرى لعمليات حلف الشمال الأطلنطى فى البحر المتوسط كله .

ولكن الناتو أو حلف شمال الأطلنطى وحاملات الطائرات التابعة له لا تدافع فقط عن مصالح الرأسماليين الأمريكيين والإنجليز . كلا . بل تدافع أيضا عن مصالح أصحاب المصانع والرأسماليين فى إيطاليا بلدنا . وذلك على حساب شعبنا المعدم الفقير . نعم ؛ لأن الشعب الإيطالى ما يزال فقيرا جدا بالنسبة لبلدان أوربا . فهو شعب من شعوب الدول النامية . المضطر إلى الخروج والهجرة إلى البلدان الأخرى . ولكن الرأسماليين عندنا أغنياء جدا . من أغنى أغنياء العالم .

عندنا أشخاص يعدون من أغنى أغنياء العالم. والمضحك المبكي في الوقت ذاته أن مواطنيهم - إخوانهم في الوطن - من أفقر فقراء العالم. ويجب علينا أن نشعر بالفخر لذلك. فبفضلهم وبما يحققون من دخول وعائدات تعتبر إيطاليا سابع دولة رأسمالية في العالم . فالشكر الجزيل لهم !
إذن كل ما يجرى في الشرق الأوسط يعود إلينا نحن . ونحن أيضا نستورد البترول . فنحن والرأسماليون عندنا نستغل الأيدى العاملة العربية . ولنا هناك أيضا أبارنا . إذن . فنضال الشعب الفلسطيني يهمنا من قريب . بل ويهمنا كثيرا.
أيام الحروب الصليبية . وهو الأمر الذى يعترف به رجال الدين (المتطورون منهم بطبيعة الحال) كانت الذريعة وراء هذه الحروب المقدسة هي تحرير القبر المقدس Santo Lepolcro لكن كان الهدف الحقيقى هو الاستيلاء على طريق التجارة إلى الهند . تجارة الحرير والتوابل .
لقد كان تجار البندقية وجنوه وأمالفى وبيزا هم الذين قاموا بتمويل الحروب الصليبية . لأنها كانت بالنسبة لهم رأس كوبرى إلى سوريا ولبنان . وفلسطين .
بالضبط كما هى الحال الآن . فأغنياء البترول وأصحاب المصالح فى الشرق الأوسط يمولون دولة إسرائيل . لأنها بالنسبة لهم تقوم بدور الحارس والمراقب لأى تحرك عربى يهدد مصالحهم المقدسة .

وبصرف النظر عن اهتماماتنا العالمية ، فقد فكرنا أنه من الواجب علينا أيضا أن نستأنف مناقشتنا للنضال العربي، لنضال الشعوب العربية ، وذلك لسبب آخر، ربما يكون أكثر أهمية ؛ ذلك لأن رفاقنا العرب – هذه الأيام – يمرون بمرحلة حرجة للغاية في صراعهم ضد الاستعمار. فمن ناحية، المجزرة التي تعرض لها الفلسطينيون على أيدي مرتزقة، هذه الجريمة فتت في عضد المقاومة الفلسطينية التي تحاول الآن أن تعيد تنظيم صفوفها ولكن بمشقة بالغة . ومن ناحية أخرى . محاولة القوى الرأسمالية المستغلة انتهاز هذه الفرصة للقضاء على المقاومة الفلسطينية ، من أجل ذلك، أخذنا على عاتقنا إقامة هذا العرض المسرحي ، ونحن مدركون أنه لن يحل المشكلة بطبيعة الحال . لكنه سيخدم القضية بشكل أو بآخر . وسيكون بمثابة حجر في بناء كبير سيخدم القضية ، بمعنى أنه سيشعر العرب بأنهم ليسوا وحدهم، ليسوا معزولين كما تحاول القوى الاستعمارية ترسيخ مثل هذا الشعور عندهم .

وفيما يختص بالعرض المزمع تنظيمه ، لم نتمكن – نحن الممثلين في الفرقة – من الوقوف فوق منصة المسرح لنروى تاريخ كفاح الشعب الفلسطيني . فقد رأينا أن أفضل طريقة لتنفيذ هذا العرض هو أن نجعل الفلسطينيين يقومون بهذا العمل بأنفسهم . ويا حبذا لو تم ذلك عن

طريق أولئك الذين يقومون هناك بالثورة وهم الفلاحون والعمال الفلسطينيون .

ولذلك أرسلتني فرقة المحافظة إلى بيروت لمقابلة الرفاق في الجبهة الشعبية الديمقراطية . ونحن على اتصال بهم منذ فترة . وإقناعهم بأن يرسلوا إلينا عدداً منهم . ويفضل أن يكونوا من المغنين الشعبيين والممثلين المحترفين - إذا أمكن - المنخرطين في النضال الوطني. ولكن مجرد الحديث عن وجود ممثلين مسرحيين في القواعد العسكرية وفي معسكرات اللاجئين . كان ضربا من الوهم أو المحال ؟ ففي تلك الأماكن لا توجد فرصة لممارسة مثل هذه الأنشطة . عندئذ بدأت أستعد للعودة بخفي حنين - كما يقول العرب - ولكن حدث ذات ليلة وقبل أن أرحل، أن دعيت إلى إحدى قواعد الفدائيين .

(في منتصف المنصة وفي العمق تظهر مجموعة من الفدائيين جالسين فوق الأرض في حلقة ، يعزفون على آلاتهم الموسيقية ويغنون أغنية " الناي المتجول" .)

داخل خيمة حوالي عشرة من الفدائيين ينشدون في كورس بشكل جماعي. ينشدون بصوت خفيض . أشبه بالشكوى أو الأنين . تبدو لي أصواتهم نشازاً وليست كمثل الأغاني الجميلة القوية المنتشرة في الأسواق منذ فترة . بل ولا حتى مثل الإيقاع القوي الحماسي الخاص

بنشيد منظمة فتح الشعبية . بأغنية "بلادى بلادى " التى استمعنا إليها جميعا فى ميدان الدّومو فى ميلانو فى خلال المظاهرات التى قامت بها الحركة الطلابية .

كانت هذه الأغاني - أغاني قرويين فلسطينيين - أغانيّ كئيبة مليئة بالغضب والسخرية . وقد طلبت أن تترجم الأغنية التى يقومون بغنائها فكانت تقول :

ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله
وخسر اللوز الأخضر من كرم أبيه ؟
ماذا ينتفع الإنسان
لو شرب القهوة في باريس
وخسرها فى منزل أمه ؟
ماذا ينتفع الإنسان لو جاب العالم كله
وخسر الأزهار على تل بلاده ؟
لا يربح غير الصمت الميت فى جوف
البشر الأحياء .

وقد استولت عليٍّ الحماسة . فسألت عن طريق المترجم قائدهم السياسى : لماذا لا تجعلونهم يحضرون إلى إيطاليا لكى يغنوا هذه الأغانى .. فأجاب الرفيق قائلا : "هل أنت تمزحين ؟إنهم من أفضل المناضلين فى الجبهة كما أنهم هم الذين يقومون بتعليم أطفالنا . لا نستطيع أن نستغنى عنهم هنا ؛ فلديهم خبرة طويلة ، بالذات فى

مجال النضال المسلح . إنهم يحملون على ظهورهم خبرة مئات العمليات الحربية . ثم ماذا يمكن أن يصنعوا فوق منصة المسرح . إنهم حتى لا يستطيعون التحرك . هل ترين هذا الواقف هناك؟ لقد كان يرعى الغنم حتى الأمس القريب ؟ هذا الذى فقد إحدى عينيه فى إحدى المعارك هو قروى ؟ لم يذهب قط إلى المدينة ؟ أما هذا الذى يستطيع أن يتحرك . ففى ساقيه من الثقوب التى خلفتها القذائف النارية أكثر مما فى قطعة الجبن السويسرى . "حينئذ شعرت بتفاهتى . وتذكرت قصة الملكة الفرنسية التى أرادت أن تحل مشكلة نقص الخبز بتوزيع البسكويت على الشعب الجائع .

إن الحديث عن تنظيم عرض لأناس يقومون بالثورة موضوع ليس له محل من الإعراب. لكنهم بدءوا يناقشون الثقافة – ثقافتهم – ثقافتهم القديمة – حينما كان العرب موجودين فى الأندلس . أغانٍ من عصر الحروب الصليبية من هذا النوع :

" وصل الفرنجة يحملون الصليب
خلف كل جندى منهم راهب من روما
وخلف كل راهب تاجر من البندقية . "

وبين حين وآخر كنا نسمع من يغنى أغنية من أغنيات العمل والكفاح .

أغنية الفلاح

يا أيها الليل
كم أنت قصير بالنسبة للفلاح
هأنذا مبكرًا على الطريق الذى لم تشرق عليه الشمس بعد
زوجتي استيقظت من قبلي
لكي تصنع الخبز بدون الملح
ليس فى جيبى درهم واحد
والريح تهب تلسع بشرتي وجفونى
وفمي مليء بالتراب
أنا إنسان حر وحيد فى قدميَّ
فى قدميَّ العاريتين
ليتنى لم أتزوج مطلقا
على الأقل ما كنت أنجبت أطفالا
لقد قدمت لسيدى مزيدا من العبيد .
ولكن أخبارًا من المشرق أعادت إليَّ الأمل .
يقولون إن رجالا " حمرًا " يحملون سيوفا قاطعة .
تدفقوا كمياه النهر من الجبال
يغنون أغنية الاشتراكية
دمَّروا قصور الظلم
وأبراج الإقطاعيين

هؤلاء الإخوة أرسلوا إلينا يقولون .

لنا - نحن العرب - :

كونوا أنهارًا بسيوف قاطعة

كونوا أنتم أيضا رياحًا عاصفة

دمِّروا الأبراج والجدران وأسوار السادة

تحرروا

وفي النهاية احتدمت المناقشة . وأكد أكثر من واحد أن من الضروري تنظيم هذا العرض . وأنه لا يقل أهمية عن الكفاح المسلح . " لكننا لا نجيد فن الإلقاء والتمثيل . بل ولا حتى نحن قادرون على الإنشاد " . " حينما بدأنا الكفاح . لم نكن حتى نجيد إطلاق النار . ولم نكن نعرف كيف نجعل الناس يستمعون إلينا . " . " يجب أن نتعلم كيف نروي تاريخنا . كفاحنا ؟ كما فعل الشعب دائما " . " إذا كنا نريد أن نعرِّف عمالنا وفلاحينا وكل عمال أوربا وطلابها وفلاحيها . لماذا لجأنا إلى السلاح . فلعلنا نستطيع أن نقوم بذلك عن طريق أغنية . أفضل مما لو كتبنا مئات المقالات الدعائية " . إن الفلاحين والعمال يتكلمون لغة واحدة ، لغة المقهورين المستغلين حقا . إن كلمات أغنية فلاح من صقلية أو من البندقية تشبه إلى حد بعيد كلمات رفاقهم العرب . يكفي أن نستمع إلى هذه الأغنية :

المستحيل

كأننا عشرون مستحيل
في اللد . والرملة . والجليل
هنا .. على صدوركم . باقون كالجدار
وفي حلوقكم .
كقطعة الزجاج . كالصبار
وفي عيونكم .
زوبعةٌ من نار .
هنا .. على صدوركم . باقون كالجدار
نُنظِّف الصحون في الحانات
ونملأ الكئوس للسادات
ونمسح البلاط في المطابخ السوداء
حتى ننال لقمة الصغار
من بين أنيابكم الزرقاء .
هنا .. على صدوركم . باقون كالجدار
نجوع .. نعرى .. نتحدى ..
ننشدُ الأشعار
ونملأ الشوارع الغضاب بالمظاهرات
ونملأ السجون كبرياء
ونصنع الأطفال .. جيلا ثائرا .. وراء جيل !
كأننا عشرون مستحيل
في اللد . والرملة . والجليل ..

إنا هنا باقون
فلتشربوا البحرا ؟
نحرس ظلَّ التين والزيتون
ونزرع الأفكار . كالخمير فى العجين
برودة الجليد فى أعصابنا
وفى قلوبنا ؟ جهنم حمرا
إذا عطشنا نعصر الصخرا
ونأكل ترابًا إن جُعنا .. ولا نرحل !
وبالدم الزكى لا نبخل .. ولا نبخل .. ولا نبخل ..
هنا .. لنا ماضٍ .. وحاضر .. ومستقبل .
كأننا عشرون مستحيل
فى اللد . والرملة . والجليل ..
يا جذرنا الحى تشبث
واضربى فى القاع يا أصول !

أغنية الفلاح البنَّاء

" تجلد يا قلبى
منزل السيد هو الوحيد ذو الطابقين
أنا الذى أحضرت لك الحجارة
حتى تورمت يداى
وفى النهاية حتى لم يقدموا لى فنجانا من القهوة
تجلَّد يا قلبى

لقد زرعت فى حديقة منزل سيدى
وردة وياسمينة
وزرعت أيضا شجرة ليمون
وبجوارها شجرة تين
ومرت بى سيدة القصر ولم تقل لى حتى عم مساءً
وفى صدرها زهرة من شجرة الليمون التى غرستها
بيدى.
تجلد يا قلبى . "
ولكن كيف فكرتم في تنظيم عرض منا نحن العرب ؟ أنا
أعرف أنكم أيها الإيطاليون . من ناحية الموسيقى .
متعودون ألحانًا أخرى مختلفة ، ألحانًا أخرى .
صحيح أن أغانيكم من أول وهلة تبدو لنا بطيئة رتيبة؟
ولكنها مسألة تتعلق بتعود الأذن . ثم إن المهم ، أى
ما يهمنا فى المقام الأول. هو أن تنشدوا لنا أنتم تاريخكم.

فـــــــرنكا : فلنبدأ بك أنت . يا أصغرهم سنا . هل تحب حينما تكبر أن تصبح فدائيا .

الصـــــبى : حينما أكبر ؟ ولكننى لست فى حاجة أن أكبر . فأنا فدائى فعلا .

فـــــرنكا : عظيم. ولكننى أقصد فدائى حقا. يعنى مناضلاً. محارباً.

الصـــبى : محارباً ؟

فـــرنكا : يعنى . أنت الآن مثل الفسوخة . صح ؟

الصبى: ما معنى فسوخة ؟

فـــــرنكا : حاجة تجلب الحظ .

الصـــبى : تجلب الحظ ؟ ولكن ما دخل الحظ فى كفاحنا ؟ هل نحن نلعب القمار ؟

فـــــرنكا : كلا . لا أقصد . لا تفهمنى بهذا الشكل ؟ أنا لم أقصد إهانتك .

الصـــبى : لا . لا . أنا لم أشعر بالإهانة . ولكن يبدو أنك فهمت خطأ . أنت طبعا تتصورين أننى صبى صغير . لعلك تظنين أن هناك أشياء معينة تخص الكبار لا أستطيع أنا أن أفهمها ؟ وأن الحرب . لابد أننى أنظر إليها على أنها لعبة من نوع الكاو بوى؟ وليس باعتبارها شيئا مخيفا يلقى فيها الآلاف حتفهم ؟ اسمعينى . أنا كنت صغيرا . أصغر بكثير مما أنا عليه الآن . حينما اضطررت للنزوح مع أهلى من فلسطين. وننتقل إلى شرق الأردن لاجئين.

نشيد المقاومة

" يا شعب بالعصى والأيدى وبالمدى الحادة
لنقطع الدرب على القوى المضادة
لا لن تمروا ؟ لن تمروا
بورقة الحل ؟ وحبر التسوية
فالشعب أقوى من حراب التصفية
والشعب أبقى يا دعاة التصفية
لا ؟ لن تُقيِّدوا

سواعد الإعصار بالحبال
لن تذبحوا بالقشة الشلال
فشعبنا اختار طريق التضحية
ولتجرف الدماء حبر التسوية
ولن تمروا ؟ لن تمروا
يا شعب
ليس غير ساعديك والخنادق
وليس غير جُعبة الرصاص والبنادق
فلنفرد الدماء أجنحة
للثورة المسلحة
ولنقطع الدرب على القوى المُضادة "

وجدت نفسي وحيدا مع أعمامي وأخوالي . وهم في حالة متيسرة . في البداية لم أكن أعرف شيئا مما كان يحدث. ولكن في المدرسة . كنت في السنة الأولى الإعدادية . كان هناك زملاء أكبر مني سنا مشتركون في العمل السياسي ؛ وقد بدءوا يشرحون لي ويعلمونني ؟ بعد انفصال الجبهة الديمقراطية الشعبية حدث نوع من الغليان بين الطلبة. أنا دخلت الجبهة الديمقراطية وكنت أقوم بأعمال كثيرة في خلال المظاهرات ، كنت أنا الذي أنشد والآخرون يرددونها على هذا النحو :

تذكر أنك يجب أن تتعلم	أيها الفدائي
تتعلم كيف تحارب	أيها الفدائي

وأيضا كيف تفكر أيها الفدائى
تتعلم كيف تتكلم أيها الفدائى
لذلك يجب أن تسمع أيها الفدائى
ما يقوله لك الكبير أيها الفدائى
لا يجب أن تعامل الفقير مثلك أيها الفدائى
على أنه عدوٌ لك أيها الفدائى
حتى لو كان لا يفهم . أيها الفدائى
لو كان مع العدو . أيها الفدائى
فالسيد هو الذى يفسد عليه تفكيره أيها الفدائى
هو الذى يحكم عليه بالجهل ويمنعه من التعلم أيها الفدائى
يجب أن تعامله على أنه أخ شقيق أيها الفدائى
فقير مثلك أيها الفدائى
مستغل مثلك أيها الفدائى
يجب أن تتحدث معه أيها الفدائى
يجب أن تعلمه أيها الفدائى
ما يقوله الكبير أيها الفدائى
يجب أن تأتى معنا أيها الفدائى
لا يهم إذا كنت صغيرا أيها الفدائى
معنا أيضا صغار أيها الفدائى
معنا أبو شايف أيها الفدائى
معنا ريبى محمد أيها الفدائى
معنا الشعب أيها الفدائى

الصــــبي : لم نكن نقوم بالمظاهرات وحسب . كنا نقوم بالدعاية فى معسكرات اللاجئين . وكنا نعلِّم القراءة والكتابة للفلاحين الأميين . كان هناك فلاح يسألنى دائما أن أقرأ له فى الكتب. فكنت أقرأ له. لكننى لم أكن أفهم شيئا مما أقرأ. عن الشيخ الذى كان يمهد الجبال والرفاق الطيبين والصحبة الجميلة ؟ ولكن الفلاح كان فى كل مرة يشرح لى ؟ كان هو يفهم كل ما تقوله الكتب .

عمى الذى كان بورجوازيا ابن سفاح . لم يكن يريد منى أن أختلط بالفقراء ؟ هربت من البيت وذهبت إلى الفدائيين . وفى أثناء أحد التدريبات . قفزت من خلال حلقة من النار . فاشتعلت النار فى سروالى . واحترقت ساقى كلها من القدم حتى أعلى الفخذ . وقضيت ثمانين يوما فى المستشفى . أعانى من آلام لا تطاق .

وحينما عدت إلى قاعدة الجبهة . أرسلونى من هناك إلى جبهة أخرى . وبعد عدة أيام . علمت أنهم يستعدون للقيام بعملية فى أرض فلسطين . عملية بالتنسيق مع جيش التحرير الفلسطينى بقيادة فتح. طلبت المشاركة فى العملية . فتعللوا بصغر سنى. وبالحروق التى فى ساقى. فاستولى علىّ غضب شديد وصحت فيهم قائلا : "لماذا قبلتمونى إذن فى الجبهة ؟ لماذا جعلتمونى أتدرب ستة أشهر فى معسكرات التدريب . لكى أظل هكذا بلا فائدة.

أكل .أشرب كالبهائم ؟ لكى يتفرج علىَّ السياح باعتبارى من مخلفات القديسين ؟ "

وهكذا سمحوا لي بالاشتراك معهم ، وأصابتني قذيفة في ساقي السليمة ؟ قذيفة عيار ٣٨/٧ ماركة (**الناتو**) حلف شمال الأطلنطي ، وفي المستشفى تمكنوا من انتزاع القذيفة من ساقي بعد عدة أيام . بعد ذلك انتقلت إلى ساحة القتال في معركة "جربد" في سبتمبر الأسود . وشاركت في القتال . وأطلقت من رشاشتي الكثير من الطلقات حتى التهبت ماسورة الرشاش ؟ وقد استشهد بجواري أربعة من رفاقي . ثم انسحبنا إلى الأجراش . وفوق التلال هناك أمطرتنا الطائرات الإسرائيلية بالقذائف .

وحدث أن وجدت نفسي مع عشرة آخرين من الجبهة معزولين ومحاصرين ؟ ظللنا نطلق النار طول النهار . حتى عتمة الليل . كان معي صبي آخر في مثل سني . أصابه عيار ناري في صدره . فمات بعد ساعتين دون أي شكوى أو أنين . وفي الظلام . تمكنت مع زميل آخر من نقله خارج دائرة الحصار . وصعدنا قمة أحد الجبال. وما إن أشرق نهار اليوم التالي حتى فوجئنا بمجموعة من جنود الأعداء تقبل نحونا . كانوا مدججين بالسلاح. وانتظرنا . أنا وعنتر رفيقي . حتى أصبحوا تحتنا . فانهلنا عليهم بكل ما كان معنا من طلقات. فلاذوا بالفرار

وهم يصرخون من الرعب. وأصيب عنتر بعيار في بطنه. وأصبح عاجزًا عن الحركة . فقد كسرت إحدى ساقيه. فقال لي : " أسرع أنت قبل أن يعودوا ، أسرع . ولكن قبل ذلك أطلق عليّ عيارًا و اقتلني ؟ لا تتركني أقع حيا بين أيديهم ؟ اقتلني ." ما كنت لأفعل ذلك مع أي شخص في الوجود . لكنه كان رفيقي . كان ينبغي أن أفعل ذلك . ثم نقلته إلى داخل أحد الكهوف . وكان للكهف باب فأغلقته عليه ثم ألقيت بالمفتاح . وأخذت الرشاش الذي كان معه (**كلاشينكوف**) وألقيت برشاشي . ثم انطلقت إلى جال سبيلي . وفي اليوم التالي . وضعوني في السجن . لكنني لم أهتم .

أقسم لك أن هذا ليس كلاما يقال . أنا شاب . ولكن لا يهمني أن أموت . إذا كان في موتي فائدة لكفاحنا . لم تعد لي أسرة : أسرتي الفدائيون إخواني . أريد أن أواصل حياتي معهم . أناضل من أجل الثأر لرفاقي الذين لقوا حتفهم . بالضبط كما تقول أغنيتنا : " في مواجهة الظلم . في هذا العالم . من أجل قومي الذين سلبوا أرضهم . من أجل شعبي . حتى لا يكون له سيد بعد الآن "

فـــــدائي : جاءتني فكرة . يمكننا أن نروي لكم حادثا وقع قبل عدة أيام – هنا بالذات – في المعسكر. قصة "أبو علي" . أحد رجالنا الفدائيين . قتلوه هناك في الوادي.

(إظلام . خارج المنصة يتصاعد لحن جنائزى .

" أنا إن سقطت فلست أول من يموت

ولست آخر من يموت

يا إخوتى يا إخوتى بدمى أخُط وصيتى

فلتحفظوا لى ثورتى بدمائكم بدمائكم

بجموع شعبى الزاحفة ؟

فتحٌ أنا .. أنا ثورةٌ .. أنا عاصفة

إن ماردٌ يهوى سينهض ألف مارد

لو ساعداً قطعوا سيعلو ألف ساعد

فالشعب كل الشعب ثائر ..

وعلى طريق الفتح سائر ..

وحملت قلبى قنبلة . أحمى مسير القافلة

فالشعب كل الشعب دوى عاصفة

فتحٌ أنا .. أنا ثورةٌ .. أنا عاصفة "

يدخل الفدائى الأول من اليمين . يجتاز المنصة . ينشد على طريقة المؤذن . الترجمة الإيطالية تعرض على الشاشة فى العمق .)

" يا كل الشعب

يا كل الشعب

أماماً فى الدرب الصعب

بالسونكى . بالأيدى

وبأحزمة النسف

وبعاصفة الفتح
أماماً فى الدرب الصعب

* * *

أماماً فى الدرب الصعب
أماماً يا شعبى
ولتنحت طلقة نارك من عظمى
ولتصنع قنبلة من لحمى
ولتعبُر عاصفةُ الفتح
من عظمى
من لحمى
من هذا الجرح "

الفدائى (١) : أواه ! أواه ! يا أهل القرية ! يا أهل القرية ! كارثة وقعت ! لقد مات " أبو على " . اثنا عشر رجلا قتلوه . قتلوه في أحراش البلوط والخروب .

(يدخل بقية الفدائيين معا . حركاتهم وإيماءاتهم تعبر عن الحزن الشديد لموت الرفيق " أبو على " . من جهة اليمين يدخل فدائيون آخرون تتبعهم امرأة . يحملون جسد الرفيق الفقيد)

الفدائى (١) : قتلوا " أبو على " . اثنا عشر رجلا قتلوه .

المرأة : كلا . لم ينالوه وهو يلوذ بالفرار . كان سيواجههم حتى وهو بمفرده . هجم عليه ستة منهم . أُطلق النار على سيارتهم الجيب .

جميع القذائف التى كان يحملها .
أطلق جميع القذائف التى كانت فى الخزائن الثلاثين للرشاش .
أطلق عليهم .
وقضى نحبه . كان قد فارق الحياة .
بينما الخنازير ما يزالون يطلقون عليه النار .

(تخرج المجموعة التى تحمل الجثمان . الفدائى الثانى والثالث يواجهان الجمهور . الفدائى الأول ينشد الأغنية التى مطلعها " كلا . لا تبكوا يا رفاق " يقوم بالترجمة الفورية الفدائى الثانى .)

الفدائى (٢) : لا تبكوا يا رفاق
أبو على لم يمت ميتة مهينة
" جراحه كانت تقول : " لا "
أغلاله كانت تقول : " لا "
وفوق صدره يمامة أعطته كل ريشها
درعاً لجُرحه كانت تقول : " لا "
" لا " للذين باعوا واشتروا
خلخال غزة .
باعوا الشظايا واشتروا إوزة .
أيتها الإوزة !
كُفى عن الصياح لحظة
ولتسمعيه مرة

يقول : " لا "
آه عليه . لم يمت تحت أشعة " النيون "
بين الشمعدان والقمر .
آه عليه . لا بلاغ . لا جنازة خرساء
لا قصيدةٌ تنوح لا وتر .
أيتها الحجارة !
لو تسمحين لى ببيت شعر واحد
أقوله لكل لحية طويلة ومستعارة .
كفى عن الصياح لحظة
ولتسمعيه مرة يقول : " لا " .
جدار بيت واقف في غزة
يُقتل كل يوم ألف مرة
أيتها الإوزة ! "

(بعد انتهاء الأغنية . يدخل فدائيان كل منهما يحمل طبلة ويدخل آخرون معا يصاحبون بالأيدى والإيقاع الحركى . وينشدون الأغنية التى تقوم المرأة بإلقائها بالإيطالية خلال المشهد كله .)

أيها الفلاح الذى حمل البندقية ليس عندك ما تخاف عليه
لن تفقد بموتك سوى الفقر الذى يصاحبك
أحبائى ..
أنا بالورد والحلوى
وكل الحب أنتظر .

أنا . والأرض . والقمر
وعين الماء . والزيتون . والزهر
وبياراتنا العطشى
وسكتنا . وكرم دوال ؟
وألف قصيدة خضراء
منها يورق الحجر .
أنا بالورد والحلوى
وكل الحب أنتظر .
وأرقب هبة الريح التى
تأتى من الشرق
لعل على جناح جناحها
يأتى لنا خبر
لعله ذات يوم يهتف النهر :
" تنفس أهلك الغياب
يا مصلوب .. قد عبروا ! "
لقد عادت الطيور المهاجرة
ويوما ما سأجد جميع رجالنا ونسائنا قد تحرروا .

(وبعد ذلك يغادر الفدائيون المنصة فى كورس وهم يقلدون طيران طائر البلشون . يدخل ثلاثة فدائيين حاملين كفنًا أبيض . يتوجهون ببطء ولكن بإيقاع نحو منتصف المنصة . فى الوقت نفسه يدخل الفدائيون الآخرون حاملين جثمان الفقيد : فوق لوح خشبى دمية

ملفوفة فى الكفن. أول الفدائيين ينشد أغنية " فوق النبع، أقسم لك " الباقون يتهيئون لدفن الفقيد . الفدائيون الثلاثة ينتقلون إلى يمين المنصة . الترجمة الإيطالية تظهر فوق الكفن)

غابة الزيتون كانت مرة خضراء

كانت .. والسماء

غابة زرقاء .. كانت يا حبيبى

ما الذى غيرها هذا المساء ؟

أوقفوا سيارة العمال في منعطف الدرب

وكانوا هادئين

وأداروها إلى الشرق وكانوا هادئين .

كان قلبى مرة عصفورة زرقاء .. يا عُش حبيبى

ومناديلك عندى . كلها بيضاء . كانت يا حبيبى

ما الذى لطخها هذا المساء ؟

أنا لا أفهم شيئا يا حبيبى !

أوقفوا سيارة العمال فى منعطف الدرب

وكانوا هادئين وأداروها إلى الشرق وكانوا هادئين .

لك مني كل شيء

لك ظلٌ لك ضوءٌ

خاتم العرس . وما شئت

وحاكورة زيتون وتين

وسأتيك كما فى كل ليلة

أدخل الشباك . في الحُلم . وأرمي لك قُله
لا تلمني إن تأخرت قليلاً
إنهم قد أوقفوني .
غابة الزيتون كانت دائما خضراء
كانت يا حبيبى
إن خمسين ضحية
جعلتها فى الغروب
بركة حمراء .. خمسين ضحية
يا حبيبي .. لا تلمني ..
قتلوني .. قتلوني ..
قتلوني ..
" فوق النبع . أقسم لك
طعنات الخنجر أفضل عندى
من أن يحكمنا غاصب
سأصعد قمة الجبل
حيث أشرف على الوادى بأسره
سأصيح قائلا :
أيها الشعب الثائر
يا ريح بلادى
يا من تملئين الأشرعة فوق النهر
املئي أيضا طيلساناتنا
ادفعينا للكفاح "

(الفدائيون ، بعد وضع جثمان " أبى على " فوق الأرض ينشدون على لحن "بلادى بلادى ")

ستدفعنى بموتك يا " أبا على "

كأنك النسر والأسد

(تدخل المنصة أم " أبو على ")

الأم : لا ، يا رفاق ، أرجوكم ، لا تنشدوا له كما تنشدون للأبطال ، أنا واثقة أن " أبا على " لن يكون راضيا بهذا الإنشاد ، أنا واثقة أنهم حينما أطلقوا عليه أخفى وجهه بيده ، كان أبو على يخشى الموت .

الفدائى (١) : اسكتى ، لا تقولى ذلك ، نحن فى حاجة لمثل أعلى فى البطولة .

الكورس : نحن فى حاجة لمثل أعلى فى البطولة

من أجل الأطفال الذين يتدربون فى المعسكرات

ينبغى ألا يخافوا من الصهاينة

ولا من أى عدو آخر .

الأم : لو كان هناك الآن ، لقال لكم إنه كان خائفا ، لقد تمكن من التغلب على نفسه. لم يهرب ، من المؤكد أنه كان يرتعد خوفا ، يجب أن تقولوا ذلك ، لا تكذبوا .

الفدائى (١) : لا ، لن نقول لهم ذلك ، الشعب فى حاجة إلى أبطال خالصين ومنيرين .

الكورس : " لا ، لن نقول لهم ذلك .

الشعب فى حاجة إلى أبطال خالصين منيرين

الأم : لا . إن الأبطال الخالصين المنيرين هم أبطال حكايات السلاطين والشيوخ . أما حكاياتنا . فينبغى أن تكون حكايات حقيقية حكايات بشرية . بشر يتعثرون. يتشككون . بشر يشعرون بالخوف . ولكن لا يهربون من الموت . الذين لا يتشككون ولا يخافون هم المتعصبون الذين لا يعقلون . يخشون السخرية . ينتفخون مثل القرب المصنوعة من جلود الحمير . وهم يثيرون السخرية والاستهزاء . لا يصلحون للثورة .

الفدائى (٢) : لقد تمكنت من إقناعنا . هذا ليس نشيد " أبى على " .

الكورس : " أجل . لقد تمكنت من إقناعنا "

(الفدائيون وهم يواصلوا القيام بإجراءات الدفن . ينشدون لحنا آخر . مختلفا تماما . فى الإيقاع والكلمات عن لحن " بلادى بلادى ") .

الفدائى (٣) : أيها الرفاق . لا تضعوا " أبا على " فى القبر . قبل أن ننشد له . تؤدى له طقوس الرغبات والوداع .

الفدائى (٤) : كلا . هذه طقوس قديمة . لا تؤدى الآن .

الفدائى (٣) : لماذا لا تؤدى الآن .

الفدائى (٤) : لقد منعوها .

الفدائى (٣) : من الذين منعوها ؟

الفدائى (٤) : الإقطاعيون . الشيوخ . منذ سنوات عديدة .

الفدائى (١) : ألم تسأل نفسك عن السبب ؟ لأن طقوس الشعب هى حضارة الشعب . ودون رقصات الشعب ، دون الثقافة

يصبح الشعب مثل الشخص الأبكم الأصم . يصبح مثل الطفل الذى قطعوا له حبل السرة . وهو ما يزال فى بطن أمه .

الفدائى (٤) : شخص مخنوق . من السهل إخضاعه والسيطرة عليه . مولود عبداً .

الفدائى (٢) : لذلك . فإذا أردنا أن نتحرر . ويكون لنا السلطان فإن علينا أن نبدأ باستعادة ثقافتنا وإحيائها .

الفدائى (٣) : فلنحى موتانا كما كنا نفعل فى الماضى مع من كانوا يموتون وهم يناضلون .

الفدائى (٤) : صحيح . أبو على مات كمداً . لم يكن أمامه الوقت الكافى لينادى أبناءه ولا زوجته إلى فراشه . ليودعهم كما ينبغى . فمن الضرورى أن يقوم بذلك الآن .

الفدائى (٢) : تكلم يا عمر . كما لو كنت أنت " أبا على " أنشد أنشودة رغباته ووداعه .

الكورس : أبو على . أنشد لنا رغباتك ووصيتك .

(فى خلال هذه الأغنية . يحمل الفدائيون لوح الخشب وعليه جثمان الفقيد إلى منتصف المنصة . فوق مقعدين . يضعون الدمية فوق الأرض . وفى مكان الفقيد يجلس عمر أعز أصدقاء " أبو على ")

الفدائى (١) : لا تواورنى فى الرمال يا رفاق .
لا تواورنى فى الصلصال ولا المستنقعات
فى التراب أريد أن تواورنى

في التراب أريد أن أذوب . أصبح غذاءً
للشجرة التي ستغرسونها
اغرسوا فوق قبري شجرة مشمش
ستأتي زوجتي لتجني الثمار .
حينما تنضج .
وسيأكل منها أبنائي .،
وغضبي على الأسياد وبغضي لهم
سيختلط بلحمهم ويلتهب في أجسادهم .
أنا الأرض
أنا الأرض .. لا تحرميني المطر
أنا كل ما ظل منها إذا
زرعت جبيني شجراً
وحولت شعري كروماً
وقمحاً
ووردا
لكي تعرفيني
فجودي مطراً .
أنا يا سحابة عمري جبال الجليل
أنا صدر حيفا
وجبهة يافا
فلا تهمسي : مستحيل .
ألا تسمعين خطى طفلي القادمة

على عتبات فؤادك ؟
ألا تبصرين عروق جبينى
تحاول لثم شفاهك ؟
أنا فى انتظارك أصبح شعرى ترابًا
وصار حقولا
وأصبح قمحًا
وأضحى شجرًا .
أنا كل ما ظل من أرضنا
أنا كل ما ظل مما عشقت
فجودى ؟ وجودى
وجودى مطرا .

(فى نهاية هذه الأغنية. يحمل الفدائيون صديق "أبى على" ليجلس فوق زاوية خشبة الميت . ويجلسون متحوطين مخاطبين إياه . فى الوقت نفسه . المرأة تتجه إلى يمين المنصة . وتعلق على الحوار الذى يجرى بين الفدائيين)

المـــــــــرأة : إنهم يسألون " أبا على " لماذا انضم إلى الفدائيين . من جعلك تفعل ذلك ؟

كان لك عمل تتعيش منه .

الفدائى (٣) : كنت تعمل كهربائيا . وكنت تصلح الراديوهات والتليفزيونات .

الفدائى (٤) : كانوا يستدعونك فى كل مكان . فى كل المقاهى . حتى فى بيوت الأجانب .

الفدائي (٣) : كنت صديقا للجميع . وكنت على علاقة طيبة بالجميع .
لماذا انضممت إلى الفدائيين ؟

الفدائي (١) : آه . ليس من السهل أن أشرح لكم . أولا . حساباتي كانت مختلفة تماما . كلا، لم أكن من النوع الذي لا يبالي. لم أكن من أولئك الذين يقولون : " ليذهبوا جميعا إلى الجحيم . ولأهتم أنا بشئوني . بطني . هي وطني " كلا . حينما شاهدت الإسرائيليين يطردون قومي من أراضيهم. شعرت أنني واحد منهم . فعملت في معسكرات اللاجئين وشاركت في جميع التظاهرات ضد الظلم . وجمعت التبرعات للهلال الأحمر . وكنت أصيح بأعلى صوتي "عاشت الأمة العربية أمة واحدة . عاشت الأمم المتحدة . عاش الروس الذين يقدمون لنا السلاح . أي الذين يبيعون لنا السلاح". وذات يوم تشاجرت مع أبي لأنه قال: "ما أكثر الذين اتفقوا على حماية الحَمَل ! عملية قذرة"

الفدائي (٣) : ماذا كان يعني بقوله هذا ؟

الفدائي (١) : أجابني قائلا : " الحمل هو الشعب الفلسطيني فإذا كان الذئب والثعلب ، وابن آوى والأسد يريدون جميعا حمايته من النمر . فذلك لأنهم يريدون جميعا أن يلتهموه " . فصحت فيه وأغلظت له القول ، بل شتمته .

الفدائي (٤) : وهل طردك أبوك من البيت ؟

الفدائي (١) : بل ابتسم لي بكل حنان . وقال : " سيحدث ما حدث على عهد الشيخ قسَّام عام ١٩٣٦ . حينما كان الإنجليز هم

المهيمنون على كل شيء . وحمل الشيخ قسام بندقيته مع الفلاحين ليطرد الإنجليز. حينئذ انضم الشيوخ والإقطاعيون – في البداية – إلى صفوفنا . وكانوا يعلنون الحرب المقدسة. ثم اتفقوا مع رجال الأعمال والبنوك في إنجلترا وباعونا بأربعة دراهم. وانتقموا أيضا من الشيخ قسام وقتله الإنجليز. فالشيخ في نظرهم لا يجب أن ينضم إلى الفقراء.

عاشوا .. لم تصحبهم كلمة

ماتو .. لم تصحبهم كلمة

فالفصحى والأوراق المصقولة والإنشاء

والحبر الغالي والأقلام الفضية

كانت مسبية

يلهو بمفاتنها النبلاء ..

والناس البسطاء

عاشوا .. لم تصحبهم كلمة

ماتوا .. لم تصحبهم كلمة

فاغرف من أعماق البئر العذراء

واسق العامل والفران وأطفال الحارة

فالناس ظماء

اكتب عن شحذ الهمة

اكتب عن أحلام الأمة

طوبى للحرف الشامخ في الليل منارة

والعار لأبراج العاج المنهارة

وسبايا النُقلاء !

(يبسط الكفن وخلفه الفدائيون الذين يختفون ينشدون أغنية الشيخ قسام ، وهم ينقلون إلى مقدمة المنصة وهم ما يزالون مختفين ، بينما فوق الكفن تشاهد ماسورات بنادق تمر ، عند وصول الفدائيين إلى مقدمة المنصة ، تظهر رءوسهم وتبرز كاملة ، كل فدائى يمسك الكفن بإحدى يديه وبالأخرى يمسك بندقية ، الجميع يقلدون مسيرة الجمال على إيقاع أغنية الراهب قسام)

أغنية الشيخ قسام

أيها الشيخ قسام

يا شيخ قسام ، يا فقيرا مثلنا

أربعون عامًا مضت على اختفائك

مازلنا نذكرك بعد دفنك بأربعين عاما

حينما كنت تقول لنا :

الأغنياء لا يمكن أن يحاربوا من أجل حريتنا

لقد وصل الإنجليز .

سلبونا كل شيء

والأغنياء والإقطاعيون سيتفقون فيما بينهم

فالأغنياء دائما يتفقون فيما بينهم

يتحدثون لغة واحدة .
قاموسهم مكون من أوراق البنكنوت
أيها الراهب قسام
حين صلبت على وتر القاف النصراوية
عز عليَّ الصمت
كان بودى أن أكتب شيئا بالحناء
قبل رحيل خطاهم صوب الشرق
كان بودى ؟
أن أقلب أرضا .. وزمانا .. وسماء
كى ترجع يا شيخى طفلا
يدرج فى ساحة عين العذراء ..
يعترف العائد من جرح طفولته أن الأشواق
لا تصمد فى حر الأشواق
مازلنا نشهد غربتنا
أعواما .. فى ظل اللقيا
ونتوح بباب الطاق .. !

(الفدائيون يتراجعون بينما البنادق والرءوس تختفى ببطء خلف الكفن . من خلف الكفن يظهر الفدائيون فى مسيرة الجمال مقلدين الكفاح المسلح ضد الإنجليز . جميعهم الآن ماثلون يمين المنصة يختفون من جديد على إيقاع " أيها الراهب قسام " خلف الكفن ويخرجون من المسرح عند انتهاء الأغنية . المنصة خالية .)

(من أحد الكالوسين . تسمع صرخة امرأة . يدخل فدائي يتبعه آخرون من الكالوس المقابل)

الفدائي (٢) : وصلت زوجة " أبي علي " وأخواتها . جئن يبكين وينتحبن معنا .

الفدائي (٣) : لا تسمحوا لهن . أوقفوهن ! لا يجب أن يرينه .

الكورس : لماذا ؟

الفدائي (١) : التقاليد . العرف .

الفدائي (٤) : أي عرف ؟

الفدائي (٣) : عرف كل زمان . النسوة إذا كن يبكين الميت في الدار فلا تستطيع أي امرأة أن تأتي إلى القبر للاشتراك في الدفن .

الفدائي (٤) : عجبا . إلى الجحيم أنت وأعرافك هذه . دعوا النسوة يدخلن .

الفدائي (٥) : عجبا . في البداية قلتم علينا احترام التقاليد . والآن تضربون بها عرض الحائط ؟

الفدائي (٤) : هذه تقاليد الكهنة . وليست تقاليد الشعوب .

الفدائي (١) : حقا . هي قضية الخطيئة الأولى للمرأة . إن المرأة مخلوق نجس. ولو جاءت تبكي هنا على القبر . فإنها ستنقل العدوى إلى روح الفقيد وتثير عند الرجال أفكار السوء .

الفدائي (٥) : عجبا . أنا لست رجعيا . ولكنني أقول لكم . إن امرأة جميلة في الحداد تبكي وتنتحب وتمزق ملابسها . وتخرج عن طوعها . يمكن أن تثير عندي بعض الأفكار الخبيثة .

الفدائي (٢) : ولكن من الذي يمكن أن يفكر في الجنس في مثل هذه الأحوال ؟

الفدائي (٥) : أنا دائما أفكر فى الجنس فى مثل هذه الظروف . أنا أمزح .

الفدائي (٣) : الحقيقة هى أننا ثوريون فيما يختص بالفعل . أما فيما يتعلق بنسائنا فنحن رجعيون .

الفدائي (٤) : هذا صحيح . بالنسبة لنا . فالنساء دائما أشياء بداخلها يكمن فقط ما نطلق عليه الشرف والكرامة .

الفدائي (٢) : المرأة هي عندنا جنس وحسب .

الفدائي (٣) : لا يهم أن نكون مستعمرين، مستغلين . عبيدا مسخرين . المهم ألا نكون تيوسا بقرون .

الفدائي (٥) : براڤو ! يجب أن نضع هذا في رءوسنا يجب أن نفهم هذا جيدا : التيس الحقيقى هو المستغل .

الفدائي (١) : أنت على حق . إن ثورتنا تبدأ بالكرامة الإنسانية التى يجب أن نقدمها لنسائنا.

الكورس : سنكون أقوى من أعدائنا لو نجحنا فى احترام نسائنا .

أغنية عن نسائنا

أمي ليست بطنا و حسب

انكشف لي ولأبى

حينما ولدت

نساؤنا لسن فقط بطونا

تنكشف لنا ولمستغلينا
لسن فقط عينين ناعستين خبيثتين :
إنهن العقل والقلب بالنسبة لقومنا جميعا .

(الجميع ومن يستأنفن النحيب يتوجهن نحو اليسار . في مواجهة زوجة "أبو على" التى تدخل الآن يعزينها ويصحبنها إلى جثمان زوجها)

الزوجــــة : كلا ! دعوني ! لن أشق ثيابى ولن أقطع شعرى . ولن أتمرغ فى التراب .

الفدائى (٣) : كنا نقوم بطقوس الوداع على الطريقة القديمة .

المــــرأة : أنا أيضا عندى بعض الأسئلة، أريد أن أوجهها لأبو على. أنا لم أعد أدرى عنه شيئا طوال الأشهر الأربعة الماضية.

الفدائى (٢) : يا محمد : " أبو على " كان معك فى الأيام الأخيرة .

الــكــورس : نعم . محمد كان معه .

الفدائى (٥) : كان معه حينما قبضوا عليه فى عجلون . وقد عاشا معا فى زنزانة واحدة طوال فترة السجن .

الــكــورس : نعم . طوال فترة السجن .

المــــرأة : تقدم يا محمد . قم أنت بدور " أبى على " .

الــكــورس : انهض يا أبو على وقص علينا وصيتك ووداعك .

(الفدائيون يتوجهون ليجلسوا فوق مقعد حول الزوجة وصديق أبو على الذى يتحدث مكان الميت . خلال هذا الحوار تقدم زوجة أبى على للحاضرين مشروبا . وتضع كوبًا بجوار جثمان الفقيد)

الزوجـــــة : يا أبا على . ما الذى ذهب بك ؟

أبـو عـلـى : لقد تجمعنا هناك بعد معركة .

المـــــرأة : والمعركة التى وقعت ؟

أبـو عـلـى : نعم . لقد أدركنا أن الجو في المدينة غير ملائم .

المـــــرأة : كيف ذلك . ألم تكونوا تملكون فى أيديكم زمام الأمور ؟

أبـو عـلـى : لقد أشاع كثيرون أن معركة عمَّان كانت انتصاراً للمقاومة الفلسطينية . نعم ، هذا صحيح ؛ فلأول مرة نجحنا في تحريك سكان الأحياء الفقيرة - العمال - الذين حملوا البنادق معنا . ولكن على المستوى العسكرى. كانت المعركة كارثة . كنا في ذلك الوقت ننتمى إلى فتح . كان لنا راتب كافٍ وكنا نرتدى بدلة جميلة . وكنا ننام فى فراش حقيقى .

المـــــرأة : لا تقل إنكم انضممتم إلى فتح لكى تتمتعوا بهذه المزايا ؟

أبـو عـلـى : كلا؟ فى كل يوم كنا نغامر بحياتنا . ولكن فى خلال المعركة بدأنا نعرف أشياء كثيرة . أولاً . عرفنا أن الكارثة سببها أننا على المستوى العسكرى كنا ما نزال منظمين على طريقة الجيوش التقليدية . وأننا كنا نتصرف بالعقلية نفسها . فالواقع أننا قبلنا الدخول فى المعركة في المكان الذى حدده العدو لضربنا . وكان الانسحاب أو الهروب يعد إهانة . كنا نتحدث كثيرا عن معركة الشعب . والحقيقة أنها كانت معركة مباشرة . معركة مثقفين وعسكريين بورجوازيين . منفصلين تماما عن الجماهير .

الجماهير كان ينبغي أن تناضل وحسب . في تلك الظروف أدركنا شيئا من الدور الذى كان يلعبه الاتحاد السوفييتي في هذه العملية .

فــــرنكا : هذه رسالة أخرى أرسلها الفدائيون إلى بريجينيف وكوسيجين .

(في أثناء قراءة هذه الرسالة تنتقل الزوجة إلى مقدمة المنصة)

الأعزاء بريجينيف وكوسيجين . إن الأمريكان والرأسماليين والإمبرياليين . بتطبيق خطة روجزر . وجدوا الفرصة سانحة لوضع الشعب الفلسطيني كله داخل معسكر تعذيب نازى كبير . وهو الضفة الغربية . وهذا يعني حبس الشعب بأكمله داخل عدة كيلومترات مربعة . وإجباره على العيش مكدسا في انتظار الموت جوعًا . لقد سبق للأمريكان تطبيق هذا الأسلوب مع الهنود الحمر أصحاب الأرض الحقيقيين في القارة الأمريكية . والذين لم يبق منهم الآن على قيد الحياة سوى بضع مئات . يذكروننا بوحشية الاستعمار الأمريكى .

(الفدائيون جميعا ينهضون من فوق المقاعد وينتقلون إلى مقدمة المسرح . حول المرأة . وهم مواجهون للجمهور)

كوسيجين و بريجينيف . نحن شعب فلسطين . نحن الشعب العربى . نتهمكم بالاشتراك في هذه الجريمة

الكبرى . ولن نغفر لكم هذا التواطؤ . وهذه الخيانة .
ليست خيانة الشعوب العربية وحدها .

(الفدائيون ينشدون لتسقط المؤامرة)

لتسقط المؤامرة   لتسقط المؤامرة
ولنقطع اليد   المتاجرة
بلحم شعبنا   بجرح أرضنا
لن تصلبوا شمسى   على وحل المؤامرة
لن تجلدوا بالقش   ساعد العواصف المدمرة
لن تشنقوا حناجر البنادق المزمجرة
فإن شعبنا أقوى من المؤامرة
وإن شعبنا أبقى من المؤامرة

الزوجة : استمر يا " أبا على " فى حكايتك .

أبو على : حيث كنا أكثر أمنا وسلاما . كان معنا حوالى مائة من الفدائيين . كانوا قلة ولكنهم يساوون الآلاف . وقد ظلوا يقولون لنا :

الفدائى (٢) : إننا نرتكب خطأ للمرة الثانية . كمن يستجير من الرمضاء بالنار .

أبو على : هكذا كانوا يقولون بالضبط .

الفدائى (٤) : ليس من العقل أن نظل هنا مكدسين . فى انتظار أن يفاجئونا مرة أخرى فيهاجموننا . أو يصطادوننا . أو يوقعوننا فى الفخ .

الفدائي (٦) : يجب أن نتوزع في القرى . في بيوت الفلاحين . وفي المصانع . وفي المزارع .

الزوجــــة : كانوا على حق . أليس كذلك ؟

أبــو عــلــي : مؤكد. لكن قادتنا لم يفهموا . كانوا صما بكما . لم يروا أن نتفرق في المصانع أو بين الفلاحين وفي المزارع . فالمثقفون يحبون التجمعات .

الزوجــــة : وهكذا بقيتم هناك في انتظار أن يحاصروكم ويجهزوا عليكم .

الـكــورس : وحدث ما كان في الحسبان .

أبــو عــلــي : كنا ثلاثة آلاف . فقتلوا منا أكثر من ستمائة . قليل منا تمكنوا من الفرار . وأودعنا السجون . ألفان وثلاثمائة .

(تمثيل صامت لعملية القبض)

فرقة من الجبهة الديمقراطية الشعبية تمكنت من الإفلات. لكنهم عادوا لكي يفجروا المواقع التي تركناها خلفنا بما فيها من أسلحة ومعدات . فتمكن منهم بعض جنود الأعداء . واقتادوهم جميعا إلى معسكر التعذيب . وعند نزولنا من الناقلات كان في انتظارنا حوالي مائة من الحرس في الزي الأمريكي . فبدءوا يضربوننا بالعصي والسلاسل الحديدية .

(في الوقت نفسه تجرى بالتمثيل الصامت عملية الاستجواب : جميع الفدائيين يعتمدون في عمق المنصة)

ثم بدءوا ينادون علينا ويوزعوننا : نحن أعضاء فتح من ناحية . وأعضاء الجبهة من ناحية أخرى ؛ كانوا يعرفون أسماءنا نحن أعضاء فتح . وجعلوا يعذبون الآخرين . ويضربونهم بالأحذية . ولكنهم لا يتكلمون .

(أداء صامت)

لماذا يخافونهم ؟

ذات يوم وكما هي العادة . كانوا يضربون بعض أعضاء الجبهة . فانبرى حوالي عشرة من أعضائنا – أعضاء فتح – يصيحون ساخطين معترضين على تلك المعاملة . وعقابا لنا . أرسلونا لكي نعمل في الحقول مع الفلاحين .

(أداء صامت يمثل أعمال الفلاحين . الفدائيون وهم ينفذون الشغل ينشدون :)

هناك أدركنا حقيقة كبرى . فبالنسبة لنا كان هذا العمل يعد عقابا . أما بالنسبة للفلاحين فهذا العمل مستمر طيلة الحياة .

أغنية فرعون

اجتاز فرعون الصحراء فوق عربته .
ولكن من الذى صنع له عجلات العربة ؟
من الذى صمم له العربة ؟
حداد فقير من الفرات .
ومهندسو الأهرامات .

شيدوا مقبرة خوفو .
بالمسطحات المائلة .
التى أخذوها عن الفلاحين .
وأرشميدس اكتشف اللولب لضخ الماء
سرق الفكرة منا نحن فلاحى النيل .
كهنة فرعون
يراقبون القمر والنجوم
ليعرفوا الطالع بالنسبة لفرعونهم .
أما نحن الفلاحين ،
فنتطلع إلى القمر والنجوم
لكى نعرف متى نزرع . ومتى نحصد .
كل المحصول لسيدنا الآمر الناهى .
أما نحن الذين أعطينا كل شىء
فقد أدركنا أننا كل شىء :
العجلة ولولب أرشميدس
والحب والأهرامات .
حينما ندرك ذلك .
يكفى أن نتعانق جميعا .
حينئذ . فرعون وكهنته
سيموتون من الفزع .

* * *

نهاية الجزء الأول

الجـــــزء الثـانـى

(بعض الفدائيين الجالسين فى حلقة بين الآخرين . يرددون حكايتهم)

فـــــرنكا : الجزء الذى شاهدتموه من العرض لا يكفى بطبيعة الحال وحده لإعطائكم فكرة عن قصة كفاح الشعب الفلسطينى. إذا لم تسمعوا مع الأناشيد والطقوس حكاياتهم أيضا . وحكاية صحوتهم ووعيهم . وكيف أصبحوا ثواراً مناضلين.
يا حسن . ابدأ أنت فقص علينا قصتك .

صوت خارجى (١) : أنا عامل . لم أولد فى فلسطين . فأنا سورى انضممت إلى الفدائيين وأنا صغير .

صوت خارجى (٢) : إننى أتذكر ذلك جيدا . حينما وصل الإسرائيليون كنت طفلا ، وكنت أسكن هناك مع أمى وهى فلسطينية . وصل الإسرائيليون قريتنا بملابسهم الملونة . بأسلحتهم الحديثة . وعجرفتهم . وادعائهم بأنهم شعب الله المختار . فوق ذلك كله . كان يبدو أن معهم الكثير والكثير من الدولارات لشرائنا جميعا. لكنهم لم يشترونا . بل طردونا .

وكانوا يقولون : " هذه منطقة عسكرية " . "نزع ملكية قانونية " ." هذه المنطقة نحتاجها لإنشاء مطار . أفراد بعض العائلات تحصنوا في بيوتهم الفقيرة . فما كان من الإسرائيليين إلا أن فجروها ودمروها فوق أهلها . كما حدث في دير ياسين . دمروها بكل مافي داخلها . هل كان هؤلاء الإسرائيليون هم الذين تعرضوا للاضطهاد وخرجوا يبحثون لهم عن وطن ؟ ما الفارق بينهم وبين النازيين الذين عذبوهم ؟ لماذا ينتقمون منا نحن؟ وتعرضنا للإرهاب. فاضطررنا للهروب. كنا ضعفاء بلا ناصر ولا معين. شيوخنا انتقلوا إلى مناطق أكثر أمنا . إلى لبنان والأردن بالأموال التي سلبوها منا . حملنا معنا بعض المتاع . كان لابد أن نهرب . ثم قام رجال ديّان بإقامة أسوار حول المساحات القليلة من الأراضي التي بقيت للعرب . كثيرا منا ظلوا داخل هذه الأسوار . مسخرين من الدرجة الثانية . خاضعين للتمييز العنصري والقهر والموت جوعًا ؟ مضطرين لإبراز أوراقنا مرتين ، وثلاث مرات . رعشر مرات في اليوم الواحد .

فـــــرنكا : حول الحياة القاسية التي يعيشها عرب فلسطين نظم الشاعر محمود درويش هذه الأبيات .

أنا عربي ؟

صوت خارجي (٣) : أنا أيضا سجنوني . حكموا عليَّ بالأشغال الشاقة مرتين في فلسطين . وأنا أيضا عامل . عملت في المناجم

حفاراً . وحمالا فى أحد المصانع الإسرائيلية : فى العام الماضى . حدث إضراب عام . فقام الإسرائيليون بتكديس العرب المضربين داخل قفص كبير . ثم أدخلوا فى القفص حوالى عشرة من العمال الإسرائيليين . كانوا هم المجموعة التى ظهرت فى الإضراب بشكل ملفت للأنظار .

لم يعد يهم بالنسبة لهم التمييز العنصرى . فمنذ اللحظة التى ثاروا فيها على السيد . انحدروا فوراً إلى مستوانا نحن العرب . والآن فهم عرب مثلنا .

صوت خارجى (٤) : حينما كان ناصر ما يزال على قيد الحياة . كنت أحبه كثيرا . كنت ناصريا ومتعصبا للناصرية . مازلت أذكر الأغنية التى ودعناه بها :

الرجل ذو الظل الأخضر

نعيش معك

نسير معك

نجوع معك

وحين تموت

نحاول ألا نموت معك !

ولكن .

لماذا تموت بعيدا عن الماء

والنيل ملء يديك ؟

لماذا تموت بعيداً عن البرق
والبرق في شفتيك ؟
وأنت وعدت القبائل
برحلة صيف في الجاهلية
وأنت وعدت السلاسل
بنار الزنود القوية
وأنت وعدت المقاتل
بمعركة تُرجع القادسية
نرى صوتك الآن ملء الحناجر
زوابع
تلو
زوابع ..
نرى صدرك الآن متراس ثائر
ولافتة للشوارع
نراك ؟ نراك ؟ نراك
طويلاً
.. كسنبلة في الصعيد
جميلا
.. كمصنع صهر الحديد
وحُرا ..
كنافذة في قطار بعيد ..
ولست نبيا .

ولكن ظلك أخضر
أتذكر ؟
كيف جعلت ملامح وجهى
وكيف جعلت جبينى
وكيف جعلت اغترابى وموتى
أخضر ؟ أخضر ؟ أخضر ..
أتذكر وجهى القديم ؟
لقد كان وجهى يحنَّط فى متحف إنجليزى
ويسقط فى الجامع الأموى
متى يا رفيقى ؟
متى يا عزيزى ؟
متى نشترى صيدلية
بجرح الحسين .. ومجد أمية
ونبعث فى سد أسوان خبزاً وماءً
ومليون كيلواطٍ من الكهرباء ؟
أتذكر ؟
كانت حضارتنا بدويا جميلاً
يحاول أن يدرس الكيمياء
ويحلم تحت ظلال النخيل
بطائرة .. وبعشر نساء
ولست نبيا
ولكن ظلك أخضر ..

نعيش معك

نسير معك

نجوع معك

وحين تموت

نحاول ألا نموت معك !

ففوق ضريحك ينبت قمح جديد

وينزل ماء جديد

وأنت ترانا

نسير ؟ نسير ؟ نسير ..

لم يخطر ببالي على الإطلاق أنه كان يمثل لواء البرجوازية العربية الجديدة أكثر من لواء العالم العربى . بل لم أكن أدرك أن على صبيحة " الحرب المقدسة " بدأ صراع بين البرجوازية الرأسمالية العربية المصرية والسورية والعراقية . وبين الرأسمالية الإسرائيلية يعضدها رأس المال العالمى .

باختصار . فإن الإقطاعيين فى الشرق الأوسط وقد تحولوا إلى متعهدين ومقاولين من خلال نزع أملاك الأجانب . قد أدركوا أن أفضل طريقة للاستغلال هى تسخير اليد العاملة ...

فمن الغباء تركها للأجانب . كأنما قالوا " اليد العاملة العربية ملكنا نحن. ونحن نستغلها ونسخرها. لوجه الله !

عاشت حرية الاستغلال ! عاشت حرية تسخير الشعب العربي الواحد .

وما لبثنا أن أدركنا موضوع . يجب أن نتهيأ لكي تضرب البرجوازية . ولكن هناك أولا إسرائيل التى ينبغى ضربها . فهل من الممكن التعاون مع البرجوازية الوطنية لضرب الرأسمالية الإمبريالية ؟

في الصين استطاع الحزب الشيوعي بقيادة " ماو " أن يفعل ذلك . وفى فيتنام استطاع " هوشى مينو " أن يحقق ذلك أيضا . فهل يمكن عمل ذلك أيضا هنا فى فلسطين ؟ إن تحقيق التعاون مع عدو يلزمه بعض أوراق اللعب . أى قوة. وعندنا في فلسطين وفي الأردن . هل هناك بروليتاريا منظمة وواعية ؟ لا . هناك بروليتاريا تناضل بالكامل تقريبا من خلال منظمات مهيمنة يديرها برجوازيون . لنتكلم عن منظمة فتح وغيرها . عند تقديم الحسابات لا يضع البرجوازيون أقدامهم بيننا مطلقا . علينا أولا أن نكبر وننمو . ونؤمِّن حدودنا إذا كنا لا نريد أن نموت فى المهد .

لذلك ينبغى إعطاء البنادق للشعب وتدريبه على القتال وإقناعه بأنه مع الثورة لا يخسر شيئا . بل يجنى كل شيء . ينبغى تعريفه بأعدائه الحقيقيين. إذن فهى قضية دعاية . ولكن ما السبيل لعمل دعاية ثورية فى ظروف ثقافية مثل ظروفنا ؟ أوضاع تقوم على الطاعة العمياء

للأسياد . إن رسول الله محمداً بالنسبة للفلاحين هو الذى خلصهم من الكثير من الموبقات . ويأمرهم بالتطهر للصلاة . بل ويحضهم على أن يحبوا جيرانهم حتى لو كانوا من جنس آخر . الوحيدون الذين استطاعوا منا مخاطبة الفلاحين وإقناعهم بالثورة . فعلوا ذلك أيضا من منطلق إسلامى على هذا النحو :

ذات يوم جاء رجل إلى الخليفة عمر بن الخطاب يشكو له أن ابن عمرو بن العاص كان يسابق ابنه . فسبقه ابنه . فضربه ابن عمرو بن العاص . فأمر الخليفة بإحضار الابن المعتدى . وقال له : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ وأمر المضروب أن يضرب ابن عمرو . قائلا له : اضرب ابن الأكرمين .

أو على هذا النحو :

"عجبت لرجل عنده أطفال يتضورون من الجوع ولا يخرج إلى الطريق شاهراً سيفه ضد كل من كان سببا فى ذلك"

بعد ذلك استطعنا أن نستعمل مكبرات الصوت فى بعض المآذن لعمل دعاية . لماذا نعيش هنا فى معسكرات اللاجئين ؟ لماذا نعيش هنا مع الفلاحين فى الحقول ؟ ليس فقط لأهداف غوغائية بين الدهماء . أو لكى نكسب أعضاء جدداً لقضيتنا . لقد بدأنا من منطلق أننا نعرف القليل . من الجماهير . ومن الجماهير فقط يمكن أن نتعلم ما نحتاجه من أجل الثورة . بدءاً من كيف ننظم

أنفسنا وحتى كيف نعمل ونتحرك . إن الشعب . كما يقول أحد أناشيدنا . هو مخترع كل شيء، من العجلة حتى الأهرام . ومن المؤكد أنه سيخترع أيضا ثورتنا . يكفي أن نساعده كي يصبح واعيا بقوته الخارقة .

فـــــرنكا : وأنت ماذا كنت تعمل ؟ فلاحًا أو راعيا أو عاملا ؟

صوت خارجي (٥) : لا . أنا لا ! أنا كنت أعمل لصا .

فـــــرنكا : لصا ؟

صـــوت (٥) : نعم . لصا . كنت أعمل لصا . كنت أمارس مهنة اللصوصية . حينما كنت أذهب للعمل أدركت على الفور . وحتى دون أن أقرأ كتبا . أن صاحب العمل يسرقني . فإذا كان العالم مكونا من سارقين ومسروقين . فأنا أفضل أن أكون من ضرب السارقين . اللصوص . كنت أعيش حياة المهرجانات الأغنياء . وكنت أشعر بالملل من حياة الأغنياء . فبدأت - قضاءً للوقت - أتردد على العاهرات وأشرب وأتعاطى المخدرات . حتى أنصرف عن التفكير في الوقت .

فـــــرنكا : ولكن مثل هذه الحياة تحتاج إلى أموال طائلة .

صـــوت (٥) : وهل تظنين أنني كنت أسرق الدجاج ؟ كنت لصا محترفًا . كنت أميا ولكنني كنت محترفًا . كان فقدي لإحدى عيني هو الذي جعلني أغير رأيي . كنت في الجليل في فلسطين. وجاء الإسرائيليون بقواتهم وعتادهم وعاثوا في المدينة فساداً . فكانوا يطلقون المدافع على

البيوت . وقد انفجرت قنبلة بالقرب مني على بعد عدة أمتار وأصابتني منها شظية شطرت عيني إلى شطرين ، كما تقسم البيضة المسلوقة.

أيها الإسرائيليون ؟ ما ذنبي أنا ؟ هذه العين العوراء يجب أن تعوضوني عنها . ألا تقولون " العين بالعين " !

وعلى الفور طبقت القول على العمل . وما إن خرجت من المستشفى حتى انضممت إلى أول منظمة قابلتني . كان اسمها " التضحية الوطنية " كان الاسم له رنين ووقع جميل .

بالإضافة إلى كوني جاهلا وأميا . فلم أكن أفهم شيئا في السياسة . وهكذا صنفوني ضمن البلهاء . على المستوى التنظيمي . أدركت على الفور أن هناك أخطاء كثيرة . وفي اليوم الثالث . عينوني مسئولا عن الخزانة . وإذا كان أمين الخزانة لصا . فلكم أن تتصوروا ما يمكن أن يكون عليه المسئول السياسي والعسكري . كانوا جميعا يشربون بإسراف طول النهار . ويتعاطون المخدرات . بحيث كنت أنا بالنسبة لهم شخصا عاقلا . يبدو أن نضال التحرر يسير على هذا النحو .

كنا في أحد المعسكرات . حينما قامت فرقة من الشرطة بالقبض عليّ . نقلوني إلى حجرة كبيرة وبدءوا على الفور في ضربي . وطيروا لي عيني . عيني الزجاجية طبعا وبدأ التحقيق :

– من أعطاك هذا المسدس ؟

– القائد .

– هل تعرف أنه مسدس إسرائيلي . اقرأ المكتوب عليه .

وصية امرأة : – أنا لا أعرف القراءة .

(فتلقيت لطمة)

– لا تتظاهر بالغباء .

– أنا لا أتظاهر بالغباء . فأنا لم أذهب إلى المدرسة في حياتي .

– ولكنك تعرف أن القميص الذي ترتديه أمريكي . تعرف ذلك ؟

– طبعا . قميص أمريكي . وبنطلون إنجليزي . وحذاء إيراني . وسراويل فرنسية . أنا عالمي .

(وتلقيت بعض الراكلات)

– هل تعرف أن خيمة قيادتك يتردد عليها دائما مستشارون أمريكيون . إسرائيليون ؟

– ليس صحيحا ! هذه شائعات يروجها الروس . أنا قيادتي مكونة من أبناء زنا . لكنهم وطنيون .

(وهنا تلقيت ركلات أخرى)

بعد ذلك أدركوا أني فقير متخلف جاهل بكل شيء وأبقوني في الحجز حوالي شهرين . ثم أطلقوا سراحي . لم أعد إلى قاعدتي . لم أعد أريد أن أعرف شيئا عن أولاد الزنا هؤلاء . لكنهم بحثوا عني . فقد كانوا يخشون

أن أكون قد نقلت لهم بعض الأخبار . فأخذونى إلى خيمة وضربونى هم أيضا ثم بدءوا التحقيق معى .

– تكلم . ماذا قلت لهم ؟ هل أفشيت شيئا ؟ هل أخبرتهم عن المستشارين الذين يجيئون هنا ؟

– آه . إذن كان حقا ؟

يا أبناء الزنا . أيها الخنازير الأقذار . (**ثم أخرجت خنجرى**) .

– سأمزقكم إربًا إربًا . اخرجوا ! وأحذركم لو مسستم شعرة من رأسى فستكون نهايتكم .

لم يمسوا شعرة من رأسى . وكففت عن السرقة . وعملت فى التجارة . تجارة الطماطم . كنت أتجول بعربة طماطم فى المدينة . فى بعض الأحيان . كنت فى المساء . ألتقى بفتى صغير طالب وعامل كان يناقشنى فى السياسة . مات الآن . وذات يوم حدث تبادل لإطلاق النيران. كان اليهود يتعقبون بعض الفدائيين فى أحد الأحياء . فألقوا قنبلة يدوية فوق عربتى . عربة الطماطم . يا للمصيبة ! لقد انتشرت الطماطم على أرض الطريق بعد أن تحولت إلى عصير . وهنا صحت فيهم قائلا : "كفى ! لقد سلبتمونى فيما مضى عينى . والآن الطماطم. هذه المرة سأصبح فدائيا حقا . وكنت قد شاركت فى المصادمات التى وقعت بين الأعداء وبين الفدائيين . حملت بندقيتى دون أن أنضم إلى أى منظمة من

المنظمات . صديقى الطالب العامل . حينما حدثته عن رغبتى فى الانضمام إلى المقاومة شجعنى قائلا : فهناك سيعلمونك القراءة والكتابة وسيغيرون حياتك تماما .
وهكذا انضممت إلى الفدائيين . طلبوا منى أن أقص عليهم حياتى كلها . دون أن أخفى شيئا. وبكل صراحة . فقصصت عليهم كل شيء . بالضبط كما أفعل الآن . قلت لهم أننى كنت مدمنا . وكنت لصا . توقعت أن يعطونى السلاح فورا . أعطونى زوجا من الأحذية المطاطية وفانلة وشورت مما يرتديه لاعبو كرة القدم . ثم ذهبوا بى إلى المعسكر لكى أجرى وأقفز وألعب رياضة مع غيرى من الأولاد وهم يقولون لى :
" أخرج كل هذه السموم التى تحملها فى دمائك "
ثم أجلسونا جميعا فى دائرة . وراح القادة يحدثوننا عن نضال الفقراء . وعن وضعنا . وتحدثنا نحن أيضا . يسألوننا ونناقشهم وندلى بآرائنا فيهم وهم يبادلوننا الآراء ؟ باختصار. جلسة من النقد الذاتى. أنا أحب النقد الذاتى كثيرا. وخاصة حينما يكون من الآخرين لأنفسهم. حاولوا علاجى من إدمان الحشيش . فكانوا يعطوننى أقراصا لا أشعر بعدها بالرغبة فى التدخين . وكانوا يحدثوننى كثيرا عن الأخطار المدمرة للمخدرات . لقد أقلعت عنها جميعا . ولم أعد أدخن سوى السيجارة . وأنا دائما أسعل بسببها . تعلمت القراءة والكتابة .

وكان أول كتاب قرأته بعنوان " الأم " لمكسيم جورجى ؟ ما أجمله من كتاب ! تكونت عندى رغبة شديدة في القراءة .؟ وأصبحت أقرأ في كل مكان ؟ في المعسكر ؟ في المطعم ؟ في الحمام ؟ كم يروق لي أن أقرأ في دورة المياه ؟ وأستطيع القول بأن معظم ثقافتى قرأتها في دورة المياه . وكنت أتردد دائما على الدروس التى كانت تعقد كل يوم . كانوا يدرسون لنا تاريخ بلادنا منذ أقدم العصور . ثم يأتي دور المناقشات . وحينما كنت أفكر في الفترة التى كنت فيها لصا أو أدمن المخدرات . كنت لا أصدق أننى مررت بمثل تلك الفترة . بعد ذلك . التحقت بدورة التدريب العسكرى . ثم بدأنا نتدرب على العمليات الحربية . كم عملية قمت بها ؟ عمليا كثيرة بحيث لا أستطيع حصرها . وكم من المرات كدت ألقى فيها الموت . ولم أكن أبالي بالموت بل كان يطيب لي أن ألقى حتفى . وأتمنى أن أعيش فقط لأقوم بعمليات أخرى وتنتصر الثورة . صحيح أننا قد لا نحقق ذلك في القريب العاجل . ولكن المهم أننا بدأنا . وأنا واثق بأننا بدأنا بداية طيبة . كل يوم أتحدث مع زملائى . من الفقراء فى المعسكرات . وفي كل يوم نزداد اقتناعا بأننا على الطريق الصحيح . فى كل يوم ينظرون إلينا بود أكثر ويشدون على أيدينا . رجالا ونساءً وأطفالاً .

سألنى أحدهم فى أثناء إعداد هذا العرض . كيف نروى قصص كفاح الشعب الفلسطينى . ولا نروى شيئا من قصص كفاح النساء . نساء فلسطين .

ذات مساء وبينما نحن فى الخيمة داخل المعسكر . كان هناك أكثر من امرأة . كان بعضهن بصحبة أطفالهن ومنهم الرضع الذين يحملنهم فوق أذرعهن . وكان منهن الصغيرات فى السن . وكن ينشدن الأناشيد . وسألت إذا كان من الممكن أن تأتى إحداهن لتشارك فى العرض. فأجابونى قائلين :

– " هذا مستحيل . فالفتيات مشغولات هذه الفترة بعمل عظيم . فبالإضافة إلى الجانب التنظيمى . هناك مشكلة من الصعب شرحها . "

– " لعلك تقصد مشكلة تحرر المرأة . "

– " هذا أيضا جانب من القضية . فتحرير المرأة بالنسبة لنا يمثل العقبة الكبرى التى لابد من التغلب عليها .

كانت هناك امرأة تحمل طفلها على صدرها وكان يبدو عليها التعب والإرهاق . وحين سألتها أن تروى لى شيئا عن حياتها . أشارت لى بالنفى . وأنها لا تستطيع أن تخبرنى بشىء .

وحينما عدت إلى ميلانو . بعد فترة . أعطانى صديق من بيروت شريطا كان مسجلا بصوت المرأة التى قابلتها فى المعسكر . إليكم التسجيل :

" أنا الرفيقة التي لم تجبك على طلبك حينما سألتها في المعسكر أن تروي لك شيئا عن حياتها . الآن أستطيع أن أحدثك عن نفسي. أنا أصلا بدوية. أمي عاشت سنين طويلة في الخيام مثل جميع البدو الرحل الذين يتنقلون هنا وهناك في وادي الأردن. وقد أحبت رجلا يعمل فلاحا وتزوجا . وهكذا ولدت أنا في بيت مبني من الحجارة . لم أكن أحب عمل الفلاحين. وكيف أحبه ؟ وهل عمل شاق يكون فيه الإنسان أشبه بالبهائم التي لا نقدم لها حتى ما يشبع جوعها ولا يروي ظمأها . ولا تجد فرصة كافية للراحة أو للنوم. والنسوة منا كنّ دائما في المستوى الأدنى من السلم الاجتماعي: دائما منحنيات على العمل في الحقول يجمعن الحشائش ويحصدن المحصول . منحنيات على الآبار لاستخراج الماء. منحنيات على غسل الملابس والصحون ومنحنيات على طحين الدقيق وعجن العجين وخبز الخبز. منحنيات دائما حتى أمام أزواجهن. وكذلك على الأطفال لإرضاعهم وتعهدهم في طفولتهم الأولى .

أمي التي كانت منذ فترة شابة جميلة قوية . أصبحت الآن في حالة يرثى لها من الضعف. أما جمالها الأول فلم يبقى منه أثر . ويحدث من آن لآخر أن تعود بها ذاكرتها إلى الماضي حينما كانت تعيش في الخيام في الصحراء . حيث الرجال يعاملون النساء كما لو كنّ ملكاتٍ متوجات .

فلا يعرضوهن للتعب ولا يكلفوهن رفع الأحمال الثقيلة . كانت أمي كغيرها من النساء في البادية؛ دائما تسافر وتتنقل فوق صهوة الجياد. والرجال دائما في المقدمة لحماية النساء اللاتي كن يرتدين الناعم من الثياب . كانت مهمتنا نحن النساء هي إجادة الغناء والرقص والحديث في شتى الموضوعات الممتعة. كنت ما أزال صغيرة ولكنني كنت أجيد ركوب الخيل . أفضل من أي رجل بدوي . كنت أرتدي الحجاب الخاص بقبيلة أمي . وكنت أذهب إلى المدرسة في بلدة قريبة . وكنت أحب المدرسة . وكنت متقدمة في الدراسة . وظللت في المدرسة حتى الفرقة السادسة. وكنت أبغض العمل في الحقول. وأحاول بشتى الطرق أن أهرب من هذه الحياة وأتجنب هذا المصير. لكن القدر شاء لي أن أتزوج فلاحا يملك قطعة من الأرض. لكنه فلاح . كنت في السادسة عشرة من عمري. وفي يوم من الأيام كان هناك حفل كبير في الميدان العام جاءه فرسان من بلدان أخرى. جاءوا يستعرضون فنونهم. كان أحدهم في زي أسود . يرقص واقفا فوق صهوة جواده . ويطلق الأعيرة النارية هنا وهناك . من بندقيته التي كانت من الفضة الخالصة. فقلت في نفسي. هذا هو الرجل الذي يروقني. وبالفعل تزوجته . ولن أقص عليك المحاولات التي بذلت من أجل أن يراني ومغازلاته ومحاولاته للتقرب مني وطلب يدي. كان جميلا بحق. قويا .

أما فيما يختص بالثقافة . فكانت الطامة الكبرى . كان لا يهتم بشيء إلا ببندقيته الفضية وجواده . والتمرينات التي يؤديها فوق الجواد . تزوجنا في بلده . وقد وصلتها فوق جوادى الذى أهدانى إياه عوضا عن دبلة الخطوبة . كان جواد خطبتي . واستقبلنى أفراد قبيلته بكل الفرحة والترحاب. ثم أقيم حفل الزواج الذى بدأ بالرقص. وكنت أحبه كثيرا . ثم جاء دور لعبة الدعس . حيث ينبغى على الزوج أن ينجح فى دعس قدم الزوجة ليفرض سلطته. سلطة الذكر. كانت لعبة. على الأقل هكذا كنت أتصورها. لكننى لاحظت أن زوجى يوليها اهتماما كبيرا . وكان القلق الشديد يبدو في عيون أهله وأصدقائه . كنت كما تقضى العادة أحاول أن أتهرب منه وأتجنبه . غير أنه دفعنى دفعة قوية ؟ وهوب ! دعس قدمى . فما كان منى إلا أن دعست قدمه بدورى . فانفجر جموع المدعوين فى الضحك باستثناء أفراد أسرته الذين لم يضحكوا . فقلت فى نفسى: "لعلهم لا يحبون المرح" ولم أعط الأمر أهمية . وكنت قد سمعت من أمى أنه. في كثير من البلدان. جرت العادة على أن الزوج فى أول ليلة للزواج . وقبل الجماع . يضرب الزوجة لكى يستقر عندها أنه – أى الذكر – هو السيد. وأن هذه هى المعاملة التى تنتظرها إذا ما ارتكبت خطأ . لم أفكر أن تكون تلك العادة سارية أيضا فى بلد زوجى. المهم. حينما كنا نهم بدخول غرفة النوم. لاحظت

أنه مشغول قليلا . وحينما صرنا وحدنا . قال لي: "اسمعي. الآن يجب أن أضربك. ولكن لا تخافي. فلن أقسو في ضربي؛ المهم أن تبكي وتصرخي حتى يسمعك الجميع في الخارج. فصحت فيه قائلة: "ماذا؟ هل أنت مجنون؟ حاول أن تمسني وسأحطم هذا الوعاء فوق رأسك " .

فأجاب : " حاولي أن تفهمي . هذه عادة . من الواجب أن أضربك . هذه قضية كرامة بالنسبة لي . "

فما كان مني إلا أن قلت له : " أية كرامة ! أنتم جميعا متخلفون . لو مسستني بيدك . سأقتلك ."

وبالفعل رفعت الوعاء استعدادا لضربه . فوق رأسه "

وهنا انفجر باكيا. وقال " لا تضعيني في مثل هذا الموقف الحرج . أرجوك . أتوسل إليك . اصرخي قليلا . وابك وأنا سأضرب المرتبة . هكذا ! " فقلت له : " لا تضرب المرتبة . بل أضربك أنا وتبكي أنت. هيا. عاليا. أصرخ !

وبينما كنت أقول ذلك نفضت ملاءة السرير . فرأيت منديلا كبيرا من القطن . كأنه مفرش صغير . فسألته :

– ما هذا ؟

– هذا لزوم العرض .

– أي عرض ؟

– صباح غد . هذا المنديل يجب نشره في النافذة . وبه بقعة من دمك ؛ برهانا نقدمه لكل من في البلد على أنك كنت عذراء فعلا .

وعندها لم أملك نفسي . فرفعت الطست النحاس وضربته فوق رأسه . فصاح وسال الدم من رأسه . فقذفته بالمنديل الكبير قائلة : " انتهز هذه الفرصة وخضبه بدم رأسك . رأس التيس الكبير البكر .

عندئذ دخلت علينا أمه . وهي امرأة قصيرة وسمينة . لم أرها تضحك مرة منذ جئت إلى هذا البلد . فقالت له :

– ماذا تنتظر لضربها ؟

– لا تريد .

– حسنا . سأرسل إليك إخوانك ليضربوك حتى يقتلوك أو يطردوك . فهذا البيت لا يبقى فيه إلا رجال يثبتون كرامتهم ويبرهنون على رجولتهم .

فما كان من زوجي إلا أن قفز فوقي وهو يصيح كالمجنون. وراح يضربني ضربا مبرحًا حتى كاد يقتلني . ولم أتمكن حتى من إطلاق الصراخ. عندئذ ابتسمت أمه ، ولأول مرة ، سعيدة فرحة .

كاد الملعون أن يقتلني . المهم . أنه فيما بعد . وحينما حاول الاقتراب مني ليداعبني . انتهزت الفرصة وركلته في بطنه . أسفل قليلا . فانفجر صائحا أشبه بكلب يخصونه . ثم جعل يتقيأ . وفي جوف الليل نزلت إلى الحظيرة . وأسرجت جوادي . وانطلقت أعدو حاملة بندقية زوجي الفضية . وعند الفجر . توقفت فوق تل صغير . وشاهدت أسفله بعض الرجال يمتطون صهوة

الجياد . فإذا بهم أفراد أسرة زوجي جاءوا يطلبونني .
فاتخذت لي موقعا يمكنني منهم وصوبت بندقيتي .
وأطلقت عليهم النار وتمكنت من إصابة أحد الجياد في
صدره . فسقط فوق الأرض ومعه فارسه . لم أقتله .
ولكن جرحته فقط. فتوقفوا ثم استداروا وعادوا أدراجهم.
فهؤلاء المتخلفون جيادهم أهم عندهم من امرأة هاربة .
بعد ذلك . عدت إلى المدينة وعملت مساعدة ممرضة في
إحدى المستشفيات. في البداية عملت في غسل الصحون.
وكان الناس الذين علموا بخبر هروبي ينظرون إليّ كما
ينظرون إلى امرأة عاهرة . أما في المستشفى . فقد
تمسكوا بي فقط لأنه كان من الصعب عليهم الحصول
على نسوة تعمل ليلا . كان بعض المرضى يرفضون أن
أمسهم بيدي . ولكن هذا العمل مع ما فيه من تعب . كان
يروقني . وبعد أربعة أعوام . صرت رئيسة جناح .
في أثناء حرب سيناء وانتصار إسرائيل النسبي . لم أكن
موجودة في فلسطين . كنت في مصر . كنت هناك منذ
ثلاثة أعوام . أرسلني المسئولون في المستشفى لكي
أتخصص في الجراحة في مدينة الإسكندرية، وبعد نكسة
سيناء . والأزمة التي مر بها ناصر . حدث نوع من العفو
العام . فأطلقوا صراحي وعدت إلى بيتي ، أو بالأصح
بالقرب من بيتي فيما وراء نهر الأردن . بعد ذلك
انضممت إلى الجبهة الديمقراطية الشعبية التي كان لي

فيها أصدقاء . ومع كلٍّ فلم يكن من السهل البقاء فيها بالنسبة لنا نحن النساء . فقد كان عددنا لا يزيد على عشر وأشاع عنا بعض البرجوازيين أننا مجموعة من العاهرات التافهات. وكذلك الفقراء منهم كانوا لا يحسنون الظن بنا . فالمرأة الثورية بالنسبة للعقلية العربية تعد امرأة غير جديرة بالاحترام. لكننا لم نكن نقيم وزنا لذلك. كنا نقوم بعملنا في المخيمات نعالج المرضى ونقوم بأعمال الدعاية . ثم كانت معركة عمان . اشتركنا في المعركة . وقمنا بإطلاق النار نحن أيضا . وقلّدنا الكثيرات من النساء . نزلن إلى الشوارع وجمعن السلاح من أيدى الذين سقطوا في المعركة وبدأن يطلقن النار . ثم عدنا أدراجنا . فقد أمرنا القادة بألا نظهر حول المخيم بشعار الجبهة . كنا ندخل ونخرج فى تكتم شديد . سألونى عما إذا كنت مستعدة للاشتراك مع مجموعة في عملية مسلحة بهدف " القصاص " من محمد حافظ أحد الخونة الذين يتعاونون مع العدو ويرشدون عن المناضلين . كان يبدو أنها عملية على جانب كبير من الأهمية . أرادوا بها أن يعلنوا أن المقاومة السرية قد بدأت . قبل ذلك بفترة قامت امرأة في عمان بتفجير جناح في الفندق الأمريكى الكبير في عمان وكان به اثنان أو ثلاثة من المرشدين الخونة . وفى القاهرة . اقتص الثوار من مرشد آخر تسبب فى القبض على أحد القواد . وفيما يختص بموضوع حافظ .

كنت مـن حيـث المبدأ ضـد عمليات التصفية الجسدية . إلا أن قـادتي أقنعـوني بأن في مـثل هذه الظروف التي يخيم عليها اليأس . فإن عملية كهذه من الممكن أن تعطي دفعة كبيرة للمقاومة وللنضـال بشكل عام وتكون درسا للمرشدين الخونة . كانت مـهمتي تتلخص في عمل طعم للمـرشد الخـائن واسـتدراجـه إلى منزل حيث يقوم أحد الرفاق بقتله . عملت ممرضة خاصة لسيدة عجوز مريضة من السـفـارة الفرنسيـة ومـازلت أذكر الحـجاب الأزرق الخاص بقبيلة أمي . فكنت أرتديه متظاهرة بأنني مسلمة متدينة . وكنت أتنقل دائما في المنطقة وأنا متشحة بهذا الحجاب وكنت دائما أمر أمام المنزل الذى كان يقيم فيه هـذا الخـائن . كان يخـرج دائما في حاشيـة من اثنين أو ثلاثة من العسكرييـن . وفي كل مرة كـان يمـر فـيـها بالقـرب مني . كنت أشـعـر بأني أمـوت خـوفـا . لكنني سرعان ما تمكنت من جذب انتباهه . وذات مساء . حاول الخائن مغازلتي. وردد على مسمعي عبارات غزل جريئة . فتوقفت . والتفت نحوه . وانهلت عليه بالسباب باللهجة الإسكندرانية . وبدأ غـزل من نوع جـديد . فكان يتبـعني حتى البيت . ولكن كل خطوة من خطواته كانت مـحسـوبة ومراقبة من رجال الشرطة السرية الإسرائيلية الذين كان يتبـعـونه وهم بدورهـم كانـوا مـراقبـين من قـبل رفـاقنا . وأخيرا . حل اليوم الموعود . وقبلت أن ألتقي به في بيته .

وفي البيت كان من المفروض أن يتواجد أحد رفاقنا ؛ ولكن حدث أن الشرطة الإسرائيلية . ودون أن يبلغوا الخائن بأى شيء حتى لا يفسدوا عليه مغامرته الغرامية .
كانوا قابعين فى الشقة قبل أن نصل نحن . وقاموا بقتل رفيقى . وصلت أنا والخائن . وهم مشغولون بنقل جثمان رفيقى . واضطررت إلى تمثيل مشهد المذهولة المهووسة من هول ما شاهدت . ورحت أتحرك حركات عصبية وأصرخ صراخًا حادًا . وتلبَّست أزمة بكاء هستيرى مشيرة إلى أن الحجرات الأخرى لابد وأن بها أفراد شرطة آخرين متأهبين للتدخل والتخلص منى عند أول خطوة خاطئة . كنت أرتعد مما جعله يلاطفنى بل ويعانقنى. وقبلت أن يضاجعنى. لكننى فى البداية قمت بعمل سيناريو طويل لكى أجبره على طرد أى غريب يمكن أن يكون فى البيت . متعللة بأننى لا يمكن أن أنام معه وأنا أعرف بوجود أى شخص يتجسس علينا . فقام الخائن الذى كان مصمما على امتلاكى . بطرد جميع أفراد الشرطة المختبئين فى الشقة .
وأسلمت نفسى له . وكان علىَّ أن أنتظر طلوع الفجر لكى أقتله . فكان هو ينتهز الفرصة . كنت قد حملت معى مسدسا قمت بإخفائه فى الحمام. وحينما بدأ نور الفجر. نهضت من الفراش. وبحجة قضاء الحاجة. دخلت الحمام وأخذت المسدس وألقيت نظرة فى الحديقة . كان هناك شرطى ينام فوق دكة. فأخذت وسادة ووضعت فيها

المسدس. ثم عدت إلى الفراش الذى كان ينام فيه الخائن.
وأطلقت النار على رأسه . لم يتحرك كأننى أقدم له القهوة
" كم ملعقة من السكر ؟ " أربع طلقات . أربع طلقات
مكتومة . ثم نظرت من النافذة إلى الحديقة لأرى إذا كان
الشرطى قد سمع شيئا . فوجدته ما يزال نائما .
وخرجت رابطة الجأش . اخترقت المدينة كلها سائرة على
الأقدام . كانت الشرطة الإسرائيلية كلها تجوب المدينة
بحثا عن امرأة بحجاب أزرق مثل المسلمات المتحجبات .
بعد يومين قبضوا على امرأتين وصفتهما الصحف
بأنهما "القاتلتين". وفى الحقيقة، أن هاتين المرأتين قامتا
بالإبلاغ عن نفسيهما. وفى الشرطة قاموا باستجوابهما .
وتبين أنهما كاذبتان . فقاموا بضربهما حتى سالت
منهما الدماء . وطردوهما شر طردة . وعقّب رئيس
الشرطة قائلا: "المرأتان كلتاهما المصابتان بجنون الكذب"
ولكن بعد عدة أيام . وصلت إلى الشرطة الإسرائيلية
رسائل أخرى من نساء يعترفن فيها بأنهن اللائى قمن
بعملية القصاص من الخائن "حافظ " وخلال شهر .
كانت قد غطت مئات رسائل الاعتراف مكتب رئيس
الشرطة . كانت نساء الشعب العربى بهذا العمل يردن
التعاطف معى . ويعلنّ على الملأ أنهن مستعدات لأى
تضحية . أنهن متضامنات معنا . مهما كلفهن ذلك
متضامنات مع الثورة . ثورتنا .

* * *

(مسئول فلسطيني ؟ صحفية أجنبية (فرنكا)

حينما ذهبت إلى بيروت . زرت أحد المسئولين الفلسطينيين . فكان هذا اللقاء.

فرنكا : كيف تعيشون الآن وقد طردوكم من المصانع التى تعملون فيها؟

فرنكا : ٢٠٠ ألف فلسطيني طردوا من أعمالهم . والباقون لا يتمكنون من الوصول إلى محلاتهم التى يعملون فيها . أكرر سؤالى : كيف تعيشون أنتم وأسركم ؟

المسئول : نحن نحاول أن نستقل عن هذا المجتمع الإسرائيلى الذى يرفضنا . نحاول أن نرفضه كما يرفضنا .

فرنكا : هم الطرف الأقوى . يستطيعون أن يستخدموا عمالا آخرين يجلبونهم من أى بلد آخر . أما أنتم . فهل يسمحون لكم بالانتقال للعمل فى أى بلد آخر ؟

المسئول : طبعا لا يسمحون لنا بذلك . وحتى إذا سمحوا بذلك . فنحن لا نريد أن نخرج من أرضنا .

فرنكا : كيف تحصلون على الطعام والشراب. وضروريات الحياة؟ كما كان يفعل آباؤنا وأجدادنا قبل الاستعمار : نزرع الأرض ونحفر الآبار .

فرنكا : Fantastique ! وهل تطيقون مثل هذه الحياة البدائية ؟

المسئول : وهل أمامنا خيار آخر ؟ كما نواجه أسلحتهم المتطورة بالحجارة . نواجه مدنيتهم بوسائلنا البدائية .

فرنكا : Fantastique ! مثل مهاتما غاندى ؟

المسـئـول : كل شعب له ظروفه الخاصة ووسائله النوعية لمواجهة المستعمر . يكفي أن ينظر حوله ليكتشف هذه الوسائل .

فـرنكا : Fantastique ! لكنهم يحرقون المزارع . ويحرمونكم من الماء .

المسـئـول : نزرع غيرها . نزرع كل شبر من أرضنا . ونرويها بالعلب البلاستيك .

فـرنكا : Fantastique ! أنا أحب هذا ! زراعة المقاومة .

المسـئـول : بالضبط ! زراعة المقاومة .

فـرنكا : جد والدى كان فلاحًا يعيش فى الريف . كنا نذهب لزيارته ونركب الحمير.

المسـئـول : نحن نركب الحمير ونتنقل بها بين القرى . بعد أن فصل الإسرائيليون القرى عن بعضها . هناك طرق نسلكها لا يعرفها الإسرائيليون .

فـرنكا : Fantastique ! أنا أحب هذا .

المسـئـول : ما رأيك لو دعوناك لقضاء يوم معنا ترين فيه كيف نعيش؟

فـرنكا : على الطبيعة !

المسـئـول : نعم . على الطبيعة .

فـرنكا : ليس عندى مانع على أن أعود قبل الظهر ؛ لأن عندى موعداً آخر لمقابلة أخرى .

المسـئـول : إذن . هيا بنا !

إظـلام

{ المسئول الفلسطيني وفرنكا يجلسان على الأرض أمام الطعام امرأة فلسطينية ترفع ما بقى من الطعام }

المسـئـول : أنت لم تأكلى شيئا . طعامنا لم يعجبك إذن ؟

فـرنكا : بالعكس . لقد أكلت كما لم آكل فى حياتى . طعامكم جميل جدا . لذيذ جدا .

المسـئـول : هذا هو الطعام الذى نعيش عليه. وكله من إنتاج الأرض. أرضنا .

فـرنكا : أنا أريد أن أسجل كل ما أكلته من إنتاج أرضكم .

[تمسك قلما ودفتراً وتكتب]

أولا . أنا شربت لبنًا طازجًا لذيذاً . هذا من إنتاجكم أيضا ؟

المسـئـول : نعم . فنحن نربى الأغنام فى مزرعة خلف الدار . تمدنا باللحوم واللبن وتعطينا أيضا سماداً للأرض .

فـرنكا : ثم أكلت مجموعة من الخضراوات الطازجة اللذيذة طبعا. كلها من إنتاج الأرض **[تسجل ما تقول]**

المسـئـول : والفاكهة أيضا من إنتاجها .

فـرنكا : نعم . أكلت ثلاثة أنواع من الفاكهة اللذيذة . البطيخ كان رائعا !

المسـئـول : هل تعرفين قصة هذا البطيخ ؟ نحن لا نزرعه للأكل فقط ولكنه سلاح من أسلحة المقاومة .

فـرنكا : تضربون به الجنود الإسرائيليين مثل الحجارة ؟

المســئــول : لا . هذا البطيخ نستفز به الجنود . حينما نشق البطيخة الحمراء نصفين ونرفعها . تبدو كأنها العلم الفلسطيني .

[تسمع أصوات صفير آتية من أعلى الدار]

هذا الصفير أيضا سلاح آخر من أسلحة المقاومة .

فـــــرنكا : الصفير ؟

المســئــول : هذا صفير الأطفال الذين كانوا يأكلون معنا . ثم صعدوا إلى السطح . إنهم يتدربون على الصفير الذى يستخدمونه كإشارات ومعلومات يبلغونها لأطفال الحجارة حينما تداهمهم الشرطة .

فـــــرنكا : يعني وسيلة إنذار مبكر ؟

المســئــول : بالضبط . وسيلة إنذار مبكر .

فـــــرنكا : ومكبرات الصوت هذه ؟ **[يسمع بعض مكبرات الصوت]**

المســئــول : هذه نستعملها فى إذاعة بعض البيانات المهمة . كما نستعملها فى إذاعة الأغانى الشعبية والوطنية التى نستفز بها الجنود فيفقدون أعصابهم عند سماعها . وهذه الإطارات ...

فـــــرنكا : نعم. هذه الإطارات أعرفها. أشاهدها دائما فى التلفزيون وهى مشتعلة ؟

المســئــول : كل هذه وسائل احتجاج . كما نستعملها أيضا فى تعطيل تقدم الجنود حينما يهاجمون قرانا .

إظــــــلام

فـــــرنكا : وفى قسم الشرطة ؟ أكمل يا محمد . ماذا حدث معك ؟

{ فى قسم الشرطة - ضابط - طفل - جندى }

[الضابط يسأل والطفل لا يجيب]

الضـــــابط : من أعطاك هذه المنشورات ؟ لا تتكلم ؟

الـــطـــفـــل : ...

الضـــــابط : ألا تريد أن تعود إلى بيتك وأهلك ؟

الـــطـــفـــل : ...

الضـــــابط : أخبرنى وأنا أتركك تعود إلى أهلك .

الـــطـــفـــل : ...

الضـــــابط : لا تتكلم ؟

الـــطـــفـــل : ...

الضـــــابط : وماذا كنت تفعل فى الغابة فى أثناء الليل ؟

الـــطـــفـــل : ...

الضـــــابط : شاهدك بعض المستوطنين وأنت تدخل الغابة ومعك إطار سيارة . ثم خرجت من الغابة . وبعد قليل اشتعلت النيران فى الغابة . مذنب أم غير مذنب ؟

الـــطـــفـــل : ...

الضـــــابط : خذوه ! **[يشير إلى أحد الجنود]**

الغابات التى أمضينا عشرات السنين فى زراعتها يحرقونها فى لحظات .

إظــلام

فـــــــرنكا : والآن يا محمد . احك لنا حكاية الكاتب الإسرائيلي أ.ب. يهوشع .

اقرأ لنا يا محمد ما كتبه في صحيفة "يديعوت أحرونوت"

مـــحـــمـــد : أيها المستوطنون الإسرائيليون في غزة والضفة الغربية !

لماذا أصررتم على الانتقال من المدن التي كنتم تعيشون فيها في أمان واطمئنان ؟ **(الجليل والنقب لا تناسبكم ؟)**

لماذا العناد الذي جعلكم تتركون بيوتكم الأصلية في إسرائيل وتزرعون أنفسكم وسط السكان الفلسطينيين ؟

لماذا تصميمكم على مصادرة أراضيهم واقتلاع أشجارهم، وهدم بيوتكم . لتقيموا مكانها مستعمراتكم ؟

لماذا هذا التحدي المدمر الذي جعلكم تلقون بأنفسكم إلى التهلكة . وسط الفدائيين الفلسطينيين الذين يواجهون الموت بصدور مفتوحة . بل ورغبة في الموت . أو بمعنى أصح في الشهادة . دفاعا عن أرواحهم . وأعراضهم . ومقدساتهم . ورغبة في إسقاط أكبر عدد ممكن منكم . لأنكم تمثلون بالنسبة لهم الظلم والقهر والاغتصاب ؟

أنا أجيب عن هذه الأسئلة بدلا منكم .

لقد استمعتم بكل بلاهة إلى صيحات المتطرفين المجانين.

لقد استجبتم بكل سذاجة إلى فتاوى الحاخامات المهووسين .

فـــــــرنكا : وفي قسم الشرطة . ماذا حدث مع الكاتب الإسرائيلي يا محمد ؟

{ فى قسم الشرطة – الضابط – الكاتب الإسرائيلى يهوشع }

الضـــابط : هذا كلامك يا أستاذ يهوشع الذى نشرته فى صحيفة يديعوت أحرونوت يوم الأحد الماضى ؟

يهـــوشع : نعم .

الضـــابط : أنت معترف إذن ؟

يهـــوشع : نعم معترف .

الضـــابط : هل يليق بكاتب إسرائيلى أن يقول مثل هذا الكلام .

يهـــوشع : أولا أنا أقول الحقيقة . ثانيا نحن من المفروض فى دولة ديمقراطية تحمي حرية التعبير .

الضـــابط : ولكن الظروف التى تمر بها إسرائيل تحتم أن نقف جميعا صفا واحداً ضد أعدائنا .

يهـــوشع : هل تريدنى أن أكذب على المواطنين ؟ أن أضللهم ؟

الضـــابط : لا تكذب ولا تضلل . ولكن ؟

يهـــوشع : ولكن ماذا ؟ أجامل وأجمل ، المستوطنون يعرفون الحقيقة أكثر منى ومنك لأنهم يعيشونها . هم يحتاجون فقط لمن يبصرهم بخطورة هذه الحقيقة . لمن يعيد إليهم عقولهم قبل أن يفوت الأوان .

الضـــابط : ألا ترى فى ذلك إثارة للمستوطنين ضد المسئولين ؟

يهـــوشع : بل هو تحذير لهم من مواطن يحبهم ويرجو لهم العيش فى أمان وسلام . هل تعرف يا سيدى كيف يعيش المستوطنون الآن ؟ هل هذه هى الحياة التى كانوا

يتمنونها حينما جاءوا إلى هذه البلاد ؟ لماذا نقلتموهم من المدن التي كانوا يعيشون فيها في سلام ؟ لماذا ألقيتم بهم وسط الفلسطينيين ليهدموا منازلهم ويقيموا مكانها مستوطنات لهم . مستوطنات لا يسكنها أحد . لاف المساكن خالية . هل ضاقت بهم المدن التي كانوا يعيشون فيها ؟

الضابط : هذه سياسة أمنية تقوم بها الدولة .

يهوشع : سياسة أمنية تزرع الإسرائيليين داخل الجسد الفلسطيني . الجسد الملتهب الذي يرفضهم .

الضابط : هذه سياسة الأمر الواقع .

يهوشع : يا سيدي . أنتم تسبحون ضد التيار . ضد العقل . ضد المنطق . ضد حركة التاريخ .

الضابط : حركة التاريخ ؟

يهوشع : نعم حركة التاريخ التي لم يستطيع أن يوقفها من هم أشد منكم قوة .

الضابط : عم تتحدث يا أستاذ ؟

يهوشع : أتحدث عن حركة التاريخ التي تقول : لن تستطيع قوة واحدة في التاريخ أن تستمر إلى مالا نهاية في قهر شعب من الشعوب .

الضابط : نحن نستطيع هذا .

يهوشع : أنت واهم يا سيدي . إن أصحاب الأرض يتمكنون دائما في النهاية من تحرير أرضهم وإخراج الغاصب .

الضـــــابط : أنت متشائم يا أستاذ . أنت كاتب متشائم .

يهـــــوشـع : بل أنا واقعى . أنا أستطيع أن أذكر لك عشرات الأمثلة من التاريخ . ولماذا أذهب بعيدا : فرعون . هل تذكر فرعون ؟ الذى كان يذبح أبناءكم . الذى كان يتحدى الأنبياء ويتحدى الإله . ماذا كان مصيره ؟

الضـــــابط : كان عدونا فانتصرنا عليه وتحررنا منه . لأننا شعب الله المختار . الله ينصرنا دائما .

يهـــــوشـع : حينما نكون على حق . كنا أصحاب حق . وكان فرعون على باطل . يعاكس حركة التاريخ . فغرق فى البحر وهلك هو وجنوده . وأنا لا أريد الهـــلاك لكم ولجنودكم من المستوطنين .

الضـــــابط : قلت لك إنك متشائم . وكلامك هذا ينشر الفزع والرعب بين المستوطنين .

يهـــــوشـع : المستوطنون يعيشون فعلا فى فزع ورعب . ليس بسبب كلامى . ولكن بسبب سياسة التعنت والاستفزاز التى تمارسونها ضد الفلسطينيين . المستوطنون الآن لا يخرجون من المستوطنات .

الضـــــابط : ولماذا لا يخرجون وعندهم كل أسباب الحياة ؟

يهـــــوشـع : بل قل كل أسباب الموت . وبيوتهم فى الحقيقة ما هى إلا زنزانات أو مقابر فاخرة . حتى النوافذ يخافون أن ينظروا منها . فالستائر دائما مسدلة حتى لا يراهم الفلسطينيون .

الضــــابط : لا تبالغ يا أستاذ . هم يخرجون ، وأبناؤهم يذهبون إلى المدارس .

يهـــــوشع : يذهبون إلى الزنزانات المغلقة . هل تعرف في أي حالة من الفـزع يقطعـون رحلة الذهاب والعـودة . إذا تعطل المرور لأي سبب أو حدث أي شيء غير طبيعي . تراهم ينبطحون على أرض الحافلة تحسبا للخطر . حينما تضطر حافلة المستوطنين للمرور بجوار مخيم " عاناتا " تسـرع بجنون لتـتـحاشى الحـجارة والصـدام مع الفلسطينيين . هل هذه هي الحياة التي تركوا من أجلها المدن التي كانوا يعيشون فيها ؟

الضــــابط : ماذا تريد يا أستاذ ؟ هذه مرحلة انتقالية . ثم نحن نعيش وسط أعداء شرسين .

يهـــــوشع : نحن الذين جعلناهم أعداء . وجعلناهم بهذه الشراسة . إن المستقبل المظلم جعل المستوطنين لا يفكرون في إنجاب أطفال . وأهملوا كل إصلاحات في بيوتهم . وتوقفوا عن الزراعة . فلمن يصلحون ؟ ولمن يزرعون ؟

الضــــابط : وموضوع الكاتب المسرحي داريوفو ؟

يهـــــوشع : هذا صديق إيطالي قديم . التقينا في إيطاليا كثيرا . وحضرنا معا الكثير من الندوات والمؤتمرات .

الضــــابط : هل هذا مبرر لكي تتعاون معه في تنظيم عرض مسرحي عن الفدائيين ؟

يهـــــوشع : أنا لم أتعاون معه . كل ما هناك أننا التقينا مرتين .

الضـــابط : واستقبلته في بيتك . وأنت تعرف أنه يلتقى بالفدائيين . ويجتمع بهم ويزورهم فى معسكرات التدريب .

يهـــوشـع : هذا عمل فنى ؟

الضـــابط : وسياسي . كيف تتعاون مع هذا الكاتب الشيوعى الذى يعلن عداءه لإسرائيل وللسامية ؟

يهـــوشـع : هذا كاتب ورجل مسرح عالمى. حاصل على جائزة نوبل .

الضـــابط : هذه هى المشكلة . معنى ذلك أن ما يقوله عنا يسمع فى كل مكان . إنه يتهمنا بأننا قتلة وأعداء للديمقراطية .

يهـــوشـع : إذن أنتم تراقبون حركاتى . وتعدون علىّ خطواتى .

الضـــابط : هذا لمصلحتك . ولحمايتك .

يهـــوشـع : حمايتى ؟

الضـــابط : نعم . ولحمايتك أيضا نمنعك من السفر .

يهـــوشـع : هذا كثير .

الضـــابط : تريد أن تسافر إلى إيطاليا لتحضر عرض صديقك داريوفو عن الفدائيين .

يهـــوشـع : نعم ، ويجب أن أكون فى المطار بعد ثلاث ساعات .

الضـــابط : نحن نحميك يا أستاذ . لدينا معلومات تقول إن المستوطنين سيمنعون سفرك حتى لو اقتضى الأمر ؟

يهـــوشـع : ماذا ؟

الضـــابط : حتى لو اقتضى الأمر تفخيخ سيارتك .

يهـــوشـع : هذا تهديد لا أقبله .

الضـــابط : سيارتك مفخخة فعلا يا أستاذ .

يهـــــوشـع : يمكن أن أذهب إلى المطار بسيارة أجرة .

الضـــابط : لن يسمحوا لك يا أستاذ . أنت معنا فى أمان .

يهـــــوشـع : يعنى لن أستطيع حضور العرض ؟

الضـــابط : من حسن حظك !

يهـــــوشـع : من حسن حظى ؟

الضـــابط : نعم . الموضوع خرج من أيدينا . الموساد ناوى يتدخل .

الامتحانات لا تنتهى أبدا

كوميديا فى ثلاثة فصول وبرولوج

تأليف : إدواردو دى فيليبو

(الجائزة العالمية " أنطونيو غيلترينيللى " ١٩٧٢)

إدواردو دى فيليبو

ولد في ٢٤ مايو ١٩٠٠ ، في مدينة نابولي ، من أسرة متواضعة . ممثل ومخرج وكاتب . يذكرنا بموليير فرنسا ، وريحاني مصر .

بدأ التمثيل وهو فى سن الرابعة ، ولم ينقطع عنه حتى آخر حياته حيث قام بدور البطولة فى المسرحية التى نترجمها له والتى هى آخر أعماله . عمل في فرقة إدواردو سكاربيتا الشعبية الشهيرة ، منذ عام ١٩٠٩ . هو وأخوه وأخته ، بدأ مرحلة التأليف بكتابة بعض المونولوجات التى كان يلقيها بنفسه . ثم كتب بعض الإسكتشات التى ينتقد فيها المجتمع .

كتب أولى مسرحياته بين ١٩٢٢ و ١٩٢٤ بعنوان "قولوا له دائما نعم" ثم مسرحية "من أسعد منى حظا" ؟ لكنه لم ينجح في عرضهما .

كتب عام ١٩٣٠ مسرحية " الحاوى "

التقى بالكاتب الإيطالى الأشهر بيراندللو عام ١٩٣٣ . وتوطدت بينهما الصداقة ، وقام دى فيليبو بأداء بعض الأدوار فى بعض مسرحيات بيرندللو . كما اشتركا معًا فى كتابة مسرحية بعنوان "الثوب الجديد" .

كتب دى فيليبو المسرحيات التالية :

عيد الميلاد فى بيت كوبمبييللو (١٩٣١) ، واحد شعره أبيض (١٩٣٨) ، لن أدفع لك (١٩٤٠) ، أنا الوارث (١٩٤١) ، نابولى مليونيرة (١٩٤٥) ، فيلومينا مارنورانو (١٩٤٦) ، الأشباح (١٩٤٦) ، الكذب أبو أرجل طويلة (١٩٤٧) ، أصوات الأعماق (١٩٤٨) ، السحر الكبير (١٩٤٩) ، الخوف رقم ١(١٩٥٠) ، عائلتى (١٩٥٥) ، حبيبى، قلبى (١٩٥٥) ، دى بريتورى فنشنسو (١٩٥٦) ، ابن بولتشينيللا (١٩٥٧) ، السبت الأحد الاثنين (١٩٥٩) ، عمدة حى سانيتا (١٩٦٠) ، العَقْد (١٩٦٧) ، الأثر (١٩٧٠) ، الامتحانات لا نتهى أبدا (١٩٧٣) .

ويلخص إدواردو أعماله وهو فى ذلك يعبِّر عن طبيعة العمل الفنى وبواعثه فيقول :

"الدافع عندى هو الصراع بين الفرد والمجتمع. كل عمل فنى ينطلق من انفعال معين ، من رد فعل معين ضد الظلم ، هو تعرية لنفاقى الشخصى ونفاق الآخرين، هو تضامن مع إنسان أو مجموعة من البشر، هو ثورة على القوانين البالية المجافية للعصر ، هو فزع أمام أحداث تزلزل الحياة والشعوب كالحرب ..."

* * *

الشخصيات بترتيب ظهورها على خشبة المسرح

جوليلمو سبيرانسا

فوريو لاسبينا

جرسون

أتيليو

أوجوستينو

كورّادو

الطالب الأول

الطالب الثانى

الطالب الثالث

المغنية

أمنيريس

جيليولا

ستانيسلاو

جيرولامو

لاودوميا

بيتشوكا

كوكوروللو

بوناريا

تيريزا

فيتّورينا

فورتوناتو

فيليتشى

روزا

جاتشينتو كياراستيللا

الخادمة

فالينتينو

سامبييرو

الأستاذ أسود

الأستاذ أحمر

الأستاذ أبيض

الكونتيسة

دون تشيكوتسا

المتأخر الأول

المتأخر الثانى

جمهور

البرولوج

[قاعة المسرح مظلمة ، ترتفع الستارة الأمامية بينما حزمة من الضوء الأبيض تغمر مركز ستارة خلفية من القطيفة السوداء]

[فى حركة سريعة ، وتمكن من أسرار المهنة ، يتقدم جوليلمو سبيرانسا إلى الجمهور ، فارجا الستارة السوداء وهو يقترب من مقدمة المنصة . يرتدى حُلة صباحية عادية جدا ، ويحمل فى يده اليسرى ثلاث لحى صناعية: سوداء ورمادية وبيضاء . من تلك اللحى التى كان المشخصون فى الماضى يثبتونها على وجوههم بواسطة أشرطة من المطاط وخيوط متينة وردية اللون . بعد أداء انحناءة التحية ، يخلع الممثل بكل احترام غطاء رأسه الطلابى المصنوع من ورق الجرائد ، ويبدأ فى إلقاء كلمة التقديم]

جوليلمو : أيها الجمهور الكريم، سيداتي سادتي: إن بطل المسرحية التى ستشاهدونها هذا المساء اسمه جوليلمو سبيرانسا . أرجو ألا تندهشوا إذا رأيتم هذه الشخصية ، التى سأقوم

أنا نفسي بأداء دورها من الشباب حتى الشيخوخة، أقول أرجو ألا تندهشوا إذا رأيتم هذه الشخصية لا تغيِّر ثيابها : فهي لا تستطيع بل يجب ألا تفعل ذلك . وقد سألت الكاتب في ذلك فأجابني قائلا: "إن بطل هذه المسرحية ليس نموذجا معينا، بل هو نموذج لنا جميعا ، بطل تتميز حياته بما تتميز به حياتنا نحن من ملامح إيجابية وسلبية ، لذلك فمن المستحيل العثور على ثياب تعكس شخصيته المركبة" ثم أردف قائلا: "إن الشخصية تعبر عن نفسها بأفكارها وأقوالها لا بما ترتدي من ثياب". ولما كان من رأي الكاتب أن يعفيكم من ظهور شخصية المعلق على الأحداث، فإنني من آن لآخر، سآتي إلى هنا ، خلال مجرى الأحداث ، وأثرثر معكم قليلا حتى تتمكنوا من الاطلاع على آراء جوليلمو سبيرانسا فيما وقع من أحداث، وتوقعاته بالنسبة لما سيقع منها، وذلك بلسانه. وبعبارة أخرى، ستكونون أنتم موضع سره.

جوليلمو سبيرانا ترك الجامعة لأنه تخرج . ولا ندري الكلية التي كان قد اختارها : وكما ترون فإن غطاء رأسه معمول من ورق الجرائد . وتبدأ أحداث المسرحية خلال الفترة ١٩٢٢– ١٩٢٣ . ومغنية الشارع ... **[يرجع خطوة إلى الخلف ويرفع الستارة عند منتصفها لتتقدم المغنية حاملة الجيتار]** ... هاهي ذي . ستسمعكم من آن لآخر الأغنيات التي كانت ذائعة الصيت في ذلك العصر .

أمـا هـذه اللحى الثـلاث فـهي تمثل مـراحل العـمـر : السـوداء للشـبـاب والرمـاديـة للرجـولة ، والبـيـضـاء للشيـخوخة . **[يلصق على وجهه اللحية السوداء]** هـأنذا في العشـرين من عـمـرى مـتـخـرج لتوى فى الجـامـعـة ، وأعيـش في ذلك العـصر الذى يتـذكـره بعضنا بنوع من الحنين ، عصر الرومانسية وأغنية " ودع شبابك " .

[تغنى بمصاحبة الجيتار]

المغنيـــة : زوى الجمال (مع الشباب ولن يعود) راح الجمال

والشباب لن يعود	ويّا الشباب
والعمر الذى ولى بلا حبيب	وعمرى اللى راح من غير
لن يعود	حبيب مش راح يعود...

[تخرج]

... حينما كان الطلبة لا يزالون يغنون ...

جـوليـيلمـو : **[من الداخل ومن بعيد ، تسمع أصوات الطلبة]**

[من الداخل] عاشت نابولي ، مدينة النسـاء الجـميلات .

الطلبـــة : نحن الأعمدة ، نحن

أعمدة الجامعات .

في هـذه اللحظة تفـتـح السـتـارة القطيـفـة عن " شـارع مقـابلات المصـادفة " . في هذه الأثناء تكون " الشلة " قد لمحت جوليلمو سبيرانسا . يكفون عن الغناء ليلتفوا حوله ويحـتـفلوا به . كـان أول من لمحـه ودل الآخـرين عليـه هو فوريو لاسبينا .

فـــــوريو : **[من الداخل]** هاهو ذا هناك ، هناك ! جولييلمو !

الطلبــــة : **[من الداخل]** جولييلمو !

فـــــوريو : **[من الداخل]** وصلنا ! تعال !

أتيليـــــو : **[من الداخل]** لم يتخلف أحد عن الدعوة .

جـولييـلمـو : تعالوا ، أيها الأصدقاء ، تعالوا !

أوجوستينو : حفلة كبيرة !

كـــــورّادو : شراب مثلج كما نريد .

[الطلبة وعلى رأسهم فوريو ونادل المشرب الذى يحمل ثلاث زجاجات من الشراب ، يغزون المنصة ويحيطون بجولييلمو]

كـــــورّادو : فى صحة جولييلمو الذى تخرَّج وحصل على درجة الامتياز يا... يا...

الجـمـيـع : ألا لا !

أتيليـــــو : فى صحة الجميع .

فـــــوريو : مهلا. **[وفجأة يتقمص شخصية علامة فى الطب ، ويأخذ فى الكشف على جسم جولييلمو فى ريبة وتشكك]** إن نظرات زميلنا جولييلمو الذاهلة الجامدة ، بل والفزعة ، تجعلنا نتصور، أيها الزملاء الأجلاء، أن الرهبة التى تملكته فى حضرة أعضاء لجنة الامتحان ، عظم الله قدرهم ...

الجـمـيـع : أمين !

فـــــوريو : وأنا أضيف " ورفع قدرهم ". أقول إن الرهبة زلزلت أوصاله لدرجة أنه أصيب ليس فقط بالهبوط فى قدراته

النفسية بل وبشلل نصفي مفاجئ في الوجه أدى إلى قصور في الكلام وفي البلع سواء بسواء. الطبيب المعالج؟

أوجوستينو : أنا ، البروفيسور الشهير : طبيب أول مستشفى " على كيفكم يا حبيْبي " متخصص في الأمراض الباطنية والظاهرية ، وبصفة عامة أمراض القلوب وقصريات الليل والنهار . فالينتينو ، فالينتسيّمو ، تحت أمرك .

فوريو : **[في لوعة]** أفراد أسرته ؟

أتيليو : **[وقد غطى رأسه بمنديل عقده تحت ذقنه]** ليس هناك غيري ، يا بروفيسور ، أنا أمه . أبوه مات من الخوف بمجرد أن حملته إليه المولدة . نحن من أسرة متواضعة ، لكن عندنا نقوداً ونقوداً كثيرة . وأنا على استعداد لخلع أقراطي من أذني لإنقاذ الإنسان الذي حل في بيتنا ودخل في أحشائي دون أن يدعوه أحد ، ودون أن يدفع إيجارا.

فوريو : أقارب آخرون ؟

أتيليو : **[مشيرا إلى كورّادو]** هناك أخوه البكر ولكنه ذكي جدا ، فقد أدرك أن موت أخيه مصلحة له ، فسوف يستطيع على المائدة أن يأكل ضعف ما يأكله الآن .

فوريو : هل عمل تحاليل ؟

أوجوستينو : طبعا .

فوريو : أريد أن أطلع عليها .

أوجوستينو : تفضل [**وهو يقدم لفوريو بعض الأوراق الممزقة**] اختبار الوازرمان ، تحليل البول ، نسبة السكر في الدم ، تترج الدم في الجسم .

فوريو : والبصاق ؟

أوجوستينو : في وجهك يا بروفيسور ، تحليل البصاق ... [**بعد لحظة مشيرا إلى الورقة التي يطالعها فوريو**]

فوريو : نعم ، طبعا ، فهمت .

أوجوستينو : وبالنسبة لتطورات المرض ؟

ما رأيك ؟ ماذا نقول للأم ؟

فوريو : [**لجوليلمو**] أخرج لسانك [**الطلبة يرغمون جوليلمو على الانحناء ليرى فوريو مؤخرته ، بعد ذلك يقوم أحدهم بإدخال يده بين ساقي " المريض " ثم يخرجها على هيئة لسان ضخم يتحرك**] الترمومتر !

[**يقوم أحدهم بوضع مكنسة تحت إبط جوليلمو**] حرارة المريض حرارة ربنا بالغ [**كأنه يراقب صعود الزئبق في المكنسة**] يصعد

الجميع : يصعد .

فوريو : يصعد .

الجميع يصعد .

فوريو : الترمومتر ينفجر! انزعوه [**في حزن وتأثر للأم المزيفة**] سيدتي ...

اطمئني! نعم ، نعم ، يا بروفيسور .

أتيليـــــو : الحمد لله !

فـــــوريـو : الموضوع يتعلق بحساسية مفرطة في القلب . موجات البيسكومبولاتيزمو المعدى ، وانحرافات من الفرينيكولوجيا ستاتيكا ، وتمزق في جواستابوليو فارما كولوجيكو والبسيكو كاكتيكو. والتهاب شديد في الأمعاء. ولقد قام الزميل المعالج بجميع أنواع العلاجات التي يسمح بها الطب الحديث . والآن الأمر بيد المريض المريض هو الذي يجب أن يتصرف **[يتحرك]** والطبيعة يمكن أن تُحدث أي معجزة .

["الأطباء" يتصافحون مهنئين]

كـــــورّادو : **[رافعا في الهواء كأسا]** في صحة الشهادة التي انتزعتها أسنان جوليلمو سبيرانسا انتزاعا ، إيا ، إيا ، إيا . .

الجـــميع : ألا لا ، ألا لا ، ألا لا ! **[وهم يشربون ويوزعون الكئوس]**

فـــــوريـو : أنا في منتهى التأثر. أنت تعرف صراحتي يا جوليلمو. عناق أخوى **[يتعانقان]** كنا معا في الابتدائي ، وفي الثانوي ، وفي الجامعة . قضينا معا أجمل ساعات صبانا . كنت أكثر حظا مني مع البنات وفي الدراسة ، أما أنا ، فدائما راسب وغارق في ملحق أو في دور ثان . وأقسم لك أنني غير حاقد عليك . وأعلنها هنا بصراحة أمام جميع الزملاء ، إنني سأكون لك كالملاك الحارس ، مستعدا لبذل حياته في سبيل صديقه الحميم جوليلمو

سبيرانسا **[يلي ذلك تصفيق تأييد طويل : " يعيش فوريو لاسبينا "]** الكلمة الآن لجوليلمو .

[هتافات صاخبة وتصفيق طويل]

جـوليـيلمـو : أصدقائي الأعزاء ، رفاق الدراسة . إن زمن خلو البال واللامسئولية حتى سن العشرين انتهى على الأقل بالنسبة لي. فبمجرد الحصول على الشهادة التي ننتزعها بأسناننا كما قال كورَادو ، يحدث في داخلنا وفي أقل من ثانية نوع من التحول والتغيير . ودون وعي أو إرادة ، نشعر بمعنى المسئولية طاغيا عنيفا. ونتذكر أقوال الوالدين : " يا ابني ، سأضحي بكل شيء لكي تدخل الجامعة . وتذكر أنك دون " قطعة الورق " لن تكون في نظر المجتمع أكثر من يد مكنسة " . إنني وقد أصبحت الشهادة في يدي – لا أدري لماذا يسمي أبي الشهادة قطعة ورق . آه ! – أقول إنني وقد أصبحت الشهادة في يدي أشعر بمعنى المسئولية والالتزام والصراع . سأتزوج حالا . فقد وعدت حبيبتي ...

الجـــمـــيع : تعيش جيليولا !

جـوليـيلمـو : شكرا . وعدتها بأنني سأطلب يدها بمجرد تخرجي . . واليوم بالذات سأتحدث مع أهلها .

الجـــمـــيع : يعيش العروسان !

جـوليـيلمـو : أيها الأصدقاء ، انتهت الامتحانات . لن أؤدي امتحانات بعد اليوم ! انتهت الامتحانات !

الجميع : يعيش جوليلمو سبيرانسا .

جوليلمو : أحييكم ، أيها الأصدقاء .

فوريو : نذهب معا .

جوليلمو : لا . أنا ذاهب إلى أهل حبيبتى .

الجميع : مبروك .

جوليلمو : شكرا . وشكرا على المشروب .

فوريو : لا ، المشروب ستدفع أنت ثمنه .

جوليلمو : **[للنادل]** ضعه على الحساب . **[للأصدقاء]** أشكركم مرة أخرى . أنا ذاهب **[يخرج بسرعة]**

النادل : حساب النبيذ !

فوريو : فيما بعد. سنعود لندفع لك شخصيا . سنبحث عنك. انتظرنا عند النافورة .

النادل : أية نافورة ؟

فوريو : النافورة المريضة .

النادل : النافورة المريضة ؟

كورادو : رخويات البحار الحارة . ألم تقرأ كتاب بالاتسيكى ؟

فوريو : تمشى على طول وسوف تسمع نداء النافورة المريضة : بليف ، بلاف .

النادل : كيف ؟

فوريو : **[مع جميع الطلبة]** بلاف ، بليف ، بلوف... بلاف ، بلاف ، بليف ، بليف، بليف ...

[يخرجون بينما الستارة الداخلية تنزل وراءهم]

الفصل الأول

[رويدا رويدا ، يبتعد ضجيج الطلبة الرتيب ، بينما تصل إلى الأسماع – من الداخل – بدايات ترانيم الجيتار وصوت المغنية . والأغنية ، وهى من الأغانى التى كانت ذائعة الصيت عام ١٩٢٢ – ١٩٢٣ ، تبدأ قبل أن تختفى تماما الأصوات الجماعية للطلبة . الفتاة تدخل من الجهة المقابلة لتلك التى خرج منها الطلبة ، وتجتاز المنصة وتخرج بدورها . وما إن تختفى المغنية ، حتى يظهر من أحد الكالوسين ، جوليلمو سبيرانسا الذى يجتاز المنصة فى خطى وئيدة . يحمل فى يده اليمنى باقة من الزهور الحمراء . وتتدلى من إبهام يده اليسرى علبة حلوى ، ومن رقبته تتدلى الشهادة التى حصل عليها .

وحينما يخرج جوليلمو من الجانب المضاد للذى دخل منه، تفتح الستارة الداخلية عن صالون أسرة فورتيتسا . جو بهيج معتم قليلا ، أثاث متين رصين ، مثال الأثاث الخاص ببرجوازية ذلك العصر – يلاحظ على أفراد الأسرة نوع من الارتباك . فهذا السيد جيرولامو ينظر

فى ساعته وينفخ ؛ أما ستانيسلاو فيذرع الصالون ذهابا وإيابا وهو سارح الفكر . وأما السيدة أمنيريس فتحرك المروحة طلبا للهواء ، ومن آن لآخر تحاول تنظيم ما قد يختل من نظام شعر ابنتها جيليولا التى لا نستطيع حتى الآن أن نستبين موقفها بالضبط ، هل هى جادة أم تلعب على والديها . من الداخل ، يأتى رنين الجرس الكهربائى فيلفت انتباه أفراد الأسرة والخادمة " لاودوميا " التى تسرع إلى الباب بعد لحظة من الحيرة . يجلس أفراد الأسرة جميعا مرة واحدة متخذين الهيئة التى تمليها القواعد والأصول فى ذلك العصر . بعد لحظة طويلة ، الخادمة تعود وتعلن :]

لاودوميا : السيد جوليلمو سبيرانسا

جيرولامو : ليدخل !

[لاودوميا تخرج]

لاودوميا : **[تعود وتدعو جوليلمو للدخول]** تفضل ، يا سيدى .

[يدخل الشاب جوليلمو سبيرانسا وينحنى نصف انحناءة غشيمة ، تبدأ مراسم التعرف بتمتمة العبارات المناسبة لهذا الظرف ، ولكن مع مراعاة جدية السبب الذى أدى إلى هذا اللقاء ، وتقاليد ذلك العصر . باقة الزهور للسيدة أمنيريس ... وعلبة الشيكولاته لجيليولا ... وأخيرا يخاطب جيرولامو الخادمة بلهجة تتسم بالتسلط اللطيف]

جـيـرولامـو : لاودوميا !

لاودومـــيـــا : سمعا وطاعة يا سيدى !

جـيـرولامـو : كرسيا للسيد ودعينا وحدنا .

لاودومـــيـــا : حالا ! [**وتقدم الكرسى لجوليلمو**]

جـيـرولامـو : انتظرى !

لاودومـــيـــا : أمر سيدى !

جـيـرولامـو : أمنيريس ؟

أمنيـريس : جيرو ؟ [**جيرولامو يميل على زوجته ويتمتم بعبارات غير مفهومة . أمنيريس بعد أن سمعت**] حاضر [**توجه الخطاب إلى الخادمة**] لاودوميا ، الحلوى والبسكويت .

لاودومـــيـــا : حالا ، يا سيدتى [**تخرج**]

جـيـرولامـو : [**الجوليلمو**] الآن وقد تعرفت على أهل جيليولا ، وأيضا صهرى ستانيسلاو بوريللى ...

ستـانيسـلاو : طبيب أمراض باطنية .

جـيـرولامـو : أقول: الآن يسعدنا أن نعرف سيادتك أكثر... بل، قبل كل شيء، نحب أن نعرف كيف ومتى وأين عرفت ابنتنا جيليولا.

[**لاودوميا تعود حاملة صينية عليها أكواب وزجاجة شراب والبسكوت ، جيليولا تسرع بتقديم الشراب والبسكوت . الكأس الأولى تقدمها لوالدها والثانية لخالها . فى تلك الأثناء ، تنصرف السيدة أمنيريس إلى الاهتمام بجوليلمو ، والآن هاهى ذى مستعدة لتتلقى من يدى جيليولا البسكوت والشراب**]

جـيليـولا : أنا سآكل بسكوتة واحدة فقط .

أمنيــريس : [**لجوليلمو**] ابنتي ملتزمة بالريجيم .

[يبدأ الحاضرون المحادثة وهم يحتسون الشـراب الممتاز ويقضمون البسكوت]

جـيـرولامـو : إذن ، كيف تم التعارف ؟

جـوليـيلمـو : الحقيقة إنني لا أعرف ..

جـيـرولامـو : لا تعرف كيف عرفت ابنتي !

جـوليـيلمـو : لا أعرف إذا كانت الآنسة جيليولا تسمح لي بذلك أم لا .

أمنيــريس : ومـا الضــرر ؟ أنا على علـم بذلك ، لأن ابنتي حكت لي فورا ما حدث وما لم يحدث .

ستـانيسلاو : أنا أيضا أعرف الموضوع ، فقد حكته لي أختي .

جـيـرولامـو : الوحيد الذي لا يعرف شيئا هو أنا .

ستـانيسلاو : نعم ... موضوع الأزرار .

جـيليـولا : كلا : الزرار .

جـيـرولامـو : أي زرار ؟

أمنيــريس : لم أخبـرك بأي شـيء يا جيـرولامو ، لأن جيليـولا لم تكن تريد أن تخبرك بالموضـوع خوفـا من أن تعنفـها . ولكن الآن سـتـحكي لك هي كل شيء بنفسـها ، وسـتـرى أن الموضـوع لا تشـوبه أية شائبة ، بل ستـفـخر بذكاء ابنتك وحسن تصرفـها ، وستعجب بشجاعة السيد جوليـيلمو سبيرانسا . جيليولا ، احكي الموضوع لبابا .

جـيليـولا : إذا حكى هو **(تشير إلى جولييلمو)** البداية ، أحكى أنا النهاية .

جـوليـيلمـو : كنت أنزل كل يوم من شارع ميتزو كانونى فى طريقى إلى الجامعة . وفى منتصف الطريق ، لفت انتباهى شرفة صغيرة بالدور الأرضى فى هذا المنزل، مليئة بأصص الزهور من كل نوع . ففكرت فى نفسى قائلا : " ترى من الذى يقوم برعاية هذه الزهور. لابد أنه إنسان رقيق حساس، لأن الزهور منتقاة بعناية والأصص مرتبة "بذوق سليم" . ومرَّ يوم ، ويومان وأنا أنظر ، أنظر إلى الشرفة، وأخيرا ، وذات صباح اكتشفت البستاني البارع .

جـيليـولا : كنت جالسة فى الشرفة لأتنسَّم الهواء ، ولقضاء بعض الوقت فى معالجة ثوب قديم كان يعز عليَّ أن ...

جـولييلمـو : اتفقنا على أن أحكى أنا البداية وأنت النهاية .

جـيليـولا : عفوا ، أكمل أنت .

جـولييلمـو : كانت هى تخيط بالإبرة وتعالج الثوب، بينما أنا سعيد وعيناى على الشرفة، أملأ بطنى بالمشروبات والمثلجات من المشرب المقابل . " كيف أتعرف عليها ! ما الطريقة للاقتراب منها ؟ " وأخيرا ، حضرتنى فكرة .

ستانيسلاو : الآن يأتى موضوع الزرار .

جـيرولامـو : سكوت ! **[لجولييلمو]** وبعد ذلك ؟

جـيليـولا : مرت أيام وأيام وأنا أعالج الثوب وهو يملأ بطنه بالمثلجات ...

جـوليـيلمـو : ثم تشـجعت . تعرفون ماذا فعلت ؟ بقـوة اليائس انتزعت زرارا من الجاكته ...

جـــيليـــولا : واقترب من الشرفة ...

جـوليـيلمـو : جوليـيلمو : **[يقف على قدميه ويرفع يده اليمنى حتى عنقه ليقدم الدليل على الحظ الذى كان حليفه]** كان السور يصل حتى هنا .

جـــيليـــولا : " يا آنسـة ، والإبـرة فى يـدك ، هـل تتـكرمين فتثبتين لى هذا الزرار ؟ " فـأجـبـتـه قـائلة : " ليس مـعى سـوى الخيط الأبيض ، وليس معى خيط بلون الجاكته . " فقال . "لا يهم ، خيطيه وسوف تتمكن عيناك بقوتهما من تحويل لون الخيط إلى لون الجاكته" . فثبتُّه له بالخيط الأبيض .

جـوليـيلمـو : **[ينهض من جديد ، وفى هذه المرة ، يرفع الجانب الأيمن من جاكتته ليبين الزرار المثبت بالخيط الأبيض . الزرار يجب أن يكون كبيرا جدا ، وكذلك صليب الخيط الأبيض يجب أن يكون سميكا وواضحا جدا]** نحن لا نكذب عليكم ، يا سادة ، هاهو ذا الزرار .

أمنيـــريس : وما الداعي ؟ لا أحد يشك فيما تقول .

جـيـرولامـو : وبعد ذلك ؟

أمنيـــريس : وبعـد ذلك ، وبـعـد ذلك... جـيـرو ، مـاذا تريـد أن تعـرف بعد ذلك ؟ بعـد ذلك ، الآن الموضوع هكذا .

جـيـرولامـو : هكذا .

سـتـانيـسلاو : هكذا .

جيرولامو : **[مناديا]** لاودوميا !

لاودوميا : **[داخلة]** نعم يا سيدى .

جيرولامو : اصطحبى الآنسة جيليولا . اذهبى يا بنتى ، فالسيد جولييلمو سبيرانسا يريد أن يحدثنى فى موضوع يهمك ، لذلك فمن الأفضل أن تذهبى .

جيليولا : بابا ، إذا كان الموضوع يهمنى ، أليس من الأفضل أن أكون حاضرة .

جيرولامو : أنت طفلة ، عمرك ست عشرة سنة ... لا أحد يمكن أن يعمل لصالحك خيرا من والدك ووالدتك وخالك. أمنيريس، اذهبى أنت أيضا .

أمنيريس : حاضر **[مخاطبة جولييلمو]** بعد إذنك .

جولييلمو : **[ناهضا]** تفضلى يا سيدتى .

أمنيريس : هيا بنا يا جيليولا ، تعالى **[تخرج تسبقها جيليولا]**

جيرولامو : اجلس ، يا جولييلمو . **[جولييلمو يجلس من جديد]**. يا عزيزى الشاب، الصراحة فضيلة. فلنتحدث وجها لوجه وبمنتهى الصراحة . إذا كانت نواياك صادقة ، سنتفق ، وإلا فإننى أقول لك عفوا يا بابا ، قد أخطأت المنزل .

جولييلمو : أؤكد لكم أن نواياى ...

جيرولامو : إذا كانت نواياك صادقة ، فنحن الذين سنتأكد من ذلك .

ستانيسلاو : هو ذاك .

جيرولامو : واعلم أن وضعك سندرسه بالميكروسكوب ، وأنك ستكون موضع اختبارات ودراسات غاية فى الدقة .

جـوليـيلمـو : نعم ، ولكن ...

جـيـرولامـو : نعم ، ولكنك تريد أن تقول إنك قد تخرجت .

جـوليـيلمـو : نعـم .

جـيـرولامـو : وماذا يعنى ذلك ؟

سـتـانيـسـلاو : وماذا يعنى ذلك ؟

جـيـرولامـو : أسلم قيادك لمن هو أخبر منك . الشهادة ليست سوى قطعة من الورق .

جـوليـيلمـو : [**وقد حضرته كلمات والده**] بدأنا .

سـتـانيـسـلاو : الامتحانات الحقيقية ، يا عزيزى ، تبدأ فقط بعد الحصول على الشهادة .

جـيـرولامـو : والحصول عليها طبعا يعتبر شيئا ، ولكنه ليس كل شىء .

سـتـانيـسـلاو : الشهادة ، يا عزيزى ، هى التزام من جانب الشاب نحو المجتمع .

جـيـرولامـو : والحظ يمكن أن يخدم الأكفاء وغير الأكفاء . العالم ينظر إليك ، والمجتمع يراقبك ، يحمى نفسه وحسنا يفعل .

لا نعنى بذلك أنك بالذات لن تتمكن من بلوغ المستوى اللازم لتكون جديرا بشهادتك . ولكن ... ماذا يقال فى هذه المناسبة ؟ من يعش ير ؟ " اللى يعيش يشوف . " ؟

جـوليـيلمـو : ولكن المثابرة والاجتهاد في الدراسة . والنجاح ، واحترام حقوق الغير ، ونبل العائلة التى أنتسب إليها ، والتى أفخر بالانتساب إليها ، كل ذلك لابد أن يكون له بعض الأهمية .

جـيـرولامـو : أكيد ، لا شك أن البادرة عظيمة . ولكنها مجرد بادرة .

ستانيسلاو : عزيـزى جوليلمو سبيرانسا . ضع هـذا جيـدا نصب عينيـك : بمجـرد الحصول على الشهادة ، لابد أن تقدم للمجتمع الحساب والمبرِّر لهذه الشهادة. أنت فى الواقع ، لم تفـعل أكـثـر من عمل إجراء شكلى لابد أن تتبـعـه إجراءات أخرى كثيرة حتى ...

جـوليـيلمـو : [وقد جحظت عيناه] حتى متى ؟

جيـرولامـو : حتى يعترف الجميع اعترافا شعبيا بأن هذه الورقة شهادة حقيقية .

ستانيسلاو : وتذكَّر أن قلة قليلة من المتميزين هم الذين ينجحون فى بلوغ نقطة النهاية.

جـيـرولامـو : جيليولا ابنة وحيدة ، ولن أقول لك أكثر من ذلك .

جـوليـيلمـو : طبعا .

جـيـرولامـو : هل تسمح لى ولصهرى أن نوجه إليك بعض الأسئلة .

جـوليـيلمـو : سأجيب عنها بكل صراحة .

جـيـرولامـو : عظيم .

ستانيسلاو : رائع .

جـيـرولامـو : وأنا شـاب – أقـول لك الحـقـيـقـة – كنت أجد مـتـعـة فى الذهاب إلى منزل بعض المعارف ، حيث كانت تلتقى شلة من الأصـدقـاء تلعب الورق بمبـالغ زهـيـدة للغـاية : هى الملاليم القليلة التى كنت أستطيع توفـيـرها من الراتب الشهرى الضئيل الذى كان يخصصه لى والدى . ومع

ذلك فأستطيع أن أؤكد لك أن العبد لله لم يضع قدمه في محل للقمار .

ستانيسلاو : محلات القمار ، بتاتا !

جوليلمو : سمعت عن محلات القمار ، ولكن أقول لكم الحقيقة ، لم أتردد عليها مطلقا .

جيرولامو : ولكنك تعرف اللعب ، طبعا .

جوليلمو : عشرة بصرة ، عشرة شايب ، ولكنني كنت أخسر لأنني لا أتذكر الورق ، لذلك فقد فضلت ألا ألعب .

جيرولامو : حسنا فعلت . لي ابنة أخت ...

ستانيسلاو : بياتريتس ... مسكينة !

جيرولامو : أصرت – ضد رغبة العائلة جميعها – على أن تتزوج من شخص منحرف .

ستانيسلاو : وبدأنا نجع التحريات .

جيرولامو : كان معتاداً الأكل في مطاعم وكان معتاداً المقاهي ، والمراقص، والملاهي الليلية، ولا يمشي خطوة على قدميه . إذا كان يريد الانتقال لمسافة خمسة أو ستة كيلو ، كان يركب العربة الحنطور . طبعا كما كان متوقعا ، لم يدم الزواج ثلاث سنوات .

جوليلمو : اطمئنوا ، أنا أكلت في المطعم حينما اضطرني لذلك زملائي في الجامعة . ولكنني أفضل الأكل في البيت ، بل في أغلب الأحيان أقوم بنفسي بطبخ شيء بسيط . ولا أتردد على مقاه أو مراقص. أما بالنسبة للمواصلات،

فإذا كانت المسافة طويلة جدا ، فإننى أستخدم موتوسيكل بثلاث عجلات .

ستانيسلاو : الطبيب هو الذى يحدثك الآن : كم سيجارة تدخن ؟ وكم فنجانا من القهوة تشرب ؟

جوليلمو : القهوة ، أشرب منها قليلا : فنجانا فى الصباح وآخر بعد الإفطار . وفى بعض الأحيان أتناول فنجانا ثالثا بعد الظهر ، إذا كنت في صحبة أحد من الأصدقاء . أدخن سبع أو ثماني سجائر فى اليوم .

ستانيسلاو : أنصحك بالاقتصار على ثلاث سجائر توزعها كما أوزعها أنا . الأولى فى الصباح بعد القهوة ، والثانية بعد الغداء ، والثالثة فى المساء بعد العشاء .

جوليلمو : أنا متأكد أننى سأنجح فى عمل ذلك بسهولة .

ستانيسلاو : هل أصبت فى طفولتك بالحصبة ؟

جوليلمو : لا أتذكر صراحة . ولكننى سأسأل أهلى وأخبركم .

جيرولامو : عندما يحين الوقت ، ستعرِّفنا بأهلك .

جوليلمو : سيسعدنى ذلك .

ستانيسلاو : عفوا ، يا جيرو . [**مخاطبا جوليلمو**] لا تنس الاستفسار عن موضوع الحصبة ، لأن الحصبة للكبار يمكن أن تكون قاتلة .

جوليلمو : أهلى سيتذكرون بلا شك .

ستانيسلاو : بابا وماما يتمتعان بصحة جيدة ، أليس كذلك ؟

جوليلمو : يفيضان بالصحة والعافية .

ستانيسلاو : والأجداد ؟

جوليلمو : جدى مات فى السابعة والأربعين من عمره .

[جيرولامو و ستانيسلاو يتبادلان نظرة كلها ريبة]

جيرولامو : فى هذه السن الصغيرة ؟

جوليلمو : حادثة ... فقد التوازن ، ووقع على ظهره ، فسقط على رأسه ، ومات فى الحال .

ستانيسلاو : فى سن السابعة والأربعين يفقد التوازن ؟ يجب دراسة ذلك .

جيرولامو : سبعة وأربعون عاما لا تعتبر شيئا .

جوليلمو : أما الجدة ، فقد فارقتنا فى سن التسعين .

ستانيسلاو : [**مخاطبا جيرولامو مطمئنا إياه**] التعويض موجود .

جيرولامو : أحب أن أعرف إذا كان قد سبق لك أن خطبت فتيات أخريات .

جوليلمو : خطبت بمعنى الكلمة ، لا . ولكننى عرفت ثلاث فتيات أو أربع لفترات قصيرة جدا ، لأننى تبيَّنت على الفور أن طباعهن لا تتفق مع طباعى .

جيرولامو : يؤسفنى أن أقول لك إن موقفك من هذه الفتيات الثلاث أو الأربع دليل عدم تريثك وتعقلك ؟

ستانيسلاو : كلام فارغ . كل الشبان يختلفون ويفترقون ... ولكن بمجرد زواجهم يضعون عقولهم فى رءوسهم . أنا من رأيى أن نناقش نقطة أخرى . سيادتك ، كما هو واضح تماما ، لا يمكن أن تزعم أنك قديس منزه . فلنتصور أنك

مع زملائك كنتم تترددون على النساء . ولا غبار على ذلك حتى الآن . بل إن مثل هذه الزوغات السرية ، من وجهة نظر معينة لها قيمتها ، فمن شأنها أن تطمئننا ، فهى ، إذا تم هذا الزواج ، ضمان لنا بالنسبة للمستقبل على أنه لن تحدث مفاجآت . أحب أن أسألك إذا كانت وقعت لك بعض المتاعب .

جوليلمو : الغرامية ؟

ستانيسلاو : لا ، بعض المضايقات ذات الصبغة الصحية .

جوليلمو : بصراحة ، لا أفهم المقصود بالسؤال .

ستانيسلاو : أعنى إذا كانت هذه النساء ، القذرات ...

جوليلمو : ولكنهن لم يكن قذرات .

ستانيسلاو : إذن ، فلنقل المشبوهات .

جوليلمو : يعنى .

ستانيسلاو : إذن ، كنت أريد أن أعرف إذا لم تكن إحداهن قد أصابتك لسوء الحظ ، بمرض من الأمراض التى يخجل الرجل من ذكرها .

جوليلمو : إيه ... أنا بصراحة لم أكن أتوقع سؤالا من هذا النوع .

ستانيسلاو : تكلم، نحن رجال، وفضلا عن ذلك ، فأنا طبيب . تشجع ، تكلم ، لو كان حدث فبالتأكيد ليست غلطتك أنت .

جوليلمو : يجب أن أعترف بأننى كنت واحدا من المحظوظين القلائل.

ستانيسلاو : متأكد من ذلك ؟

جـوليـيلمـو : لم تحدث لي أية مشاكل .

ستـانيـسلاو : **[مقدما بطاقته لجوليبلمو]** غدا بعد الظهر ، في نحو الخامسة ، تفضل عندي في العيادة . سأقوم بالكشف عليك بكل دقة : مراقبة بسيطة لدقات القلب ، جسة خفيفة للكبد ، تحليل بسيط للدم ، وبذلك ننزع الشك باليقين .

جـيـرولامـو : نرجو المعذرة . وأكرر لك أن جيليولا هي ابنتنا الوحيدة . العادة أن يكلف طبيب العائلة بهذه المهمة، ولحسن الحظ، فالطبيب موجود في البيت **[مناديا]** أمنيريس ، جيليولا ! **[بعد برهة تظهر الفتاة وأمها]** السيد جوليبلمو سبيرانسا ذاهب .

أمنيـــريس : بهذه السرعة ؟ يا للأسف !

جـوليـيلمـو : لقد أسرفت في استغلال كرم حضراتكم .

جـيـرولامـو : شيء أخير أريد أن أتفق عليه معك في حضور زوجتي وابنتي ، وبعد ذلك فأنت حر طليق .

جـوليـيلمـو : تفضل .

جـيـرولامـو : كان انطباعنا ،أنا وصهري، أن أول لقاء بالسيد جوليبلمو سبيرانسا سيكون له نتائج عظيمة في المستقبل . وفي انتظار ذلك بقي أن نقرر أنه في خلال خمسة عشر يوما ، أو شهر على أكثر تقدير ، حينما نتمكن من الحصول على جميع المعلومات اللازمة بشأنك ...

ستـانيـسلاو : غدا بعد الظهر ، في الخامسة والنصف ، نلتقي في العيادة ...

جـوليـيلمـو : لن أتخلف .

جـيـرولامـو : بعـد الحصـول على المعلومـات وبعـد موضوع العيـادة الذى يتحدث عنه صـهرى ، سيكون فى الإمكان التحدث عن لقاء قريب لمناقشة الموضـوع بشكل أعمق، وإذا أمكن، تحديد موعـد للخطبة . والآن لنشـرب كأسا أخرى كفأل حسن . **[أمنيريس تملأ الكئوس مرة أخرى وتقوم جيليولا بتوزيعها]** . وليكن واضـحا من الآن ، أنه إذا سـار كل شيء على ما يرام، فمن تاريخ الخطبة وحتى عقد القران لابد من مرور سنتين على الأقل .

جـوليـيلمـو : **[متألما]** سنتين ؟ ...

جـيـرولامـو : قلت سنتين على الأقل . الفترة اللازمة لمعرفة الثمار التى يمكن أن تجنيها من وراء قطعة الورق التى أعطوك إياها .

جـوليـيلمـو : الشـهادة ؟

جـيـرولامـو : يعنى . سنتان مدة طويلة . أعـرف ذلك . ولكن فى خلال هذه الفترة ، سأسمح لك بالتردد على منزلى . وبذلك تتاح لكما الفرصة ليتعرف كل منكما على الآخر بطريقة أفضل ويدرس خلقه وطباعه **[رافعا الكأس]** والآن يسعدنى أن أتمنى لجميع آمالنا كل نجاح وتوفيق .

[بعد أن يرفع كل منهم كأسه ، يشرب الكأس ثم يستمر فى احتساء الشراب اللذيذ فى هدوء ، بينما تتردد من بعيد أصداء أصوات الطلبة الجماعية . وتقفل الستارة السوداء القطيفة]

[يظهر جوليلمو سبيرانسا وفوريو لاسبينا أحدهما من اليمين والآخر من اليسار ويتقابلان . تفتح الستارة القطيفة عن " طريق لقاءات المصادفة " . الحرارة التي يحيي كل منهما بها صاحبه تدلنا على أنهما افترقا زمنا طويلا]

فـــــوريو : **[وكان أسبق إلى رؤية صديقه]** جوليلمو !

جـوليـيلمـو : **[بنفس لهجة المفاجأة]** فوريو !

فـــــوريو : جوليلمو ، بالأحضان !

جـوليـيلمـو : أنا الذى يطلب الحضن ، ومن كل قلبى ، **[يتعانقان بحرارة ، بل إن فوريو هو الذى يضم جوليلمو إليه ، بينما الآخر ، يستسلم للضم بسبب ما يحمله من لفائف وعلب]** رويدا ، رويدا ... إنك تخنقنى !

فـــــوريو : أجل ، أنت على حق . اعذرنى . إنها فرحتي بلقائك بعد طول الفراق .. جوليلمو ، إننا لم نلتق منذ أكثر من سنتين .

جـوليـيلمـو : سنتين إلا ثلاثة أشهر . فقد أعفيت من هذا " الترم "

فـــــوريو : ماذا تعنى " بأعفيت " ؟

جـوليـيلمـو : عزيزى لاسبينا ...

فـــــوريو : جوليلمو إننى أحبك ، قل لى فوريو . إن "لاسبينا" هذه مرتبطة بالعادات الطلابية بحيث أصبحت مع مرور الوقت، شيئا ، مادة، سبورة، صورة الملك فيتوريو إيمانويل الثالث، صورة السيد المسيح، اصطلاح ما متعلق بأثاث إحدى

قاعات المحاضرات الجامعية. وأقولها لك صراحة ، إن هذا كله قد محوته من ذكرياتى الطلابية. كنت تقول لى؟

جـوليـيلمـو : لم أعد أتذكر الآن .

فـــــوريـو : حكاية الإعفاء من " الترم " .

جـوليـيلمـو : آه ، نعم . إن حماى ، أو بمعنى أصح ، حما المستقبل، قد شاء ألا يتم تحديد الموعد النهائى لزواجنا قبل عامين. ولكن نظرا " لحسن سلوكى " ، وهذا من فضله وكرمه ، تكرم ووافق على ترقيتى إلى خطيب رسمى ، وذلك قبل انقضاء الدورة الاعتيادية بستة أشهر انتظارا لتعيينى زوجا فعليا .

فـــــوريـو : فهمت . وهكذا لم نتقابل منذ عام وتسعة شهور .

جـوليـيلمـو : بالضبط .

فـــــوريـو : ولكننى أعرف كل شىء عنك ، لأنك لم تغب عن بالى . إننى ألتقى كثيرا بالأصدقاء ... أتيليو ، وأجوستينو **[وهو يربت على ظهره بيده فى ود أبوى]** برافو ، برافو ، حقا ... أنت بدأت تشق لنفسك طريقًا .

جـوليـيلمـو : يعنى ، ليس هناك ما أشكو منه .

فـــــوريـو : أنا واثق من ذلك . فى جميع الإصدارات التى تهتم بقطاع تخصصك ونشاطك، من الصعب ألا يذكر اسمك . إننى أتابعك وأقرأ كل ما يتعلق بك .

جـوليـيلمـو : لقد تعبت كثيرا يا عزيزى فوريو، والآن أستطيع أن أقول بكل أمانة ، ليس هناك من يبارينى فى مجال تخصصى .

فـــــــوريو : آه لو عرفت المرارة التى أشعر بها حينما أضطر للدفاع عنك .

جـوليـيلمـو : تدافع عني ؟

فـــــوريو : دعنا من ذلك ، يا جوليلمو ، الناس أشرار . حكاية القشة الكبيرة والقشة الصغيرة . يرون عيوب الغير الصغيرة ولا يرون عيوبهم الكبيرة .

جـوليـيلمـو : نعم، ولكن أريد أن أعرف القشة الصغيرة التى فى عينى.

فـــــــوريو : هل تريد أن تهتم بما يقول الناس ؟

جـوليـيلمـو : هل هم أصدقاء لي ولك ؟

فـــــوريو : جوليلمو ، أصدقاء ، أو غير أصدقاء ... أنا بالذات لأننى صديقك أحذرك، من ناحية ، من ألسنة السوء ، ومن ناحية أخرى ، أقول لك لا تهتم واضرب بهم عرض الحائط واستمر فى طريقك . تعرف : أنا من كثرة الرسوب اضطررت لترك الجامعة بعدك بقليل صارفا النظر عن الشهادة ، وإلا كنت فقدت صحتى . ماذا كان بوسعى أن أفعل ؟ إلى من كنت أستطيع أن ألجأ للحصول على وظيفة أو مركز ؟ حينئذ ، استعنت بما كان لدى من معرفة لا بأس بها فى مجال العلوم ، وبدأت أشتغل فى الأشياء العملية ، كالاختراعات البسيطة المفيدة ، وبالفعل فقد سجلت بعض الاختراعات التى نالت نجاحا كبيرا فى معرض ميلانو . من ذلك ... مثلا، الحذاء والجورب الملتصقان كل منهما فى الآخر ، وحافظة

المفاتيح التى تصفر بمجرد إخراجها من الجيب حتى تعود إلى الجيب مرة أخرى. وأشياء كثيرة أخرى عملية . وأتنقل من وزارة إلى أخرى ... ماذا أقول لك ... هناك من يريد لك الخير وهناك من يريد لك الشر . يقولون : "نعم ، عظيم ، إنه ليس بالأبله - " هو " يعنى أنت - ولكن شابا مثله كيف تسنى له أن يشغل المركز المهم الذى يشغله بدون وساطة حما المستقبل الذى - وهذا هو الواقع - من مصلحته أن يكون صهره شخصًا يمكن تحريكه **[يعنى شرابة خرج]** وبالتالى يتورط كما سبق أن تورط هو فى الماضى ، وكما هو متورط الآن ؟

جوليلمو : تشهير! هذا محض تشهير بصرف النظر عن الأسماء ، بصرف النظر عن أسماء هؤلاء الأوغاد الذين يشيعون ذلك .

فوريو : جوليلمو ، يا أخى ، هل تظن أننى يمكن أن أقول لك أسماء هؤلاء الأشقياء حتى تجد نفسك وسط فضيحة عظيمة، لا يكون من شأنها إلا توسيع دائرة القيل والقال!

جوليلمو : إن حماى لم يسمح لنفسه أبدا بالتدخل فى شئونى وفى مستقبلى ، ولو حتى بإبداء مجرد النصيحة . إن المركز الذى أشغله ، حصلت عليه بجدارة ، بكفاءة . كان ترتيبى الثالث من بين ألفين وخمسمائة من المتسابقين . إن القليل الذى حققته حتى الآن مدين به لكفاءتى فقط ، لعزيمتى ، لذكائى .

فـــــــوريـو : أنا مـقـدر تحـاملك ، لكنى أنصـحك بعـدم الانسـيـاق فى غـضـبك ، فقـد شـاع بينهـم أنك ممسـوس ، ومتـعـصب ، ومغرور .

جـوليـيلمـو : يقولون ذلك ؟

فـــــــوريـو : يقولـون ذلك ، لكـن لا يجب أن تتحـامل : دع عنك ذلك . لا تهتم . استمر فى طريقك ، بل لو كان طريقنا واحداً ، لسرت معك .

جـوليـيلمـو : أشكرك ، لكننى وصلت فعلا .

فـــــــوريـو : هل تسكن هنا الآن ؟

جـوليـيلمـو : لا ، هنا تسكن خطيبتى . هذا باب بيتها .

[يشير إلى مكان قريب ، ناحية اليسار]

فـــــــوريـو : كم يسـعـدنى أن أتعرف على خطيـبتك جيليـولا ، صـحيح أنها تدعى جيليولا ؟

جـوليـيلمـو : نعم ، جيليولا . سـأقدمك لـهـا مـرة أخرى . فـهى ليست فى المنزل الآن . كنت أود أن تأتى مـعـى ، لكنهـا أسـرة ليست متبـسطة . فـحـماى رجل من " الدقَّة " القديمة ، محافظ جدا وشكاك للغاية .

فـــــــوريـو : وهل تظن أننى إذا صحبتك ، دون سابق إنذار سيسىء استقبالى ؟

جـوليـيلمـو : ليست النظرية ...

فـــــــوريـو : أنا صديقك الحميم أم لا ؟

جـوليـيلمـو : طبعا .

فـــــــوريـو : إذن ؟

جـوليـيلمـو : اليوم يعقد اجتماع العائلة، يجب أن نحدد موعد الزواج .

فـــــــوريـو : إيه ، إياك أن تكون اخـتـرت الشـبـين الشـاهد ، إذن لغـضـبت منك . الشـبـين الشـاهد ضـع ذلك جيـدا فى اعتبارك ، يجب أن يكون أنا . جوليلمو ، إهانة كبرى لى إذا لم تخترنى شبينا .

جـوليـيلمـو : إذا كان هذا يسرك ...

فـــــــوريـو : لماذا ، ألا يسرك أنت هذا ؟

جـوليـيلمـو : كثيرا ، كيف لا ؟ يسرنى كثيرا .

فـــــــوريـو : والشبين الشاهد يشارك فى اجتماع الأسرة هـذا . مع مشاغلى يجب الاتفاق على موعد الزواج. أهذا هو الباب؟

جـوليـيلمـو : نعم .

فـــــــوريـو : تعال إذن ، هيا بنا . سترى كيف سيسـتقبلونك حـينما تعلن وأنت تدخل عليهم : " أصـهارى الأعـزاء ، أقـدم لكم الشبين الشاهد على الخطبة . شد حيلك ، تشجع ، هيا بنا . وأخيـرا سـأعـرف هذه السـاحـرة التى تمكنت من انتزاعك من أصدقائك . سـأترك كل ما عندى من أعمال لكى أنعم بهذه السعادة . وفى أول ليلة من ليالى العرس سأقوم أنا بوصفى الشبين الشاهد، بتنظيم أغنية السهرة الحافلة بالأمانى الطيبة للعروسين ، تحت نافذتـك ، على لحن " سانتا نوتى " [**هاجما عليه**] امش !

[وبين الوجل والحرج، يستسلم جوليلمو لقيادة صاحبه. وما إن يختفي الاثنان حتى يظهر جمهور غفير من أصدقاء وصديقات العروسين ، منهم من يحمل جيتارا ومنهم من يحمل مندولين ، ومنهم من يحمل آلات موسيقية أخرى ، يشكلون حلقة في منتصف الطريق تحت نوافذ العروسين. وفي هذه اللحظة ، وفيما تستهل المجموعة لازمة أغنية السهرة ، يدخل فوريو ويأخذ مكانه وسط المجموعة ، وفي التوقيت المضبوط يشترك في إيقاع الأغنية]

فـــــوريـو : " ياللا نغني مع بعضنا

" واحنا في فرحة واحنا في هنا

" عاوزين نعمل حفلة جميلة "

الـكــورس : " ياللا نغني مع بعضنا

" واحنا في فرحة واحنا في هنا

فـــــوريـو : " عاوزين نعمل حفلة جميلة

" لجوليلمو مع جيليولا

الـكــورس : " عاوزين نعمل حفلة جميلة

" لجوليلمو مع جيليولا .

فـــــوريـو : " بسلامتها ماما الغالية

" عملتك إزاي كده حلوة

" وعيونك دول نجمين

" نوروا قلبي من جوه

الـــكـــورس : " ياللا نغنى مع بعضنا
" واحنا فى فرحة واحنا فى هنا
فـــــوريـو : " عاوزين نعمل حفلة جميلة
" لجوليلمو مع جيليولا .
الـــكـــورس : " عاوزين نعمل حفلة جميلة
" لجوليلمو مع جيليولا .
الكورس مع فوريو: " عاوزين نعمل حفلة جميلة
" لجيليولا ويَّا عريسها
" عاوزين نعمل حفلة جميلة
" لجيليولا ويَّا عريسها

[تختفى المجموعة فى ظلام الليل ، فى حين يظهر جوليلمو سبيرانسا ، فى وضح النهار ، فى مقدمة المنصة . بعد برهة ، يتجه مباشرة إلى الجمهور]

جـوليـلمـو : زوجتى حامل . والآن أريد أن أعرف ماذا يهم الناس إذا كانت زوجتى حملت قبل الزواج أو بعده . هناك أمور تحدث رغم إرادتنا . منذ أربعة أشهر والموضوع فى طىٍّ الكتمان ، لأننا لا نثيره حتى مع أقاربنا . وكنت أعلل نفسى بأنه ليس هناك من يهتم بالموضوع والدخول فى تفصيلاته ومحاولة حسابه وتحديده بالشهر واليوم والساعة . كانت حماتى هى التى قالت : " حسنا ، لم تقم القيامة. حينما يولد الطفل أو الطفلة نقول إنه ابن سبعة" غير أن شقيق حماتى، الطبيب لفت أنظارنا إلى أن حكاية

ابن سـبـعـة لا تنفع ، لأن زوجتي كـانت في الرابع عند الزواج ؛ حينئذ أردفت حماتى قائلة : " إذن ، نقول إنه وضع قبل الأوان " ولم تكد تمضى خمسة أيام على وضع جيليولا ، ومع كل الاحتياطات المتخذة ليظـل الموضـوع طى الكتمان حتى مـع الأهـل ، بدأت تصلني خطابات بلا إمضاء مليئة بالإشارات الساخرة والأمانى الطيبة بالحادث السعيد السابق لأوانه - والسابق لأوانه تحتها خط - وعبارات الاستهزاء والشتائم . بل لقد بلغ الأمر بأحدهم أن كتب يقول : " بينما ما نزال نتبادل التهانى بزواجكما الذى تم منذ خمسة شهور، نهنئكم من أعماقنا بمولد ولى العهد الذى سيتم بعد خمسة أيام أو ستة " ويختم رسالته قائلا : "مفيش حد عبيط" . والآن لا أدرى لماذا يخاف الناس من أن يتهموا بالعبط ويتجاهلون حالة بريئة كحالتى ، ويتصورون أنهم ينفون عن أنفسهم صفة العبط بإرسالهم خطابات بلا إمضاء من هذا النوع . الشىء الآخر الذى سيجننى هو أننى لا أستطيع التأكد من الشخص الذى أذاع هذا الموضوع **[يظل مشغول البال لحظة]**. "الشهادة ليست سوى قطعة من الورق"

مسكين والدى ، كم أسدى إلىّ من النصح وكم قال لى من أشياء ! قال لى مرة : " حبيبى جوليلمو ، تذكر أنك فى الحياة ستصادف الزهور والأشواك . ستجد فى

طريقك الزهرة والشوكة (١) " **[يظهر فوريو لاسبينا ؛ جوليلمو يلمحه ويظل لحظة تحت وقع المفاجأة ، ثم يتدارك نفسه فورا ويحيي صديقه " الحميم " بحرارة]** عزيزى فوريو !

فوريو : وأخطأت أيضا هذه المرة : كان يجب أن تدعونى بالشبين الشاهد . لكننى أصفح عنك لأنك لم تدعنى بلقبى " لاسبينا " .

جوليلمو : **[يصمت لحظة ثم يتمتم حائرا]** بهذه السرعة ... **[وأخيرا ، وفى صمت ، ينصرف الصديقان].**

[ما إن يخرج الصديقان ، حتى نسمع ، من الداخل ، صوت المغنية ، التى لا تلبث أن تدخل من أحد الكالوسين وهى تعزف أحد الألحان التى كانت ذائعة الصيت عام ١٩٣٥ ثم تغنيه ، فى هذه الأثناء ، يدخل جوليلمو من الناحية المقابلة ويتقدم إلى صدر المنصة ويتوقف ويمعن النظر فى الجمهور . المغنية تسير خلف جوليلمو ، ثم تبتعد وتخرج من الناحية المقابلة للتى دخلت منها . جوليلمو ينزع اللحية السوداء ويستبدل بها الرمادية ، ثم يعرضها على الجمهور بابتسامة كلها حياء] .

جوليلمو : الزمن يمر ... آخر مرة التقينا فيها كانت قبيل عشر سنوات . كأنها بالأمس . كيف يمكن فى هذه الفترة

(١) إشارة إلى اسم صديقه " سبينا " وهى تعنى بالإيطالية شوكة .

القصيرة من الزمان أن تحدث أشياء كثيرة وتتم تحولات وتغيرات ... إذا حاولت عمل موازنة لما آلت إليه أحوالى خلال تلك الفترة ، لا أقول إن نتيجتها ستكون خسارة ، ولكنها أيضا ليست ربحا . لقد حدثت أمور سارة ، ولكن أيضا أحداث قاسية . طفلان خلال الأعوام الثلاثة الأولى من الزواج ، ذكران ، من شأنهما أن يسعدوا والدهما ، ولكنَّ كلاً منهما ، ولأسباب مختلفة ، كان مصدر شكوك ومضايقات . فى حفل ميلاد الأول مثلا ، أصابنى الضيق لأن جميع المدعوين ، بلا استثناء ، كل بدوره وفى مجموعات من خمسة أو ستة ، أحاطوا بالمولود وراحوا يراقبونه من أم رأسه حتى أخمص قدمه . هذا يلبس نظارته ليرى جيدا ، وذلك ينزع نظارته ويمسحها ثم يلبسها مرة أخرى ... ثم يتبادلون الأحاديث معبرين عن انطباعاتهم قائلين: " سبحان الله ، سبحان الله ، صورة طبق الأصل من أبيه " ثم يشد كل منهم على يدى قائلا : "مبروك ، يا جوليلمو ، نسخة منك" . وإن أنس لا أنسى تلك العجوز التى مازلت أشعر بيدها وهى تصافحنى ، وفى بعض الأحيان أشعر بها فوق ظهرى ، والغريب أننى لم أكن قد رأيتها قبل ذلك ، قالت لى: " هذا الولد صورة منك . شىء عجيب ! " . أما بالنسبة للطفل الثانى فلم يحدث شىء من هذا القبيل ، فلم يشر أحد إلى التشابه بينى وبينه، مجرد مصافحة وتمنيات طيبة . " يا له من

طفل رائع " ، " كأنه قطعة سكر "، "خوخة " ، " لكن ، الحقيقة ، هذه المرة كله أمه ، أما أنت ، فلا شيء منك بالمرة " وإذا كنت في المرة الأولى تساءلت : " لماذا كل هذا التعجب وكل هذه الدهشة لكون الطفل يشبهني ؟ معنى ذلك أنه إذا لم يكن هناك تشابه ، لوضعوا أبوتي موضع الشك والريبة ؟ إذن كل هؤلاء السادة ليسوا مدعوين ، وإنما هم لجنة للمراقبة وتقصي الحقائق ؟ " ، وفي المرة الثانية أصابتني الحيرة والدهشة. فمن قائل : "هذه المرة ، كله أمه" ، ومن معقب " أما أنت ، فلا شيء منك بالمرة " ... وبما أن هناك سابقة ... من حقكم أن تعرفوا كل شي . إليكم الحكاية . جيليولا ، كسائر البنات في سنها ، قبل أن تعرفني ، عاشت قصة حبها الأول . وكان هذا الحب بريئا. وأنتم تعرفون ما يحدث من نار ولهيب في العائلة ، فلم تكن راضية عن هذا الزواج ، فصرف الفتى والفتاة النظر عن الموضوع . كل ذلك اعترفت لي به جيليولا بأمانة . ولكنكم تعرفون ... "هذه المرة ، كله أمه" ، أما أنت ، فلا شيء منك بالمرة " تحول الموضوع بالنسبة لي إلى أزمة . لم أكن أنام الليل . حتى إنني في إحدى الأمسيات ، بينما كانت العائلة كلها في الصالون بسبب حضور بعض الأقارب للزيارة ، دخلت الحجرة التي كان ينام فيها الطفل ، وجردته من ثيابه تماما لأطالع كل دقائقه . وكلما أمعنت فيه النظر ،

كلما بدا أنه لا يشبهني . ثم قلت فى نفسى : " والآن أديره لأطالعه من الناحية الأخرى " . ولكن بينما كنت أحاول القيام بذلك ، شعرت فجأة بنفسى ذليلا مهينا ، حتى لقد فضلت أن تنخسف الأرض بى وبابنى وبالبيت ومن فيه جميعا . فقد جال بخاطرى هذا التفكير : " بأى حق أسمح لنفسى بمراقبة جسم هذا الطفل ، والبحث فى عينيه عن لون عينى ، وتقدير سعة الجبهة ، وتطابق الجمجمة ، واليدين ، والقدمين ؟ هل يعنى ذلك أن الامتحانات قد بدأت بالنسبة لهذا المخلوق الصغير ؟ " وخجلت كأننى لص . فقد تمثلت لى نفسى كأمهر وأدق عضو من أعضاء لجنة تقصى الحقائق والمراقبة . لم يكن ذلك الحادث السلبى الوحيد الذى وقع لى فى العشر سنوات الماضية . فمنذ ثلاث سنوات مضت ، مات حماى وبعد ذلك بشهور قليلة لحق به صهره الطبيب . أما طفلاى، فهما [illegible] أحدهما يسمى فورتوناتو والآخر فيليتشى . ولا داعى الآن لتقديمهما إليكم ، سنثير ذلك فى الوقت المناسب . أما بالنسبة لعملى ، فليس هناك من بأس فأنا أتمتع بنوع من الاحترام والتقدير ، مع أن ذلك يثير حفيظة الطائفة وعلى الرغم منها . فالواقع أن جميع الإصدارات التى تهتم بمجال تخصصى ونشاطى ، حينما تذكر اسمى تفعل ذلك بحذر شديد وبدقة شديدة فى اختيار ألفاظ المديح ، دون أن تذيِّل ذلك بعبارات مثل

" ربما " أو " لكن " أو " سنرى " . هذا كل ما فى الأمر .
[بعد أن جال فى القاعة بنظرته الفاحصة ، وأدرك تشكك الجمهور وريبته] لا لا ؟ ليس هذا كل ما فى الأمر ؟ أنتم على حق **[بابتسامة لطيفة]** ليس هذا كل ما فى الأمر. **[بتكشيرة كأنه طفل ضبط متلبسا بخطأ]** ولكن يخجلنى أن أقول ذلك . ولكننى وعدتكم بألا أخفى عنكم شيئا . ويجب أن أفى بوعدى. لقد وقعت فى غرام فتاة . ولكنـ غرام ملتهب . هى صغيرة جدا . لا أدرى حتى هل هـ جميلة أم لا ، ولكننى أراها ساحرة . أنظر إليها وأنـ مشدوها ، أنظر إليها ... **[وقفة قصيرة]** ولا يوجد هـ غير ذلك . **[بالنظرة الفاحصة السابقة نفسها يمعن فى الجمهور فى القاعة ثم يستسلم مرة أخرى]** بل يوجد ... يوجد غير ذلك. **[يتقلص]** نعم ، الحق معكم ... يوجد غير ذلك. الجانب المؤلم فى كل هذا الموضوع حاولت أن أخفيه عنكم ، ولكن إذا حدث فى يوم من الأيام أننى وجدتنى مضطرا ، فسأحكى لكم كل شىء من البداية للنهاية.]

[الستارة الداخلية تنفرج عن " شارع مقابلات المصادفة " مـن أحـد الجانبين تظهر جيليولا وجواليلمو . جيليولا ، بعد أن ترددت على المحلات ، تبدو محملة بالمشتريات من علب ولفائف . جواليلمو أول من يلحظها] . جيليولا ، أخيرا **[وهو يريها الساعة]** فى انتظارك منذ ثلاثة أرباع الساعة تقريبا .

جـــيـــولا : ومن قال لك " انتظر " ؟

جـوليـيلمـو : قلنا ذلك حينما خرجنا ، أنت تمرين على المحلات ، وأنا على المكاتب والبنوك . بل أنت التي قلت : " لنتقابل هنا "

جــيليـــولا : أحسن ، لأنك بعد أن انتظرت عشر دقائق أو ربع ساعة ، فضلت أن تنتظر أيضا بدلا من الانصراف .

جـوليـيلمـو : تفكير جميل ، ثم تصلين أنت ولا تجدينني . أنت تعرفين جيدا أنني لست بالجلف لدرجة أنني لا أكون في موعد ضربته مع سيدة .

جــيليـــولا : [بحدة] طيب ! المواعيد مع السيدات تحترم ، ولكنني زوجتك .

جـوليـيلمـو : إيه ، الزوجة زوجة .

جــيليـــولا : يا فرحتي ، وصلنا لدرجة أن تقولها في وجهي .

جـوليـيلمـو : ماذا ؟

جــيليـــولا : أنني يجب أن أحمد الله على أنني زوجتك ، وإلا عاملتني كزوج من النعال القديمة .

[يتبع ذلك صمت أليم]

جـوليـيلمـو : **[في انزعاج وقلق ، ينظر جوليلمو لصديقه مستفسرا على أمل أن يجد عنده تعليلا لموقف زوجته العدائي المفاجئ . ولكن فوريو بكل طلاقة يتجنب نظرات جوليلمو الذي يفضل بكل حذر وحيطة أن يغير مجرى الحديث]** أراك عصبية ، لذلك أرى أنه من الأفضل عدم الإلحاح .

جـــيليـــولا : هذا أفضل ، وأحسن لك .

جـوليـيلمـو : إيه ، ترددت على المحلات كما تحبين واشتريت ما كنت تريدين ؟

جـيليـولا : وكيف لا ؟

جـوليـيلمـو : هل اشتريت لى الكولونيا ؟

جـيليـولا : النقود لم تكن كافية .

جـوليـيلمـو : لا يهم ، اشتريها لى غدا .

جـــيليـــولا : وغدا لن أخرج ، يعنى الكولونيا الخاصة بك إما أن تشتريها أنت وإما أن تكلف بشرائها أحداً يفهم فى العطور .

جـوليـيلمـو : جيليولا ، ماذا جرى لك ؟ [**جيليولا لا تجيب**] فوريو ، هل عنك فكرة ؟

فـــــوريو : نعم ، لقد لاحظت نوعا من الاضطراب عليها ، وكذلك لاحظت كيف إنها انقبضت بمجرد أن رأتك . ولكن كما يقال : بين الزوج والزوجة ...

جـــيليـــولا : هل سيستمر هذا التحقيق طويلا ؟

جـوليـيلمـو : ليس هذا تحقيقا . ولكن بما أنك حينما افترقنا عند باب المنزل كنت على ما يرام ، مبتهجة ، ومسرورة ، يجب أن تفهمى على الأقل انشغالى إذ أجدك الآن وقد تغيرت تماما وتحولت من حال إلى حال .

جـــيليـــولا : ماذا تفعل ؟ حتى الجو يتغير من لحظة لأخرى . ونحن أيضا نتأثر مثل الترمومتر .

جـوليـيلمـو : أكيـد ، ولكن الجـو لم يتـغـيـر بتـاتا ، بل ظـل كـمـا كـان حينما افترقنا عند باب المنزل .

جـــيليـــولا : إذا كان الجـو ظل كما كان ، فهناك شيء ما أقوى تأثيرا عليَّ من الجـو قـد انقلب رأسا على عقب [**الفوريو**] عزيزى الشبين الشاهد ، إلى اللقاء .

فـــــــوريـو : مع السلامة يا عزيزتى وإلى اللقاء .

[جـيليـولا تخـرج عـجلة ، حـتى دون أن تلقى نظرة على جوليلمو ، بينما الستارة الداخلية تقفل وراء الرجلين]

جـوليـيلمـو : تصرفات مجانين . هل قابلتها فى الطريق ؟

فـــــــوريـو : نعم .

جـوليـيلمـو : وهل كانت ثائرة أيضا حينما قابلتها ؟

فـــــــوريـو : لم أتنبه لذلك .

جـوليـيلمـو : ألم تحدثك عنى ؟

فـــــــوريـو : نعم ، هكذا ، كالعادة . ولكن هل أنت مشغول البال ؟

جـوليـيلمـو : طبعا . لا أريد لها أن تلاحظ .. نعم ، باختصار ...

فـــــــوريـو : موضوع علاقتك ؟

جـوليـيلمـو : نعم ، الحالة التى أنا فيها ...

فـــــــوريـو : من التشتت ...

جـوليـيلمـو : إن طريقة ردها لا تعجبنى .

فـــــــوريـو : من أية ناحية ؟

جـوليـيلمـو : أنت تعـرف شـيـئـا لا تريد أن تخـبـرنى بـه . نعـم . أنت تعرف أننى أمـر بفترة تشتت . الفتاة التى قابلتها ...

فـــــــوريـو : بوناريا ؟

جـوليـيلمـو : ومن غيرها ؟ أنا أعبدها ، وأنت تعرف ذلك . وإذا لم أكن قـد تركت زوجتي بعد ، إذا لم أكن بعد قد هجرت المنزل وعشت بمفردى فذلك لأن عندى طفلين.

فـــــــوريـو : تماما .

جـوليـيلمـو : **[بلهجة آمرة]** دعنى أتحدث . تصرفت وأتصرف بكل حذر وحـيطة . أرى بوناريا فى القليل النادر . وهذا يعـتـبـر بالنسبة لى تضحية كبرى؛ المحل الذى نتقابل فيه مطعم يتردد عليه الحوذية وسائقو السيارات النقل **[اللوريات]** لأنه يقع على مسافة عشرين كيلومترا على الطريق الزراعى .

فـــــــوريـو : ولكن ماذا تعنى بهذا ؟

جـوليـيلمـو : أنك الوحيد الذى يعرف هذا المكان ، لأننى صحبتك إليه لأعرفك على بوناريا .

فـــــــوريـو : أرجو ألا يخطر ببالك أننى أنا الذى أخبرت جيليولا بموضوع بوناريا هذه.

جـوليـيلمـو : سامحنى ، أرجو أن تسامحنى ، لكن يجب أن أعترف لك أن الشك راودنى.

فـــــــوريـو : يؤسفنى ، يؤسفنى هذا كثيرا .

جـوليـيلمـو : هذا لا يمكن أن يكون صحيحا . كلا ، أنت ، كلا . إذن لقامت القيامة .

فـــــــوريـو : الحمد لله !

جـوليـيلمـو : إذن لا يمكن أن يكون هذا هو سبب تعكر مزاج جيليولا .

فـــــوريو : بل هو ذاك .

جـوليـيلمـو : هو ذاك ؟

فـــــوريو : نعم .

جـوليـيلمـو : وأنت ماذا أدراك ؟

فـــــوريو : جيليولا قالت لى .

جـوليـيلمـو : ومن قال لجيليولا ؟

فـــــوريو : جوليلمو ، أيـن تعيـش أنت ؟ جوليلمو ، المدينة كلها على علـم بعلاقتك هذه . يتحدثون عنها فى كل الأوساط . والذى يتردد الآن شىء واحد : "المسألة مسألة وقت : المهم كيف ستتصرف الزوجة " .

جـوليـيلمـو : يقولون ذلك ؟

فـــــوريو : نعم ، هذا فقط ... ولن أخبرك بعد ذلك بالضيق الذى أصابنى أنا شخصيا .

جـوليـيلمـو : أنت ؟

فـــــوريو : طبعا . فهم يعلمون أننا أصدقاء ، لذلك يريدون أن يعرفوا منى كيف نشأت العلاقة الغرامية ، وأين وكيف عرفت هذه الفتاة ، هل هى جميلة ، قبيحة ، كم عمرها ... ولن أحدثك بعد ذلك عن حرجى وهم يسألوننى عن رأيى فى نزوتك هذه : وهل ستجعل منها زوجتك مأساة ، أم فى نهاية الأمر ستقبل الأمر الواقع وتلزم الصمت . باختصار ، لقد فقدت راحتى وهدوء بالى .

وأنت بماذا تجيب ؟

جوليلمو : ماذا يمكن أن أجيب؟ من ناحية، أنت صديقى وأحبك . ومن ناحية أخرى أرى أن جيليولا لا تستحق ذلك ... أحاول التخلص قائلا : " هنا ، هناك ... تحت ، فوق ... نعم ، حسن ، ولكنكم تعرفون أن ... وتيتيتى تيتيتا ... "

[عبارات فوريو الأخيرة تختفى فى الكالوس بينما يخرج الصديقان . الستارة القطيفة تنفرج عن حجرة الإقامة فى منزل جوليلمو . " أمنيريس " مع صديقتين شابتين من صديقات العائلة : السيدة " كوكوروللو " والسيدة "بيتشوكا " جالستان إلى المائدة . " لاودوميا " ترفع فناجين الشاى، وبعد أن تضعها فوق الصينية، تنصرف خارجة . وما إن تخرج الخادمة ، حتى تستأنف أمنيريس حديثها مع الصديقتين].

أمنيريس : نحن امرأتان وحيدتان . ابنتى شديدة الاعتزاز بنفسها – نسخة من المرحوم والدها – أى ألم تكتمه فى نفسها ، وهو يستغل ذلك ليعمل ما يريحه . الوغد . دنس تماما واجباته زوجًا ووالدًا لطفلين .

جيليولا : **[داخلة]** هاهو ذا **[عارضة لفافة من الورق المزين وقد عقد أعلاها بشريط]** أغلقت عليه هنا ، وإلا تبخر العطر .

بيتشوكا : كما فعلت أنا . أنا عملت له لفافة وحفظته **[تخرج من حقيبتها لفافة وتعرضها]** هاهو ذا .

لاودوميا : **[من الداخل]** ممكن ؟

أمنيـــريس : تعالى .

لاوبومـــيـــا : **[داخلة]** حضر الشبين الشاهد .

أمنيـــريس : أدخليه .

لاوبومـــيـــا : تفضل !

فـــــوريـو : **[داخلا]** شكرا **[لاوبوميـا تخـرج]** سيـدتى أمنيـريس ، خـادمك المطيع **[يلثم يدها]** عـزيزتىَّ الفـاضلتـين ... **[انحناءة بسيطة للسيدتين]**

أمنيـسريس : **[مشيرة إلى فوريو]** لولا هو لظللنا أنا وابنتى على جهل بكل شىء .

فـــــوريـو : حينمـا تبين لى أن الأمـر لم يعد مـجرد نزوة وإنما هو مـوضـوع جـاد ، وجـدت من واجـبى ، وفـى ذلك أيضـا مصلحة جوليلمو ، أن أقول كل شـىء لجيليولا .

بيـتـشـوكـا : طبعا .

جـــيليـولا : والمنديل الذى عـثرت عليه فى جيب بنطلونه موجـود فى هذا المظروف .

فـــــوريـو : ما حكاية هذا المنديل ؟

أمنيـسريس : بفضـل معلوماتـك ، توصـلنا إلـى معرفـة أن عشـيقة صـهرى تسـمى " بوناريا " وأنها تعمل بائعة فى محل للعطور .

بيـتـشـوكـا : وعلى الفـور فكرت فى البـائعـة التى تعـمل فى مـحـل العطور الذى أشترى منه ، لأنها أيضا تسمى " بوناريا " حينئذ وفى الحال ...

كوكورولو : **[مقاطعة صديقتها]** عفوا يا مارجيريتا . إذن العملية تنحصر فى معرفة ما إذا كانت البائعة التى تعمل فى المحل الذى تشترى منه مارجيريتا هى نفسها ...

فوريو : التى تعمل فى المحل الذى يشترى منه جوليلمو .

كوكورولو : طيب ، والآن يا جيليولا عليك أن تخبرينا أولا بموضوع المنديل .

جيليولا : منذ عدة أيام ، وجدت فى أحد جيوب بنطلون جوليلمو منديلا تفوح منه رائحة عطر لم يسبق له استخدامه أبدا .

بيتشوكا : وبمجرد أن أخبرتنى جيليولا بأنها وجدت هذا المنديل ...

أمنيريس : فكرة التقليب فى جيوب زوجك ، فكرتى أنا .

جيليولا : نعم يا ماما . ولا أحد يمكن أن يسلبك هذا الفضل **[السيدة بيتشوكا كانت تتكلم]** . **[مخاطبة بيتشوكا]** وبعد؟

بيتشوكا : حينما أخبرتنى جيليولا بهذا المنديل ، حتى دون أن أسألها رأيها ، بدأت فى صباح اليوم التالى تنفيذ الخطة التى وضعتها . ارتديت ملابسى ، وخرجت من المنزل وذهبت إلى محل العطور . وعلى فكرة ، المنديل الذى شمَّمْتنى رائحته جيليولا ذكرنى كثيرا بالعطر الذى شممته مرارا يفوح من " بوناريا " هذه ، لكننى كنت أريد أن أتأكد أنه هو نفسه. وحينما وصلت إلى مدخل المحل ، تك ، تك ، تك . دخلت . كانت على البنك **[مقلدة صوت بوناريا وحركاتها بطريقة ساخرة]** "صباح الخير يا مدام

بيتشوكا". "صباح الخير يا عزيزتي" . "ماذا تطلبين ؟".
" أريد أن أقدم هدية لصديقة لي ، فاختاري لي عطرا يرفع رأسي أمامها " . " عندنا هذا العطر ، نوع جديد." هذا نعم ، وهذا لا ... وأخيرا تظاهرت بأنني لاحظت في تلك اللحظة فقط ، العطر الذي كانت تتعطر به ، فقلت : "النوع الذي تتعطرين به أنت يعجبني ، شمّميني إياه ... نعم ، أظن أن هذا معقول جدا لأن هذه الصديقة رشيقة مثلك وتكاد تشبهك أيضا . اسمعي ، ضعي لي نقطة في هذا المنديل ، وسأشمّمه لها فإذا أعجبها ، اشتريته وأنا مطمئنة " . وقبل أن أختم كلامي ، وبكل لطف ، والحق يقال، تناولت في الحال قنينة العطر من الواجهة الزجاجية وفتحتها خصيصا من أجلي . فسألتها قائلة " وإذا لم يعجبها" فقالت " آخذه أنا ، فهو على العموم النوع الذي أستعمله " **[تخرج من الحقيبة اللفافة وتعرضها]** هنا يوجد المنديل **[تأخذ في فتح اللفافة]**

جيليولا : لا، انتظري . لأنه إذا كان هناك اختلاف بين النوعين يختلط هذا بذلك ولا ينفع الاختبار . ابتعدي قليلا . أنت هناك وأنا هنا **[تشير إلى طرفي الحجرة]** الشبين الشاهد يقوم أولا بشم منديلي، ثم يشم منديلك بعد ذلك .
[تتخذ كل منهما المكان الذي حددته جيليولا]

فوريو : **[وقد بدا عليه الانشغال بسبب المهمة المكلف بها]**
لا أحب أن أتحمل مسئولية من هذا النوع .

جـــيليـــولا : لا تبالغ فى تضخيم الموضوع ، أيها الصديق .

فـــــــوريو : حاش لله . ولكنـك تعرفـين كل شــىء . الموضـوع أننى منذ عـام أصـبت بمرض شـديد فى أنفى . وقـد شـفـيت الآن ، ولكن حاسـة الشم عندى أصبـحت ضـعيـفة . هذه المهمة ، ألا تستطيع أن تقوم بها السيدة أمنيريس ؟

أمنيـــريس : أرجوك . لقد أفقت من النوم حالاً ، وقد أصبت فى الليل بلفحة برد شديدة . أنفى مسدود بطريقة يعلمها الله .

فــــــوريو : إذن نعمل الآتى : مدام بيتشوكا ، أنا آخذ مكانك وأمسك المنديل . وتقـومـين أنت بشـم المنديل الذى مـعى أولا ، ثم منديل جيليولا .

بيـتـشـوكـا : لكن العطر أنا أعرفه ، فلن أستطيع التمييز وسأخطئ .

فــــــوريو : سـأجـرب أولا . يجب أن أسلِّك أنفى جـيـدا . ثم نبـدأ الامتحان. [**يسلك أنفه عدة مرات**] لقد فعلت . مستعدات؟

بيـتـشـوكـا : نعم ، نعم .

فــــــوريو : [**يشم منديلا، ثم يشم الآخر، يتوقف فى منتصف الطريق بين المرآتين وينشق بأنفه مرارا؛ يتكرر ذلك مرة أخرى ، وأخيرا يعلن الفتوى التى يتلهف الجميع لسماعها**] ليس هناك من شك . العطر واحد .

بيـتـشـوكـا : إذن "بوناريا" عشيقة زوجك هى نفسها التى أعرفها أنا .

أمنيـــريس : اطلبى القبض عليهما الاثنين ، ولا تأخذك بهما رحمة .

جـــيليـــولا : اسكتى . يا ماما .

كـوكـوروللو : الاتهام بالفاحشة لابد له من أدلة .

أمنيـــريس : قلت لى إن العطر نفسه يفوح أيضا من فانلات زوجك ومن قمصانه .

جـــيليـــولا : وماذا فى ذلك ؟

أمنيـــريس : الفانلات والقمصان والمناديل تقدم إلى المحكمة .

فـــــوريـو : سيداتي المحترمات ، المحكمة ليست مغسلة الملابس القذرة . والملابس القذرة -- والظرف مناسب لأقول ذلك - لا يجب غسلها خارج الأسرة .

جـــيليـــولا : سألقى بنفسي من النافذة ، وأريحهم مني ، فأنا لم أعد أحتمل أكثر من ذلك . أوه ! **[تنفجر فى البكاء بقدر]**

كـوكـوروللو : **[كممثلة رديئة، تحفظ مع ذلك دورها عن ظهر قلب، تسرع إلى جيليولا لتأخذ بيدها]** جيليولا ، ما هذا ، تشجعي ..

بيـتـشـوكـا : كل شيء سيعالج بحكمة ...

كـــوكـــوروللو وبيتشوكا : **[فى نفس واحد مثل الجوقة]** أنت لا تزالين الزوجة .

كـوكـوروللو : أوه ، كفاية .

بيـتـشـوكـا : دعك من هذا ، تكلمي ، تكلمي !

كـوكـوروللو : لا ، **لا** ، تكلمي أنت .

بيـتـشـوكـا : بماذا كنا نقول ؟

كـــــوروللو : كنا نقول : أنت لا تزالين الزوجة .

جـــيليـــولا : وما معنى هذا؟ **[وهى ما تزال تنشج]** يعاملني كالخادمة .

أمنيـــريس : لابد من حل . إننا جميعا نفقد صحتنا يوما بعد يوم ، خصوصا ابنتي التي أصبحت لحما على عظم .

كوكورولو : سينتهي كل شيء ، سينتهي كل شيء .

فوريو : هوني عليك . يا صديقتي ، هوني عليك . ولنحاول أن نفكر في هدوء ، لأنني أعتقد أننا نقترب من المرحلة الفاصلة من هذه الورطة الملعونة التي تردّى فيها صديقي العزيز .

أمنيريس : آه ، يا إلهي !

جيليولا : ماذا يمكن أن يحدث بعد ذلك ؟

كوكورولو : إذا أردتم البقاء وحدكم ، ننصرف نحن .

أمنيريس : كلا ، أنتما على علم بكل شيء : ابقيا ابقيا .

كوكورولو : إذن يا سيد فوريو أكمل حديثك .

فوريو : أنا لم يكن من المفروض أن أحضر إلى هنا اليوم . حينما خرجت من المنزل ، كنت أريد السفر إلى روما ، لأذهب إلى الوزارة لأسجل أحد اختراعاتي : الزجاجة ذات الغطاءين

كوكورولو : لماذا ، غطاء واحد لا يكفي ؟

فوريو : ليس لأنه لا يكفي . أنتم تمزحون . إن هذه الزجاجة ذات الغطاءين التي اخترعتها ستحدث ثورة في عالم تعبئة الزجاجات. كيف؟ الغطاء الأول في مكانه المعروف ، أما الثاني فإنني أجعله أسفل عنق الزجاجة على بعد خمسة سنتيمترات من الأول .

كوكورولو : وما الهدف من ذلك ؟

بيتشوكا : صحيح ، لماذا ، لماذا !

فـــــوريـو : حتى إذا كنتم فى مخيم رياضى ، أو فى سباق خيل ، أو فى مركب فى عرض البحر .. باختصار ، فى مكان لا تجدون فيه فى متناول أيديكم كوبا ، فإنكم تستطيعون بعملية واحدة نزع الغطاءين ، فيدخل الهواء فى الزجاجة وبذلك تشربون كما تريدون دون التعرض لخطر جذب الشفتين داخل الزجاجة .

كـوكـوروللو : يا حلاوة ...

بيـتـشـوكـا : وأين تباع هذه الزجاجة ؟

فـــــوريـو : لا تباع فى أى مكان ، يجب أولا تسجيل الاختراع .

جـــيليـــولا : يا صديقى ، ولكننا كنا نتحدث عن زوجى .

فـــــوريـو : وفى أثناء حديثنا عنه ، خرجت الزجاجة .

أمنيـــريس : أنا شخصيا إذا لم تعطونى كوبا من الكرستال النظيف الشفاف ، لا أشرب ولو قتلتمونى .

جـــيليـــولا : **[وقد نفد صبرها]** وبعد ؟

فـــــوريـو : كنت أقول : بينما كنت فى طريقى إلى المحطة . قابلت جولييلمو . كان ذاهلا ، شاردا . فحزنت لمشهده . الفتاة ستسافر . سترحل وتتركه !

أمنيـــريس : آه ، الحمد لله !

فـــــوريـو : مهلا ، مهلا يا مدام أمنيريس . فلا أعتقد أن هذا الموضوع سينتهى بسهولة .

كـوكـوروللو : فى رأيى الحكاية انتهت بالفعل. البنت كانت ذكية. استغلت الموقف لأقصى درجة . جعلته يشترى لها الملابس ،

والمجوهرات، على الأقل هذا ما يقال، ومن يدرى لعلها أيضا
تمكنت من تسجيل بعض الأملاك باسمها... لا أذكر ممن
سمعت هذا... وفعلت وحصلت على كل ما تريد، باختصار،
والآن: تقول له مع السلامة ، وتذهب لحال سبيلها .

فـــــوريو : وإذا كانت بوناريا هذه أكثر مكرا مما نظن ولعبت بورقة
السفر معتقدة أن جوليلمو في غمرة اضطرابه ، يمكن
أن يترك بيته وزوجته وأولاده ، ويسافر معها .

جـيليـولا : ألقى بنفسى من النافذة ، ألقى بنفسى من النافذة .

كـوكـوروللو : لكن انظروا ماذا يحدث ، لكن انظروا ماذا يحدث !

بيـتـشـوكـا : أنا لا أعتقد أنه ستكون لديه الشجاعة لترك العائلة .

أمنيـريس : كان دائما متعلقا بالأولاد .

جـيليـولا : يعملها ، يعملها ... أنا متأكدة .

فـــــوريو : صديقتى العزيزة ، اللحظة التى يمر بها جوليلمو حرجة
جدا. حينما قابلته صباح اليوم قلت له ذلك. ففاجأنى بأن
قال لى: "هذه الفتاة لا يمكن أن أضحى بها. أضحى
بحياتى ولا أضحى بها". ولما قلت له: "اسمع ، حذار، هذا
الذى تقوم به سيدمرك ... فى هذا العصر الذى نعيش
فيه، الحياة الخاصة لرجل مرموق مثلك تؤثر على عمله
وشهرته" وهذه هى الحقيقة . الجميع يفتحون أعينهم
وآذانهم. وأى زميل يستطيع أن يضرك لن يتردد :
باختصار ، حذرته كثيرا . ولكننى متأكد من أنه لم يحاول
حتى أن يفكر فيما قلته له . وفى النهاية ثار فى وجهى

وقال: "دعنى أذهب؛ فأنا على موعد مع بوناريا" ، وحيَّانى على عجل وهو غاضب. ثم ذهب لحال سبيله. يا للخسارة! رجل فى مثل مركزه ومكانته يضيع هكذا بكل بساطة .

أمنيـــريس : رمَّة لا تستحق حتى أن تلبَّس الحذاء لابنتى .

جـــيليـــولا : **[وهى تنادى بلهجة حازمة وقاطعة]** لاودوميا !

كـوكـوروللو : ماذا حدث ؟

أمنيـــريس : ماذا تريدين أن تفعلى ؟

لاودومـــيــا : **[داخلة بسرعة]** - أمرك يا سيدتى !

جـــيليـــولا : احضرى القبعة والحقيبة والمظلة. مظلة المرحوم أبى، أو مظلة المرحوم عمى . المهم ، أريد أقوى مظلة عندنا فى البيت .

[لاودوميا تخرج]

أمنيـــريس : أين تريدين أن تذهبى ؟ ردِّى على ماما ...

كـوكـوروللو : جيليولا ، فكرى جيدا فيما تقدمين عليه .

جـــيليـــولا : ليس هناك دقيقة واحدة لتضيعها **[مخاطبة فوريو]** أين سيلتقيان ؟

فـــــوريو : فى مطعم ، مطعم حقير يرتاده الحمالون والحوذيون . ليس المكان المناسب لمثلك .

جـــيليـــولا : سأذهب حتى إلى الجحيم ، لأنكِّد عليهما حياتهما .

[لاودوميا تعود حاملة ما طُلب منها . وبسرعة تضع جيليولا القبعة على رأسها وترتدى القفاز وتحمل الحقيبة والمظلة، وتسرع فى اتجاه باب الخروج. الآخرون يحاولون تهدئتها بعبارات مناسبة]

الفصل الثانى

[مطعم فى ضواحى المدينة . جيليولا وبوناريا جالستان إلى إحدى الموائد ، متواجهتين. سبق ذلك مقابلة بينهما، والآن كل منهما ترمق الأخرى بعينيها ، متحصنتين بالصمت ، كل منهما تنتظر من الأخرى أن تقطع الصمت وتقدم حلا للمشكلة . ومع ذلك ، فإن جيليولا يبدو عليها القلق والتوتر . أما بوناريا فتشعر بالقوة والهدوء للقرار الذى سبق أن اتخذته بعد طول التفكير . وبعد طول الانتظار ، جيليولا هى التى تبدأ بلهجة جافة واندفاع]

جيليولا : إذن ؟

بوناريا : **[ببرود]** عفوا يا سيدتى ، " إذن ؟ " هذه ، مع العديد من علامات الاستفهام ، يجب أن أقولها أنا ، وليس للسبب نفسه الذى جعلك تقولينها وإذا أردت أن أقولها ، فإننى سأقولها مع البقية .

جيليولا : فلنسمع هذه الـ " إذن " مع البقية .

بوناريا : سأقول لك البقية كلها ، وبذلك تنصرفين وتتركيننى فى حالى. غريب أنك لم تفهمى ما قلته لك قبل قليل. ما معنى ذلك ؟ معناه إما أنك لا تريدين أن تفهمى أو أنك غبية .

جيليولا : أحفظى لسانك !

بوناريا : إذا كنت لا تريدين أن تفهمى ، فإننى أقول لك مرة أخرى ، أما إذا كنت غبية ، فلا تضيعى وقتى .

جيليولا : قلت لك ، احفظى لسانك .

بوناريا : قلت لك وأكرر مرة أخرى . لم يعد هناك شىء بالمرة بينى وبين زوجك . انتهى كل شىء . ولكن ليس لأننا مللنا من علاقتنا ، ليس لأن كلا منا سئم الآخر : لقد شعرنا بالخوف من الزوجة ، من الأبناء ، شعرنا بالخوف من الناس . الناس مخيفون . لقد وضعونا تحت المراقبة ، أنا وهو ، جوليلمو المسكين ." شاهدونا هنا ، وشاهدونا هناك " ، " مساء أمس ، كنتما فى السينما " ، " ذهبتما إلى الحديقة بالسيارة " ، " شاهدناكما تدخلان من باب العمارة رقم كذا بشارع كذا "وهكذا دائما وأبداً. بل لقد شاهدونا حيث لم نذهب لا إلى الحديقة ولا إلى السينما ولا ونحن ندخل العمارة رقم كذا بشارع كذا. المحل الذى أعمل به لم يقبل عليه الناس فى الماضى كما يقبلون عليه منذ بدأ العهد الجديد الذى يسمونه عهد " بوناريا – جوليلمو سبيرانا " ذهاب وإياب مستمر، رجال ونساء . وبخاصة الرجال ، شىء مقزِّز !أنا التى قلت كفى ، كفى !

جيليولا : كفى ماذا ؟

بوناريا : سأسافر ، سأرحل . طلبت نقلى إلى فرع المحل فى ميلانو .

جــيليــولا : وبذلك تزداد حــرارة الحب فى قلب زوجى ، ويصــبح من السهل أن يكتب لك شقة صغيرة : ثلاث غرف ، ومطبخ وحمام ، بالأثاث .

بــونــاريــا : أنت لم تفهمى شيئا .

جــيليــولا : **[بإصرار متأكدة بكذب بوناريا]** وهكذا تقل الزيارات السرية للغبى الذى يدفع، وتزداد زيارات الزبائن الخصوصيين.

بــونــاريــا : هذا وهم تتصوره دائما الزوجات حينما يفقدن أزواجهن، صــحيح أنــا لا أنتظر منك أن تقـولى لى : " أنا فـقـدت زوجى لأنه عثـر معك على الجنة ، ومعى أنا كان يجـد الجحيم " .. ولذلك ، فأنا سـأرحل ، لأن القليل من الجنة التى عثر عليها معى وعثرت عليها معه سيتسمم بالجحيم المفتوح الذى يجده فى بيته وخارج بيتـه ، ومن الأفضل أن يبقى فى جحيم بيته ، وأنا فى جحيم فرع ميلانو .

جــيليــولا : مـاذا تقصـدين ؟ وضـحى كلامك . تريدين أن تقولى لى باختصار إنك فقدت عقلك من أجل زوجى إلى درجة أنك تفضلين الذهاب حتى لا ترينه يتعذب ؟

بــونــاريــا : لا ، وإنما لكى أوفر له الهدوء ، لأننى إذا بقيت هنا ، إذا لم نقطع نهائيا ، علاقة ، ماذا أقول لك ...

جــيليــولا : علاقة الفاحشة .

بــونــاريــا : لا ، يا سـيدتى العزيزة .إذا كـان هذا هـو تفكيـرك ، إذن ينبـغى أن أقـول لك مــا لم أشـأ أن أقـوله لك تأدباً منى ورحمة بك . لأن ما بيننا هو الحب فقط .

[هنا فقط تتبدد البرودة الظاهرية فى بريق الدموع فى عينى الفتاة التى تسيطر على نفسها وتواصل] أريد أن أبتعد لكي أعطى لجولييلمو الفرصة لكى ينظم حياته سواء في البيت أم فى خارج البيت . لقد حقق جولييلمو الكثير من النجاح فى مهنته، وسيحقق المزيد من النجاح. وأنت بوصفك زوجة يمكن أن تكونى عونًا كبيرًا له ، أما أنا فباعتبارى عاشقة ، سأكون السبب فى دماره.

جـيليـولا : **[ساخرة]** – هكـذا .. هكـذا إذن ، تريدين أن تكوني غادة الكاميليا ؟ الفريد وفيوليتا ؟

بـونـاريـا : لا ، أنت خاطئة .

جسيليـولا : روميو وجولييت إذن ؟

بـونـاريـا : سيدتي ، أنت مثقفة . أما أنا ، فلا . أنا ابنة بوابة . لم أعرف أبى ولم أره فى حياتى . كل هذه الأسماء التى تذكرينها : " الفريد " و " فيوليتا " و " روميو وجولييت " لا تعنى شيئا بالنسبة لي . أنا كنت أعمل فى تهذيب الأظافر . وهكذا عرفت جولييلمو . إذا كنت لا تصدقين أن جولييلمو سيكون بالنسبة لي الرجل الوحيد فى حياتي، فهذه أمور تخصك . أما ما يخصُّني ، فهو أن الدليل الوحيد على الحب الذى بيني وبين جولييلمو هو أن نفترق نهائيا . وهذا ما سنفعله **[منادية]** مدام تيريزا !

تيـريـزا : **[هى صاحبة المطعم ، تأتى على عجل]** – نعم !

بـونـاريـا : السيدة هي أخت جوليليمو سبيرانا . وهي تعـرف كل شيء . وتريد أن تطلع على المراسلات التي تبادلتها مع جوليليمو . هـل يمكن أن تحضُريها ، إذا سمحت ؟

تيـــريزا مفهوم ، أمرك يا سيدتي **[تخرج]**

جـيليـولا : ماذا تريدين مـن وراء ذلك ؟ هـل تمزحين ؟ فيم تهمني المراسلات التي بينكما ؟ أنا ليس عندي وقت لأضيعهُ .

بـونـاريـا : لا تخافي . ليس هناك رسائل .

تيـــريزا : **[تعود حاملة حزمتين ضخمتين من البطاقات تقدمها لبوناريا]** هاهي ذي . **[تلتفت نحو جيليولا]** سيدتي ، أنت أخت الأستاذ جوليليمو ؟ ألم تشاهديهما وهما معا ؟

جـيليـولا : **[مغيظة ومن بين أسنانها]** لا .

تيـــريزا : ألا فاعلمي أنه مشهد رائع أن تريهما وهما معا. يأتيان هنا عندي منذ بداية تعارفهما . هو متزوج ... أخبرني بذلك ... فكيف يفعل ؟ .. حينما يستطيع الهرب ، يهرب . وأنا أجهز لهما الغداء الظريف ... أليس كذلك، يا آنسة بوناريا ؟ **[عينا بوناريا تلمعان من جديد]** وهما يجلسان هنا، على هذه الطاولة نفسها ، ودو ... دو ... دو والعين في العين، يا ربي! وحينما لا يتقابلان ... ثلاثة أيام أو خمسة أو عشرة ، يتراسلان على عنواني هـذا ... يرسلان البطاقات وأنا أحتفظ بها . بعد إذنكما ؟ **[تخرج]**

بـونـاريـا : أنا لا أجيد الكتابة ، لذلك لم أكن أسمح لنفسي أن أكتب له رسالة كلها أخطاء . كنت أكتفي بالبطاقة ،

أكتب عليها كلمة واحدة : " حبيبى " ، بكل مشاعرى .
وهو ، لكى لا يحرجنى يرد بالكلمة نفسها .

جسيليــولا : ولذلك تريدين أن تسافرى ؟

بــونــاريــا : لذلك أريد أن أسافر .

جسيليــولا : وأنا ؟

بـونــاريــا : أنت ... ماذا ؟

جــيليــولا : ومن يتحمل فى بيته رجلا يشعر بالمرارة وخيبة الأمل .
كل علاقته الزوجية تنحصر فى مجرد بعض الواجبات :
"هذا المبلغ لمصاريف البيت" "وهذا للخياطة" ... " كيف
حال الأولاد ؟ " " أين تريدين أن تصحبيهم للتصييف هذا
العام ؟ "

بــونــاريــا : مع شىء من الصبر ، ومع مرور الزمن ...

جــيليــولا : يمكن تدبير الحياة المشتركة بصورة أفضل !

بــونــاريــا : يعنى ...

جــيليــولا : **[بشىء مــن الخـبث يبــدو فى عـينيـهـا حيث تظهـر
إحداهما أقل انغلاقا من الأخرى]** – وأنت تتكلمين ، كنت
أنظر إليك وأفكر وأقول فى نفسى ، هذه الفتاة تعجبنى ،
أنا أحسدها ... ليس لأنها سعيدة مع جوليليمو ، كلا :
لأنها تملك ما ينقصنى أنا . أنت تتمتعين بإرادة قوية ،
تعرفين ماذا تريدين وأين تستطيعين الوصول .

بــونــاريــا : وبعد ؟

جــيليــولا : ألا تستطيعين ، مثلا ، أن تغيرى من خطتك ؟

بـونـاريـا : كيف ؟
جـيليـولا : أنا أغلق عينًا.. وأنت تؤجلين سفرك حتى يمكن، مع مرور الزمن، أن تستقر الحياة المشتركة بيني وبين زوجي .
بـونـاريـا : **[دون أن تتأثر على الإطلاق بالاقتراح ، تجيب باللهجة المحايدة نفسها التي استعملتها مع بوناريا حتى الآن]** سيدتي . أنا فتاة نشأت في بيئة فقيرة. كانت أمي بوابة. كانت مهمتنا أن نلبي رغبات السكان ، نفعل ما يريدون. وهذا هو الفارق بيني وبينك . وهكذا أنت التي تعرفين دائما ماذا تريدين ، بينما أنا أعرف فقط ما لا أريد . الحياة المشتركة بينك وبين زوجك ، افهمي هذا جيدا ، لن تستقيم أبدا .
جـيليـولا : أنت حطمت حياتي وبيتي .
بـونـاريـا : سيدتي ، بيتك كان محطما قبل أن يعرفني جوليلمو ، وإلا لما بحث عني .
جـيليـولا : **[في قمة الإثارة تصفع بوناريا]** قذرة !
بـونـاريـا : **[كأنها لم تشعر، تطالع البطاقات واحدة واحدة]** حبيبي ...
جـيليـولا : أفعى ! **[تصفعها مرة ثانية]**
بـونـاريـا : [الأداء نفسه] حبيبي ...
[يدخل جوليلمو ويقف على حدة ويشاهد]
جـيليـولا : ملعونة ! **[صفعة ثالثة]**
بـونـاريـا : **[وهي ما تزال تقرأ]** حبيبي ...
جـيليـولا : ساقطة **[صفعة رابعة]**

بـونـاريـا : **[وهى تقرأ ، لكنها الآن تكتم انفجاراً بالبكاء]** حبيبى !

جـيليـولا : **[يتدخل ، وبهدوء يتصدى لذراعى جيليولا بحيث يمنعهما من الإفلات ، ثم يرمقها بنظرة تحذير ، ثم وبغضب مكتوم]** لن أسمح لك بلمس بوناريا مرة أخرى . **[يضطر زوجته لصفع نفسها أولا باليد اليمنى ، قائلا]** هل ... **[ثم باليد اليسرى]** ! فهمت ؟ **[تظل جيليولا متحجرة ، وعيناها جاحظتان ؛ جوليلمو يواصل]** إياك أن تهينى هذه الفتاة . هل .. **[صفعة باليد اليمنى]** ! فهمت ؟ **[صفعة باليسرى ، ثم يخفف الضغط ويجبر الزوجة على عقد ذراعيها كالتلميذة ويشير إليها بالصمت واضعا إصبعه على أنفه]** سـ سـ ست ! هل فهمت ؟ **[تظل جيليولا جامدة بلا حراك فى الوضع الذى فرضه عليها الزوج ، الذى يتوجه إلى بوناريا بكل رقة]** السيارة فيها حقائبك فى الخارج . إذا أردت ، يمكنك أن تسافرى .

بـونـاريـا : **[وهى تجمع البطاقات من فوق الطاولة]** وهذه ؟

جـوليـلمـو : خذيها معك . وحينما تتوافر لديك القوة ، مزقيها . **[بوناريا تأخذ البطاقات ، وبعد أن تنظر مليا فى عينى جوليلمو نظرة حزينة ، وبدون أن تلتفت إلى جيليولا ، تتوجه ناحية الباب وتنصرف . جوليلمو يجلس بهدوء فى مكان بوناريا . وبعد وقفة طويلة ، يسمع فى الخارج محرك سيارة تنطلق ، عندما تبتعد الضوضاء وتختفى ، يسأل]** تريدين تناول الغداء هنا أو تشربين شيئا فقط ؟

هذا المطعم يقدم طعاما جيدا ومشروبات تفيد فى الحالة التى نحن فيها .

[جيليولا تنهض وهى تشعر بالإهانة ، وتنصرف دون أن تنطق بكلمة واحدة . جوليلمو ، وقد شعر أنه تخلص من حالة الضيق ، يأخذ راحته ويضع مرفقيه فوق الطاولة وجبهته فوق قبضتيه مجتمعتين. بعد قليل ، يصل فوريو . يتقدم خطوات قليلة ، وحينما يلمح جوليلمو جالسا على هذه الطاولة وقد ظهر عليه الهم ، يتوقف ، رامقا لحظة صديقه بنظرة شفقة لا تدع شكا فى شعور الرضا الذى يحس به فى هذه اللحظة . وفى لمح البصر ، يتحول تعبير الوجه إلى قلق شديد يناسب مقام التأثر الأخوى الذى يكتسبه ، ليس فقط بنبرة حزن فى الأزمة التى عصفت بالسلام العائلى للزوجين ، وإنما يجعله على أهبة الاستعداد لمدّ يد العون لصديق الدراسة الذى لا ينسى]

فوريو : جوليلمو حبيبى ! ماذا حدث ؟ هل فعلا تريد أن تصل بالأمور إلى أقصى حد ممكن ؟ هيا ، أنت رجل ، وعليك مسئوليات. جيليولا كانت محطمة بالمعنى الحرفى للكلمة . وحماتك ، دعنا من الحديث عنها . أنا ذهبت إلى بيتك فى زيارة قصيرة . فقالت لى أن أسرع إلى هنا لأرى ماذا يجرى ؛ لأن المرأة المسكينة لم تستطع أن تمنع جيليولا من المجىء إلى هنا لتفاجئك بصحبة بوناريا تلك .

جـوليـيلمـو : دعك من التـهريج وكف عن الهـراء، لأنك أنت الذى جئت بجيليولا إلى هنا.

فــــــوريـو : [منافقا] أنا ؟

جـوليـيلمـو : لا تنكر ، فهذا أسوأ . لقد شـاهدتك حين وصـولى إلى هنا ؛ كنت أغلق باب السيارة ، وكنت أنت واقـفا أمـام المبنى المجاور المكتوب عليه " بيض طازج " وكنت تشرب بيضة .

فــــــوريـو : يخلق من الشبه أربعين يا جولييلمو .

جـوليـيلمـو : ومن الذى أعطى جيليولا عنوان هذا المطعم ؟

فــــــوريـو : معروف للجميع أنك تتقابل هنا مع بوناريا .

جـوليـيلمـو : أصبح معروفا للجميع حينما عرفته أنت .

فــــــوريـو : أنا أعذرك ، لأنك الآن لا تملك السيطرة على نفسك .

جـوليـيلمـو : لحسن الحظ! لأن هذه هى السعادة الوحيدة التى تعزينى لأنه لكونى لا أسيطر على " نفسى هذه " التى أنفر منها، أستطيع أن أقول لك بكل صراحة ووضـوح ، إننى لا أريد أن أرى لك وجـوداً فـى حـيـاتى ، وأننى لم أعـد أحـتـمل نفاقك وأكاذيبك .

فــــــوريـو : هذا الكلام موجه لى ؟

جـوليـيلمـو : لك بالـذات ! أنت طبعا فوجئـت لأن الكلام عـلى غـير ما تهوى .

فــــــوريـو : ولكن ما مناسبة هـذا الكـلام وعـن أى نفـاق تتحـدث؟ هل أنا الذى أحضرت جيليولا إلى هنا ؟

جـوليـيلمــو : نعم . وأنا متـأكـد من ذلك . يجب أن تخـرج من حياتي . اغرب عـن وجهي . عـاش الأعراب الذين يبنون الجدران العالية لتحيط ببيوتهم ، وبارك الله في النوافذ التي عليـها الستائر . كل شيء بالداخل في الحفظ والصون . الأفراح والأتراح والانتصارات والهزائم ، كل شيء مستور ! كل شيء بعيد عن أعين الغرباء ، الأيام المريرة ، واللذيذة ، السعيدة والأليمة في حياتنا تصبح في أيدي أمثالك مواد استهلاكية وسلع تجارية تباع بالمتر وبالكيلو في البيوت وفي الشوارع والميادين . أريد أن أخلع ثوب البلهاء الذين أجبروني على ارتدائه، وبعد أن ارتديته قالوا إنه يليق بي!

تيـــــريزا : **[تتقدم نحو فوريو وبيدها ورقة حساب واجب الدفع]** هذا هو حساب المشروبات التي شربتها مع أخت السيد جوليلمو. إذا كنت لا تريد أن تدفع الآن ، أضيفها على الحساب .

فـــــوريو : **[مضطربا ، يرفع رأسه ليثبت نظـره على جوليـيلمـو ، ولكن حينمـا يقابل بنظرة الاتهام من الصديق ، يصرف نظرته ويحطها على المسكينة تيريزا وهو يتميـز غيظا]** أدفع الآن . خذي **[يعطيها بعض النقود]** الباقي لك .

تيـــــريزا : شكرا **[تضع النقود في جيبها وتنصرف]**

[فوريو ، مع أنه يبدو تحت وطأة هزيمة أخلاقية مفاجئة ، فإنه في الحقيقة سعيد لأنه استطاع أن يقول لهذا "النذل" الماثل أمامه كل ما كان يعتقده فيه دائما ، وقبل أن ينصرف يوجه نظرة طويلة مسمومة إلى جوليلمو]

جـوليـيلمـو : هيا ، اغرب عن وجهى .

فـــــوريـو : **[بعد تأمل قصير]** لكنك فاسد ، نتن من داخلك .

جـوليـيلمـو : جوليلمو : وبعد ؟

فـــــوريـو : إذا أنت خلعت ثوب الأبله ، فستبقى فى قميص وفانلة الأبله أيضا، وتحتهما السروال. وهو سروال الأبله أيضا . وكذلك الجوارب . وإذا نزعت البشرة، وهى بشرة الأبله كذلك ، فسيبقى الهيكل العظمى وهو أكثر بلاهة من البشرة ومن الثوب . وإذا أنت فتحت الجمجمة فستجد مخ الأبله بداخلها . هل فهمت؟

جـوليـيلمـو : وبعد ؟

فـــــوريـو : وهل تعلم لماذا شهادتك الجامعية لم تظل مجرد " قطعة ورق" وطارت إلى أعلى مع الشهادات التى لها قوة وتأثير المفاتيح التى يسمونها فى الفنادق "المفاتيح العمومية " ، ويسمونها فى المجتمع " الفساد " و " الوصولية " و"المحسوبية " ، هل تعلم لماذا ؟

جـوليـيلمـو : بسبب " فساد " و " وصولية " و " محسوبية " حماى .

فـــــوريـو : لأنك وصولى ، عرفت كيف تنظر إلى بعيد ، ووضعت عينيك على جيليولا . ثم كافأتها ، كما أخبرتنى قبل قليل وهى تبكى ، صفعتها أمام عشيقتك .

جـوليـيلمـو : جيليولا ، أنا صفعتها بيديها هى حتى لا ألمسها : أما أنت فإنى أصفعك بيدى .

فـــــوريـو : مسكين يا جوليلمو !

جـوليـيلمـو : لا أريد أن أراك فى طريقى أبدا .

فـــــوريو : أنا تحت أمرك يا صديقى العزيز . **[ينهض ويتوجه ناحية الباب]** ولكن تذكر يا سيد جولييلمو سبيرانا ، جميع الأبواب التى - بفضل حماك المحترم - كنت تجدها مفتوحة على مصراعيها أمامك ، ستجدها بعد ذلك مغلقة بإحكام . سوف يحكم المجتمع على سلوكك الفاضح .

[يظل لحظة فى انتظار أى رد فعل من جانب جولييلمو ، لكن جولييلمو لا يرد ، وهكذا ينصرف فوريو]

جـوليـيلمـو : ينهض مرة واحدة ، ويتوجه ناحية الباب ، وينظر إلى الخارج ليتأكد من ذهاب فوريو . حينما يتأكد من ذلك يسرع إلى مقدمة المنصة ويخاطب الجمهور ، بينما تقفل الستارة المخملية السوداء خلفه] رمّة عفنة . نمام قذر . ما دخل حماى فى نجاحى فى عملى ؟ إن صفع زوجتى أمام بوناريا شىء يخصنى أنا وزوجتى وحدنا ، كيف يسمح المجتمع لنفسه بأن يحكم على أفعال تحدث فى إطار خصوصيات أسرة ؟ إذا كان لابد من إرسال هذا الغسيل القذر إلى الحمام العمومى فلنرسها ، ثم لا يتحدث عنها أحد بعد ذلك . حضراتكم كنتم موجودين حينما قلت " إذا اضطرونى ، فسأقص عليكم كل شىء بالتفصيل " ... وهاهم يضطروننى ، يجبروننى . إذن من حقى ، بل من واجبى أن أشرح لكم . شرحًا وتوضيحًا . وفى الختام ، أناشدكم الرحمة . على الأقل

الرحمة من جانبكم **[الستارة المخملية تفتح كاشفة عن داخل منزل جوليليمو . جيليولا جالسة على الأريكة كاشفة البال ، لكنها يقظة ومتنبهة]** . هذه جيليولا وهذا ما حدث منذ ست سنوات . **[بعد صمت قصير ، وهو يمرر يده فوق جبينه كأنما ليتذكر الحوار الذى دار بينه وبين جيليولا ؛ يقرِّب كرسيا من الطاولة ويجلس أمام زوجته]** إذن ؟

جـيليـولا : كما تريد يا جوليليمو ، أنا متعبة ، مرهقة . منذ ستة أشهر ، ودون رحمة لحالتى الجسدية ، ولكبريائى ، وكرامتى ، لقد وضعتنى تحت نار سلسلة من الأسئلة ، ويجب أن تعترف أنها ليست أسئلة سهلة ، وإنما أسئلة ثقيلة . كما تريد أنت .. لكننا يجب أن نصل إلى طريق ، أيا كان هذا الطريق .

جـوليـيلمـو : الحقيقة أننا نضل فى متاهات ، ولا نملك الشجاعة لكى نتصارح بالحقيقة ، وجها لوجه .

جـيليـولا : الحقيقة ، أنت تضطرنى لقولها ، حينما تجعلنى أتفجَّر بالأكاذيب التى أقولها لك حتى لا نصل إلى نتيجة قاسية يمكن أن تحطم بيتنا .

جـوليـيلمـو : ألا تعلمين أننى فى الماضى ، وخوفا من حقيقة يمكن أن تدمرنى كفرد ، لكى لا أقول كرجل ، كنت أتشبث بأكاذيبك معتبرا إياها حقائق مقدسة ؟

جـيليـولا : أرجوك ! هل تعـرف ما الحقيقة المقدسة ؟ إذا كانت الأكاذيب التي كنت أقولها لك ، اعتبرتها أنت حقائق ، فإن ذلك لم يجعلني أحبك وأعجب بك وحسب .

جـوليـيلمـو : آه ، الصديقات العزيزات ...

جـيليـولا : الشماعة المعتادة ، "الصديقات" . صديقاتي لا دخل لهن بالمرة ، وبخاصة تلك التي توجه إليها الاتهامات دائما .

جـوليـيلمـو : [بنظرة ذات مغزى] الكونتيسة ماريا ديللي جراتسيا فيليبيتي أولتيرا ...

جـيليـولا : أنت ظالم . هذه السيدة الفاضلة تذكرك دائما بالخير .

جـوليـيلمـو : أكيد !... ليس هناك طريقة أجدى من ذلك لتصديق أقوالها المسمومة التي تبثها .

جـيليـولا : ليست بحاجة مطلقا إلى بث سموم . كانت دائما تقول لي : " حذار . فكري في زوجك . يجب أن تحبيه ، على الخير والشر " .

جـوليـيلمـو : على الخير والشر ؟

جـيليـولا : طبعا . ودائما تذكرني بأن عندي ولدين ، وأن أي خطوة خاطئة يمكن أن تؤدي إلى دماري. وإذا كان ينبغي أن أتحمل وأصبر، فعليَّ أن أتحمل آلام المسيح وأصبر على الجحيم.

جـوليـيلمـو : أي آلام مسيح ، وأي جحيم تتحملين ؟ وما العيوب التي تشير عليك بتحملها والصبر عليها ؟

جـيليـولا : جولييلمو ، لقد تركتني وحدي شهوراً كاملة ، بيتا كاملا فوق ظهري ومسئولية طفلين ناشئين .

جـوليـيلمـو : دائما لأسباب تتعلق بالعمل .هل كان سـهلا عليَّ أن أكون بعيدا عنك وعن الأولاد ؟كنت أترك البيت يسيـر على نهج معين ومحدد ، وحينما أعود أجد شيئا جديدا ينغص عليً حياتي. ألم أعد مرة من السفر لأجد فورتوناتو وفيليتشى معمدًين ومثبتين

جـسيليسولا : في رأيك هل أترك هـذين الطفلين يترعرعان كالحيوانات دون تعميد ؟

جـوليـيلمـو : آه ، كـده ؟ ألم نتـفق على ذلك منذ كنا خطيبين ؟ ألم أشـرح لك مـرارا أسلوب التـربيـة التي كنت أرجـوها لأولادى ؟ ألم أقل لك إننى أقـتل نفسي ولا أفـرض على أولادى شيئا مما فرضه على أهلى دون موافقتى ؟

جـــيليـــولا : في أثناء الخطبة تقال أشياء تبدو سهلة التنفيذ، ولكن بعد ذلك، الزواج يواجهك بحقائق على أرض الواقع، ومنطق عملى يوضح لك الأمور. أليس من الممكن أن تتعارض الأفكار ؟ آراء كثيرة تـأتيك من هنا ومن هناك ، الأهل والأصدقـاء والمعارف. الجميع وفي صوت واحد يقولون لى: ألم تعمًدى الأولاد بعد؟ تلك السيدة الفاضلة ، الكونتيسة ماريا ديللى جراتسيا فيليبيتي أولتيرا ، حينما علمت بأن " فورتوناتو وفيليتشى " لم يُعمًدا ، صُعقت ، وصاحت بى المسكينة تقول: "هل تعلمين أن هذين الطفلين إذا ماتا دون تعميد لا يحق لهما الحساب يوم القيامة ، ويظلان إلى الأبد فى الأعراف ؟ " كانت المسكينة تبكى وهى تقول لى ذلك .

جـوليـيلمـو : ولكن ما دخل ماريا ديللى جراتسيا فى مصير أبنائى بعد الموت ؟ وإذا كان فورتوناتو وفيليتشى يفضّلان حينما يكبران أن يبقيا فى الأعراف ؟ كيف تسمح ماريا ديللى جراتسيا بأن تضع حدا لروح المغامرة عند الإنسان ؟ هل اتفقنا على ذلك ونحن خطيبان ؟ ثم إن أى تغيير كان ينبغى أن نناقشه معا . افترضى أن فورتوناتو وفيليتشى حينما يكبران يقولان لى : " بابا ، لماذا عمّدتنا ؟ نحن لا نريد ذلك " . فماذا أفعل إذن ؟ هل ألغى تعميدهما؟ كنت أريد أن يقررا أمورهما وحدهما حينما يكبران السيد المسيح تعمد وهو فى الثلاثين من عمره . لم الاستعجال بالنسبة لأولادنا؟ ولماذا هذه الـ "ماريا" تسمح لنفسها بتقرير شئون ومستقبل أولادى ؟

جـيليـولا : هذا هو عيبك . شرس وصلب الرأى تظل تدق على المسمار نفسها حتى نصل إلى النقطة الميتة . ليس فقط بخصوص التعميد أو الختان ، ولكن بخصوص أمور أخرى كثيرة لابد أن تسير كما تريد أنت وحدك . وتنسى أننى موجودة أنا أيضا فى حياتك ، ولى عقل فى رأسى ، وأفكار مختلفة عن أفكارك ، ومن حقى أن أتكلم وأناقش وأعارض . لكن ، لا ، أى شىء يجب أن يبدأ وينتهى كما تريد أنت وحدك .

جـوليـيلمـو : بل كل شىء يجب أن يبدأ وينتهى كما يريد الآخرون ، بما فى ذلك الموضوع الذى أبعدك عنى للأبد .

جـيليـولا : الإنسان يمكن أن يصاب بالجنون وهو يتحدث وحده .

جـوليـيلمـو : ولكنه يعـود إلى عـقله إذا شـارك فى حـوار جـديد مع الحبيب البائس القديم من باب الرحمة والشفقة والحنين "للسيمفونية التى لم تنته" ، لما كان ينبغى أن يكون ، ولكنه لم يكن .

جـيليـولا : [**باندفاعة غضب**] الإنسان يلجأ إلى أى شخص وإلى كل شىء لكى يخرج من نُقرة .

جـوليـيلمـو : يخرج من نقرة ليقع في حفرة .

جـيليـولا : مرة واحدة وقعت في حفرة .

جـوليـيلمـو : [**بمرارة**] مرة واحدة ؟...

جـيليـولا : [**متحدية**] مرة واحدة فقط ... أكررها لك .

جـوليـيلمـو : [**بالأداء نفسه**] أيضا ...

جـيليـولا : [**شرسة**] نعم ، نعم . حينما يتعلق الأمر بالمرة الحسنة ، " المرة الوحيدة " يكفى للأبد .

جـوليـيلمـو : ولماذا لم تستمرى ... ؟

جـيليـولا : أنا عندى ابنان ، وهو ثلاثة .

جـوليـيلمـو : [**مصدوما ، بعد وقفة طويلة**] كيف ... كيف استطعنا أن ننجب ولدين ...

جـيليـولا : [**ماكرة**] حينما لا يكون هناك ما يقال فى الفراش ، نعمل أولاداً .

أمنيـريس : [**داخلة**] الأكل جاهز . الطباخة عملت مكرونة فى الفرن على الطريقة الصقلية ، وعليها الباذنجان [**المسقعة**] .

أنا أيضا سآكل منها ، تبا للرجيم وللعلاج . سواء طبقته أو لم أطبقه ، فلم يبق من عمرى إلا القليل .

جـيليـولا : [**لجواليلمو**] . أنا ذاهبة لآكل ، هل ستأتى أنت ؟

جـواليـيلمـو : أنا سآكل فى الخارج .

جـيليـولا : وفى المساء ؟

جـواليـيلمـو : سأعود متأخرًا . حضرى لى شيئا من الطعام البارد .

جـيليـولا : [**بلا اكتراث**] حاضر .

أمنيـريس : [**بكل رقة مسبلة عينيها كتمثال صينى**] ستخرج ؟

جـواليـيلمـو : سأخرج .

أمنيـريس : [**لابنتها**] سيخرج ؟

جـيليـولا : سيخرج [**وتنصرف**] .

أمنيـريس : [**الأداء نفسه**] بعد إذنك [**وتنصرف هى أيضا**] .

جـواليـيلمـو : [**بعد صمت طويل ينهض ويتقدم نحو مقدمة المنصة ، بعد إلقاء نظرة بانورامية على القاعة ، يتوجه بالخطاب إلى الجمهور بصوت متعب**] على أية حال ، مضت السنون [**بعد وقفة قصيرة، يظل فى أثنائها جامدا ونظره مثبت على الجمهور، صوته أصبحت تشوبه نبرة التوسل**] الرحمة ! الرحمة ! الرحمة ! [**وهو خارج من أحد الكالوسين لا يزال يكرر**] الرحمة ! الرحمة ! الرحمة !

[**تقفل الستارة الحمراء . مضت عشرون سنة . المغنية بالجيتار تجتاز المنصة وهى تترنم بأغنية من الأغانى المشهورة عام ١٩٥٧ تخرج المغنية . تظهر حجرة طعام**

تتوسطها الطاولة وستة كراسيٌ ، وقد جلس في مكان جوايلمو المعتاد ، فورتوناتو ، الابن البكر لجوايلمو وجيليولا . الابن منهمك في قراءة الصفحة الثالثة من صحيفة يمسكها بين يديه مفتوحة . بعد وقفة قصيرة ، تظهر من أحد الكالوسين فيتورينا زوجته ؛ يسمع رنين جرس الباب] .

فيتورينا : هاهم قد وصلوا . **[بسرعة]** قم يا فورتوناتو، لا يجب أن يروك جالساً إلى الطاولة .

فورتوناتو : يعني تريدين أن أكون متكالفا مع أخي وزوجته ؟

[ومع ذلك ، ينهض ويبتعد عن الطاولة]

فيليتشي : **[من الداخل تتقدمه فيتورينا وتتبعه زوجته روزا]** سامحونا يا جماعة . تأخرنا قليلا بسبب تيتيللو . صباح الخير .

فورتوناتو : أهلا وسهلا .

[زوجتا الأخوين تتعانقان وتتبادلان القبلات]

روزا : بدأ يفهم . حينما يراني أضع القبعة على رأسي ، يعرف أنني خارجة ويهيِّج البيت .

فيتورينا : قلت لي إن الطفلة التي وجدتها ، كارولينا ، أصبحت متعلقة بتيتيللو وهو أصبح متعلقًا بها .

فيليتشي : بالنسبة للعب والخروج للفسحة والذهاب إلى المدرسة . لكن حينما يأوى إلى الفراش يريد "ماما" بجوار سريره .

روزا : وكـاروليـنا تمـد "بوزهـا" من الـغـيـرة . **[إلى فـيـتـوريا]** أحضرت لك وردتين .

فـيـتـورينا : يا حبيبتي ...

فـورتوناتو : هل نجلس إلى المائدة ؟

فـيليـتـشي : هل تريدين أن تأكلي الآن ؟ أنا أريد .

فـيـتـورينا : لقـد أعـددت لكم كـبـاب حلة بالموتسـاريللا والبـسلة ... الطباخة بتعمله حلو قوى .

فـورتوناتو : إذن ، هيا إلى المائدة .

الجـمـيع : إلى المائدة .

فـيـتـورينا : اذهب إلى المطبخ لحظة واحدة .

فـيليـتـشي : آخر لمسة يجب أن تعطيها سيدة البيت .

فـيـتـورينا : **[هازلة]** اللمسة السحرية . دقيقة . اجلسوا أنتم **[تخرج]**

فـورتوناتو : زوجـة أخي بجـوارى **[بمجـرد أن يجلس الثـلاثة ، يرن جرس الباب طويلا]** تصـوروا لو يجلس معنا على المائدة جرس الباب أيضا .

فـيليـتـشي : جرسان هما اللذان يجلسان إلى المائدة معنا دون دعوة : جرس الباب وجرس الهاتف .

فـيـتـورينا : **[من الداخل]** تفضلي يا ماما !

فـيليـتـشي : **[مندهشا من الزيارة المفاجئة]** ماما ؟

روزا : هل تنتظرونها .

فـورتوناتو : لا .

جـــيليـــولا : [تدخل تتبعها فيتورين] صباح الخير . أنتم على المائدة .
أنا آسفة . لكن الموضوع مهم جدا وعاجل وإلا لما سمحت لنفسى بالمجىء وإزعاجكم فى وقت الغداء . أين أذهب ، ومع من أتكلم ؟ تعرفون ليس لى أحد غيركم . الموضوع يتعلق بوالدكم . اسمعوا ما الذى ينوى عمله ... منذ ثلاثة أشـهر وهو يحكى لى موضـوعـات غـامـضـة ، أعـمـال واستثمارات ومشاريع ... المهم فى النهاية قال لى إنه آن الأوان لعمل شىء من أجل تحسين الحالة المالية للأسرة... لكن ، لأنى أعرفه جيدا ، وأعرف أنه حينما يبدأ فى الكلام لا ينتهى أبدا ، قلت له : "طيب ، طيب ، ماشى" وأنا لا أعرف عما يتحدث ، بل أفكر فى موضوع آخر ، وحينما انتهى من الكلام، لم أعرف عن أى شىء بالضبط كان يتحدث وماذا قال . لكن هذه المرة ، الوضع يختلف ، لا بد أن هناك شيئا ما وراء الكلام ، لأنه مع مرور الوقت لم يكف عن الحديث عن تحسين الحالة المالية وتطوير الوضع الاقتصادى . الإلحاح من جانبه جعلنى أشك فى الموضوع ، وجعلنى أنتبه لما يقول، وفى النهاية فهمت كل شىء . فهمت ماذا يريد بالضبط . إنسان مجنون ، فقد عقله تماما : يريد أن يستثمر مبالغ ضخمة فى مشروع فى رأيه سيجلب عليه الملايين فى ظرف سنوات قليلة جدا . ومن أجل ذلك ، يريد أن يبيع الأرض .

فيتورينا وروزا: [معا] يريد أن يبيع ؟

فيتورينا : أى أرض ؟

جيليولا : لم أفهم ولم أحاول أن أفهم . المهم أنه يجب ألا يمس شبرا واحدا مما سيؤول إلى أبنائي بعد موته **[جرس الباب]** هذا هو ! فتاة مسكينة تتزوج لكى تتحرر من عائلتها ، فإذا بها تجد حولها عائلة أخرى أدهى وأمرّ من الأولى . يا ربى ، هل من المعقول أن الواحدة فى هذه الحياة تخرج من جحيم لتدخل فى جحيم آخر .

[جرس الباب يرن مرة أخرى]

فيتورينا : أنا ذاهبة لأفتح **[تخرج]** .

روزا : إذا كان هذا بابا ، فالأولاد أيضا موجودون ويمكن الوصول إلى حل .

فيتورينا : **[من الداخل]** تفضل يا بابا !

جوليلمو : **[داخلا]** – جئت وقت الغداء ، أنا آسف .

فيتورينا : **[داخلة]** – دعونا روزا على الغداء ، ثم جاءت ماما .

جوليلمو : أفسدنا عليكم يومكم ، لكننى مضطر لإنهاء الحديث الذى بدأته مع جيليولا .

جيليولا : ننهيه مرة أخرى ، لأن الأولاد من المفروض أن يتناولوا الغداء . إلى اللقاء وبالهناء والشفاء .

فيتورينا : انتظرى يا ماما . إذا كان الموضوع مهما ، أليس من الأفضل الوصول إلى حل فورا ؟

فورتوريناتو : إذا أحببتما ، تركناكما وحدكما .

جـوليـيلمـو : ولماذا ؟ الموضوع يخصكم أنتم بالذات ، ومـن الأفضل أن تبقـوا وتقـولوا رأيكم ، وبذلك نصل إلى نقطة التقاء .

فـــورتوناتو : إذا كان الأمر كذلك ...

جـوليـيلمـو : والدتكم لمّحت لكم بشيء ...

فـــورتوناتو : كلا ، أبدا . أنا شعرت أنها تريد أن تتكلم ، لكنك وصلت بعد ذلك .

جـوليـيلمـو : جيليولا ، أريد أن أعرف لماذا غضبت وخرجت بمجـرد أن أشرت إلى الموضوع الذى نتناقش فيه منذ ثلاثة أشهر .

جـــيليـــولا : الذى تناقشه أنت ، لا أنا . تركتك تتكلم كما تريد ، لأننى كنت معتقدة أنك مع مرور الوقت ستتفتح عيناك . ولكنك كعادتك دائما تشد الحبل ، تشد ، تشد ، حتى ينقطع . ولكننى هذه المرة أردت أن أقطعه أنا بنفسى. إذا كنت قد صممت على تدمير العائلة ، فلن أسمح لك بذلك . عندى المحامون الذين سيوقفونك عند حدك . واعلم أن القانون فى صفى. إن زوجة - بل جدة، لأننا عندنا الآن أحفاد - إن زوجة صالحة، تعرف واجباتها، تدرك أن من واجباتها أيضا أن تحافظ على مصالح الأبناء والأحفاد .

جـوليـيلمـو : ألم أظل أعمل طول حياتي من أجل بيتنا؟ كل ما كسبته ، ألم أكسبه مـن أجل العائلة ؟

جـــيليـــولا : إذن، الأموال، والبيت ، والأثاث والمجوهرات ، لا تستطيع أن تفعل فيـها مـا تريد لأنـها لم تصبح لك، إنها ملك للعائلة .

جـوليـيلمـو : **[إلى الأبناء، الذين أرادوا أن ينأوا بأنفسهم عن الخلاف. لقد ظلوا صامتين منذ البداية متخذين موقفا سلبيا ، أحيانا ينظرون إلى السقف وأحيانا ينظرون إلى الأرض . ومرة يسوون رابطة العنق ، دون أن يغلبوا طرفا على الآخر]** إن أمكما لا تريد أن تفهم **[فورتوناتو ينظر إلى السقف ، وفيليتشي ينظر إلى الأرض]** ترفض أن تفهم ما أشرحه لها منذ أكثر من ثلاثة أشهر .

جـيليـولا : أنت لم تقل لي الحقيقة . هناك شيء تخفيه عني . جوليلمو ، ما دمت على قيد الحياة ، لن تبيع طوبة من البيت ، بيتنا ، لن تمس شبرا واحد من الأرض .

جـوليـيلمـو : كل هذا ملكي ، وإذا أردت أن أبيعه بعته فورا .

جـيليـولا : أنا أعترض. المحامي شرح لي كل شيء . أنا أمنعك ، وسيوقع على ذلك أبناؤك أنفسهم. وإذا لم يوقعوا، فزوجاتهم فيتورينا وروزا سيتولون إقناعهم . مع السلامة **[تخرج]** .

جـوليـيلمـو : وهل تقبلان أنتما أن توقعا على إقرار مهين يضر بمصلحة أبيكما ؟

فـورتوناتو : هذا هو الموضوع . أنت وماما تعملان من الحبة قبة ، موضوع بسيط تحولانه إلى مأساة . لا أحد هنا ينوى أن يلحق بك أى ضرر أدبى . الموضوع يمكن أن يناقش . توضع النقاط على الحروف وتصلان إلى اتفاق .

فـيليـتشي : بالنسبة لي ، أقول الحقيقة ، أنا عمرى ما رأيت ماما هائجة بهذه الطريقة .

جـوليـيلمـو : لأنهـا نشـأت وترعرعت في أسـرتهـا تحت صـوبـة تتنفس فقط هواء نقيا، تعيش آمنة مطمئنة، دون أن تدرك أسباب ذلك . فـمن الطبـيـعي الآن أن ترفض أن تفـهم . هذا هو الموضـوع. فماذا ترون؟ **[ينتظر إجابة لكنه لا يتلقاها لا من الأبناء ولا من زوجاتهم]** حـاولت أن أقنعـهـا بكل الطرق، بالصـبـر والرقـة والهـدوء، ولكن لا فـائده لم أتمكن من إقناعـهـا بالاسـتـمـاع لما أقـول . هل مـوقف أمكمـا هذا صحيح ؟ وليس الموضوع موضـوع يوم أو يومين، بل منذ شـهـور وسنوات وأنـا مع أمكمـا أدق رأسي في الحـائط.

[حتى هذه المرة . لا يتحـرك للأبناء ولا لزوجاتهم جفن]

يا أولاد، أنا لا أستطيع أن أظل أتكلم وحدي كالمجنون . يجب أن تبدوا رأيكم بالإيجاب أو بالنفي .

فـورتوناتو : بابا ، أي رأي يمكن أن نقـوله إذا كنا لا نعلم شيئـا عن الموضوع ؟

جـوليـيلمـو : ألم تسـمعوا أن أمكم تريد أن تجمع توقيعاتكم وتضيفها إلى توقـيـعـهـا لـتـحـجـر عليَّ وتمنعني من التـصـرف في أملاكي ؟

فـيليـتـشي : هذا فـهـمنـاه . والآن نريد أن نفـهـم مـا المـوضـوع الذي ترفض ماما أن تفهمه.

فـيـتـورينا : عفوا يا فيليتشي ، لا فـائـدة مـن التحدث كما نلعب بالكرة ، أنا ألقيها إليك وأنت تلقيها إليَّ . مـامـا تكلمت قبل قليل بكل وضـوح : القـرار الذي اتخـذته مـامـا كـان

نتيجة لحاجة بابا إلى أموال كثيرة لتنفيذ مشروعه ، ومن أجل ذلك قرر أن يبيع الأرض .

جـوليـيلمـو : من الطبيعى أنكم عقدتم اجتماعًا للعائلة .

روزا : كلا . لأننا بينما كنا نتحدث ، وصلت أنت .

فـيـتـورينا : الباقى عرفناه كله . لأن الأخبار وصلتنا من طرق أخرى . لم يكن من الضرورى عقد اجتماع للعائلة ، لأن جميع الأصدقاء كانوا يتكلمون فى الموضوع : " الحقوا ، امنعوه ، هذه خطوة خاطئة " . " هذا الموضوع قد يجركم إلى الدمار ... " . هذا كلام الأصدقاء . أما الكونتيسة الفاضلة ماريا ديللى جراتسيا ...

جـوليـيلمـو : فيليبيتى أولتيرا ...

فـيـتـورينا : نعم. هى بالضبط، نحن نعتبرها فعلا الملاك الحارس لبيتنا.

جـوليـيلمـو : يا إلهى ، ولكن كيف يمكن أن نحمى أنفسنا من هذه الملائكة الحارسة التى تخرج من الآذان ، ومن الأنف ، ومن العيون ، والعصا بأيديهم لا يواجهونك بها صراحة ، وإنما يضعونها لك فى العجلة دائما ليجعلوك تتعثر فى طريقك **[بعد تأمل قصير]** وإذا نفَّذت البيع ؟

فـورتوناتو : هذا قرار يخصك أنت .

جـوليـيلمـو : ربما أقرر .

فـورتوناتو : " ربما " لا تعنى " قد "

جـوليـيلمـو : **[باندفاعة]** إذن ، قد ! قد ! إنها أموالى ، وكل شىء ملكى . لقد قررت ، وسأبيع **[يتوجه ليخرج]** .

فـيليـتـشي : فكر فى ذلك جيدا .

جـوليـيلمـو : [**عائدا على عقبيه**] وقعوا ! وقعوا على وثيقة الانحراف هذه . وقعـوا . اقطعوا لسانى ، اقطعوا يدى ، وساقىَّ ... افعلوا ذلك ! سأدافع عن نفسى وسنرى لمن الغلبة .

فـيـتـورينا : [**متدخلة بدورها**] فورتوناتو ، تكلم . أخبره وجها لوجه أن والدتك على حق ألف مرة إذ تتصرف على هذا النحو ، وأننا مثلها لدينا شك حول الأسباب التى جعلته يقرر تنفيذ هذا البيع المفاجئ .

جـوليـيلمـو : شك ؟

فـيـتـورينا : نعم ، يا بابا .

جـوليـيلمـو : أىُّ بابا ! سمنى السيد فلان ، كرسيا ، كنبة ، شمعدان . أى شىء ما عـدا بابا .

فـورتوناتو : بالعكس نحن نريد أن ندعـوك بابا بكل شـعـور الحب والتقدير .

فـيليـتـشي : نعم ، يا بابا، لأنك الآن تمر بمرحلة، ماذا أقول، مرحلة ...

روزا : ضياع .

جـوليـيلمـو : أنا ؟

فـورتوناتو : نعم . مرحلة تذكِّر من قريب بالمرحلة التى تعكرت فيها المياه بينك وبين ماما بسبب بائعة العطور .

جـوليـيلمـو : [**مذهولا**] بائعة العطور ؟

فـيـتـورينا : بوناريا .

جـوليـيلمـو : **[التلفظ بهذا الاسم وهو فى مثل هذه الحالة من المرارة ، بدلا من أن يزيـد حنقه على هؤلاء الأشخاص ، يهدئ من ثورته . مجرد اسم بوناريا يسرى فى شرايينه مثل زيت الزيتون حينما يوضع على الجرح الذى ما يزال داميا ؛ وجه جوليـيلمو ينبسط ، ويصبح منيرا ، وعيناه تلمعان فخرا واعتزازا ، وترقّـان ؛ بعد وقفة طويلة]** شكرا ! هذه أول مرة أسمع منك يا فيتورينا ، اسمك فيتورينا ، أليس كذلك ؟ هذه أول مرة أسمع منك فيها كلمة رقيقة أجد فيـهـا السكينة والراحـة بالنسـبـة لى . بو – نا – ريا **[مخاطبا فورتوناتو]** أنت أخطأت حينما قلت إننى أمر بمرحلة تذكر من قريب بمرحلة بائعة العطور.. ليس لأنك أهنت بوناريا بوصفها "بائعة عطور "، وإنما لأنك سمحت لنفسك ، بسبب عدم معرفتك بها ، بأن تخلط بين الفترة التى أمر بها الآن والفترة التى عشتها مع بوناريا . **[من الآن فصاعدا ينطق اسم بوناريا مقطعا مقطعا]** ممكن نجلس ؟ **[يجلس هو فى صـدر الطاولة فى مـواجـهـة الجمهور وحوله الابنان وزوجتاهما]** شكرا يا بو – نا – ريا ، يا بنت البوابة " يا بائعة العطور " مازلت أنت التى تأتين لإنقاذى **[الأربعة ، مذهولين ، يرمقون جوليـيلمو ويرصدون كل حركة له]** هل ترون أننى غريب الأطوار ، غير عادى ، مشرف على الجنون ؟ أعيش فى الأحلام؟

ربما ، صحيح ، لكننا جميعا نعيش في الأحلام . كنت يوما من الأيام مدعوا على الغداء عند أحد الوجهاء ، كنا حوالي مائة رجل في العقد الخامس من العمر . وبعد أن فرغنا من الطعام والشراب اقترح أحدهم أن نلعب لعبة بريئة مسلية : أن يعترف كل منا بأنه كتب في مطلع شبابه قصيدة حب ويلقيها على الحاضرين . كان الجميع قد كتبوا قصائد حب في شبابهم ، قصائد جميلة ، وألقى كل منهم أجزاء من قصائدهم ، أو كلها . أنا أيضا ألقيت قصيدتي ... سأعفيكم من سماعها لأنها لا تعجبني **[صمت طويل]** . لا تعقدوا مجلس الأسرة لاتخاذ القرار في مصيرى . فقد غيرت رأيي . وأقلعت عن فكرة إعطاء دفعة لوضعنا ... أوه ، أسف، لوضعكم المالي . حينما أموت ، سأترك الميراث الذى سيتقاسمه أبنائي ، أبناء الكلمات المتقاطعة . وإرضاءً لى ، لا أقول إرضاءً لكم ، وإرضاء لي ، سأحاول بكل سرعة أن أنتقل إلى العالم الآخر ... لا أقصد أننى أنوى الانتحار ، لا تنزعجوا : لا أحب أن أترك هذه الفضيحة في الأسرة . فالإنسان ، يعرف أنه لا محالة ميت ، ولا مفر من ذلك . وهو يعرف أيضا أنه لا يستطيع أن يؤخر الموت ، هذا صحيح ، لكنه متأكد من أنه حينما يبدأ يعيش كالشجرة ، حينما يمضى الأيام مزروعًا فى الكرسي يقرأ الكتب والجرائد ، فإن

نهايته تكون قريبة . من الممكن أن يموت الإنسان من الكتب ومن الجرائد . لن أمنعكم من الصلاة عليَّ والدعاء لي ، لكنني أرجوكم ألا تمنعوني من الدعاء لكم . **[ينهض ويشرع في الدعاء بكل إخلاص]**

" إلهانا الذي في السماوات

" يا فاطر السماوات والأرض

" مليك كل شيء

" أسألك أن تغفر لهؤلاء القوم

" وأن تتجاوز عن سيئاتهم

" وأن تقبلهم عندك

" مع النبيين والصديقين والشهداء

" آمين ، آمين ، آمين "

[يتقدم نحو منتصف مقدمة المسرح ، يتوقف ، ويسلط على الجمهور نظرة ملحة ، أليمة ، الآخرون يخرجون من الكالوسين . من الداخل تصل بواكير أنغام الجيتار وصوت العازفة التي تشرع في الترنم باللحن الذي لقي أكبر نجاح عام ١٩٧٢ . هنا ، على المخرج أن يختار ما يراه أنسب : جوليلمو ينزع اللحية الرمادية ويضع اللحية البيضاء . في تلك الأثناء يتحول تعبير وجهه الأليم إلى تكشيرة غامضة . في حين يجمد في مكانه أكثر من أي وقت مضى ، ونظرته موجهة إلى الجمهور . عمال

الديكور يرفعون طاولة الغداء أمام المشاهدين ، ويهبط عمق المسرح من المخمل الأسود . وأمامه كرسى فوتى فوقه كتاب . وضع الفوتى يحدده المخرج . المغنية تجتاز المنصة وهى تغنى، وحينما تصبح قريبة من الكالوس ، يصل جوليلمو إلى الفوتى ويأخذ الكتاب ، ويجلس ، ويشرع فى تصفحه ، بينما تخرج المغنية من المنصة]

[الستارة تهبط ببطء شديد ، معلنة نهاية الفصل الثانى]

* * *

الفصل الثالث

[طريق مقابلات المصادفة]

[من أحد الكالوسين تظهر جيليولا . يبدو عليها آثار آلام جسدية طال تحملها ، وآثار أحداث عصبية مختلفة وقعت لها . تسرع نحو منتصف مقدمة المنصة وتتوجه إلى الجمهور كأن لديها رسالة عاجلة تريد أن تبلغها له]

جيليولا : سيداتى وسادتى ، اعذرونى . أنا آسفة للهيئة التى أتقدم بها إليكم . يبدو علىَّ كأننى خادمة . لكن الحقيقة أن الوقت لم يسعفنى لكى أمشط شعرى وأرتدى ثوبا مناسبا . ومن ناحية أخرى ، لم تكن لدى القوة ولا الشجاعة لعمل ذلك . **[عاليا]** جوليلمو ! **[تنفجر باكية بكاء صادقا يعبر عن لحظات الألم التى يمر بها الإنسان منذ ملايين السنين]** جوليلمو ، مريض، مريض من فترة طويلة؛ والآن حالته ازدادت سوءاً . أعرف أنه كان دائما يعترف لكم ويصارحكم بأحواله، لذلك فكرت أنا أيضا أن ألجأ إليكم لأخبركم بالتطورات

التي حـدثت منذ اليوم الذى أصيب فيـه بالمرض وحتى الآن **[بطريقة مأساوية مفاجئة]** جوليلمو ، جوليلمو ، حـبـيـبى . لا يمكن أن تتـركني . لا يمكن أن تتـخلى عن امرأة وحيدة ومسكينة لا عائل لها ولا مـعين . جوليلمو ، حـبـيـبى . لا تتـركنى! لا أريد أن أطيل عليكم في وصف الأيام السوداء التى أعيشـها الآن ، والأيام الأسـود التى أنا مقبلة عليها. يجب أن أتكلم عنه ، نعم يجب أن أكلمكم عنه . وأريد أن أفعل ذلك بسرعة ، لأنني ، صدقوني ، في هذه الأيام حينمـا اضطر إلى الخروج وتركه وحـده لعمل مـشـوار بسـيط أو لشـراء بعض الحـاجـات الضـرورية ، وطوال الوقت الذى أكون فيـه في الخـارج ، تستـولي عليّ فكرة واحـدة : "الآن ، أعود إلى البيت فأجد جوليلمو قد ترك البـيت وترك البـاب مـفـتـوحـاً " بل أحيـانا أقـول لكى أتخلص من هـذا الكابوس ... **[تضـرب جبـهـتـهـا بقـبـضـة يدهـا]** آه ، لا أريد أن تفـهـمـونى خطأ ، أريد أن ترثوا لحالى **[باسطة ذراعيها اليمنى نحو الجمهور]** هل صحيح أنكم لا تفـهـمونني خطأ ؟ هل ترثون لحـالى ؟ عـادت المياه إلى مـجاريـها بينى وبين جـوليـيلمو . وأصبـحنا نتكلم . يكلم كل منا الآخـر ويسـتـمع كل منا للآخـر ، وهو يتكلم بصـورة طبيعيـة بقـدر مـا يسـتطيـع . جوليـيلمو يتكلم بما تبقى لديه من أنفاس . ولكننا نفـهم بعضنا. لماذا يفهم الناس بعضـهم على هذا النحـو فـقط عند الموت ؟ خـلال

الخمس عشرة سنة التى لم أظهر لكم فيها ، لم تقع أحداث خطيرة . بعد أن تراجع عن تنفيذ المشروع المالي... تذكرون الخلاف الذى دبَّ بيننا بخصوص ذلك ؟ ربما كان لا ينبغى أن أظهر معارضتى الشديدة فى مثل هذه الظروف ... لأنه منذ ذلك الحين وقد فترت حماسته وبدأ يعيش حياة رتيبة راكدة : بين الكتب والصحف ، الصحف والكتب . وهكذا أصابه المرض . لماذا ؟ من يدرى ؟ لا يريد الذهاب إلى الأطباء . يتعالج عند الطبيب البيطرى . حاول الجميع في العائلة أن يشجعوه على اللجوء إلى أحد الأساتذة ، أو أحد الأطباء المشهورين ، ولكن لا فائدة . "أريد الطبيب البيطرى " هذا ما يردده دائما . وإذا سألناه عن السبب ، يقول إنه لا يريد أن يشاركه الأطباء فضل شفائه ولا مسئولية موته . يقول إن الطبيب البيطرى إذا كشف على حمار أو بغل لا يسأله : " هل تشعر بألم هنا حينما تتنفس " ؟ أو : " حينما أضغط هنا ، هل تشعر بألم ؟ " أو "حينما تصحو فى الصباح هل تشعر بدوران فى رأسك ؟ " أو " هل تأكل بشهية ؟ " ... لقد أصيب بالجنون ، صدقونى ، جوليلمو أصيب بالجنون . اليوم سينعقد كونسولتو بشأنه يحضره ثلاثة من كبار الأطباء ، أساتذة من أساطين علوم الطب . ولكننى واثقة من أنه سيرفض حتى أن يخرج لسانه من فمه ، أو أن ينظم نفسه ويتلفظ ببعض الكلمات . حالة

جولييلمو الآن ميئوس منها . لم يعد يتكلم ، بل هو يتلعثم. ولم يعد يرى إلا بالكاد . ولم يعد يسمع [خائرة] هذه هى الحقيقة ! ليس من السهل ، صدقونى ، ليس من السهل العناية بشخص يشرف على الموت . **[وهى تركز على الأهم]** شخص يشرف على الموت يهمك ، يخصك بطبيعة الحال . سامحونى ، أريد أن أذهب ، أسرع إلى البيت لكى أطمئن عليه . وأرجو من الله **[رافعة يديها إلى السماء]** أن أجد الباب مفتوحا فأعرف أنه استطاع النهوض وخرج . **[تخرج]**

[يدخل فوريو من أحد الكالوسين. تظهر عليه آثار السنين التى من الواضح أنها لم تكن سعيدة . يحدث نفسه ، يمشى ببطء . من الكالوس الآخر، يظهر جاتشينتو كياراستيلا وهو بواب العمارة التى كان يسكن فيها فى الماضى أسرة فورتيتسا وحاليا ومنذ فترة جولييلمو وجيليولا . فوريو هو الذى عرف أولا البواب العجوز بينما تغلق وراءه الستارة القطيفة السوداء .

فوريو : **[معبرا عن سعادته لرؤية الرجل]** كياراستيلا ، جاتشينتو كياراستيلا ؟

جاتشينتو : **[بشىء من الريبة بطبيعة الحال]** من ؟

فوريو : كيف " من ؟ " ... ألا تذكرنى ؟ ألست أنت بواب العمارة التى كان يسكن فيها عائلة فورتيتسا ثم عائلة جولييلمو ؟

جاتشينتو : **[متذكرا]** فوريو لاسبينا ! أوه . السيد فوريو لاسبينا ؟

فـــــــوريـو : هل أنا تغيرت لدرجة أنك لم تعرفنى ؟

جـاتشـينتـو : كلا .. أنت كما أنــت . أنا الـذى صــرت عـجـــوزا ، أما أنت ، فلا ، كل ما هناك أننى لم أكن أتوقع مقابلتك . كان الجميع يسمونك صديق السيد جوليلمو .

فـــــــوريـو : كيف حاله الآن ؟

جـاتشـينتـو : ألا تعلم ؟ إنه مريض .

فـــــــوريـو : [**بخبث**] مريض ؟

جـاتشـينتـو : أنت لا تعرف ؟

فـــــــوريـو : لا .

جـاتشـينتـو : هو مريض جدا . أنا لا عمل لى إلا الذهاب إلى الصيدلية والإياب من الصيدلية [**يعرض عليه ما يحمله**] هذه كلها أدوية من أجله . واليوم ينعقد له كونسولتو أطباء . ليتك تأتى لزيارته قبل أن يفقد ذاكرته . أنا متأكد أن وجودك سيسره

[يخرجان]

[تفتح الستارة المخملية السوداء عن حجرة المعيشة فى منزل جوليلمو الذى نراه ما يزال جالسا فى " الفوتى " ورأسه مسند فوق مخدات . تسود الحجرة فوضى غريبة. وحول المريض أكوام من الكتب والصحف متناثرة فوق الأرض .

[خلال المشهد القادم ، يبدو أعضاء الأسرة منهمكين ومشغولين . مشاهد صامتة تقوم خلالها المرضة بإجراء

بعض الأعمال المتعلقة بالمريض .

[جرس الباب يرن . بعد قليل تدخل الممرضة يتبعها فالينتينو الحلاق، وهو من أهل الثقة عند أصحاب البيت . يحمل حقيبة بها جميع ما يلزم لعمله .]

الممرضة : **[عاليا نحو الداخل]** فالينتينو وصل . **[بعد قليل]** وصل فالينتينو الحلاق . **[يصل أفراد الأسرة من الغرف المختلفة ، يبدو عليهم الاهتمام وكذلك الفضول لمشاهدة ما سيجرى . أول من وصل روزا]**

روزا : أهلا يا فالينتينو !

فالينتينو : أهلا يا مدام روزا .

روزا : **[مشيرة إلى جوليلمو]** ماذا ، هل سيحلق لحيته ؟

فالينتينو : لا أعرف . نسمع ما تأمر به مدام جيليولا .

فيتورينا : **[داخلة يتبعها فورتوناتو]** بابا سيحلق لحيته ، تعال يا فورتوناتو .

فورتوناتو : فالينتينو ، ليتك تقنعه ألا يحلقها .

فيتورينا : أنا رأيى ، لأسباب صحية ، من الأفضل أن يحلقها .

روزا : عفوا ، بعد هذه الشهور التى أمضاها بين الفراش وبين هذا الفوتى وقد نحل جسمه وضعفت صحته ، لن يعرفه أحد من الأصدقاء إذا رآه فى هذه الحالة.

فيتورينا : فلنعمل برأى فالينتينو ، ننظر ماذا تقول ماما .

فورتوناتو : إذا حلقها أو لم يحلقها ، بعد ذلك أريد منك أن تضبط لى شعرى هذا ، فقد أهملته فى الأيام الأخيرة .

فـيليـتـشى : وأنا أيضا أريد أن تسوى لى بعض الأشياء .

فـاليـنتـيـنو : أنا تحت أمركم ، لكن من الأفضل ترك شعركم كما هو بالنسبة للظروف الحالية . لأن الناس إذا رأوا شعركم مقصوصا حديثا ولامعا وجميلا ، سيقولون " وأبوهم فى هذه الحالة ، كيف وجدوا الوقت لقص شعرهم على هذا النحو " **[ملمحًا]** سيقولون هذا فيما بعد .

جـيليـيـولا : **[داخلة]** لا راحة ولا هدوء . ولا وقت لعمل أى شىء . لم أكد أشرب رشفة من القهوة باللبن حتى اضطررت لترك الفنجان .

الخـادمـة : سأحضر لك فنجانا آخر يا سيدتى **[تخرج]**

جـيليـيـولا : إذا كنت ستحلق لحيته ، فأسرع ، ففى ظرف نصف ساعة سيصل البروفيسور أسود مع أخصائيين من أجل عمل الكونسولتو .

فـاليـنتـيـنو : أنا لا أحتاج إلى أكثر من خمس إلى ست دقائق لحلق اللحية **[يهم بفتح الحقيبة]**

جـيليـيـولا : انتظر **[مخاطبة زوجها بصوت مرتفع وهى تضغط على كل كلمة كما يُفعل مع شخص معاق فى حالة خطيرة ومضطرب الذاكرة]** جولييلمو ، جولييلمو. فالينتينو وصل. هل تذكر فالينتينو ؟ **[لكن جولييلمو حاضر الذهن ، بل ويستطيع أن يجيب شفاهة ، لكنه فضل هذه المرة أن يجيب بإيماءة من رأسه بالإيجاب]** لا تستطيع أن تتكلم ؟ **[إيماءة أخرى بالإيجاب من رأسه كالسابقة]** مساء أمس

تحادثنا طويلا ، وكان يتكلم جيدا ... هل تشعر بالتعب ؟ **[جوليلمو بالأداء نفسه]**. لا بأس، استرح. لأنك بعد قليل سيتعيَّن عليك أن تجيب عن جميع الأسئلة التى سيوجهها إليك البروفيسور أسود والأخصائيان **[جوليلمو يبتسم لها بينما رأسه يهتز بالإيجاب]** إذن ، هل قررت أن تحلق لحيتك ؟ **[جوليلمو كالسابق]** هل تضايقك حينما تنام ؟ **[جوليلمو يصدق على قولها]** حسنا ، كما تريد أنت. **[مخاطبة الآخرين وبالذات فالينتينو الحلاق]** من الأفضل أن تحلقها ، فهو يقول إنها تضايقه فى أثناء اللحظات القليلة التى يتمكن فيها من النوم.

فـالينتـينو : إذن ، إلى العمل .

[الجميع ، وعلى رأسهم روزا ، يحيطون بالمريض كأنهم يستعدون لمشاهدة عرض غريب . وبسرعة البرق يخرج فالينتينو الفوطة ويفردها ويبدأ فى إجراءات الحلاقة ويذكرنا بمشهد الحلاقة الذى قام به " فيجارو " مع "بارتولو" . يحيط رقبته بالمنديل الذى أحضره معه ويحاول إرضاءه بكل السبل] السيد جوليلمو وجهك منير كالقمر البدر ، فى آخر مرة جئت فيها لأحلق لك اللحية قبل عشرة أيام ، كانت حالتك أسوأ من الآن بكثير . الآن أنت أفضل كثيرا . وجهك يشع بالنور .]

[تدخل الخادمة حاملة صينية عليها فنجان قهوة باللبن وبعض البسكوت . الجميع يأخذون من البسكويت ،

وكذلك جيليولا تغمس منه في القهوة . حتى فاليتتينو تشجعه جيليولا وروزا على أخذ قطعة من البسكوت]

جـــيليـــولا : هكذا أصبح أكلنا .

روزا : قهوة باللبن ، وبيضتان مسلوقتان .

جـــيليـــولا : لم نعد نطبخ أبدا .

فـــالينتـينو : وماذا تريدون أن تطبخوا ؟...

جـــيليـــولا : لم يعد هناك وقت .

فـــيــتــوريا : العائلة كلها مجندة حوله .

فـــالينتــينو : **[مخاطبا الخادمة]** يا آنسة ، لو سمحت ، كوبا من الماء .

الخـــادمـــة طبعا . **[تهم بالخروج]**

فـــالينتــينو : **[مخاطبا جولييلمو]** – أولاً نضبط الشعر ، ثم نبدأ في الموسى .

[في الوقت الذي يهم فيه الحلاق بالتعامل بالمقص مع اللحية ، يرن جرس الباب]

الخـــادمـــة : أفتح أولا ، ثم آتي لك بالماء .

فـــالينتــينو : على مهلك **[مخاطبا أفراد الأسرة ، وموقفا حركة المقص]** أكمل أو أنتظر؟

جـــيليـــولا : تنتظر ماذا ؟

فـــالينتــينو : ربما يصل قريب آخر من الأسرة يريد أن يرى لآخر مرة لحية السيد جولييلمو .

الخادمة التي تجتاز المنصة لتصل إلى المطبخ ، تتقدم الدكتور أوجوستو سامبييرو ، وهو الطبيب البيطري الذي عالج جولييلمو في بداية أزمته . الطبيب يقابل بحفاوة من الأسرة]

سامبييرو : صباح الخير . **[الجميع يردون على التحية]** السيد جولييلمو ، أرى أنك أحضرت الحلاق ليحلق لك لحيتك . وهذا شيء يسعدني لأنه يدل على أنك تتحسن .

جيليولا : لا يا دكتور ! لا يعني هذا أنه يتحسن. **[بصوت خفيض]** بل في رأيي أنه لا يتقدم ولا يتأخر . فالينتينو ، انته بسرعة وإلا ضاع الوقت في الثرثرة .

فالينتينو : أنا جاهز . **[خلال المشهد التالي ، يضع الصابون فوق اللحية ويحلقها]**

سامبييرو : **[مخاطبا جيليولا على حدة]** - الحقيقة أنني انزعجت حينما وجدت رقم هاتفكم في العيادة عندي ومعه العبارة التي تقول : "عاجل ، احضر فوراً "

[جميع أفراد الأسرة يحيطون بالدكتور وجيليولا]

جيليولا : يا دكتور ، أنت طبيب بيطري ممتاز ولا أحد يشك في ذلك . وقد أراد زوجي أن تقوم بعلاجه منذ البداية ، وأنت تقوم بعلاجه فعلا .

سامبييرو : لحظة يا حضرات . أنا قبل أن أكون طبيبا بيطريا ، كنت صديقا حميما للسيد جولييلمو. جميع كلاب الأسرة وقططها وببغاواتها قمت أنا بعلاجها . أنا مرتبط بروابط

ود مع هذه الأسرة ، لذلك تقدمت لمساعدة السيد جوليلمو . ولكننى لم أزعم مطلقا أننى أقوم بعلاجه . أنا فعلت كما يقول المثل : " اربط الحمار حيث يريد سيده " . كل ما أستطيع أن أقوله ، ولأننى تابعت حالة السيد جوليلمو منذ البداية ، أنه سليم معافى كالحصان .

جيليولا : لذلك أرسلت فى طلبك على وجه السرعة .

سامبييرو : لا أفهم .

فورتوناتو : قولى له يا ماما ، ماذا تنتظرين ؟

روزا : يا دكتور ، الواقع أن اليوم ينعقد الكونسولتو .

فيليتشى : ثلاثة أساتذة كبار .

جيليولا : المفروض أنهم سيتشاورون فى أمر حالته .. وحول الأدوية التى استعملها حتى الآن ..

سامبييرو : مؤكد . هذا واجبى . ثم سنتفاهم فيما بيننا نحن البيطريين .

[أفراد الأسرة يتبادلون نظرات ملؤها الإحراج ، ثم تبدأ روزا الكلام]

روزا : ولكن هؤلاء الأساتذة لن يحضروا للتحدث معك .

سامبييرو : لماذا ؟

فيليتشى : هؤلاء الأساتذة ليسوا أطباء بيطريين .

فيتورينا : هم ثلاثة علماء كبار .

سامبييرو : ولكن إذا كان هؤلاء العلماء الكبار لن يحضروا للتحدث معى ، فمن المصلحة أن أتحدث أنا معهم .

روزا : كصديق للعائلة .

جـــيليـــولا : ولا ينبغي أن تقول إنك طبيب بيطرى .

جميع الأسرة: لا داعي لذلك .

سـامـبـيـيـرو : **[مندهشا]** لا بأس. إذا كنتم ستجبرونني على التحدث مع هـؤلاء العلمـاء الفطاحل فى الطب البشـرى ، فسـأفعل ذلك وأنا أقـدم نفـسـي من خـلال الأسـمـاء والألقـاب وبطاقـات الزيارة ، وعناويني ، وأرقـام هواتفي ، وجـمـيع المناصب التى أشـغلها والشـهادات التى حـصلت عليهـا فى الطب البيطرى .

فـالينتــينو : **[بسـرعـة البـرق يسـتـدير نصف دائرة فـيـصـبح خلف جوليـيلمو ، ثـم ينزع عـن رقبته المنديل الأبيض وينفضـه ثم يعلن قائلا]**: نعيما يا باشا. اللحية اختفت **[يجعل المرآة بين يدى الزبون ثم يتراجع إلى الخلف وينتظر رأيه]**

الخـــادمـــة : **[داخلة]** البروفيسور أسود وصل . ومعه أستاذان آخران.

جسيليـــولا : **[وقد وصلتها الرسالة]** أحمر وأبيض . حضـروا من أجل الكونسولتو .

فـالينتــينو : **[بعد أن أعـاد كل شــيء إلى الحقيبـة وأغلقهـا ، ينحنى مسـتـأذنا من أفراد الأسرة]** أتمنى لكم نهارا سعيدا . فـيمـا بعد ، إذا لم يكن فى ذلك إزعـاج ، سـأتى لأطمـئن على السيد جولييلمو **[يخرج]**

جـسيليـــولا : **[مخاطبة الخادمة]** أدخلى الأساتذة أسود وأحمر وأبيض.

الخـــادمــــة : حـالا . [تخـرج . جـمـيع أفـراد الأسـرة يتـخـذون هـيئـة الحـزن والألم المناسبة للموقف. الخادمة وهى داخلة] – تفضلوا !

[فطاحل الطب البشرى الثلاثة يدخلون]

فـــورتوناتو : [مخاطبا الأساتذة] أنا أفسح لحضراتكم الطريق !

أســـــــــود : [بنصف ابتسامة] أفسح !

أحـــــمـــــر : أفسح ، أفسح .

أبـــيـــض : أفسح !

أســـــــــود : [مخاطبا الأسرة] – خالص احتراماتى لحضراتكم !

أحمر وأبيض: خالص احتراماتى !

فـــورتوناتو : [مقدما جيليولا إلى الأساتذة] السيدة جيليولا ، حرم المريض [مشيرا إلى فيليتشى] والدتنا .

جـــيليـــولا : [بصوت متهدج ، باسطة ذراعها نحو روزا وفيتورينا] زوجتا الأبناء .

[انحناءات مختلفة من جانب الأطباء الثلاثة]

فـــورتوناتو : [مشيرا إلى فيليتشى] أخى !

[رأس كل من فورتوناتو وفيليتشى ، مع رءوس الأطباء الثلاثة، تنحنى معا إلى الأمام تعبيرا عن الاحترام الشديد]

[مشيرة إلى جوليلمو] زوجى ، المريض .

جـــيليـــولا : [الأطباء الثلاثة يراقبون جوليلمو من بعيد ، لحظة فقط ، ثم يطرحون رءوسهم إلى الوراء ويخفضونها كأنما يقولون : " أنت بين أيدٍ أمينة ، لا تحمل هما "

فـــورتوناتو : **[مشيرا إلى سامبييرو]** الدكتور أوجوستو سامبييرو .

أبـــيـــض : الطبيب المعالج ؟

جــيليــولا : بالضبط .

الثـــــلاثة : **[معًا وفى إشارة احترام]** أهلا بالزميل العظيم ...

سـامـبـيـيـرو : **[بحركة تلقائية]** مقاعد من فضلكم **[مخاطبا الأطباء]** تفضلوا بالجلوس.

أبـــيـــض : أبعد ما يمكن من المريض .

[جميع أفراد الأسرة وبمساعدة الخادمة ، ينظمون المقاعد بعيدا عن جوليلمو ؛ الأطباء الثلاثة يتشاورون فيما بينهم ، ثم يخاطب أبيض سامبييرو الذى ظل واقفا بمعزل قليلا] الزميل العظيم ، قبل أن نسأل المريض ، نريد يا أستاذ ...

جــيليــولا : **[تتدخل بسرعة]** دكتور ، دكتور أوجوستو سامبييرو .

أبـــيـــض : نرجو من سعادتك أن توجز، إن أمكن، في نقاط بسيطة، بداية المرض وتطوراته ، ثم حالته الراهنة .

سـامـبـيـيـرو : الأساتذة العظام، من واجبى أن أعلن على الفور أننى لست طبيبا بشريا ، أنا طبيب بيطرى . حينما استدعتنى عائلة السيد جوليلمو، أسرعت بالحضور لأننى لم أتصور أن الأمر يتعلق بعلاج السيد جوليلمو زوج السيدة جيليولا. وأنا لم أقم بعلاجه، ولا أزعم ذلك وليس من حقى ذلك . أردت أن أكون بجواره لأشد من آزره . أنا لم أوقع على أى وصفة طبية . والأدوية التى يتعاطاها حاليا

قدمها له أفراد الأسرة بتوصية من بعض الأصدقاء والمعارف . ولعلكم أيها الأساتذة العظام تدركون ما أنا فيه من حرج ، وأننى لا أستطيع أن أصف لكم علميا تطورات هذا المرض . إن أفضل الحكام فى هذا الصدد هم أنتم . أما أنا فقد قمت بواجبى كصديق . إلى اللقاء .

[يخرج]

جيليولا : **[فى منتهى الإحراج]** أنا فى غاية الأسف يا سادة .

فورتوناتو : آسفون لما حدث .

[أبيض ، فى انتظار أن يبدأ أحد الزميلين الكلام ، يبتسم ابتسامة غامضة]

أسود : **[البادرة جاءت من أكبرهم ؛ أسود يعرف أصول المناصب فيبدأ بكل هدوء مخاطبا جيليولا]** اطمئنى ، يا سيدتى . العلم سيقوم بكل ما يمكن لإعادة الصحة إلى زوجك . والآن من الضرورى أن نوجه بعض الأسئلة إلى المريض .

جيليولا : لا فائدة يا عظمة الدكتور ، فلن يجيب . لذلك طلب الطبيب البيطرى حتى لا يُوجه إليه أسئلة .

فورتوناتو : لا يرد ؟

فيليتشى : لا يرد .

أسود : عفوا ، يا سادة . هل قريبكم أخرس ؟

جيليولا : أبدا ، هو يتكلم جيدا .

أحمر : ماذا إذن ؟

فيليتشى : هو يرفض التعاون مع الأطباء البشريين ...

فـورتوناتو : ويقـول إن الطبـيب البـيطـرى يكشـف على المرضـى ويعالجهـم دون أن يسألهم .

فـيليـتـشى : وأنه ، في الواقع ، ليس سوى حيوان ...

أســـــود : كلام معقول ، ولكن هل يقبل ذلك ؟

جـيليـولا : نعـم ، لكنـه يقـول إن ما يفهمـه هـو أن العقل يقول بأن الطبيب ينبغي أن يتشاور مع الأطباء الآخرين وليس مع المريض ...

[صمت طويل ، يتبادل خلاله الأطباء الثلاثة نظرات ذات مغزى، ملؤها الاقتناع ؛ وأخيرا يتكلم البروفيسور أسود]

أســـــود : إيه ، إذن ، أيها الزمـلاء ، نلقى نظرة . **[ينهض ويتوجـه ناحية جوليلمو]**

[الطبيبان الآخران يتبعانه . أفراد الأسرة ينهضـون هم أيضا ويتجمعون في نقطة من الحجرة يمكن منها متابعة ما يجرى بسـهولة . جوليلمـو يرى في كل ما يدور حوله مادة للتسلية ، ويرحب بهذه الزيارة الطبية إذ هي تذكره بيوم تخرجه في الجامعة حينما ارتجل زملاؤه مشهداً مماثلا ، وشارك هو فيه من باب المجاملة . الكشف الطبى الذى يجرى عليه يجب أن يكون سريعا ومركزا : استماع لنبضات القلب ، قياس الضغط ، طرق بالشاكوش تحت الركبة لاختبار الانعكاسات . الاهتمام الشديد من جانب الأطباء يتركز حينما يشرعون ، بدءًا من أكبرهم ، في مـلاحظة توسيع إنسان العين . المهم أن الأطباء الثـلاثة

بالرغم من تعبيراتهم التى تتباين من الانزعاج إلى الرضا، ومن التفاؤل إلى اليأس ، لا يتوصلون إلى معرفة درجة خطورة المرض الذى يعانى منه جوليلمو . وأخيرا يبتعد البروفيسور أسود من المريض يتبعه أحمر وأبيض ويصلون إلى حيث يوجد أفراد الأسرة .

أسود : [مخاطبا جيليولا] - هل عمل الامتحانات ، أقصد التحاليل .

جيليولا : طبعا .

أسود : أريد أن أطلع عليها .

فورتوناتو : [عارضا كمية ضخمة من التحاليل على البروفيسور]

البروفيسور : اختبار الوازرمان ، البول ، نسبة السكر فى الدم ، تنترج الدم فى الجسم .

أسود : **[ملقيا نظرة سريعة على الأوراق ويقدمها أولا بأول للأستاذ أحمر]** نعم ... نعم ... نعم

أحمر : **[وهو يقرأ]** نعم ... نعم ... نعم

أسود : **[وهو يأخذ ورقة من أحمر]** هذا هو البصاق .

أحمر : نعم ... نعم ... نعم .

[ويتحدثون فيما بينهم بطريقة غير مفهومة]

[يحاول جوليلمو التركيز ليفهم ما يقوله الأطباء ، لكن أصواتهم تختلط بأصوات زملائه الطلاب حينما قاموا بمشهد تمثيلى مماثل قبل سنوات]

أسود : **[وهو يقدم ورقة أخرى لأحمر]** البراز .

[صوت فوريو ، وهو مسجل ، يتدخل فورا ، لكن جوابيلمو يلتقطه بالكاد]

صوت فوريو : أنت تبرزت البراز ؟

[التسجيل يواصل مكررا المشهد الذى جاء فى البرولوج وأصوات الممثلين الذين قاموا بأدائه، بينما الأطباء الثلاثة يتكيفون مع هذا الدوبلاج موائمين الحركات بالكلام] :

لا ، أنا لم أتبرز البراز .

فمنْ تبرز البراز ؟

هو تبرز البراز .

وبالنسبة لتطورات المرض ؟ ما رأيك ؟ " ماذا نقول لأفراد الأسرة ؟

أسـود : **[فى حزن وتأثر ، مخاطبا جيليولا]** سيدتى ...

جـيليـولا : نعم ، نعم ، يا بروفيسور .

أسـود : حساسية مفرطة فى القلب .

[التسجيل يواصل بينما يقوم أسود بدبلجة فوريو]

صوت فوريو : موجات البيسكومبو لاتيزمو المعدى ، وانحرافات فى الفرينيكولوجيا ستاتيكا ، وتمزق فى جواستابوليو فارماكولوجيكو والبسيكو كاكيتيكو. والتهاب شديد فى الأمعاء.

[التسجيل يتوقف هنا ، وتبدأ جوقة الطلبة : "حينما تصل الحوالة، حوالة بابا" التى تكون بمثابة خلفية لصوت أسود]

أسـود : لو كان المريض التحق بكلية الطب فى الماضى ، لقامت هى بكل هذه العلاجات التى يسمح بها العلم الحديث.

للأسف، الوقت متأخر. والآن يتعلق الأمر بالمريض. المريض هو الذى يجب أن يتصرف. لن ندخر وسعا فى علاجه. سنقوم بملاحظته، سنقوم بمراقبته، سنقوم بإجباره دائما على عمل التحاليل الدقيقة ونتمنى أن يتمكن من الخروج من الأزمة **[انحناءات التحية]** تحياتنا أيها السادة والسيدات

[يتبادل الأطباء الانحناءات والمصافحات بالأيدى والتهانى، تتوقف جوقة الطلبة بمجرد خروج الأطباء . فورتوناتو وحده يصحب الأطباء إلى الباب. أفراد الأسرة الآخرون يتجمعون فى منتصف الحجرة متسائلين حول كلام أسود، تصل من الخارج بعض أصوات سيدات ومنها صوت الكونتيسة ماريا ديللى جراتسيا فيليبتى أولتيرا. السيدات يحيين الأطباء باحترام لحظة خروجهم من البيت]

السيدات : **[أصوات من الداخل]** تحياتنا واحتراماتنا .

الأطباء : **[أصوات من الداخل]** تحياتنا واحتراماتنا .

[يسمع غلق الباب الخارجى وراء الأطباء الثلاثة]

فورتوناتو : **[وهو يدخل السيدات الثلاثة]** تفضلن . ماما موجودة . **[مخاطبا جيليولا]** ماما ، هذه أيضا الكونتيسة فيليبتى أولتيرا .

روزا : **[مخاطبة فيتورينا]** ماريا ديللى جراتسيا! **[وتسرع ناحية الباب مع جيليولا وفيتورينا بينما تصل الكونتيسة وخلفها بيتشوكا وكوكوروللو وفورتوناتو]**

الكونتيسة : **[في الستينيات ، شعر فضي مشرب بالزرقة ، نحيفة وشاحبة ، كأنها في حداد ، تعبير وجهها جنائزي، ما إن ترى جيليولا حتى ترتمي عليها وتأخذها في حضنها]** حبيبتي المسكينة ، حبيبتي جيليولا .

جيليولا : **[مستسلمة وبكل احترام بين أحضان المرأة الفاضلة]** كم أرحتني لما رأيتك ، أشكرك يا ماريا على حضورك .

الكونتيسة : **[كأنها سيدة البيت]** اجلسي يا حبيبتي **[مخاطبة السيدتين اللتين وصلتا معها]** اجلسا يا حبيبتي **[يجلسن في المكان نفسه الذي جرت فيه المناقشة قبل قليل بين الأطباء وأفراد الأسرة ؛ الكونتيسة تشير إلى جوليلمو وتسأل جيليولا]** هو ؟

بيتشوكا : **[بغاية الاهتمام]** هو ، هو ؟

كوكوروللو : **[الأداء نفسه]** هو ؟

جيليولا : لحظة . أرى إذا كان راح في سنة من النوم **[تذهب إلى جوليلمو الذي أغمض عينيه بمجرد أن شعر أن زوجته وصلت . بعد أن ألقت نظرة عليه، جيليولا تعود إلى صديقاتها لتطمئنهن]** نام . الحمد لله .

فورتوناتو : **[بعد أن استشار زوجته وأخاه وزوجته]** إذن ، ماما ، نحن نذهب إلى البيت ، نأكل شيئا ونعود . فرصة وجود الصديقات معك لكي لا تكوني وحدك .

الكونتيسة : طبعا ، نحن موجودات ، اذهبوا أنتم بالسلامة .

فيتورينا : سنعود بسرعة .

روزا : نصف ساعة على الأكثر .

كوكورولو : حتى ولو ساعة ، ساعتين ، لا تحملوا هما .

الكونتيسة : خذوا راحتكم .

فيتورينا : شكرا .

فيليتشى : على العموم ... نحن بجوار الهاتف . نصل فوراً

روزا : [مخاطبة الكونتيسة] ربنا موجود .

فورتوناتو : هيا بنا إذن ، بسرعة .

[تحيات ، مصافحات بالأيدى ، ويخرج الأربعة]

الكونتيسة : إذن ، ماذا يقول الأطباء .

جيليولا : **[بصوت متهدج]** لا أمل ...

بيتشوكا : يا ربى !

كوكورولو : مسكين يا جوليلمو !

الكونتيسة : بل مسكينة يا جيليولا . لم يمر عام على وفاة أمها .

كوكورولو : ربنا يرحمها ، كانت فى حالة طيبة وصحة جيدة .

بيتشوكا : كم كان عمرها ؟

جيليولا : سبعة وتسْعين عاما .

[حركة ذات معنى من جوليلمو]

كوكورولو : أنا أشهد بذلك .

جيليولا : كانت تلضم الإبرة بدون نظارة .

الكونتيسة : تلضمها أو لا تلضمها ، الأم دائما الأم ، وحينما تذهب وتتركنا ، حتى لو كانت بلغت من العمر مائة أو مائتى عام ، تصبح البنت منا أرملة فعلا .

جـــيليـــولا : دائما أنت على حق ، يا ماريا يا حبيبتى .

الكونتيسـة : والآن ، قولى لى : إذا كانت الأخبار كما تقولين سيئة على هذا النحو ... عفوا ، أنا أحبك وأريد مصلحتك .

جـــيليـــولا : طبعا يا حبيبتى .

الكونتـيسـة : هل حاولت أن تعرفى إذا كان قد ترك لك شيئا مكتوبا .

جـــيليـــولا : أبدا، رفض أن يكتب أى شيء، وحينما حاولت أن أعرف، حولّ موضوع الحديث ، وقال لى إن ما ينبغى أن يكتبه هو ، قد كتبه القانون ، ثم أضاف قائلا : " الوصية المكتوبة يمكن أن يطعن فيها القانون ، أما التى يفكر فيها الإنسان فتبقى محبوسة فى القبر .

بيـتـشـوكـا : لم أفهم جيدا .

كـوكـورولّو : ولا أنا .

الكونتيسـة : أنا أشم رائحة .. هل أنت متأكدة أنه لم يكتب شيئا ؟

جـــيليـــولا : **[تخـرج من صـدرها ورقـة مطوية أربع طيـات]** هـذا **[تعرضها]** هذا كل ما كتبه **[تقرأ]** : "حينما أموت ، أريد أن أذهب إلى القبر عريانا . أريد أن أدفن عريانا . لا تنتهزوا فرصة عدم استطاعتى إتيان أى رد فعل ، فتفعلوا بجسمى ما فعل بجسم حماى من أشياء مخزية يندى لها الجبين ، حينما كفنتموه فى لباس السهرة بعد عمل الماكياج والزينة . وقال بعض الحاضرين " هل هو ذاهب إلى القبر أم إلى حفل راقص ؟ " مفهوم : عريانً جئت إلى الدنيا ، وعريانً أريد أن أغادرها . شكرا ، مع

خالص تحياتى . توقيع : السيد فلان .

هل فهمتم ... ؟ **[تطوى الورقة وتعيدها مكانها]**

الكونتيسة : اتجنن ... مسكينة يا جيليولا .

بيتشوكا : وأنت هل ستنفذين هذه الرغبة ؟

جيليولا : **[مترددة]** يعنى يا حبيبتى ...

الكونتيسة : من غير المعقول .

كوكوروللو : " عريانَ جئت إلى الدنيا ، وعريانَ أريد أن أخرج منها "

بيتشوكا : مستحيل . كان معروفا بين الناس ، انظرى كم من البشر سيأتون لرؤيته .

الكونتيسة : ستكون فضيحة .

جيليولا : ولكن رغبة الميت تحترم .

الكونتيسة : سنتحدث عن ذلك حينما يأتى وقته . أخبرينى حقيقة : هل أكلت شيئا ؟

جيليولا : شربت قهوة باللبن مع بسكوتتين .

الكونتيسة : أنا أحضرت لك دجاجة مشوية **[تقدمها ملفوفة]** ولا تزال ساخنة ، وزجاجة بيبسى .

بيتشوكا : وأنا أحضرت لك فاكهة طيبة **[تقدم لفافة]**

كوكوروللو : وأنا أحضر حاجة حلوة **[تقدم هى أيضا هديتها]**

جيليولا : يا حبيْبى ، يا حبيْبى ...

الكونتيسة : والقسيس ؟ هل ما يزال يعارض مقابلة القسيس ؟

جيليولا : رأسه جامد . يقول إنه لم يعمل سوءاً فى حياته ، لذلك ليس لديه ما يقوله لأحد .

الكونتيسة : إذا أحببت ، أكلّم الأب راجوزا ، فهو الذى يحضر صعود أرواح سكان عمارتنا .

جيليولا : لا ، لا . سيغضب الأب تشيكوتسا ، فهو صديق للعائلة ، ولو جاء أحد آخر ستكون مشكلة . المهم نرجو أن يستدعيه جوليلمو عند حلول الأجل .

الكونتيسة : سنرى . والآن ننتهز فرصة نوم زوجك وننصرف نحن ، وبذلك تستطيعين أن تأكلي هذه الدجاجة وإلا فستبرد . **[ينهضن جميعا]** يجب أن تعتنى بصحتك .

بيتشوكا : **[وهى تخرج وراء جيليولا والكونتيسة]** وجهها شاحب، المسكينة .

كوكورولو : طبعا : سهر الليالى .

[الأربع نساء يخرجن]

[عندما تبتعد ثرثرة النسوة وتختفي في الحجرات الأخرى، ويتأكد جوليلمو أنه أصبح وحيدا، يجذب ذراعيه ويتمطى ويتثاءب طويلا أشبه بالحيوان . ثم يجول المكان بعينه ويتطلع حوله معبرا عن ضيق وملل شديدين من كل ما يحيط به من أثاث وجدران . وأخيرا يتناول كتابا ويفتحه في الصفحة التي كان قد وضع فيها علامة . وبين تثاؤب وآخر يحاول أن يتصفح بعض الأوراق على وجه السرعة . يتوقف عن القراءة ويتنصت . فقد سمع صوتا قريبا ينطق باسمه همسا .

الصـــــوت : يا سيد جوليلمو [**يُبغت جوليلمو ، ولكن يساوره شك فى أنه لم يسمع جيدا، فيحاول أن يركز ويرهف السمع . الصوت يهمس مرة أخرى باسمه . ولكن هذه المرة أكثر همسا**] يا سيد جوليلمو !

[**هذه المرة يبرز خلف جوليلمو رأس قسيس مهندم الثياب ثم يقدم نفسه بطريقة لطيفة**]

تشيكوتسا : يا سيد جوليلمو . أنا الأب . أنا الأب تشيكوتسا [**جوليلمو يقطب وجهه، ويقفل الكتاب وعينيه ويسند من جديد رأسه على ظهر الكرسى**] يا سيد جوليلمو ، هل تسمعنى أو أنك أصبحت أقرب للعالم الآخر أكثر من هذا العالم ؟ [**جوليلمو لا يرد**] يا سيد جوليلمو ، لا تريد أن ترد قاصدا أم أنك فى غيبوبة ؟ [**الموقف نفسه من جوليلمو**] يا سيد جوليلمو ، أنا أعرف هذا جيدا . لأنك إذا كنت لا تريد أن تجيب قاصدا ، فإننى سأسألك أيضا وسأحاول إقناعك بالإجابة عن أسئلتى وذلك لمصلحتك أنت ... أما إذا كنت لا تجيب لأنك فى غيبوبة ، فإننى سأوجه إليك الأسئلة أيضا ، سواء تلقيت إجابات عنها أو لم أتلق إجابات ، وذلك أداءً لواجبات عملى الذى ينبغى أن أقوم به . إذن ، **هل** أنت فى غيبوبة أم لا ؟ [**الوضع نفسه من جوليلمو**] يا سيد جوليلمو ، حاول أن تجيب عن أسئلتى . أنا لست شخصا أيا كان ، لقد حققت خلال حياتك المجد والشهرة ، لذلك يجب أن تعترف

بالفضل والجميل للعناية الإلهية ، فهي التي منحتك القوة والذكاء لكي تناضل. [**الوضع نفسه من جوليليمو**] يا سيد جوليلمو . العالم لا يريد أن يخيب أمله بموقفك هذا المعادي للقانون الإلهي . لا تريد أن تجيب ؟ حسنا هذا معناه أنني سأتصرف بنفسي [**يضع كرسيا بجوار جوليليمو ويجلس**] يا ابني ، نحن كلنا خطاءون . وأنت يا مبارك لم تكن قديسا ولا معصوما. هذا شيء معروف. لذلك ، فقبل أن تترك فوق هذه الأرض ذنوبك وخطاياك ، عليك أن تتوب وتندم على خطاياك وتعترف بها . اعترف بخطاياك يا بني . والله غفور رحيم . وسوف يلقاك ويقبلك مع الصديقين والشهداء . [**جوليليمو يرمق الأب ويغضّ عينه ويبتسم ابتسامة غامضة**] عظيم . ابتسم ، ولا تتكلم. هذا كل ما عليك عمله يا أخي . لا تتكلم . أنا سأقوم بكل شيء . [**يرسم علامة الصليب**] باسم الأب والابن والروح القدس [**ويرسم علامة الصليب على جبين جوليليمو ؛ ثم يبدأ صلوات غير مفهومة يختمها بعلامات الصليب مرة أخرى ويرسمها على جبين جوليليمو أيضا**] آمين ! أباركك على الأرض وأغسلك من خطاياك يا بني ، ولكن تذكر أن هناك محكمة أخرى في السماء ستحاكمك [**أمام استحالة الهروب من مراقبة الأب ومراقبة السماء يرفع جوليليمو نظره إلى أعلى ثم يخفض رأسه باسطا ذراعيه علامة على القبول والتسليم بما لا يمكن ردّه**]

[تغلق الستارة المخملية السوداء ، بينما تسمع ، في الداخل ، جوقة الطلبة . تدخل من الكالوسين مجموعتان من الأشخاص ، برجوازية من ناحية وشعبية من الناحية الأخرى . يبقون منتظرين في وضع الانتباه . وبصوت خفيض يتحدثون عن الجنازة التي ستقام . جوقة الطلبة تبتعد أكثر حتى تختفي حينما تفتح الستارة المخملية السوداء كاشفة عن بوابة ضخمة نصفها مغلق تدل على أرستقراطية العصر الماضي . من الجانب الأيمن الذي يرى منه البوابة النصف مفتوحة ، توجد طاولة مستطيلة ، متوسطة الحجم فوقها دفتر وقلم للتوقيعات .

[كياراستيللا البواب ، يتقدم من الداخل مع ساكن محترم يتذكران صفات المرحوم جوليلمو الإيجابية والسلبية . حينما يبلغ الطريق ، ينضم الساكن المحترم إلى مجموعة البرجوازيين ، يتبادل بعض التحيات مع بعضهم . رباحترام شديد للصف يأخذ مكانه في الانتظار . كياراستيللا يلزم الطاولة وعليها دفتر التوقيعات . تحدث جلبة منظمة بين المجموعتين حينما تصل كياراستيللا إشارة من فوق السلالم بأن المتوفى على وصول . بكل دقة . تأخذ عيون المجموعتين وضع الانتباه ويعتنون بكل صغيرة وكبيرة تتعلق بشعائر الجنازة . يقوم كياراستيللا بتحرير مصراع البوابة المعلق من الوتدين ، ويفتح البوابة على مصراعيها . من عمق البوابة يصل موكب الجنازة

بطيئا. فورتوناتو و فيليتشي في المقدمة وخلفهما حوذيان يشكلون مربعا في منتصفه "الميت" . رغبة جوليلمو الأخيرة لم تنفذ: فقد ألبسوه حلة أسموكن قديمة من الحرير اللامع، يظهر منها شق قميص أبيض، رابطة عنق سوداء، حذاء لامع . فالينتينو الحلاق. أبدع في استخدام فنِّه. فقد هذب ولَمَّ الشعر الذي يبدو مصبوغا ، ولوَّن العينين وخطَّ الحاجبين، ورسم الشفتين ، وحمَّر الخدين . وراء التشكيل مباشرة ، تظهر جيليولا في ثوب الحداد تسندها زوجتا الابنين والكونتيسة ماريا ، وعلى الجانبين الصديقتان بيتشوكا و كوكوروللو . الخادمة بصحبة البواب. عندما يصل الموكب الطريق يتوقف ليعطي الفرصة للأصدقاء الواصلين للتعبير عن عزائهم للأرملة وأفراد الأسرة . البرجوازيون يحيطون بجيليولا بعبارات مناسبة . الشعبيون يراقبون متأثرين . الآن فقط ، ومن بين المجموعة المحيطة بأفراد الأسرة ، يظهر فوريو سبينا الذي ارتدى للمناسبة حلة سوداء ، وكل شيء أسود في أسود : قفاز أسود ، رابطة عنق سوداء ، وكذلك القبعة . مقاسات واسعة فضفاضة بالنسبة لشخصية .

[بوصفه صديق العمر للميت ، فوريو ، بعد أن صافح جيليولا والكونتيسة والصديقتين ، يضم " الصديق " بين ذراعيه ويرمقه بنظرة مركزة تلخص في لحظة الماضي الطويل الذي عاشاه معا . بعد العناق ينضم فوريو إلى

الجانب الأمامى من التشكيل الجنائزى ويتوقف ويتخذ هيئة من ينوى أن يلقى كلمة رثاء]

فوريو **[ما إن قرر أن يبدأ الكلام حتى التقت عيناه بعينى الميت ؛ يمكث لحظة مضطربا ، ثم يستعيد رباطة جأشه ويبدأ]** مات جوليلمو سبيرانسا **[من هذه اللحظة وطوال الخطبة يحدث بين فوريو والميت تبادل نظرات موحية وذات معانٍ مضمرة]** نحن جميعا ، الزوجة والأبناء والأحفاد والأقارب والأصدقاء المخلصين - وأنا أولهم جميعا - مفجوعين وملتاعين ، اجتمعنا حوله لكى نكرر ونحن لا نصدق وبلغة الصمت التى تناسب المقام، لكى نكرر ونقول: مات جوليلمو سبيرانسا. لن ننسى ما حيينا رجل الأدب والثقافة العظيم والمناصب العليا التى شغلها فى حياته المهنية، والمكانة العالية التى احتلها بين زملائه ، والشهرة الكبيرة التى تمتع بها فى الداخل والخارج. أريد أن أذكِّر بإحدى خصاله الحميدة حينما كان يقود سفينة العائلة بكل حكمة وبكل تضحية مؤثرا راحة زوجته وأبنائه وذويه. بل أريد أيضا أن أذكِّر بالحب الكبير الذى كان يكنه فقيدنا للفقراء والمحتاجين من أبناء شعبه، وكيف كان لا يدخر وسعا فى مد يد العون والمساعدة لكل محتاج، وكيف أنه أخذ بيد الكثيرين من الناشئين وذلل لهم العقبات وشق لهم طريق النجاح. هذه الحقيقة البريئة التى أصبحت معروفة للجميع، كانت دائما هى النبراس للفقيد .

جوليلمو العزيز . ليس عندى ما أقوله أكثر من ذلك . هذه الليلة ، حينما يخلو هذا الطريق من المارة وتغشاه العتمة ، ستطوف روحان حول هذا المبنى : الأولى روح جيرولانو فورتيتسا المختال العبوس المهيب، والأخرى روح جوليلمو سبيرانسا المترددة المتشككة . بعد ذلك ستلتقى الروحان أمام هذه البوابة وتتعانقان لتظلا فى النهاية متحدتين فى سكون الأبدية .

[نحيب ودموع وعناق بين أفراد مجموعة البرجوازيين وأفراد أسرة الميت . الموكب يتشكل من جديد وتدب فيه الحياة . هذه المرة فوريو وحده هو الذى يسند جيليولا . وأخيرا يختفى الموكب فى الكالوس .

جاتشينو : **[وهو يغلق مصراع البوابة ويخاطب الخادمة]** لقد أُغلق كتاب آخر. بمناسبة الكتب والكراسات. ساعدينى فى رفع هذه الطاولة **[يتعاونان فى رفع الطاولة. لكنهما يبقيان، فقد سمعا صوتا آتيا من الداخل مناديًا فى لهفة وقلق]** **[من الداخل]** انتظروا ، انتظروا ، من فضلكم

الصوت : لحظة .. **[يصل من الكالوس المضاد للكالوس الذى خرج منه الموكب ، متأخران لعلهما من أصدقاء الأسرة ، يصلان بسرعة لاهثين .**

المتأخر الأول : لا ترفعوا الدفتر ، لو سمحتم .

المتأخر الثانى: لحظة فقط ، نضع توقيعنا .

جاتشينو : تفضلوا ، وقعوا .

المتأخر الأول : الجنازة تحركت ؟

جـاتشـينو : طبعا ، أنتم تأخرتم

المتأخر الأول : الساعة كانت متأخرة والمرور صعبا .

جـاتشـينو : لو وصلتم قبل خمس دقـائق فـقـط ، كـان من الممكن أن تلحقوا الجنازة .

المتأخر الثاني: [**بعد أن وقع في الدفتر**] يؤسفني أنني لم أعز الأبناء ... نحن أصدقاء.

المتأخر الثاني: [**وهـو يوقـع**] عـلى الأقـل من أجـل الأرملة ... هل كانت الجنازة جميلة ؟

جـاتشـينو : [**قليل الرض**] يعني. جنازة جيرولاندو فورتتسا كانت رائعة.

المتأخر الثاني: السبب أن جولييلمو سبيرانا في الأيام الأخيرة . لم يكن حاضرا في ذاكرة الناس .

جـاتشـينو : كان يعيش في عزلة .

المتأخر الأول : لو كان مات قبل عشرين عاما مضت ... [**مخاطبا صديقه**] هل تذكر ؟ حينما كان في القمة وجميع الصحف تهتم به

المتأخر الثاني: الصحف ، والمجلات ...

المتأخر الأول : لم يعـرف كيف ومتى يموت [مـخـاطبا جاتشينو] هل كان هناك جمهور كبير في الجنازة ؟

جـاتشـينو : [**بينما يكمل رفع الطاولة بمساعدة الخادمة**] شويه... شويه...

[جاتشينو والخادمة يختفيان حاملين الطاولة ، ويخرج المتأخران بينما تسدل الستارة]

زيارة ثقيلة

تأليف : راؤول دامونتى بوتانا

راؤول دامونتي بوتانا

" كوبي " هو الاسم المستعار للكاتب الهزلي والرسام والروائي والمؤلف المسرحي والممثل " راؤول دامونتي بوتانا " ، المولود في بيونس أيريس في ٢٢ نوفمبر ١٩٣٩ ، لعائلة شهيرة تنتمي إلى الوسط الصحفي والدبلوماسي في الأرجنتين. وقد أمضى كوبي شطراً من شبابه في مونتيفيديو عاصمة أوراجواي

ومنذ ١٩٦٣، عاش في باريس حيث ذاعت شهرته رساماً . ساهم في دوريات مختلفة مثل "الإكسبريس " ، و" هارار كيري " ، و" شارلي " الأسبوعية ، و " لينوس " وغيرها . واشتهر على الأخص برسومه للمرأة الجالسة التي ظهرت أولا في " لونوفيل آوبزرفاتير " . وقد نشر ألبومات من الرسوم ، " كوبي " في ١٩٦٥ (التي حازت على جائزة الفكاهة السوداء في ١٩٩٧٧) ، و" الدجاجات بغير مقاعد " . وتلتها أعمال أخرى .

الأعمال المسرحية لـ "كوبي" جعلته يستحق الجائزة الكبرى للأدب المسرحي في مدينة باريس في ١٩٨٧ ، قبل أن يموت بوقت قليل بالإيدز في ١٤ ديسمبر من العام نفسه . وليس من المستغرب أن يكون جانبًا

من أعماله المسرحية - مثل أعماله النثرية - مشرباً بالثقافة الأرجنتينية أو الأمريكية الجنوبية ، كما هى الحال بالنسبة لمسرحيته : "إيفا بيرون" **Eva Perón** فى ١٩٦٩ ، و"الهـرم" **La pyramide** فى ١٩٧٥ و"المأسـاة البربرية فى فصلين شعراً **"La tragédie barbare en deux actes et en vers"** ، "كاشافار" **Cachafaz** التى طبعت بعد وفاته فى ١٩٩٣ . ويبقى أننا نجد بوضوح فى مسرحه - كما فى رواياته وقصصه - عناصر من ثقافة الجماهير ، والدعاية ، وأنواعًا شعبية - مجلات الرسوم والخيال العلمى ، والأنواع البوليسية ، ومسرح الشارع .

المشهد الأول

(سيريىْ ــ الممرضة)

الممرضة : بيجامتك الجديدة وصلت .

سيريىْ : أنا لم أطلب بيجامات ولا نيلة .

الممرضة : هذه هدية من زوجة أخيك .

سيريىْ : زوجة أخى من الممكن أن تفعل أى شىء لتفسد عيد ميلادى .

الممرضة : مزاجك اليوم منحرف ، ولم تأكل فطيرتك ، هل تناولت الأقراص ؟

سيريىْ : نعم .

الممرضة : كلها ؟ أنت صبغت شعرك مرة أخرى ؟ لذلك بقيت فى الحمام ساعة كاملة ؟

سيريىْ : هل هذا شىء يخصك ؟

الممرضة : هل تنتظر الشاب الأشقر الذى أحضر لك الورد فى عيد الميلاد ؟

سيريىْ : أنا أمنعك من التدخل فى حياتى الخاصة .

الممـرضــة : أنا قلت ذلك لكي أدخل السرور على قلبك . اهدأ قليلا حتى أعطيك الحقنة .

سـيـريـن : حقنة مرة آخرى ؟

الممـرضــة : اليوم هو موعد نقل الدم لك . **(تتهيأ لشكه بالحقنة)**

سـيـريـن : أنت تؤلمينني .

الممـرضــة : أوردتك في حالة يرثى لها .

سـيـريـن : شيء طبيعي . فأنت لا تكفين عن شكي بالحقن ! أى !

الممـرضــة : خلاص ! إياك أن تنزع الحقنة . أعصابك اليوم ثائرة . سأضيف إلى الدم الجديد قليلا من الفاليوم المهدئ .

سـيـريـن : لا أريد مهدئات كيماوية . أنا أفضل تدخين قطعة من الأفيون كما أفعل .

الممـرضــة : ليتك تذيقني هذا الأفيون يوما ما .

سـيـريـن : إياك ! لن تستطيعى الامساك بالحقنة .

الممـرضــة : أعطني قطعة صغيرة أجربها مع زوجي في إجازه نهاية الأسبوع .

سـيـريـن : خذى . ولكن حذار ! في البداية لا تضعي في الغليون **(البايب)** أكثر من قطعة في حجم رأس الدبوس . وإلا فستتعرضين للإصابة في القلب .

الممـرضــة : هل تفيد حينما ينام معي زوجي ؟

سـيـريـن : بل يحدث الفشل الذريع !

الممـرضــة : إذن. لن أعطى منها لزوجي. بل سأقوم بتدخينها وحدى . هل قمت بقياس حرارتك ؟

ســـيـــريـى : نعم . أشعلى لى النارجيلة .

الممــرضـــة : سترفع من درجة حرارتك .

ســـيــريـى : أحب أن ترتفع حرارتى قليلا .

الممــرضـــة : أرجو اليوم أن تحضر خادمتك . لقد فاض بى الكيل من تنظيف غرفتك من بقايا الحفلات التى تقيمها . إننا لم نر مثل ذلك فى المستشفى منذ إنشاء التأمين الصحى .

ســـيــريـى : أنت تتكلمين كرجل لوطى .

الممــرضـــة : أنا أتساءل : ألم يكن من الأفضل أن أولد لوطية . لقد تيسرت لك أمور كثيرة فى حياتك .

ســـيــريـى : أنا معجب بك جدا . حينما أخرج سأصحبك فى جولة لكبار الخياطين (**مصممى الأزياء**) أنت مثلى الأعلى للمرأة .

الممــرضـــة : أنت لست أول من يدعونى لمثل ذلك . من الأفضل لو أنك ذكرتنى فى وصيتك .

ســـيــريـى : إذن فلن أترك لك سوى الديون .

الممــرضـــة : على أية حال . إذا كنت ماتزال على قيد الحياة . فذلك بفضلى أنا بالذات . فينبغى عليك أنت أن تقدم لى هدية عيد الميلاد .

ســـيــريـى : سبق أن أعطيتك جميع مجوهراتى .

الممــرضـــة : البيجاما التى أرسلتها زوجة أخيك. إذا كانت لا تعجبك ...

ســـيــريـى : وهل ترتدين مثل هذه الأشياء ؟

المـمرضــة : أودُّ أن أبقى فى البيت أتمخطر فى بيـجـامـا . لكن ليس عندى وقت . هى هدية أقدمها لزوجى الذى يبقى فى البيت طول النهار يحضِّر لى أطباقا عينات .

سـيـريىْ : ذوقه غريب زوجك هذا . ينبغى أن تقدميه لى .

المـمرضــة : لا . يا سيدى ! زوجى أنا أحتفظ به لنفسى . صاحبك وصل مبكرا اليوم .

سـيـريىْ : أى صاحب ؟ هوبير ! قولى له إنى أموت . فليأت فى يوم آخر .

المـمرضــة : لو قلت له ذلك . لظل ينتظرك حتى تموت .

سـيـريىْ : قولى له إنى مت فعلا . نقلونى للمشرحة .

المشهد الثانى

(المـمرضة - سيريىْ - هوبير)

سـيـريىْ : تأخرت كثيرا ! ما الذى جاء بك يا هوبير مبكرا هكذا ؟

هـوبـيـر : أردت أن أكون أول من يهنئك بعيد ميلادك . وقد سمحت لنفسى بأن أحضر لك هدية .

سـيـريىْ : بيجاما ! ماريا . تعالى . تفرجى على هذه الزركشة . زوجك هو الذى سيكون سعيد بهذه الهدية .

المـمرضــة : أوه ! هذه البيجامة جميلة جدا . سأحتفظ بها لنفسى . **(تخرج)**

المشهد الثالث

(سيريىْ - هوبير)

سـيـريىْ : قل لي يا عزيزى هوبير . كيف حال الدنيا منذ انسحبت منها ؟

هـوبـيـر : ماشى الحال . يا أستاذ .

سـيـريىْ : بكل أسف ! لو كنت أستطيع إيقافها ! كيف تقضى سهراتك الآن بعد أن تركتك وحيدا بلا أنيس ؟

هـوبـيـر : أبدا. يا أستاذ. باريس الآن لم تعد كما كانت فى الماضى. بعد غلق ملهى (**ثور فوق السطح**) لم نعد ندرى ماذا نصنع بعد العرض . وفوق ذلك . لم تعد هناك عروض . وحتى لو حدث . لم تعد هى المكان المناسب للقاء صفوة الجنس الثالث ولا العمر الثالث . مازال من الممكن أن يتنزَّه الناس فى حدائق التويليرى . لكننى شخصيا أخاف أن ينشلوا حافظة نقودى . من حظك أنك مصاب بالإيدز. فأنت هنا على الأقل لا تتعرض لأى خطر.

سـيـريىْ : أنت دائما يا هوبير تجد اللفظ المناسب الذى يسر الخاطر .

هـوبـيـر : هذه هى الحقيقة . أنا أغار منك . أخاف أن أعيش مائة عام . لأننى منذ الآن أصبحت لا أدرى ماذا أصنع بحياتى.

سـيـري : اذهب لتعيش فى العالم الثالث . إنك بما عندك من أموال تستطيع أن يكون لك بلاط من الشبان المراهقين يهوون عليك بمراوح من أوراق شجر الموز .

هـوبـيـر : لقد فكرت فى ذلك . لكننى أخاف من الشعور بأننى بعيد جدا عن أصدقائى .

سـيـري : أصدقاؤك ماتوا جميعا .

هـوبـيـر : بقى لى أنت . يا أستاذ .

سـيـري : لن يدوم ذلك طويلا ! وحينما أموت أنا أيضا . ماذا ستصنع بوقتك ؟

هـوبـيـر : سأذهب إلى المقابر .

سـيـري : من أخبرك أننى سأذهب إلى هناك ؟

هـوبـيـر : الجميع هناك .

سـيـري : صحيح !

هـوبـيـر : إذن . أين ستذهب ؟

سـيـري : لن أقول لك . أنا لا أنوى أن أخبر أحدًا أيًا كان بعنوانى القادم .

هـوبـيـر : وضريحك ؟

سـيـري : أى ضريح ؟

هـوبـيـر : لم يكن بنيتى أن أخبرك . ولكنك فعلا أصبح لك ضريح فى أرض المقابر . هذه هديتى لك . اسمح لى أن أقدمها لك بعد موتك . يا أستاذ .

سـيـري : هوبير . أنا أكرهك .

هوبير : لقد اشتريت أرضا أمام أوسكار وايلد بالضبط وعلى بعد خطوتين من مونترلان . إنني أتحرَّق لكي أريك الصور الجوية لما تم إنجازه من أعمال .

سيريْ : وما هذا ؟

هوبير : تمثالك . يا أستاذ .

سيريْ : لو سمحت . كسر هذا تماما .

هوبير : لعلك كنت تفضل مقبرة مونبارناس لأنها أكثر ألفة .

سيريْ : أنا لا أريد أن أدفن في أي مكان . لقد تمنَّعت عليك منذ كنا في المدرسة الثانوية . فلا تظن أنك ستتمكن مني حينما أموت . أنت عجوز عاشق للجثث!

المشهد الرابع

(سيريْ - هوبير - الممرضة)

الممرضة : أنت اليوم على ما يرام . صراخك وصخبك واصلان لحد المطابخ . هناك صحفي يريد مقابلتك .

سيريْ : هل معه آلة تصوير ؟

الممرضة : لا . لقد قمت بتفتيشه .

سيريْ : هوبير . يا عزيزي . يمكنك أن تحضر اللقاء بشرط ألا تذكر شيئا عن عمري. وبالذات لا تذكر أنني كنت معروفا قبل الحرب .

هوبير : أنت لم تكن معروفا قبل الحرب .
سيريْ : أكثر من ذلك . أنت عرفتنى حينما كانت أمى ما تزال ترضعني. فأنت كنت رفيق والدى فى المقاومة ضد الألمان. أدخلى الصحفى .

المشهد الخامس

(سيريْ-هوبير-الممرضة-الصحفى)

الممرضة : أستاذ هوبير . قم أنت بدور سيدة البيت . أنا مشغولة جدا . فهذا وقت نوبتى . ستجد المشروبات فى الثلاجة فى الفيراندا .
(الممرضة تخرج).

المشهد السادس

(سيريْ - هوبير - الصحفى)

سيريْ : اقترب أيها الفتى . لا تخش شيئا إن قبلت يدى . أنا لست مصابا بأى مرض معد . بصرف النظر عن الرذائل الخلقية . هوبير . مقعداً لو سمحت . ما اسمك ؟
الصحفى : جان مارك . يا سيدى .

سـيـريـنْ : هل أخبروك أنك تشبه شخصا يدعى بوتيشيللى ؟ فعلا . بوتيشيللى هذا مصور مشهور كان يقيم فى مدينة فيرونا .

هـوبيـر : صورة طبق الأصل من بوتيشيللى .

سيـريـنْ : ممكن تأخذ معنا كأس نبيذ أبيض من فيرونا يحبه بوتيشيللى ؟ هوبير . قدم النبيذ . أخبرنى أولا بموضوع الحديث الذى جئت من أجله . لأننى أحذرك : أنا لا أستطيع أن أتحدث فى جميع الموضوعات . فأمى مثلا لا تعرف أننى رجل لوطى .

هـوبيـر : كلا . هى تعرف ذلك .

سـيـريـنْ : هوبير . أنا الذى أدير المقابلة .

هـوبيـر : هل تحب أن أصنع لك قليلا من مربى البرتقال فى النبيذ الأبيض يا عزيزى بوتيشيللى ؟

الصـحـفى : بكل سرور . أشكرك .

هـوبيـر : لكن يا أستاذ . الناس جميعا يعرفون أنك لوطى .

سـيـريـنْ : لكن أمى لا .

هـوبيـر : بل هى تعرف ذلك منذ طفولتك الأولى . فالأم لا تخطئ ولا تنخدع .

المشهد السابع

(سيريىْ – هوبير – الصحفى – الممرضة)

الممرضة : هذا هو الوسط الممتاز هنا . نقل الدم عندك يتم بمنتهى السرعة لأنك تتحرك أشبه ببائع متجول . وأنت تعرف أن قلبك ضعيف . فكلما شاهدت شابا تعرضت لاحتمال حدوث نزيف . هناك أيضا سيدة تريد مقابلتك .

سيريىْ : سيدة هنا ؟ لابد أنها زوجة أخى . قولى لها البيجامة التى أرسلتها لى لا تعجبنى وأننى لا أريد مقابلتها .

الممرضة : هذه ليست زوجة أخيك .

سيريىْ : إذن . لماذا تريد مقابلتى ؟ أولا . من تكون ؟ هذه المرأة لابد أن لها اسمًا . هل هذه بطاقتها ؟ ريجينا مورتى ؟ هى إيطالية ؟

الممرضة : لست أدرى .

هوبير : أليست هي مغنية الأوبرا التي كنت تعرفها في فيرونا قبل الحرب ؟

سيريىْ : ريجينا مورتي ؟ يعني ملكة الموت ! ياله من اسم مشئوم !

هوبير : لكنه اسم ممتاز بالنسبة للأوبرا .

سيريىْ : هل يبدو عليها شكل مغنية أوبرا ؟

الممرضة : أنا لا أعرف كيف يكون شكل مغنيات الأوبرا ؟

هوبير : هل يبدو على هيئتها الاحترام ؟

♦المــرضــة : على أية حال. هى لا تخشى من سرقة مجوهراتها فى المترو.
هــوبيـــــر : هى إذن مغنية أوبرا .
ســيــريىْ : أنا لا أحب مغنيات الأوبرا . فمن المستحيل إسكاتهن . ثم أنها لو رأت الصحفى فستحاول أن تسرق منى الحديث . أدخليها فسأعرف كيف أدافع عن نفسى .
(المرضة تخرج)

المشهد الثامن

(سيريىْ - هوبير - الصحفى)

ســـيـــريىْ : عزيزى جان مارك . ولكن هذا اسم مبتذل . أتسمح لى أن أسميك جان ماركو؟
الصــحــفي : طبعا يا أتساذ .. بكل سرور ..
ســـيـــريىْ : جان ماركو بوتيشيللى . أنا سعيد جدا لوجودك معى . أنت تتمتع بما نجده فى تماثيل عصر النهضة من جمال رائق صاف . عدنى ألا تكون قاسيا معى فى المقال الذى تكتبه عنى فى جريدتك . فقد شاعت عنى أكاذيب تتعلق بسوء طبا ع مزعوم . وأننى تعودت أن أصفع زملائى الممثلين . صحيح أن المرء منَّا يشعر أحيانا بأنه يريد أن ينفس عن مشاعره فى الكواليس . لكننى لم أسئ معاملة أحد من أصدقائى فوق خشبة المسرح .

المشهد التاسع

(سيريىْ - هوبير - الصحفى - ريجينا مورتى)

سيريىْ : مدام ريجينا مورتي، آه ريجينا! عزيزتي ريجينا ! ياله من شعور لطيف منك أن تأتي لزيارتي . أنت هنا لعدة أيام في أوبرا باريس لتلعبي دور البطولة في أوبرا (كارمن)... أنا قرأت هذا الخبر في إحدى الصحف ... أم كان هذا في الموسم الماضى ؟ أقدم لك جان ماركو . شاب فرنسى لطيف، و هوبير أحد رفاق السلاح لوالدى .

هوبير : هوبير ديبونّيه .

سيريىْ : عزيزى هوبير، أمامك صاحبة أقوى حنجرة في العالم، ريجينا أسمعينى مرة أخرى آخر ألحان بريندزى فى الترافياتا .

ريجينا : (تغنى)

المشهد العاشر

(سيريىْ - هوبير - الصحفى - ريجينا نورتى - الممرضة)

الممرضة : ماذا يحدث هنا ؟ لقد أيقظتم الطابق كله .

سيريىْ : برافا ! برافيسّيما ! هايلة ! ممتازة ! سيى أونا ديفينيتا ! أنت معجزة ! اسمعى يا ماريا . أنا لم أطلب حضورك ! اذهبى واهتمى بأمر مرضاك .

المـرضـة : أنت الذى سيصاب بالمرض لو ظللت تتحرك هكذا . لا تنس أنك أصبت بغيبوبة الأسبوع الماضى . هل رأيت ضغطك ؟ أنت ستنفجر بعد قليل !

ريجـينا : ليس من عادتى أن أفجرً مستمعىً يا أنسة .

المـرضـة : من فضلك ! أنا هنا الآمر الناهى ! أنا لا أريد إثارة مشاكل ساعة الإفطار ! سأتركك الآن ! ولكن إذا استمرت هذه الفوضى. فسأمنع عنك الزيارات ! واضح ؟
(الممرضة تخرج)

المشهد الحادى عشر

(سيريْ - هوبير - الصحفى - ريجينا مورتى)

سـيريْ : أرأيت كيف يعاملوننى هنا يا عزيزتى ريجينا ! تصورى أن هذه المرأة التى بلا قلب هى التى ستتلقى أنفاسى الأخيرة عند موتى .

ريجـينا : اعتمد علىَّ . يا صديقى . صدقنى . أنا سأحميك من هذه الممرضة الشرسة ! بمجرد أن علمت أنك مشرف على الموت قررت أن أترك كل شىء لكى أكون بجوارك حتى الفصل الأخير . لقد ألغيت جميع العقود ! مازلت حتى الآن أحتفظ بكلماتك الرقيقة التى بعثت بها إلىَّ فى افتتاح أوبرا توسكا على مسرح ميلانو . هاهى ذى :

ريجينا . أحبك ! ريجينا . أحبك ! لم أرك منذ ذلك الحين . ولكنني كنت واثقة من أننا سنلتقي يوما ما . إن أسقف جنوه ابن عمي . لا ينتظر سوى مكالمة هاتفية لكي يحضر وينضم إلينا .

سيريني : أنا لا أستطيع أن أتزوج بك يا عزيزتي ريجينا . فأنا مصاب بالإيدز .

ريجينا : يا له من مرض رائع ! أي مجد أعظم من أن يقضي المرء نحبه تحت عبء كل هذه المغامرات الفاضحة ! ما أروعها من نهاية لفنان كبير ! ويا له من مصير لامرأة أرملة ! سأقوم بتأليف طقطوقة لأغنيها يوم جنازتك ! أستاذ ديبونيه . ألم يبق عندك شيء في الثلاجة ؟ أنا في حاجة لأهدئ عصافير معدتي . هناك دجاجة ؟ ولكن أنا لا أريد أن آكل دجاجة كاملة . نصفها يكفيني .

سيريني : هذه دجاجتي يا هوبير ! أنت ستأكلين علبة سردين .

ريجينا : سردين؟ سردين بالزيت؟ ليس هناك أفضل من هذا للمحافظة على قوة الرئتين. ولكنني أرى أن عندكم أيضا لحم روزبيف. أنت تلقى معاملة طيبة من التأمين الصحي . لو كنت أعرف . لما أنفقت المبالغ الضخمة في فندق (ريتس) في كل مرة آتي فيها إلى باريس سأحجز ملحقا في جناحك .

سيريني : الفندق كامل العدد .

ريجينا : لا تكن سخيفا . هل هذه طريقة تقابلني بها بعد هذا الغياب الطويل ؟ تقابلني بمشاجرة عائلية !

سـيـريـنْ : أنا لم أبعث إليك أبداً بهذه الكلمة السخيفة . بمجرد أن تنتهى من إفطارك سأشكرك على زيارتك .

ريجـينا : ألا تسألنى عن قيمة المهر الذى سأدفعه لك ؟

سـيـريـنْ : هل تظنين أننى عاشق تافه تنفق عليه النساء . أيتها الخنزيرة العجوز !

ريجـينا : لست أنت الشاب الذى تنفق عليه النساء . وإنما هم الذين خربوا بيتك ! ديكوراتك المسرحية القديمة صفّوها فى المزادات !

سـيـريـنْ : ولكن ماذا تريدين منى أن أصنع بأموالكم وأنا فى هذه الحالة؟

ريجـينا : سأبنى لك (**إل بيو جراندى بانتيون**) فى العام . أكبر مدفن فى العالم . فى مقبرة (**جبانة**) جنوه . لتطل وتشرق على البحر المتوسط .

سـيـريـنْ : شكرا ! لقد بنيت مدفناً فعلا فى جبانة القديس لاشيز !

ريجـينا : لا تقارن جبانة القديس لاشيز بجبانة جنوه !

هـوبـيـر : عفواً يا عزيزتى ريجينا ، أنا الذى أتولى هذا الموضوع , وردّى على اقتراحك هو " الرفض " . الضريح الذى شيدته فى جبانة القديس لاشيز ، لاينقصه سوى اللمسات الأخيرة . الضريح الآن ممكن استعماله .

ريجـينا : لكنه يستطيع أن يقضى الصيف فى إيطاليا .

Un pànteon sulla baia di Genova, il piu bel Tromento al' mondo!

مدفن فوق خليج جنوه أجمل منظر غروب للشمس في العالم !

سيريني : أنا لا أحب خليج جنوه !

هوبير : هكذا يا عزيزتي ترين أن اقتراحك لا يحظى بأي قدر من القبول والاعتبار . ويجب أن أخبرك أنه ممنوع منعا باتا سفر الأموات لقضاء عطلة الصيف ، حتى داخل السوق الأوروبية المشتركة ؛ ومن ناحية أخرى ، فهذه عملية بغيضة إلى أقصى الحدود ، لأنها قد تلقى الرعب في قلوب الأطفال المسافرين للاصطياف .

سيريني : هوبير ، كفَّ عن المناقشة ، وأعطها معطفها لتنصرف .

ريجينا : أوه ! حبيبي! احتقارك هذا يلقى بي في اضطراب عميق! أنا التي كنت أفكر في مشاركتك السلام والسعادة في نهاية مطاف حياة صاخبة ، أنا التي كنت أتمنى أن أرتدي الحداد عليك أشبه بلواء عبقرية تمثيلية ، أجد نفسي في هوَّة سحيقة ! في أي جحيم أشباح يلقى بي احتقارك وإهمالك !

سيريني : نحيبك هذا يثير الأعصاب يا سيدتي . خذي معطفك وأسرعي إلى طبيبك النفساني .

ريجينا : بدلا من أن أهجرك ، أفضل أن أضع حدا لحياتي

سيريني : أمامك. أين سكين الروزبيف ؟ يا شمس حياتي ، انظر في عينيَّ للمرة الأخيرة ! إذا كانت رغبتك هي أن أضع حدا لحياتي ! فأنا طوع أمرك !

المشهد الثانى عشر

(سيريىْ - هوبير - الصحفى - ريجينا مورتى - الممرضة)

الممرضة : اسمعي يا سيدتي ، هل تعتقدين فى الميلودراما ؟ أعطنى هذه السكين . فهذا خطرا !

سيريىْ : وصلت في وقتك يا ماريا . مدام مورتي انتهت زيارتها . يمكنك اصطحابها للخارج .

الممرضة : هيا ، اخرجى ، وإلا فسأغضب !

ريجينا : (يغمى عليها بين ذراعى الصحفى) – Addio mondo' cruel وداعًا أيها العالم القاسى !

سيريىْ : ليس فوق فراشى !

الممرضة : ماذا بها ؟ كأنها تختنق، لقد ازرق لونها ! ابتلعت شيئا ! أنت أصابعك طويلة ، حاول أن تنزع ما دخل حلقها ! ما هذا ؟

الصحفى : ورك دجاجة .

سيريىْ : ابتلعت ورك دجاجة ؟

هوبير : مثل الأفاعى الكبيرة !

سيريىْ : خذيها إلى الإسعاف ! بسرعة قبل أن تفيق !

ريجينا : ! O profonda notte dell infortunio أواه يا ليل الكارثة العميق !

المشهد الثالث عشر

(سيريىْ - هوبير - ريجينا مورتى - الممرضة - البروفيسور فيرتودو)

سـيـريىْ : البروفيسور العزيز !

البروفيسور: الأستاذ العزيز ! اسمح لى أن أقدم لك مارون جلاسيه . لقد مضى عامان وأنت فى العلاج تحت إشرافى .

سـيـريىْ : يا لها من لفتة لطيفة أن تفكر فى عيد ميلاد الإيدز الذى أصابنى . كيف حالى يا عزيزى البروفيسور ؟

البروفيسور: بماذا تشعر أنت ؟

سـيـريىْ : أشعر بقلق شديد . أخشى أن أموت قبل أن ألعب دور ريتشارد الثالث .

البروفيسور : لا تقلق ، يمكنك أن تقوم بتقديم عروض هنا فى المستشفى كما كان يفعل "ساد" . سأعيرك بعض المرضى لمساعدتك . وسأكون ممنونا لك لو أعطيتنى دوراً صغيرا يا أستاذ ، حتى ولو حامل رمح فى المسرحية .

سـيـريىْ : سأفكر في ذلك ياعزيزى البروفيسور! والآن عندى سؤال: متى سأخرج من هنا ؟

البروفيسور: لا تفكر فى مغادرتنا ! فالعلم الآن له متطلبات صارمة مثل المسرح . ينبغى أن تشعر بالفخر من النجاحات المتكررة ضد الموت التى كنت أنت بطلها فى هذا الصرح

العلمي . هل الموت الذى يتربص بك يختلف عن الموت المتَّشح بالسواد فوق خشبة المسرح ؟

سيريْ : عزيزى البروفيسور . أنا أشكرك على حبك للمسرح ، ولكنى فى هذه الحالة ، متى سأموت ؟

البروفيسور: ما هذا الذى بين يديك ؟

سيريْ : لتر من السورامين ، كما يحدث كل اسبوع ، ومليار من وحدات الانترفيرون (interferon) كل شهر ، بصرف النظر عما يُصنع بى كل يوم .

البروفيسور: عظيم ، عظيم جدا . مدام بونجو ، ملف المريض . ألم تحدث أى وعكات صحية خلال الأيام الأخيرة ؟

سيريْ : توقف للقلب مرتين ، وغيبوبة مرة .

البروفيسور: عظيم ،عظيم جدا .

الممرضة : يا له من يوم يا بروفيسور ! هذه السيدة أغمى عليها وهى ليست من نزلاء المستشفى وليس عندى سرير لها .

البروفيسور: تصرفى يا مدام بونجو. عظيم ، عظيم جدا . عظيم جدا ، عظيم جدا . بل عظيم جدا جدا .

سيريْ : كيف عظيم جدا ؟

البروفيسور: فى الحقيقة ، من المفروض أنك تكون قد متَّ فعلا .

سيريْ : من المفروض أنى قد مت فعلا ؟

البروفيسور: أنت عشت زيادة على عمرك ستة أشهر على الأقل .

سيريْ : أنت متأكد ؟

البروفيسور: مدام بونجو ، خذى من المريض عيِّنة من الدم من ذراعه الأخرى ، يجب أن نعرف سبب هذه الصحة المفرطة . وإلا يجب أن نعترف بحدوث معجزة .

سيريىْ : أرجو ألا تغيروا بالقوة حالتى الصحية إلى أسوأ .

البروفيسور: لا تخش شيئا ، لن يكون ذلك سوى معجزة من معجزات العلم.

سيريىْ : إذن سأمتثل للشفاء ؟

البروفيسور: بالعكس ، بالعكس ، مادمت قد قلت لك إنك من المفروض أن تكون قد مت .

سيريىْ : طمأنتنى! ولكنى أعود إلى سؤالى الأول : حقيقة سأموت؟

البروفيسور: لن تموت أبداً يا أستاذى العزيز ، سيبقى اسمك خالداً حتى بعد مماتنا نحن .

سيريىْ : أنا لا أتكلم عن اسمى ، أنا أتكلم عنى أنا .

البروفيسور: سوف تعيش عمراً يساوى عمر الإيدز . وقد بلغ الإيدز من العمر عامين . سنتحدث فى ذلك فى مناسبة عيد ميلاده القادم . سأمر عليك غدا لكى أراك ككل يوم .

هوبير : هل تحب أن تشاركنا إفطارنا يا عزيزى البروفيسور ؟ فرصة لتغيير ما يفرض عليك فى الكافيتيريا .

البروفيسور: شكرا ، شكرا ، كان بودِّى . ولكن ليس عندى وقت لابد أن أجرى عملية فى المخ بعد ربع ساعة .

سيريىْ : عملية فى المخ لمريض بالإيدز ؟

البروفيسور: عمليات المخ هي هوايتي المفضلة . فأنا لا أجريها سوى يوم الأحد . ولكن ماذا أرى ؟ ورك دجاجة ؟

هوبير : ليس هذا يا عزيزي البروفيسور . بل خذ هذا الورك الآخر الذي لم يسبق استعماله .

البروفيسور: ولحم روزبيف ! لا أصدق عينيّ! أهو من الكبد الحقيقي ؟

هوبير : سأذهب لأعد لك "بلاتوه" لنقضي نزهة ونتناول الطعام في الخلاء قبل أن تجري عمليتك .

البروفيسور: لا أريد أن أفرغ خزانة طعامكم .

هوبير : لا يهم . سنحصل على غيره من مطاعم فوشون . أليس كذلك يا أستاذ ؟

سيريئ : طبعا ! خذ كل شيء يا عزيزي البروفيسور .

البروفيسور: لا أعرف كيف أشكرك ؟

هوبير : لا شيء يعز عليك يا عزيزي البروفيسور .

البروفيسور: يا مدام بونجو ، ساعديني في نقل هذه الطيبات من الرزق . أنت تعرفين مخبأً في حجرة العمليات . سأتناول طعامي في وقت الراحة .

الممرضة : أنا لست خادمتك .

البروفيسور: منذ أن تزوجت أصبحت لا تطاقين يا مدام بونجو . أمامي .

الممرضة : وماذا أصنع بمغنية الأوبرا ؟

البروفيسور: سنجد حلا دائما لكل شيء .

(الممرضة والبروفيسور يخرجان)

المشهد الرابع عشر

(سيريْ - هوبير - الصحفى - ريجينا مورتى (مغمى عليها))

سـيريْ : هوبير ، أنت تعرف تماما أن مطاعم فوشون لا توصل الطلبات للمنازل يوم الأحد.

هوبيـر : على العموم عندنا " المارون جلاسيه " الذى أحضره البروفيسور .

سـيريْ : لن أموت بالمارون جلاسيه بالذات !

المشهد الخامس عشر

{سيريْ - هوبير - الصحفى - ريجينا مورتى (مغمى عليها) - الممرضة}

الممرضة : الساعة الآن الثانية عشر ظهرا . هل تحب تناول الطعام فى الخلاء ؟

سـيريْ : ماذا تقدمون ؟

الممرضة : جزر مبشور وهامبرجر بالماكيرونه . ومن حقك قطعتان من الحلوى لأن اليوم هو يوم الأحد : قطعة من الجبن وزبادى بالفراولة .

سـيريْ : أكل مقرف !

هوبيــــر : المفروض أنه طعام صحى مادام ليس له رائحة .

سـيـريىْ : إذن ، كله أنت وأعطنى أنا المارون جلاسيه .

المـرضـة : تصرّفوا !

(المرضة تخرج)

المشهد السادس عشر

(هوبير - سيريىْ - الصحفى - ريجينا مورتى (مغمى عليها))

الصـحـفى : يمكننى أن أذهب لأحضر لك شيئا تأكله من خارج المستشفى يا سيدى .

سـيـريىْ : آه ، أنت ما تزال هنا ؟ ألا تقول شيئا ؟

الصـحـفى : لم تتح لى الفرصة يا سيدى .

سـيـريىْ : هذا كل ما لديك من أقوال ؟ اسمع ، إذا نشرت كلمة واحدة مما رأيت وسمعت هنا فسألعنك من العالم الآخر .

الصـحـفى : لن أفعل ذلك ، يا سيدى .

سـيـريىْ : لماذا لا تقول لى أستاذ ؟

الصـحـفى : لم أتعود على ذلك يا أستاذ ؟

سـيـريىْ : أنت مرتبك ؟ ألم تصادف فى حياتك الخاصة مجنونة ؟

هوبيــــر : أستاذ ، يجب أن تتخلص من هذه العادة السيئة فى معاملة الصحفيين ، قبل لحظة كنت تشبهه ببوتيشيللى .

سيريْ : أنا شبهت هذا الوحش ببوتيشيللى ؟ أنت تنتمي إلى جيل من الناس عديمي الجمال يا عزيزى هوبير ، أره صورة لي وأنا في مثل عمره .

هوبير : أي صورة ؟

سيريْ : أره صورتي وأنا في دور هاملت .

هوبير : أنت قمت بدور هاملت في جميع الأعمار .

سيريْ : أره أية صورة ،لا يهم ،

هوبير : لا أجد لك أية صورة وأنت في دور هاملت . ولكن هذه الصورة لك وأنت في دور الخادم. أعتقد أنها في مسرحية توفاريتش ؛ أنت فيها بجوار الفنانة إلفيرا بوبيسكو .

سيريْ : اقطع بوبيسكو وأره صورتي وحدى .لا تحن رأسك لترى الصورة ، بل ارفع الصورة قليلا فوق مستوى نظرك . أخر رأسك قليلا للوراء . هوبير ، مرآتى المتحركة . امسكها بيدك الأخرى، ارفع حاجبيك... ارفع قليلا ... قليلا أيضا ... قليلا أيضا، قدِّم ذقنك كما أنا في الصورة ... الآن شكلك يصلح بروفيل في المسرح . ستكون ممثلا لو كان عندى وقت لتدريبك وإعطائك بعض الدروس .

الصحفي : لعلى لا أملك الموهبة يا أستاذ .

سيريْ : أنا أقمل ذلك لكى أطيب خاطرك ، لأنك في الواقع تشبه شوال البطاطس . أنت طرى ويصاص مثل جميع الصحفيين . لقد سخرت منك في ثلاث جمل . انتهت المقابلة ، يمكنك تدبير أمرك .

المشهد السابع عشر

(هوبير – سيريىْ – الصحفى – ريجينا مورتى (مغمى عليها) الممرضة)

الممرضة : هدية أخرى من زوجة أخيك .

هوبير : شربات من عند جروبى !

الممرضة : أنا لم أر فى حياتى شرباتا بهذا الحجم . إن زوجة أخيك هذه امرأة أرستقراطية حقا . بمناسبة عيد ميلادك ، طلب منى البروفيسور تخليصك من الأنابيب قبل الموعد **(تنزع عنه أنابيب نقل الدم)** وبذلك يمكنك أن تسير خطوات لكى تقترب من الشربات .

سيريىْ : هل شاهده البروفيسور وهو يدخل ؟

الممرضة الشربات ؟ إنه حتى مرَّر إصبعه فوقه .

سيريىْ : سيتوجَّب علينا يا هوبير أن نفكر فى طريقة لتموينا فى السر.

المشهد الثامن عشر

(هوبير – سيريىْ – الصحفى – ريجينا مورتى (مغمى عليها) الممرضة – البروفيسور)

البروفيسور : هأنت ذا قد تخلصت من الأنابيب ، يا أستاذ .

سيريني : كيف أشكرك يا عزيزي البروفيسور ؟

البروفيسور : كيف أشكرك أنا على هذا الروزبيف اللذيذ؟ طري مثل الزبد، ولكنني أرى أنكم تستعدون لتناول الحلو، في حين أن وقتي لن يسعفني لمشاركتكم. المفروض أن أكون الآن في حجرة العمليات. ولكن مريضتنا قد تبخّرت ولا أعرف أين ذهبت.

سيريني : هوبير ، ملاعق الحلو لو سمحت .

البروفيسور : ملعقة شربة واحدة تكفيني ، شكرا ! ممم ! الله ! شربات فراولة بريّة . تذكرني بعطر مربيتي أيام طفولتي في

هوبير : بوفيل ... وأول دراجة بثلاث عجلات **(تريسيكل)** ... كراك ، كراك ... وجارتي الصغيرة ، ماذا كان اسمها ؟ كانت لطيفة جدا بضفائرها الصغيرة وهي فوق العجلة ... ليلى كان اسمها ليلى ... ممم الله ! فنان كبير جُروبِّي هذا !

الممرضة : أيام الآحاد ، أنت تعرف كيف يكون الزحام في المدخل يا بروفيسور، مريضتك ربما يكونون قد نقلوها إلى قسم الولادة.

البروفيسور : معقول ! لقد شاهدتها قبل ساعة على الأقل وهي تحت المخدر في العنبر .

الممرضة : أنت متأكد ؟ لقد مروا صباح اليوم لأخذ موتى الأسبوع . فلا بد وأنهم أخذوها معهم .

البروفيسور : مدام بونجو ، هذا عملك ! أينما كانت ، أنا أريد مريضتي فورا فوق منضدة العمليات ! هذا أمر !

الممرضة : المشرحة لا تفتح يوم الأحد بعد الظهر .

البروفيسور : تصرفي ، يا مدام بونجو . ابحثي عن مفتاح المشرحة .

سيريْ : أنت فقدت مريضتك يا بروفيسور، وأنا وجدت لك غيرها . ماذا ينبغي أن أصنع بهذه السيدة المهووسة الموجودة في فراشي ؟ أنا لا أنوي أن أحتفظ بها هنا إلى الأبد .

البروفيسور : سيدة مهووسة؟ إنها مريضتي. كيف وصلت إلى هنا؟ ليس من اللطيف منك أن تأخذ مريضتي في فراشك يا أستاذ.

سيريْ : أخذها في فراشي ؟ أنا منذ ساعة وأنا أطالب بأن تخلصوني منها .

البروفيسور : مدام بونجو ,هل سمعت ؟

الممرضة : عمَّال النقالات مشغولون بالإفطار .

البروفيسور : أحسن ! سننقلها هكذا . أيها الفتى : ساعدني .

ريجينا : أشعر أنني محمولة في النرفانا ... أواه ، يا حبي العظيم , انتظرني ... بعد عملية المخ سأحبك أكثر ...

سيريْ : لا تنس أن تنظف لها مخها يا عزيزي البروفيسور !

(الممرضة والبروفيسور والصحفي يخرجون حاملين ريجينا مورتي مغمى عليها)

المشهد التاسع عشر

(سيريْ – هوبير)

سيريْ : هوبير ، هل أنا فتنْته ؟

هـوبيـــــــر : من ؟ بوتيشيللى ؟ إنه تحت قدميك ، يا أستاذ .

ســـــيـــريىْ : طريقتى القديمة ماتزال فعَّالة . لم يبق أمامى إلا أن أدفعه إلى الحب المجنون. هذه الليلة ، أنا ألعب بكل شىء لكل شىء . أما زلت أحتفظ بسترتى الجلدية ذات الأهداب الحريرية ؟ ومنديل العنق الهندى الذى اشتريته من عند شيروتى؟

هـوبيـــــــر : كل ملابس الخروج هناك فى بيتك .

ســـــيـــريىْ : كيف ؟ أليس عندى شىء أرتديه لكى أخرج من هنا ؟

هـوبيـــــــر : لا شىء ، يا أستاذ .

ســـــيـــريىْ : هوبير ، أنا لم ألاحظ أبدا أن مقاسك هو مقاسى .

هـوبيـــــــر : ولا أنا .

ســـــيـــريىْ : موديلاتك قديمة ، لكن لا بأس .

هـوبيـــــــر : هل تريد بذلتى ؟ وأنا ؟

ســـــيـــريىْ : أنت ستمضى الليل فى فراشى . يجب أن يبقى أحدنا ليخدع ممرضة الليل .

هـوبيـــــــر : وإذا عملوا لى إجراءات نقل الدم ؟

ســـــيـــريىْ : هذا سيحدث أكيد . ولكن هل تخاف من شكة حقنة ؟

هـوبيـــــــر : أنا أرتعد من مجرد الفكرة .

ســـــيـــريىْ : ظننت أنك صديق وفى يا هوبير !

هـوبيـــــــر : أستاذ . أنت تعلم أننى على استعداد لعمل أى شىء من أجلك ، ولكن

ســـــيـــريىْ : إذن ، أسرع ، بنطلونك ! وخذ ارتد بنطلون البيجاما هذا!

هـوبيـــــر : ولكننى فى هذه الحالة سأكشف لك عن ساقى .

ســـيـــريىْ : يجب أن أرى ساقين مرة على الأقل فى حياتى .

هـوبيـــــر : أنا أموت خجلا !

ســـيـــريىْ : إن ساقيك بالضبط كما كنت أتخيلهما .

المشـهـد العـشـرون

(سيريىْ- هـوبير - الممرضة - الصحـفى)

المـمـرضــة : يا أستــاذ هوبيــر ، ارتد مــلابسك . أنت تعـرف أن هذا ممنوع منعـا باتا . أنت بذلك تعـرضنى للمسـاءلة . هذه المرة ســأتظاهـر بأننى لم أر شــيـئــا ، ولكن حــذار المرة القادمة .

هـوبيـــــر : شكرا ، يا عزيزتى ماريا .

المـمـرضــة : يا أستاذ هوبير ، فى مثل سنك !

ســـيـــريىْ : يا هوبير ، متى تعدون المائدة ؟

المـمـرضــة : هذه أول مرة أذوق فيها الكبدة المشوية . مع أننى مولودة فى قرية اسمها كبدة وأمى من مدينة اسمها مشوية . غريبة ، أليس كذلك ؟

ســـيـــريىْ : حسب مـعلومـاتى ، أنت لست مـدعوة للطعـام . اذهبى وتناولى طعامك فى المقصف كما تفعلين كل يوم .

المـمـرضــة : ولكن اليوم هو عيد ميلادك .

ســـيـــريـنْ : إذن ، شريحة صغيرة فقط . فهذه الكبدة ليست مطاطة .

المـمـرضــة : إنها مثل طعام الكلاب . أوه ! ياللقرف !

هـوبـيـــــر : شريحة يابوتيشيللى ؟ ماريا : كأس نبيذ أبيض ؟

المـمـرضــة : شكرا ؛ لكى أبلِّع هذا القرف . لن تصدقنى ، لقد دخَّنت قطعة الأفيون . ولم أشعر بأى تأثير ، أيها الصحفى ، أنت تشبه زوجى ، ولكن على أبيض .

ســـيـــريـنْ : يا ماريا ، أنت تحت تأثير الأفيون. لقد حذرتك ألا تدخنى الأفيون قبل أن تعودى إلى بيتك .

صـــــــــوت البروفيسور : مدام بونجو ، ها هى المريضة .

صوت ريجينا: أوه ، يا حبى ! من أعماق اللاوعى السفلى أفكر فيك !

المـمـرضــة : قل لى . عندما ندخن الأفيون هل نرى الناس خضراً ؟

ســـيـــريـنْ : أنت ترين الناس خضراً لأن خيالك ضيِّق كخيال الذبابة . لو كان الأمر كذلك ، لما كان هناك داعٍ لتدخين الأفيون .

صـــــــــوت البروفيسور : مدام بونجو ، هاتى المشرط ! مدام بونجو ، فتاحة زجاجات !

المـمـرضــة : لا بأس إذا كنت أصبحت ذبابة ! فأنا أحب العالم وهو أخضر .

(تخرج)

المشهد الحادى والعشرون

(سيريىْ - هوبير - الصحفى)

سيريىْ : أخيرا أصبحنا وحدنا . هوبير ، ضع لنا فى المسجل شيئا من الموسيقى الخفيفة وأغلق الستائر .

هوبير : هل تحب لحن فالس من فيينًا ؟

سيريىْ : حط البيتيلز . فأنا من المعجبين بؤاخر الستينات .

هوبير : كنت أعتقد أنك لا تحب هذا .

هوبير : صديقى العزيز ، إذا كنت تريد زيارة ابنة عمك فى فيرساى ، فقد حان الوقت لكى تبدأ سفرك .

هوبير : ابنة عمى فى فرساى ؟ لقد ماتت .

سيريىْ : باستثنائى أنا ، لابد وأن يكون هناك أحد بقى على قيد الحياة من معارفك .

هوبير : لا أحد يا أستاذ .

سيريىْ : إذن اذهب إلى مدافن القديس لاشيز للإشراف على أعمال الضريح . لا تظل هكذا ملتصقا بى طول اليوم .

هوبير : سأذهب لأنام القيلولة فى البانيو . أيقظنى لمشاهدة مباراة كرة القدم فى التليفزيون .

(يخرج)

المشهد الثانى والعشرون

(سيرىْ - الصحفى)

سيريْ : لا تخش شيئا. أنا لا أنوى الاعتداء عليك أو أن أغتصبك، أريد فقط أن أسألك أنا ، مرة نتبادل الأدوار ، أنا سأقوم بدور الصحفي وأنت ترد على أسئلتى . كم عمرك ؟

الصحفي : ثلاثون عاما ، يا أستاذ .

سيريْ : دعك من "أستاذ" هذه . جنسك؟ تبدو متردداً . ما المكتوب فى شهادة ميلادك؟

الصحفى : الجنس ذكر .

سيريْ : أرأيت كيف أن الموضوع سهل ؟ متزوج ؟

الصحفى : لا ، يا أستاذ .

سيريْ : هل أنت دون جوان ؟ (زير نساء)

الصحفى : لا ، أبدا .

سيريْ : أنت حقا إنسان عادى جدا . هل سبق لك أن حلمت بالمجد ؟ ليس فوق خشبة المسرح . ولكن في الحياة الواقعية ، في صحيفتك ، أو فى أسرتك ؟ وأنت طفل صغير ، هل كنت تحب مساعدة العميان فى اجتياز الشارع لكى تثير إعجاب زملائك ؟

الصحفى : لا أظن أن هذا حدث لى فى حياتى . لقد كنت طفلا عاديا جدا أيضا ، يا أستاذ.

سيريْ : ولكنك وأنت مراهق ، لابد أنك حلمت بأن تصبح كاتبا كبيرا قبل أن تصبح صحفيا . ألم تكتب شيئا ؟ حتى ولو قصيدة ؟

الصحفي : لا أظن .

سيريْ : هل حدث لك شيء مهم ، ولو مرة ، في حياتك ؟ ولو حتى بالمصادفة ... ألم تحقق أى نوع من التميز ؟ ألا تمارس أى نوع من الرياضة ؟

الصحفي : بلى ، أنا أمارس التنس .

سيريْ : حالة ميئوس منها . أنت راسب . لا يحق لك أن تشغل ولو عموداً واحداً في صحيفتي .

الصحفي : أنا أسف لأني خيبت أملك يا أستاذ .

سيريْ : لست أول من يفعل ذلك . هل لك في نفس من نارجيلتي ؟ رائعة ، أليس كذلك ؟ هذه نارجيلة الكاتب جان كوكتو ، أعطاني إياها حينما كف هو عن التدخين . وأنا مازلت على قيد الحياة . لا أخشى أن أموت ، ولكن أخشى أن أظل محبوسا داخل إطار ذكرياتي . لو كانت الحياة الخالدة على هذا النحو ، فأنا أحاول أن أخرج منها منذ زمن بعيد . أليست رائعة هذه النارجيلة ؟

الصحفي : رائعة يا أستاذ .

سيريْ : سأتركها لك لترثها عني . وبذلك تذكرني في ليالي الضيق والملل والسأم

الصحفي : شكرا جزيلا يا سيدى !

ســـيــريـىْ : توهمت أن أعثر فيك على شبابى ، ولكن لا يوجد فيك شيء يجذبنى . قبل ثلاثين عاما ، كان من الممكن أن تثيرنى ، بل إننى غير واثق من ذلك ، ثم إنك لم تكن سوى طفل رضيع . أعد علىَّ قراءة ما قلت . كيف ، أنت لم تسجل ما قلت ؟

الصـحـفى : لا ، يا سيدى . أنا أعتمد على ذاكرتى .

ســـيــريـىْ : إذا كانت ذاكرتك بلهاء مثلك ، فلن تكتب سوى بلاهات : خذ كراسة من التأمين الصحى وقلمى الباركر. كم صفحة تنوى كتابتها ؟ أريد أن أعرف حتى أوزع تأثيراتى .

الصـحـفى : كم صفحة تريد ؟

ســـيــريـىْ : ليس المهم عدد الصفحات، ولكن أريد صورتى على الغلاف. هوبير، أين راحت صورتى وأنا فى دور هاملت؟

صوت هوبير : الحقونى ! النجدة !

(الصحفى يخرج)

ســـيــريـىْ : هوبير ، هذا المسكين يحلم بكوابيس فى أثناء القيلولة .

المشهد الثالث والعشرون

(سيريىْ – الصحفى يدخل ساندا هوبير)

هـوبـيـر : آى ! نحلة فى البانيو !

سيريىْ : لا بد فورا من انتزاع الزبانة (**الحمه**) ، لا تنس أنك مصاب بالسكر .

هوبير : جلست فوقها .

سيريىْ : ماريا . حينما نحتاجها لا نجدها .

الصحفى : اسمح لى أن أساعدك يا سيدى .

هوبير : آى !

الصحفى : الزبانة لم تدخل فى اللحم . ها هى ذى .

هوبير : أشكرك يا صديقى العزيز . لقد أنقذت حياتى .

المشهد الرابع والعشرون

(سيريىْ - الصحفى - هوبير - الممرضة)

الممرضة : سيدى هوبير، تانى؟ لم أكن أتصور أن يصدر ذلك منك ، شىء مخجل !

الصحفى : يوجد نحل فى الحجرة !

الممرضة : نحل . آى !

سيريىْ : جاء على الشربات، النحل غطاه بالكامل. ماريا، أخرجى الشربات من هنا .

الممرضة : أين تريدنى أن أضعه ؟

سيريىْ : ضعيه فوق خلية النحل .

الممرضة : أخاف !

سـيـريـنْ : لا تصرخى ستفزعينه ... امشى بهدوء نحو الباب ... إنها سكرى من الفراولة البرية :

(الممرضة تخرج بالشريات)

صوت ريجينا: أشعر أننى أعود إلى الحياة ، يا حبيبى !

المشـهـد الخـامـس والعـشـرون

(سيرينْ - هوبير الصحفى - ريجينا مورتى - البروفيسور)

البروفيسور : عزيزى الأستاذ ، اسمح لى أن أهدى إليك اختراعًا علميا دوليا ! لقد نجحت في تركيب مخ صناعي من اختراعي .

ريجـينـا : آه ياحبى ، مخى المعمول بالسيليكون لا يفكر إلا فى سعادتك . ودليلا على وفائى سأهديك مخى القديم ؛ الذى تركت فيه ذكريات غرامياتى السابقة . هو ماضىَّ الذى أهديه إليك فى هذه القطعة من المادة الرمادية .

سـيـريـنْ : ماضيك ، أعطيه لقطتك! ولا تقتربى منى ، أنت تخيفيننى! **(يختفى وراء الصحفى)** يا بروفيسور ، اعمل شيئا !

البروفيسور : سلوكها سلوك عادى تماما . هى تريد أن تبرهن لك عن مودتها .

ريجـينـا : Questo cervello col quale sono nata é per te, amore mio ! Devi mangiarlo per provare la tua passione !

tieni, mangialo tutto ! Quando tu sarai morto, io mangero il tuo cuore !

هذا المخ الذى ولدت به هو لك ,يا حبيبى ! يجب أن تأكله لتثبت لى حبك! حينما تموت ، سآكل أنا قلبك !

(تلقى المخ على الصحفى الذى يحمى وراءه سيريىْ، الصحفى يخرج وهو ينظف نفسه)

البروفيسور : يالها من ملهمة ! عبقرية مسرحية حقيقية !

المشهد السادس والعشرون

(سيريىْ - هوبير - ريجينا مورتى - البروفيسور - الممرضة)

الممرضة : **(تدخل حاملة الشربات)** النجدة ! النحل !

(تسقط بالشربات فوق البروفيسور)

سيريىْ : برافو ، ماريا !

هوبير : مفاجأة مسرحية حقيقية !

الممرضة : أوه بروفيسور . ماذا فعلت ؟ سامحنى .

البروفيسور : حاولى جمع بعض الشربات بملعقة ، يا مدام بونجو .

ريجينا : E adesso, amore mio, ché cosa devo fare? Sono la tua schiava !

والآن يا حبيبى، ماذا يجب أن أصنع؟ أنا جاريتك المطيعة.

سـيـريـنْ : توجهى بحديثك إلى البروفيسور ! فالمخ الذى فى رأسك من صنعه وعليه هو أن يصدر إليك الأوامر .

ريجـيـنـا : Mio caro professore, ché cosa devo fare ?

بروفيسورى العزيز ، ماذا يجب أن أصنع ؟

البروفيسور : قلت لك إن مخك يسير وحده . فليس فى حاجة لتلقى أوامر من أحد . أنت مخلوقة حرة .

ريجـيـنـا : Oh nobile vestale, che cosa devo fare ?

ماذا يجب أن أصنع ؟

المـمـرضـة : أنا لا أفهم شيئا حينما تغنى. إذا كنت تريدين شيئا ، فاسألى كما يسأل الناس .

ريجـيـنـا : عزيزى الأستاذ هوبير ، الطيب ، الجميل . إن القدر بعد أن تنقل بى من سيد إلى سيد، جعلنى لك جارية مطيعة ! أريد منك أن تصدر لى أمرا ! ماذا يجب أن أصنع ؟

هـوبـيـر : عزيزتى ريجينا ، أنا آمرك بالسكوت .

البروفيسور : آه ، كلا ، لا تقل لها ذلك . فهى ينبغى أن تظل تغنى دون انقطاع ، وإلا فإن مخها سيصاب بالعطل . ياعزيزتى غنى لنا شيئا يكون رقيقا على الأذن ، مثلا أغنية لتنويم الأطفال . الآن لا تريد أن تفتح فمها . ولكن هذا مجرد صدمة بسيطة تكون بعد العملية الجراحية .

سـيـريـنْ : سوف نستغنى عن صوتها . إن وجودها يملأ المنصة يا هوبير ، اركنها فى أحد الأركان .

هـوبـيـر : وأنا يا عزيزى البروفيسور ، متى سأعود للجلوس ؟

البروفيسور : سنفكر فى هذا الأمر بعد أسبوع .

المـــرضـــة : وأنا ؟ من يهتم بأمرى ؟ أنت تهتم بالجميع إلا أنا . أنت تعرف أننى دخنت الأفيون ، وأننى فى حاجة إليك الآن .

البروفيسور : مدام بانجو ، لا أريد فضائح أمام الجمهور .

المـــرضـــة : إذن ، ليعلم الجميع أنك عملة مزيفة . فمنذ عقدت زواجى على الزنجى ، لم تعد تدعونى لزيارتك فى الجارسونيرة ، لم تعد ترغب فيّ ، لأننى تزوجت من زنجى أسود . أيها العنصرىّ

البروفيسور : مدام بونجو !

ســـيـــريـْن : برافو ، يا مدام بونجو !

هـوبـيـــــر : ياله من جو دراماتيكى رائع !

المـــرضـــة : سأرسل إلى زوجتك خطابا دون توقيع ، سأصف لها كيف كنت تضاجعنى فوق الدراجة ذات العجلات الثلاث **(التريسيكل)**

هـوبـيـــــر : فقرة من فقرات الألعاب البهلوانية .

البروفيسور : سبق أن قلت لك إننى لا أريد أن يشاركنى فيك أحد . يا ماريا ! أنا رجل لى كرامة ! لكننى أقسم لك أننى لم أسمح لأحد بركوب التريسيكل بعدك .

المـــرضـــة : كذاب ! أنت فعلت ذلك مع فتاة الصالة .

البروفيسور : لم أركِّبها فوق التريسيكل ، وإنما فوق المكنسة .

ســـيـــريـْن : فوق المكنسة . رائع !

هـوبـيـــــر : مثل ساحرات شكسبير .

الممـرضـة : فـوق المكنسـة ؟ قـذارة . لم أكن أظـن أنك تجـرؤ على فعل ذلك.

سـيـريـي : ثوري أكثر . أخرجي كل ما عندك .

البروفيسور : ألا تكفين ، أيتها القذرة ؟

(البروفيسور يصفع الممرضة)

صفعة ! واقعية حقيقية !

هـوبـيـر : حبيبتي، هل تبكين ؟ هل سببت لك ألما ؟

البروفيسور : أحبك يا جان . لقد غفرت لك كل شيء .

الممـرضـة : نهاية سعيدة ، وا أسفاه ! يالخيبة الأمل !

سـيـريـي : سنركب التريسيكل :

البروفيسور : أنت مجنون ، الناس .

الممـرضـة : لنذهب إلى حجرة العمليات .

البروفيسور : اخرجوا أيها الأوغاد !

(البروفيسور والممرضة يخرجان)

المشهد السابع والعشرون

(سيريي - هوبير - ريجينا مورتي)

سـيـريـي : أين ذهب بوتيشيللي ؟

هـوبـيـر : لعله يتمشى في الحديقة .

سـيـريـي : سيرجع ، أنا متأكد .

ريجينا : فليرحلوا عنا ! فليرحل الأحياء مع الأحياء ! إن مملكتنا تجهلهم ! يا حبى ، متى ستكون دخلتنا ؟

سيريىْ : أنت مجنونة ؟ نحن لم نتزوج .

ريجينا : بل نحن كذلك فى مملكة الأموات .

سيريىْ : أنت ربما مت ، أما أنا فلا .

ريجينا : Ti voglio adesso ! Andiamo subito consommare il nostro Amor sul letto !

أريدك الآن . هيا بنا فوراً نمارس حبنا فى الفراش !

هوبير : ريجينا ، لاحظى أنك خارجة الآن من عملية حساسة .

ريجينا : أنت لا تريدني وأنت على قيد الحياة ، إذن سأقتلك لكى أتمكن منك ميتا . فلن يكون حبنا إلا أكثر قوة وأكثر إثارة . أين سكين الروزبيف ؟

سيريىْ : تانى ؟

هوبير : عزيزتى ريجينا ، من حقك أن تمارسى كل شىء. ولكننى أرى أن ملابسك هذه التى ترتدينها غير لائقة بهذه المناسبة السعيدة ، فملابسك الداخلية غير مناسبة . فلكى تأسرى قلب الرجل لابد أن ترتدى ثيابا داخلية مغرية. هل تعرفين معنى ذلك ؟ بعد قليل ، سأصحبك فى جولة فى بوتيكات حىٍّ بيجال الشهير ، وبذلك يمكنك أن تمارسى غدا .

ريجينا : Andiamo subito a pigalle, bello e buono signor Du-bonnet !

هيا بنا فوراً إلى بيجال، يا عزيزى الجميل الطيب القلب .

سـيـريـيْ : هو كذلك ، خذها إلى بيجال ، ثم اتركها هناك .

هـوبـيـر : ليس الآن فوراً ، يا عزيزتي ريجينا .

ريجـيـنـا : Subito ! Voglio andare a pigalle comprare le mutande sexy!

فوراً أريد أن أذهب إلى بيجال لأشترى الملابس الداخلية السكسي.

هـوبـيـر : فيما بعد ، قلت لك فيما بعد .

سـيـريـيْ : انتهز الفرصة يا هوبير ، وتخلص منها .

ريجـيـنـا : فورا ! فوراً ! Subito , subito!

هـوبـيـر : أنت تخنقينني !

ريجـيـنـا : Subito, subito, la morte subito !

فورا ! فورا ! الموت فورا !

المشهد الثامن والعشرون

(سيرييْ - هوبير - ريجينا مورتي - الصحفي)

(الصحفي ينقض على ريجينا ويضربها فوق رأسها بمصباح)

ريجـيـنـا : دو - ري - مي - فا - فا Do-re-mi-fa-fa

(الصحفي ينقل ريجينا إلى السرير)

سيريني : بوتيشيللي ، كدنا نموت خنقا ! أنت أنقذت حياتنا ! أين ذهبت ياملاكي العزيز ؟

الصحفي : كنت أقوم بتغيير مكان السيارة .

سيريني : هوبير، ابق بجوارها بالمصباح . أنا لا أريد أن أموت مخنوقا بيد امرأة . لقد قضيت حياتي أهرب من النساء .

هوبير : أنا شاهد على ذلك .

سيريني : حينما كنت أغادر خشبة المسرح ، كنت أجدهن في الكواليس جماعات في انتظاري . وأحيانا كن يصعدن من فتحة الملقن . كان ينبغي أن أستخدم رجال الإطفاء لإجلائهن عن مقصورتي . وكم من مرة وجدت بعضهن مختبئات خلف ملابسي ، وتحت أريكتي !

هوبير : في ماناوس ، كان لابد من استخدام الجيش لإخراجك من المسرح .

سيريني : وكلما قمت بدور المجنونة في المسرح ، زاد حبهن لي .

هوبير : لعنة ، لعنة حقيقية !

سيريني : عزيزي هوبير ، لقد أخرجتني من مواقف خطيرة كثيرة !

هوبير : لا تذكّرني بذلك ، هناك عشر حالات انتحار في أعناقنا .

سيريني : ولكنك أنت، ألا تقول شيئا ؟ انظر إليَّ . هل تخاف مني ؟

الصحفي : كلا ، يا سيدي .

سيريني : هذا المكان ، جو هذا المستشفي حيث كل شيء يذكّر بالموت . وهذه المرأة الفظيعة المفتونة بموتي ! وأنا في انتظار الموت... ألا تعرف أن الموت قابع في هذه الحجرة ؟

الصحفي : نعم لا أعرف ، يا سيدى .
سيريىْ : لقد جاء يبحث عنى ، وأظنه خلف ظهرى .
هوبير : هو موجود فعلا ، ولكن عمَّن جاء يبحث ؟ لعله لا يبحث عنك أنت .

المشهد التاسع والعشرون

(سيريىْ - هوبير - ريجينا مورتى - الصحفى - البروفيسور)

البروفيسور : عزيزى الأستاذ ، أيها السادة . لابد أنكم ستندهشون وأنتم تروننى فى ثياب المناطق الاستوائية . أنا مسافر إلى أفريقيا لأكافح مرض الإيدز هناك . هذا هو الشىء الوحيد الذى بقى أن أفعله حتى لا أصاب بالجنون .
سيريىْ : ستسافر إلى أفريقيا ؟ والمرضى الذين تعالجهم هنا ؟
البروفيسور : الأطباء يستبدلون بسهولة مثل المرضى .
سيريىْ : وأنا يا عزيزى البروفيسور ؟
البروفيسور : لا تحاول أن تثير شفقتى ؛ أنا لا أرجع عن قرارى . إن وضعى هنا ، بين زوجتى الشرعية ومدام بونجو ، أصبح غير محتمل ، هل تريد أن أعترف لك بموضوع التريسيكل؟ أنا طول عمرى أخاف من التريسيكل . فى أفريقيا ، على الأقل ، لا يعرفون التريسيكل .

سـيـريـيْ : أعطنى الفرصة لكى أفكر يا بروفيسور . ولا تتصرف بلا روية . استشر زملاءك قبل أن تتخذ قراراً .

البروفيسور : إنهم هم الذين يدفعوننى لترك الكرسى الذى أشغله فى الجامعة . إن طرقى فى العلاج تبدو لهم يومًا بعد يومًا مشبوهة ، مثيرة للشكوك . الطب الذى أمارسه ، أنا إنسانى أكثر من اللازم بالنسبة لعالم المعامل المتجمد الجامد . فى أفريقيا ، سيكون بإمكانى أن أطلق الحرية لتوجهاتى الإنسانية ، النابعة من القلب ، فهناك لن ينقصنى العنصر البشرى . أرجوك أن تشرح هذا كله لمدام بونجو . لقد أرسلتها لترتيب القبو أسفل ، لكى أبعدها لحظات لأنى أخشى مواجهتها بما قررت. وأنت ،

إذا أردت نصيحتى ، عالج نفسك بالنباتات . أنت على أية حال ستموت . وفى أسوأ الحالات ، فنجان من منقوع النعناع أو الشيكوريا أفضل وأمتع من عملية نقل الدم .

سـيـريـيْ : فنجان شيكوريا ؟ ولكن أنا عندى الأفيون .

البروفيسور : استعمل الاثنين . وداعا ، يا عزيزى الأستاذ . ربما نلتقى فى مكان ما خارج هذا العالم الذى كل ما فيه صخب وضجيج ورعب ، مكان ما فوق كوكب آخر . أنت كنت دائما مريضى المفضل ..

سـيـريـيْ : عزيزى البروفيسور . أنا لا أدرى ماذا أقول .

البروفيسور : اغفر لى اضطرابى أنا لم أتعود أن أبكى أمام الناس .

سـيـريـيْ : هوبير ، منديلك لو سمحت .

البروفيسور : شكرا . إنه الشعور بالحزن بعد عملية الجماع . كان الرومان يعرفون ذلك أيضا من مئات السنين .

هوبير : صحيح أن مدام بونجو فيها الكثير من صفات القابلة (الداية) الرومانية .

البروفيسور : كيف أعبر لكم عن عرفانى فى هذه اللحظة من الكآبة والحزن ؟

سيريْ : سيمر ذلك سريعا . الجميع يعرف الحزن بعد عملية الجماع .

هوبير : لا تسرف فى التشاؤم ، فقد يستمر ذلك طول العمر . كما هى حالتى مثلا ، عملية جماع واحدة ثم نصف قرن من الحزن. لكننى لن أخبركم بالطرف الآخر فى ذلك الجماع. فستضحكون .

سيريْ : أنا أعرف ، كانت مرضعتك .

البروفيسور : كيف ، أنت أيضا ؟

هوبير : كل منا له امرأة محتومة فى حياته، وهى غالبا مرضعتنا .

البروفيسور : هل هذا أفيون ؟ ولكن ماذا ستقول زوجتى إذا رجعت وأنا فى هذه الحالة من السكر ؟

سيريْ : قل لها إنه عيد ميلادك .

البروفيسور : فى أثناء طفولتى، كانت أسرتى تقضى عطلة الصيف فى فيلا تستأجرها فى مدينة بوفيل وكانت مربيتى ضخمة شقراء اسمها إيفون . وكنت أتمنى من كل قلبى أن يشترى لى والدى تريسيكلاً ، لكنها كانت تعارض فى ذلك، كانت

تفضل وضعي في عربة الأطفال حيث كانت تستطيع تقييدى كما تريد . وكان والداى لا يسمعان إلا كلامها . مع أن عمرى كان ست سنوات . وذات يوم قررت أن أسرق تريسيكل لِيلي جارتى الصغيرة ، وأنا أظن أن مربيتى كانت تغط فى النوم تحت إحدى الأشجار . وكنت مخطئا . وياله من خطأ ، فقد اضطررت إلى الدخول فى سباق مجنون مع المربية التى انطلقت فى إثرى . وفجأة اصطدمت بإحدى الأشجار وكسر أنفي وتحطمت أسنانى اللبنية وتناثرت وشقت شفتاى . وسالت دمائى فوق الرمال . حينما انقضت عليّ المربية وكشفت عن مؤخرتى وألهبتنى ضربا أمام الناس. والأدهى من ذلك، أن الولدين رأيا أن هذا العقاب غير كاف على جريمتى . فجعلانى أقضى الليلة كلها معلقا فى حبل الغسيل من أذنى انظروا ، مازلت أحتفظ بأذنى مقطوعتين .

سيريْ : شيء رهيب !

البروفيسور : ولم أملك فى حياتى تريسيكلاً !

هوبير : عزيزى البروفيسور المسكين . إن المربيات هن أكثر مخلوقات الله وحشية على الأرض .

البروفيسور : لحسن الحظ ، لم يبق منهن ولا واحدة .

هوبير : وفى ذلك نصر كبير للإنسان .

البروفيسور : ولكن الآباء والأمهات سيكون منهم أعداد كثيرة يا عزيزى هوبير .

هـوبـيــــــر : للأسف ! للأسف !

ريجـــــينا : هو ... هو ... هوبير !

ســــيــريــْ : افعل شيئا ، يا بروفيسور ، لقد سبق أن حاولت خنق هوبير !

ريجـــــينا : هو ... هو ... هوبير ! Voglio il mio aperitivo preferito !
أريد مشروبي الفاتح للشهية المفضل !

البروفيسور : ماذا تقول يا أستاذ؟ إن سلوكها عادي جدا . هذا موعد مشروبها الفاتح للشهية.

Cara diva, come ci sentiamo ?

يا نجمتنا العزيزة ، كيف الحال ؟

ســــيــريــْ : عزيزى بوتيشيللى ، قدم واحد هوبير لمدام ريجينا ، خذ ، ضع هذا القرص فى كأسها .

ريجـــــينا : فى أى مسرح نحن؟ هذه مقصورتى؟ وأنتم من تكونون؟

البروفيسور : نحن أصدقاؤك ، أيتها النجمة العزيزة !

هـوبـيــــــر : أكثر أصدقائك حبا لفنك وإعجابا بموهبتك !

الصـحـفـى : فاتح الشهية ، أيتها النجمة العزيزة !

ريجـــــينا : Grazie, notevole signori. E bebbiamo al`trionfo de stassera !

شكرا، أيها السادة الوجهاء ! ولنشرب نخب نجاحنا هذا المساء ! بالمناسبة ، متى ينبغى أن أصعد على خشبة المسرح؟ هل قمت بتوقيع العقد؟ كم سيكون أجرى ؟ ومن الممثل الذى سيلعب أمامى ؟ ولكننى أعرفك . أنت مصمم

الملابس فى المسرح . هل أنت الذى لففتنى فى هذه الضمادات ؟ أشعر كأننى أصبت فى رأسى. هل هذه أوبرا حديثة؟ من مؤلفها؟ وقائد الأوركسترا، هل هو أنت؟ وأنت من تكون ؟ آه ، أنت ، أنت ! أنا كنت أعلم أننى سأصادفك فى طريقى إن عاجلا أو آجلا ، أيها الممثل اللامع . أنت غرَّرت بى ثم هجرتنى وتخليت عنى حينما كنت مغنية صغيرة في الطرقات . إن احتقارك لي ظل علامة في تاريخي الفني . لقد أقسمت أن أصرعك فى أول فرصة أقابلك فيها . لقد انتظرت هذه اللحظة عشرات السنين . ولكن حانت لحظة الانتقام ، حانت اللحظة التى أنفذ فيها انتقامى الأسود منك ! أين سكين الروزبيف ؟

سيريْ : يا لها من رغبة متسلطة !

البروفيسور : نجمتنا العزيزة ، لا يمكن أن تقتلى هذا الزميل قبل أن تصعدى على خشبة المسرح .

ريجينا : من أنت حتى تصدر لى الأوامر ؟

البروفيسور : رئيس الأوركسترا أيتها النجمة اللامعة !

ريجينا : أنت علي حق ، أيها المايسترو العزيز . أمامى الأبد كله لكي أذوق انتقامى. اربطه إذن واحبسه لى فى مقصورتى. سأمزقه إربا إربا ، وأشرب حساءه بعد العرض .

سيريْ : لا تمثلوا هذه النوعية من العروض أمامى .

البروفيسور : أنت الذى تمسرح كل شيء تمسه يا أستاذ ، إن مسرحانيَّتك تطغى علينا .

ســـيـــريــوْ : إننى أشعر بالفزع. خلصنى من هذه المرأة قبل أن ترتكب جريمة. واذهب أنت أيضا معها. ألم تكن تنوى أن تستقل طائرة إلى أفريقيا ؟ حسنا ، خذها معك . اجعلها تغنى أوبرات "فاجنر" للمصابين بالإيدز فى أفريقيا .

البروفيسور : أشعر كأننى تلقيت صفعة أدبية يا أستاذ ، إذا كان هذا هو شعورك ، فسنرحل إلى أفريقيا على أية حال .

ريجـــينا : إلى أفريقيا ؟ كم سيكون أجرى ؟

المشهد الثلاثون

(سيريوْ - هوبير - ريجينا مورتى - الصحفى - البروفيسور - الممرضة)

الممــرضـــة : (**تدخل حاملة مسدسًا**) ارفع يديك ! عرفت أنك تريد أن تسافر إلى أفريقيا مع مغنية الأوبرا يا وسخ ! أنا رأيتك وأنت تغتصبها فى حجرة العمليات .

البروفيسور : مدام بونجو ، أنت تسيئين الحكم . هذه السيدة هى عمل يدى ، إبداعى . لا أستطيع أن أتركها فى أيدى أى شخص كان. أمَّا الأسباب الحقيقية لرحيلى إلى أفريقيا ، فهى أسباب إنسانية .

الممــرضـــة : إذن ستتخلى عنى ، أيها القذر ؟

البروفيسور : يمكننى أن أعيد تقدير وضعى ، ولكن فى إطار إنسانى فقط . أنا أقدم إليك وظيفة معالج مساعد فى أفريقيا بشرط أن تهتمى بأمور نجمتنا العزيزة فقط لا غير . ستكونين بنوع ما ذراعى اليمنى، لكن علاقتنا الشخصية ستكون خارج الموضوع . يا مدام بونجو . هذا شرط ملزم وصريح ، سأجعلك توقعين على ورقة بذلك .

الممرضة : وهل تعتقد أن سيدة عصرية ، مثلى ، أقدمت على الزواج من زنجى أسود ، يمكن أن تصبح خادمة لعجوز مخرفة كتلك ؟ وفى أفريقيا ؟

ريجينا : Chi e questa ? Una cantatrice rivale ? Signorina, un po di rispetto ! Cui la diva sono io !

من هذه؟ مغنية منافسة لى، يا آنسة ، قليلا من الاحترام! هنا ، أنا النجمة !

الممرضة : أرأيت كيف تعاملنى ؟

البروفيسور : إنها تعاملك كمغنية . وهذا كثير جدا بالنسبة لمجرد ممرضة مثلك .

الممرضة : مجرد ممرضة ؟هل هذه هى فكرتك عنى حينما كنت تركِّبنى على التريسيكل؟ أننى كنت مجرد ممرضة ؟

البروفيسور : مدام بونجو ، لقد فاض بى منك بسبب غيرتك وما تثيرينه من مشكلات . أنت مفصولة ! اخلعى الجاكيت ودعيه فى مكان خلع الملابس وعودى إلى بيتك .

المـمـرضــة : وهل تظن أن الأمر سيمر هكذا ؟ إليك ما سأفعله بها ، مغنية الأوبرا التى تدافع عنها .

(تطلق عدة أعيرة نارية أحدها يصيب ريجينا - الصحفى يجردها من السلاح)

البروفيسور : نجمتنا العزيزة .

ريجـــينا : **Ancora una volta mi ritrovo dell altra parte del sipario della morte ! adieu, monde de mirages qu on appelle la vie! addio, notevoli signori, ci rivediammo presto!**

مرة أخرى أجد نفسي في الجانب الآخر من ستارة الموت. وداعا يا عالم السراب والخداع الذى نسميه الحياة ! وداعًا أيها السادة الكرام ، إلى اللقاء قريبا .

البروفيسور : لقد حطمت عملى الرائع !

المـمـرضــة : والآن ، اذهب واصنع قلبًا صناعيا لدميتك الميكانيكية ! خذها إلى أفريقيا ! يمكنك أن تبيعها بالكيلو !

هـوبيـــر : خذى يا صديقتي العزيزة ، اشربى واحد ديبونيه ، هذا شراب النساء القاتلات.

الصـحـفى : سيدى . هل تشعر بسوء ؟ سيدى ! لقد جرح !

البروفيسور : أستاذ ! طلقة خدشت رقبتك ! هل تسمعنى ؟

سـيـريـنْ : هذه الخدوش إشارة من القدر. ورقة كلينيكس من فضلك! شكرًا ! يا ماريا ، أرجو أن تكون هذه آخر مرة تدخنين فيها الأفيون . هوبير ، أنا أتهيأ للموت الساعة الخامسة مساء. فى صندوق القبعات تحت سريرى ستجد الباروكة

التي كنت أرتديها في دور هاملت . وفي الدولاب ، تجد البذلة . اهتم أيضا بإعداد ياقتي المنشاة وحذائي اللامع.

البروفيسور : ليس هذا المساء ، يا أستاذ ! أنا لا أستطيع أن أفقد إلا المخلوقين اللذين أبدعتهما في يوم واحد .

سيريْ : العنصر البشري يستبدل باعزيزي البروفيسور . فكر في أفريقيا .

البروفيسور : ولكنني لن أجد في حياتي ممثلا في مثل قامتك . الأستاذ العزيز، تكرم وامنحني يوما واحداً من حياتك. انتظر للغد.

سيريْ : يوم واحد هو خلود ، وأنت لا تستحق كل هذا ، منذ المشاهد الأخيرة ، كنت دائما انتظر بفارغ الصبر نهاية العرض ، كنت أريد أن أتخلص بأقصى سرعة من الشخصية التي أمثلها . حينما يسدل الستار، وقبل أن تنتقل إلى مقصورتك توجد لحظة لا تكون فيها أحداً . متعة لا يمكن تصورها . سأحاول أن أتسرب إلى العالم الآخر من أحد هذه الثقوب السوداء ! هوبير ، مرآتي والبودرة .

هوبير : الفاتحة أم القاتمة ؟

سيريْ : القاتمة، أظنك لا تريدني أن أبدو في الضريح كالبهلوان .

هوبير : ومن أجل الجفون ؟

سيريْ ليلا ، دائما ليلا .

هوبير : وقلم حواجب ؟

سيرين : ستتولى أنت هذه التفصيلات فيما بعد . وأنت تعمل لى أظفارى كل صباح بعد الحمام . بالمناسبة ، هل يوجد بانيو فى الضريح ؟

هوبير : أكثر ، هناك ، حمامات معدنية رومانية

سيرين : ذوقك الرفيع لم أوفِّه حقه من الثناء .

هوبير أنت تتملقنى . ولكنك لم تر الأروع ؛ قاعة التليفزيون محاطة بأعمدة لازردية ، والفوتويات من جلد الغزال .

سيرين : لن يتاح لى الفرصة للاستمتاع بها كثيرا .

هوبير : هذا من أجل اللحظات التى أخلد فيها للاسترخاء ، أنا أحب التليفزيون كثيرا .

سيرين : هكذا بسرعة تفكر فى نسيانى ؟

هوبير : ماذا تريد ، أنا أتقدم فى السن .

سيرين : خذ ورقة الكلينكس هذه ، لقد كتبت عليها بعض العبارات تنشر بعد موتى . عزيزى هوبير أنت الشخص الوحيد فى العالم الذى أدين له ببعض الاعتذارات .

هوبير : أنا ؟ اعتذارات ؟

سيرين فى إحدى ليالى ربيع من عام لم أعد أذكره . لطخت شرف أسرتك فى شخص أختك آدلين . ولقد ازدهرت صداقتنا على أطلال هذه الفضيحة ، ولكننى أعرف بأى ثمن دفعته أنت من أجل هذه الصداقة .

هوبيـــــر : تفاهات ! على أية حال أنت لطخت شرفى قبل أن تلطخ شرف أسرتى بزمن طويل . أما بالنسبة لأختى آدلين ، فلا تشغل بالك ، فقد لطخت شرفها أنا قبلك .

ســيــريىْ : أنت متلبس بالشيطان إذن ، يا هوبير .

هوبيـــــر : كنت كذلك وأنا فى الخامسة عشرة من عمرى . ثم انصرف عنى الشيطان .

الممـرضـة : فلأسافر فورًا ! أريد أن أحاكم ويقضى علىّ بالإعدام شنقا ! وسأكتب مذكراتى. لأننى أنا ، أعرف معنى الموت. لقد شاهدت مئات الأشخاص يموتون أمامى ، وقد دفعت بكثير منهم إلى المقابر ، كنت أفصل الأنابيب التى تصلهم بالحياة وأحشوهم بالمورفين لكى أؤدى المهمة نفسها التى يؤديها الموت . إن الموت أخى الشقيق !

(البروفيسور يصفع الممرضة)

البروفيسور : من تظنين نفسك يا مدام بونجو ؟ إحدى بطلات " جان جينيه "؟ التأمين الصحى لا يطلب منك أن تروى لنا تفاصيل حياتك ، وإنما أن تقومى بعملك. جميع الحجرات ترن الأجراس ! أسرعى إليهم ! أريد درجة حرارة جميع من فى الطابق فورًا .

الصحـفى : خذى .

الممـرضـة : ما هذا ؟

الصحـفى : المسدس . إنه فارغ .

الممـرضـة : شكرا ، يجب أن أعيده إلى زوجة أخى .

البروفيسور : وانظرى ما صنعت بنجمتنا العزيزة ! سوف أجدنى مضطرا لفتح جمجمتها من جديد لكى أسترد المخ ! وعلى العموم شكرا لك لأنها لم تصب بعيار من عياراتك النارية!

الممرضة : وداعًا ! يا أستاذ ! سأترك التأمين الصحى وأعود إلى منزلى لأهتم بشئون زوجى وأنجب أطفالا كثيرين . لقد أدركت تماما أنه لن يكون لى مستقبل هنا. سأكون دائما إنسانة مجهولة ، لكننى أعدك بأن أبنائى سأجعلهم جميعا ممثلين مثلك لكى يصبحوا مشهورين .

سيريىْ إذا كنت تريدين الشهرة ، فالأولى أن تجعليهم أطباء .

الممرضة : ليس هذا فى مقدورى . وداعا، يا سيدى هوبير . سآتى لزيارتك فى ضريحك يوم الأحد مع أسرتى الصغيرة .

هوبير : أهلا بكم وسهلا يا ماريا .

الممرضة : وداعا يا سيدى الصحفى ، أكتب عنه مقالا جميلا فى جريدتك. صدقنى هو يستحق ذلك، كان رجلا غير عادى ، حتى لو كان متشددا. لقد قضيت سنة كاملة لا أفهم الفروق بين زجاجات الكولونيا التى يستعملها. أما الشباشب، فعنده منها زوج لكل يوم من أيام الأسبوع بلون مختلف. ولو أخطأت فى اللون كانت الطامة الكبرى. لكن كان له قلب كبير ، فقد ترك لى جميع مجوهراته وبيجاماته .

سيريىْ : ماريا ، قدِّمى لى خدمة أخيرة . هيئى لى النارجيلة . بللى قطعة الأفيون بقليل من السائل الموجود فى هذه القنينة قبل أن تشعلى النارجيلة .

الممرضة : ما هذا ؟

سيريْ : سم هندى قديم .

الممرضة : أنت إذن لا تستطيع أن تفعل شيئا كالناس جميعا !

الصحفي : سيدى ، هل ينبغى أن أبقى؟

سيريْ : طبعا ، ينبغى أن تبقى ، فأنا أعتمد عليك اعتمادا كليا . فأنت الوجه الجديد الوحيد فى كوميديا الموت هذه وآخر متفرجينا . هوبير ، ستقوم بزيارة تعزية لزوجة أخى، فأنت تعرف أنها تتمسك بالشكليات كثيرا، ولكننى لا أريد منها بأى حال أن تكون في الصف الأول من المشاركين في الجنازة . هيئ لى إضاءة مسرحية أكثر، وأسدل الستائر واحجب هذا المصباح الذى فوق الكومودينو . هل قلب هذه السيدة العظيمة كف عن الدق ، يا عزيزى البروفيسور ؟

البروفيسور : قلبها لم يعد يدق . والمخ الذى من اختراعى يقاوم كل شىء . ولكننى لا أستطيع أن أقرر ، يا أستاذ . يجب أن أعترف لك بأن إيمانى بالمعجزات يتزايد يوما بعد يوم .

سيريْ : هوبير ، أنت تقرأ أفكارى .

هوبير : بطبيعة الحال ، فى الضريح يوجد مكان فسيح لها . لدينا قبو عازل للأصوات يمكن أن نهيئه لها .

سيريْ : أنا مدين بشىء ما للنساء قبل أن أموت . وهذه بكل تأكيد آخر من كنت أختار من النساء ، لكنها هى التى رمانى بها القدر .

هوبيـــــر : الاعتراف العلنى بالذنب مهم ، وهو بادرة طيبة ولطيفة فى نهاية المطاف . أنا موافق .

ســـيـريى : عزيزى البروفيسور، بقى لى أن أشكرك على هذه الخطيبة التى سأقترن بها بعد الموت . إنها أغرب هدية عيد ميلاد أتلقاها فى حياتى .

البروفيسور : يا أستاذ ، إنك تغمرنى بالفضل .

الممـرضـة : أنت رائع يا أستاذ .

البروفيسور : تحفتاى العظيمتان معروضتان فى مدافن القديس لاشيز. ستصبحان نجميً القرن . سأقوم برئاسة مؤسسة خيرية تحمل اسمك يا أستاذ ! وبفضلك سأحصل على تبرعات من أجل بناء مستوصف فى أدغال أفريقيا . أنت ستكون صاحب الفضل الأكبر فى مشروعاتى .

ســـيـريى : اصنع باسمى ما شئت، على أية حال فهو اسم مستعار . بوتيشيللى ، لى عندك رجاء .

الصـحـفى : مرنى ، يا سيدى .

ســـيـريى : أن تغير مهنتك . أنت أسوأ صحفى قابلته فى حياتى . أنت حتى لم توجه لى أى سؤال .

الصـحـفى : أنا فى قمة الخجل منك يا سيدى .

ســـيـريى : هذه فرصتك الأخيرة .

الصـحـفى : ليس عندى أى أسئلة أوجهها إليك يا سيدى .

ســـيـريى : هل تخشى من الموت ؟

الصـحـفى : نعم يا سيدى .

هـوبيـــــر : أنت مزعج حقا يا سيريىْ. بعد اللفته الظريفة التى عملتها قبل قليل ! أنت تعرف إلى أى مدى تكون الانطباعات الأخيرة للشخصية حاسمة فى جمال العرض .

سـيـريىْ : لقد ارتكبت خطأ فى حياتي : كان من المفروض أن أتخذ منك مخرجا . هل الماكياج مايزال صالحا ؟

هـوبيـــــر : آخر تمام ، يا أستاذ .

سـيـريىْ : ولكن ماذا فعلت أيها الشقي بصورتي فى دور "هاملت" ؟

هـوبيـــــر : أنت لم تقم بدور " هاملت " أبداً .

سـيـريىْ : ماذا تقول ؟

هـوبيـــــر : أنت تحلم يا سيريىْ ، أنت ستقوم بدور " هاملت " هذا المساء ، لأول مرة . فاستعد للظهور على المسرح .

سـيـريىْ : أظهر على المسرح ؟ ولكننى بصدد الخروج منه .

هـوبيـــــر : هذه هى حياة المسرح ، تحل النهاية لكى نبدأ من جديد . باروكتك يا سيريىْ .

سـيـريىْ : أنا لم ألعب دور هاملت منذ عام كامل ، لم أعد أذكر الحوار ...

هـوبيـــــر : العب أى دور ، فكلها تتساوى .

سـيـريىْ : صحيح ، جميع الشخصيات تتساوى . بإمكاننا أن نلعب أي دور باستثناء حياتنا . ذلك محظور علينا .

هـوبيـــــر : أمامك الوقت الكافى لتلعب فيه دور حياتك .

سـيـريىْ : لم أعد أدرى أين أنا من الحوار . لقّنى يا هوبير .

هـوبيـــــر : نم فى سلام ، يا ملاك شبابى .

سيريني : ولكن ليس هذا الكلام في شكسبير !

(يموت)

هوبير : أسدل الستار !

البروفيسور : أستاذ ، يالها من نهاية رائعة !

الممرضة : يا إلهي ، ياله من ممثل ! حينما يرى المرء ذلك ، يظن نفسه لا شيء .

هوبير : هيا فتي ، أنت على ما يرام ؟

الصحفي : نعم ، يا سيدى ،

البروفيسور : عظيم ، عظيم جدا . عظيم جدا . نوعا ما ، كل شيء عاد إلى النظام .

الممرضة : عد إلى بيتك يا سيدى هوبير. أنت في حاجة للنوم . سأهتم أنا بأمره ، سأعيده لك صباح غد جميلا لطيفا .

البروفيسور : أخرجي سيارتي من الجراج يا مدام بونجو . سأقضي الليل في بوفيل . ألغي جميع مواعيدى غدا .

الممرضة : حسنا ، يا سيدى .

البروفيسور : أتركك يا صديقى العزيز ، وإذا صادفتك أيةّ مشكلة صحية فأنت تعرف أين تجدني تشجع (**شد حيلك**) !

الممرضة : هيا يا سيدى هوبير ، سنلتقي في مدافن القديس لاشيز.

البروفيسور : تفضلي أنت أولا ، يا مدام بونجو .

الممرضة : شكرا ، يا بروفيسور .

البروفيسور : تفضلي ، تفضلي .

الممرضة : كلا ، أبدا ، لا يمكن يا بروفيسور .

البروفيسور : لو سمحت ، تفضلي يا مدام بونجو .
الممرضة : أنت لطيف ، يا بروفيسور !
(يخرجان)

المشهد الحادى والثلاثون

(سيريىْ - ريجينا مورتى - بلا روح - هوبير - الصحفى)

الصحفى : هل لى أن أصحبك يا سيدى ؟ معى سيارة .
هوبير : شكرا ، معى مركبة بحصان
الصحفى : حسنا . إذن أقول لك إلى اللقاء . أستودعك الله .
هوبير : لا تنس نارجيلتك .
الصحفى : أنا لا أريد أن أحرمك من هذه الذكرى ، يا سيدى .
هوبير : هذه نسخة للمسرح . الأصلية عندى .
الصحفى : إذن ، أشكرك ، يا سيدى . قبل أن أنصرف ، أعترف لك بأننى لست صحفيا ياسيدى .
هوبير : أنا كنت أشك فى ذلك .
الصحفى : أنا ابن أختك أدلين .
هوبير : كنت أشك فى ذلك أيضا . فلماذا أيها الشقى لم تخبرنا بذلك ؟
الصحفى : فى كل مرة كنت أنوى ، كان يحدث شىء ما يمنعنى . وكان عندى انطباع بأنه كان يعرف ذلك .

هـوبيـــــر : ربما كان يعرف .

الصـحـفى : أنا سعيد لمعرفتك يا سيدى ، بالرغم من الظروف .إلى اللقاء يا سيدى . لقاؤه أثر فىَّ كثيرا .

هـوبيـــــر : هذه ثانى مرة تعلن فيها عن انصرافك .

الصـحـفى : معذرة ، يا سيدى

(يخرج حاملا النارجيلة)

المشهد الثانى والثلاثون

(سيريىْ وريجينا مورتى بلا روح - هوبير)

هـوبيـــــر : سيريىْ ، ما حكاية السم الهندى هذه ؟

ســيـريىْ : نقط للأنف، يا عزيزى واتسون، إن ابن أختك أبلد وأوضع وأغبى إنسان صادفته . إنه صورة من أختك آدلين .

هـوبيـــــر : ماذا تريد ، إنه شاب من شبان اليوم . لعلك كنت تفضل أن يكون لوطيا ؟

ســيـريىْ : فى الحقيقة ، نعم .

هـوبيـــــر : للأسف ، هذا لا ينتقل من الأب إلى الابن .

ســيـريىْ : لقد تحدثنا بما فيه الكفاية عن جنس الملائكة ؛ فلننتقل إلى الأمور العاجلة . هذا المساء ، سأؤدى لك أول أدوارى وأنا متنكر. أين معطف ريجينا مورتى ؟

هـوبيـــــر : أنت ، يا أستاذ ؟ ولكنك أقسمت ألا تفعل ذلك أبدا ...

سـيـريـي : اليوم أنا أرجع عن كل ما قطعته على نفسي، بل والعكس أيضا. كيف تراني ، يا هوبير ؟

هـوبـيـر : مرعبا مخيفا ، يا أستاذ .

سـيـريـي : أنت دائما جمهوري المفضل. ولا تنس، من الآن فصاعدا، وبالنسبة للجميع فأنا مدام ريجينا مورتي .

هـوبـيـر : أستاذ ، ياله من شرف عظيم ! ما كنت أبدا أحلم بمثل هذه النهاية .

سـيـريـي : في الحياة ، كل شيء يحدث . لكنني سأكون مدام ريجينا لا تطاق ، فاستعد لكي تتحمل استبداداً نسويا لا يرحم .

هـوبـيـر : أنا متعود على ذلك يا أستاذ !

سـيـريـي : قل لي " سيدتي ". هل يوجد بياضات سرير عندكم في الضريح ؟

هـوبـيـر : لدينا كل شيء يا سيدتي !

سـيـريـي : إذن ، هيا بنا إلى هناك .

هـوبـيـر : سنجد شجرة الكرز ما تزال مزهرة .

سـيـريـي : شجرة كرز حقيقية ؟

هـوبـيـر : يعني شجرة صغيرة .

سـيـريـي : هذا المساء سنتناول العشاء على ضوء القمر . سألقي عليكم أشعار لوركا . ساعدني يا هوبير . يجب أن أصل إلى مركبتك .

ريـجـيـنـا : آه يا لسوء حظي ! miserabile fortuna !

في يوم عرسي بالذات ، زوجي الجديد القشيب يستولي

على معطفى ويتركنى أواجه الموت . الحرامى ! امسكوا الحرامى ! Al ladro! Al ladro !

سيريىْ : فلنهرب يا هوبير ! أوه ! اللعنة !

هوبير : سيريىْ ! أختك ؟

ريجينا : Questa umiliazione postuma non posso tolerarlo !

هذه الإهانة بعد الموت ، لا يمكن أن أسمح بها . كرامتى لا تسمح لى بأن أهبط إلى هذا المستوى .

ملكة الموت تنتحر ! La regina dei morti si uccide !

أين سكين الروزبيف ؟ Addio umiliamte realta

وداعًا أيها الواقع المهين ! **(تطعن نفسها)**

وداعا أيها الجمهور العزيز ! Addio Care publico !

أنا فى انتظاركم فى العالم الآخر ! Per il grande finale

فى العرض النهائى !

(تموت)

سيريىْ : هوبير ، كم الساعة الآن ؟

هوبير : Las cinco en punto de la tarde senior.

الخامسة مساء يا سيدى .

سيريىْ : حان الوقت إذن .

(يموت)

هوبير : احتفظ بالمعطف ؛ فستشعر بالبرد هذا المساء .

(يخرج)

المشهد الثالث والثلاثون

(سيري وريجينا مورتى وقد فارقا الحياة ، الممرضة)

الممــرضــة : **(تدخل حاملة تاجا من الزهور)** هدية أخرى من زوجة أخيك . هس ! نسيت أنك متّ !

(ســتار)

سبــاق الملــوك

تأليف : **تييرى مونييه**

(الجائزة الكبرى فى الأدب ، وعضوية المجمع الفرنسى)

تييرى مونييه

اسمه الحقيقى جاك لوى تالاجران Jacques Louis Talagrand اشتهر فى دنيا الأدب باسم تييرى مونييه .

ولد عام ١٩٠٩ بمدينة أليس Alés بفرنسا. بدأ حياته الأدبية ناقداً، له أسلوبه الخاص الذى يتميز بجزالة اللفظ ودقة التعبير وجمال التصوير. وهو يتخذ من الأدب المعاصر موقفًا أكثر مرونة ، وأكثر قبولا ، وأقل عاطفية ، وأكثر موضوعية من زميله روجيه كايوا Roger Callois، فهو لا يكتب بيانات حماسية وإنما دراسات نقدية تحليلية ، ومع ذلك فإنه عندما يتحدث عن "راسين" وعن "روبير جارنييه" Robert Garnier و"هوجو" Hugo، وعندما يجمع مقتطفات من الشعر الفرنسى فى كتابه "مدخل إلى الشعر الفرنسى"، فإنه يسير فى الطريق نفسه الذى سار فيه "بيندا" Benda أو "كايوا" ، أى ينحاز إلى الأدب الكلاسيكى لدرجة يجد معها أن الأدب المعاصر ليس جديرا بأن يقارن بالأدب الكلاسيكى ، ويدعو الكتاب المعاصرين إلى الرجوع إلى مصادر الأدب القديمة، وينادى بحركة بعث أدبى تؤدى إلى كلاسيكية جديدة . ودعواه فى ذلك لا تقوم على تحبيذ عنصر العقل الذى يصبغ الأعمال الكلاسيكية ، وهو العنصر الذى يستند عليه "بيندا" فى انحيازه للأدب الكلاسيكى، كذلك فإن دعوى

"تييرى مونييه" لا تقوم على تحبيذ عنصر الأخلاق الذى تراعيه العمال الكلاسيكية ، وهو العنصر الذى يستند عليه " كابوا " فى تمجيده الأدب الكلاسيكى ، بل إن ما يشد " تييرى مونييه " إلى الكلاسيكية ويعطفه عليها هو ما يتمتع به الأدب الكلاسيكى من روعة الأسلوب وجمال التعبير والتصوير .

وكان من الطبيعى أن يؤثر " تييرى مونييه " الصنعة فى الأدب ، وإذا كانت الكلاسيكية تفتن " تييرى مونييه " كل هذه الفتنة حتى لا يجد لها صنوا ولا ندا ، فذلك لسبب آخر غير الأسباب الفنية . هذا السبب الآخر هو سببٌ سياسى . إن إعجاب " تييرى مونييه " بالقرن السابع عشر الفرنسى ، إنما هو إعجاب بالمجتمع السياسى فى ذلك العصر أكثر منه إعجابا بالأدب الكلاسيكى نفسه . فمنذ مطلع حياته ، بدأ "تييرى مونييه" يحمل على نظم الحكم الحديثة ، وذلك فى عدة أبحاث منها الأزمة داخل الإنسان و أساطير اشتراكية ، وفيما وراء القومية . وفيها نقد مستنير للمجتمعات الحديثة .

تييرى مونييه كاتبا :

من الجدير بالذكر أن " تييرى مونييه " تخرج فى كلية المعلمين العليا ، وحصل على الإجريجاسيون فى الأدب، وبدأ حياته الأدبية مبكرا. كما حصل على الجائزة الكبرى فى الأدب التى يمنحها المجمع الفرنسى وذلك عام ١٩٥٩ كما أنه اختير عضوا للمجمع عام ١٩٦٤

وفي عـــام ١٩٢٣ كتـــب دراســـة أدبيـــة عن الفيلسوف "نيتشـه" كانت أقرب إلى الاحتداد منها إلى الدراسة التحليلية المتأنية . ولكنه فى عـام ١٩٣٦ كتب عن "راسين" دراسـات تجنب فيـها ما يعيب دراسته لنيتشه ، فجاءت أقرب إلى الصدق .

وفي عام ١٩٣٩ وضع كتابه المعروف مدخل إلى الشعر الفرنسي الذي لا يزال من المراجع المهـمـة في هذا الميـدان . وبعـد ذلك عـاد إلى "راسين" مرة أخرى فكتب قراءة فيدر .

ولقد استفاد " تييرى مونييه " من دراسته للشعر الفرنسى ومن دراسته لراسين الذى يعجب به أشد الإعجاب ، استفاد من ذلك كله فى تملك ناصية اللغة ، والتحكم فيها وتطويعها ، بحيث أصبح أسلوبه من أجمل ما كتب فى اللغة الفرنسية .

أما عن المسرح فبالإضافة إلى سباق الملوك كتب " تييرى مونييه " جان وقضاتها (عـام ١٩٤٩) ، ثم مدنس المقدســات (عـام ١٩٥٠) ، ثم منزل الليل (عام ١٩٥١) .

كما أنه قام بمسرحة رواية "أندريه مارلو" الشهيرة الوضع البشرى (عام ١٩٥٢)، ثم كتب الجنس والعدم (عام ١٩٦٠) . وفي عـام ١٩٦٥ كتب " تييرى مونييه " مسرحيته بلاد الإغريق هذه التي ولدنا فيها .

ومنذ سباق الملوك حتى منزل الليل ظلت مسرحيات "تييرى مونييه" شاهدا على المجهود الضخم الذى يبذله المؤلف تحقيقا لدقة أكبر فى التعبير وصرامة فى الفن المسرحى وصدق فى التصوير .

وأخيراً يجب أن ننوه إلى المجهود الضخم الذى بذله "تييرى مونييه" عندما نقل إلى خشبة المسرح درة أندرية مارلو وروايته الشهيرة "الوضع البشرى" وذلك بنجاح عظيم . وعلى الرغم من الصعوبات التى صاحبت هذا العمل الضخم ، فقد كانت التجربة أكثر من رائعة . ومع ذلك فلا يمكن أن نقول إن المسرحية التى جاءت أقرب إلى الفيلم السينمائى قد أعجبت عشاق الرواية التى كتبها "مارلو" ؛ لأن المشاهد المسرحية العنيفة لم تستطع أن تحل محل التأملات والخواطر التى حفل بها الكتاب. أما بالنسبة للوحات الأخيرة والتى قام " مارلو " بنفسه بإعادة كتابة مشهدها الأخير ، فإنها جعلت شاعرية الرواية تنتقل إلى خشبة المسرح .

هذه المسرحية :

فى مدينة "بيز" ، إحدى المدن الإغريقية القديمة ، يقوم الملك "أونوماءوس" ، منذ سبع سنوات ، بتسخير العبيد والعمال والرعاة من أنحاء البلاد ، فى بناء سور للمدينة يحميها من الغزاة ، ولكن مدينة "بيز" ليس بها خزائن يخشى عليها ، وليس لها أعداء يخشى منهم . إن بها ما هو أثمن من خزائن الأرض ، وإن بها ما يؤرق ملكها ولا يجعله يهنأ بنوم ولا صحو . إن بها ابنته "إيبودامي" أجمل بنات الأرض قاطبة ، وحلم الأجيال المتعاقبة . ولكن " أونوماءوس " لا يمنع ابنته من الزواج ، إنه يقدم ابنته لمن يريد أن يأخذها ، لمن يعرف كيف يأخذها . وليس العسير هو الذهاب إليها ، وإنما العسير هو الذهاب بها ، وإن هذا حقا لأمر عسير .

عسير كل العسر هذا الأمر ، بل إنه مستحيل ، ولا طاقة به "لإنسان" من بني البشر . إن " أونوماءوس " يضع شروطا لمن يريد أن يتزوج ابنته ، وهذه الشروط أهون من الإيفاء بها قهر الجيوش واقتحام الحصون .

إن " أونوماءوس " يشترط على الخطيب المتقدم أن يدخل معه في سباق للعجلات الحربية. فإذا فاز بالسباق، فاز بالفتاة. وحتى هنا والأمر يبدو طبيعيا لا يثير الغرابة. ولكننا إذا علمنا أن عجلة "أونوماءوس" يقودها نصف إله هو " ميرتيلوس " ، وأن الجياد التي تجر العجلة جياد إلهية أيضا ولا يمكن اللحاق بها، عرفنا وجه المستحيل في الفوز بالفتاة .

ليس ذلك فحسب ، بل إن الأمير الذي يخسر السباق ، لا يذهب لحال سبيله ، بل يخسر حياته أيضا ، فهذا هو معنى ألا يفوز بالسباق . فالسباق عملية مطاردة أكثر منها سباقًا : يركب الخطيب عجلته وبجانبه الفتاة ، ويتقدم عجلة الملك بوقت معين ، ثم ينطلق الملك في إثره للحاق به حاملا حربته التي يصوبها نحو رأس الخطيب ، وما إن يصبح على مسافة مناسبة حتى يطلق هذه الحربة فيرديه قتيلا .

وبعد كل سباق ، وما أكثر السباقات ! ، يعود الملك بصحبة فتاته وهي لا تزال فتاة ، في حين يسيل دم الخطيب ليصنع مع تراب المدينة ، في مكان ما ، عجينة حقيرة .

وعلى الرغم من صعوبة السباق، وعلى الرغم من استحالة الفوز به، فلا يوجد في بلاد الإغريق كلها ، ولا في جزر الشرق السعيدة ، بنات

النور الغاليات ، التي يداعبها أبوها النور أول ما يداعب عند صحوه ، ولا في تسالي البدائية ، ولا في كريت المترفة ، ولا في مصر القديمة ، لا يوجد في هذه البلاد جميعها شاب واحد يمارس سباق الجياد ، دون أن يعلل نفسه بالأمل ، ويحدث نفسه قائلا : " أنا ، ربما أفوز " .

لقد قبل جميع أمراء الإغريق أن يموتوا من أجل " إيبودامي " ، حتى قبل أن يروها ، فإن هذا الجمال الذى يؤرقهم فى نومهم ، وينهش غطاء أسرتهم فى حنق ، إنما هو نفحة لها من قبل الموت. إنهم يتدافعون نحوها بشجاعتهم البلهاء ، وهم أكثر غباء من الحشرات التى تتدافع نحو اللهب لأنه يضيء ، فهم يتدافعون نحو اللهب لأنه يحرق . إن "إيبودامي" تمثل المستحيل ، والذين يحبونها كثيرون كعشاق المستحيل لا يحصى لهم عدد .

إن الرمز الذى تمثله " إيبودامي " له تفسيرات عدة ، وتأويلات كثيرة . فهي الأمل في شتي صوره . وهي الفتاة الجميلة التي يعشقها كل شاب ويحلم بالوصول إليها ، ويجعل منها غايته في الوجود . وهي المجد الذى يتفانى فى تحقيقه الطامحون إلى المجد . وهي المال الذى يسعي إليه كل راغب فى الجاه . وهي الحرية لكل من يتطلع إلى الحرية .

إنها باختصار تمثل الفكرة المسيطرة ، أو جنون الفكرة الواحدة . وهي الفكرة التي تملك على الفرد عقله وتشغل قلبه ، وتصرفه عما سواها من اهتمامات .

و"إيبودامي" ، بهذه المعاني كلها ، لا تأبه بمن يسعى إليها ، إلا إذا نالها . فهل يخطر ببالها أن الذين يلقون حتفهم ، إنما يلقونه من أجلها ،

إنها لا تبالى بذلك ، فهى لاهية عن أفراح عرسها ، لاهية عن ترملها ، مستسلمة للسلب والاسترداد ، تعود إلى القصر بعد كل سباق ، حتى دون أن تلقى نظرة واحدة على " ذلك الرفيق الذى صاحبها ساعة من الزمن والذى أوشك أن يصبح زوجًا لها ، والذى راحت دماؤه تنزف على الأرض كالثور المنحور . إنها لا تنظر إلى المغلوب أبداً "

ويتوالى الأمراء على خطبة " إيبودامى " ، ويقبلون التحدى ، حتى بلغ عددهم أحد عشر أميرا ، هم زهرة الأرض . جاءوا جميعا يطلبون يد " إيبودامى " ، وكلهم يملكون جيادا رائعة ، ولكنهم يلقون حتفهم الواحد تلو الآخر ، حتى كف الناس عن المراهنات . ومع أن السكان لم يعودوا يريدون أن يقامروا بأموالهم فى السباق فهل سيستمر المجانين يراهنون بحياتهم ؟ لقد باتت السباقات نادرة ، وراحت بلاد الإغريق، شيئًا فشيئًا، تقفر من أمرائها الشبان ، فلقد مات أشجعهم وأمهرهم ، فهل يلزم الآخرون بيوتهم ؟

هذا ما يريده الملك ، وهو ما كان ليترك ابنته لمصير السباق لو كان يعتقد أن فى الإمكان قهره . إنه يقوم على حراسة " إيبودامى " كما يقوم الزوج الغيور على حراسة زوجته ، وكما يسهر البخيل على كنزه ، وكما يقوم الكلب الأمين الضارى على حراسة سيده النائم .

ولكن ما سر هذا كله، ما سر هذا الحرص الشديد على "إيبودامى"، ولماذا يجعل الملك من زواجها أمـــر مستحيلا ، أليس من واجـب الأب أن يسعى إلى تزويجها ممن يناسبها وترضى به زوجًا . هذا ما كان

يجب أن يكون ، لو لم يستسلم الملك لهاتف الآلهة الذى أنذره قائلا : "في اليوم الذى تحصل فيه ابنته على زوج لها ، ستفقد حياتك ومملكتك".

وما إن سمع الملك ذلك حتى قرر أن يحوطها بحرس شديد ، ويكرس من أجلها نظرته، ويخصص لها عجلته وجياده ، و" ميرتيلوس " الحوذى . وألقى بتحديه في وجه شباب الأرض جميعًا .

ولكن هل سيظل " أونوماوس " - حتى بعون الآلهة ، يقاوم إلى الأبد ذلك الهجوم الذى تشنه عليه أقدار البشر وآمالهم ؟

ويأتى الخطيب الثانى عشر ، وهو أمير شاب ، جاء بجياد رائعة ، أربعة في لون النحاس ، مزينة بصورة تثير حسد "أونوماوس" ، تتحلى بقلائد من ذهب ، ويتم الاحتفال باستقباله ، ويعلن تحديه في أسلوب مهذب ، ويتفق على جميع التفصيلات . ويتحدد موعد السباق ، فهل يفعل الثانى عشر ما لم يفعله الأحد عشر من قبله ؟

الشروط قاهرة ، والأمل مستحيل ؛ ولكن هناك الحب والحب يفعل الكثير ؛ ولكنه لا يفعل المستحيل . إن الذى يواجه المستحيل هو الحيلة . فليكن الحب وسيلة إلى الحيلة ، ولتكن الحيلة وسيلة إلى الفوز وتحقيق المستحيل .

* * *

شخصيات المسرحية

أونومـــاءوس : ملك " بيز "

إيبـــودامى : ابنة أونوماءوس

لوكـــونوئيـــه : إحدى نساء القصر

مـــيـــرتيلوس : حوذى أونوماءوس

بـــيـلــوبـس : ملك فرجينى

المعـــمـــارى : مهندس معمارى

جلوكـــوس : جندى

بـوكـلـــيـس : جندى

الأركـــــادى : عامل

مـــــيلون : عامل

أجاتو كراتيس : عامل

الديكور

ديكور "ريمون فور" هو الديكور نفسه المستخدم في الفصول الأربعة ، وهو يمثل ربوة عالية تشرف على السهل . وإلى اليمين مدخل قصر، طراز قديم ، عمارة فخمة . أعمال البناء التي في المدينة والمباني التي تبدو للعيان لم تتم بعد .

الفصل الأول

المشد الأول
[ميلون ، الأركادي ، المعماري ، أجاتوكراتيس ...]

[الشمس ساطعة ، والعمال يستريحون ، وقد أرهقتهم حرارة الجو]

أجاتوكراتيس: لعمري ، إننا لم نشهد في حياتنا عاما أشد حرارة من هذا العام ، إن الشمس لم تدع على الأرض من برودة الصباح شيئا إلا وشربته .

الأركادي : وعندما تغيب تكون قد ألهبت سطح الماء فأحالته كسقف الأتون، حتى الليل لا يخفف من حدته، فيبدو أن شمسا أخرى تسكن الظلام، شمسًا سوداء تتلظَّى، أشعتها تحرق ولا تضيء.

ميلون : إن شمسنا هذه تكفي وحدها للعمل، انظروا إليها . إنها غضبى، ثابتة لا تتحرك، إن الناظر إليها ليظن أنها لن تغيب أبدا ، بل إنه يظن أنها ستظل ماثلة هناك، راسخة في جوف السماء ، تلهب الأرض وتجفف البحر حتى أغواره ، إن الناظر إليها ليظن أنه لن يكون هناك ليل على الإطلاق .

المعمارى : ليس ثمة ما يدعو لشكواكم اليوم، فإننى مضطر لإيقاف العمل فى مناطق الشمال كلها، لأن عمال المحاجر متأخرون عنا ، وعلينا انتظار خامات جديدة ، وبينما تسعدون أنتم بالنوم، والشرب والضحك مع الفتيات، سيظل البكارة يتعبون ويسبون حتى يحل المساء.

أجاتوكراتيس: إن الحرارة كانت تهون لو لم يكن هذا التراب ، لو لم يكن هذا الضباب الحجرى الذى نُرغَم على أكله بأفواهنا وعيوننا ، انظروا ، يبدو أن الشمس تذيب الأسوار ، ويبدو أن المدينة تتبخر .

الأركادى : ليس هناك من خطر ، إن بواكير رياح الربيع تكفى لتبديد قصور البَرد التى يشيدها الشتاء فوق جبال "أركادى" أما قمة " بيز " فثابتة ، إنها أجمل قمم بلاد الإغريق جميعا ، إنها لتستعصى على أنياب الصقيع ، وعلى ألسنة نيران الصيف الحرور ، وستظل هناك حيث أقمناها ماثلة إلى أبد الآبدين .

ميلون : إن الملك "أونوماءوس" لفخور بها ، ويحق له ذلك ؛ فها هى ذى سبع سنوات مضت منذ أن شرع يكدس هذه الكتل الحجرية التى تقف الطاقة البشرية عاجزة عن تحريكها ليقيم هذه الأسوار ، هاهى ذى سبع سنوات مضت منذ ذلك اليوم الذى أمر فيه بتعبئة جميع العبيد وتجنيد الصناع الأحرار ، وطالب فيه رؤساء القبائل بتقديم ضريبة من الأيدى العاملة ، وأمر فيه بإنزال الرعاة

وقطاع الطرق من فوق الجبال مقابل أجور ضخمة، ولقد
ظنه الكثيرون معتوها ، والآن يأتي الناس لرؤية مدينتنا
من أقصى " إيبر " ومن الساحل الشرقي .

المعماري : ويبدو أنهم يريدون تقليدنا في "ميسين" ولكنني أتحداهم،
إن لديهم في "أليز" وفي "أولمبيا" حصونا من الطوب
والطفال الجاف ، بينما ستصبح " بيز " بعد عامين من
الآن ، قد اكتملت من حولها بإحكام مشدها [1] من
الأسوار ويدرعها الذي انتزعت كل حلقة فيه من سلاح
أفعوان أرضي . ستصبح أجمل المدن وأقواها ،
وأسعدها أيضًا . هل تعرف أيها الأركادي ، أنهم لكي
يستجلبوا لها الحظ ، قد وضعوا في قواعدها الأساسية
ستة عشر أسيرا ؟

أجاتوكراتيس: أجل ، وستصبح الأميرة "إيبودامي" في مأمن أكثر من
ذي قبل ، وسيستطيع "أونوماءوس" أن يحتفظ بابنته
العذراء في مدينته العذراء وأن يتحدى جميع المغتصبين ،
وسأقول لكم رأيي في هذا الشأن : إذا كان الملك يرهق
شعبه بهذه الطريقة منذ سبع سنوات ، فذلك لكي يحق له
أن يستريح يوما ، يوم أن يحمي ابنته في مكان آمن ،
ضد الاغتصاب والخديعة والحب ، وحتى ذلك الحين لن
يغمض له جفن .

(١) تشبيه أسوار المدينة بالمشد الذي يشد جسم المرأة .

ميلون : أنا أعتقد أنه ينام مفتوح العينين ، واقفا أمام باب الفتاة كحارس ليلى ، واقفا وعيناه مفتوحتان طوال الليل.

المعمارى : إنكم جميعًا مخطئون أيها الأصدقاء ، فإن "أونوماءوس" لم يضع فوق جبل " بيز " هذا الغطاء الحجرى الذى يأخذ بياضهُ بالأبصار من أجل الدفاع عن "إيبودامي" . إن "أونوماءوس" رجل شهم وهو يقدم ابنته زوجة لمن يريد أن يأخذها ، لمن يعرف كيف يأخذها . وليس العسير هو الذهاب إليها ، وإنما العسير هو الذهاب بها ، وإن هذا حقًا لأمر عسير .

المشهد الثانى

[الأشخاص أنفسهم ، جلوكوس..]

[يدخل جلوكوس آتيا من القصر]

جلوكوس : إنك لمحق أيها المعمارى ، ويستطيع الشاب الغريب أن يدلى برأيه فى هذا الشأن .

المعمارى : هل لديك أخبار جديدة ؟

أجاتوكراتيس: إن " جلوكوس " يعرف كل شىء دائما ، فليس عليه حرج فى دخول القصر ، وذلك فى الغالب لمتعة الخادمات و ليس لنوبة الحراسة .

جلوكـــوس : لقد احتُفل أمس باستقبال الشـاب الفرجينى ، وقد أعلن تحـديه فى أسـلوب مـهـذب ، واتفق على جـمـيع التفصيلات ، وسيجرى السباق بعد ثلاثة أيام ، وستنطلق العربات من بوابة الجنوب ، وقد تلقينا التعليمات بذلك .

الأركـسـادى : تقول الفرجينى ، أهذا اسمه ؟

جلوكـــوس : كـلا ، هذا نسبة إلى وطنه الذى يقع فى مكان مـا من آسيا، فيما وراء البحر الشرقى، أما اسمه فهو "بيلوبس".

أجاتوكراتيس: إن هذا الاسم ليس من أسمائنا .

جلوكـــوس : وجياده أيضا آتية من آسيا ، وقد ترك سفينته فى أحد موانئ الشرق ، وتابع رحلته بالطريق البرى .

الأركــــادى : هاهى ذى الجياد الآن تتنزه فى عرض البحر .

[يضحك الآخرون]

جلوكـــوس : جياد رائعة ، أربعة بلون النار ، أضأل من خيول بلادنا ، ولكنها أكثر منها رشاقة ، قوائمها نحيفة وهى مزينة بشكل يثير حسد " أونوماءوس" نفسه، وتتحلى بقلائد من ذهب صنعت بطريقة لا نعرفها عندنا ، لقد رأيت هذا عن كثب ؛ فقد كنت من بين حراس الإسطبلات .

أجاتوكراتيس: فلتأت من آسيا، وليغطها الذهب من نواصيها حتى حوافرها، فلن تنقذ الفرجينى. فبعد ثلاثة أيام سيعود "أونوماءوس" إلى القصر فى صحبة فتاته وهى لا تزال فتاة ، فى حين يسيل دم الخطيب الثانى عشر ليصنع مع تراب "إليد" الجاف فى مكان ما من المناطق المجاورة "عجينه حقيرة".

الأركـــادى : أهو الثانى عشر ؟

أجاتوكراتيس: الثانى عشر ، أيها الأركادى ، أليس هذا أمرا معروفا فى جبالكم ؟ فقد جاء قبله منذ سبع سنوات أحد عشر شابا، زهرة الأرض، جاءوا يطلبون يد "إيبودامى" وكانوا يملكون جيادا كذلك رائعة ، من آسيا ، فهل يصنع الثانى عشر أفضل مما صنع الأحد عشر ؟ ليس فى الدنيا أيها الأركادى جياد يمكن أن تنافس جياد ملكنا .

مــــيلون : ... وليس فى الدنيا من يقود الجياد ويعنى بها كما يفعل " ميرتيلوس " فليأت الأجانب .

جلوكـــوس : أنا لا أقول إن الأسيوى يستطيع أن يفر من "أونوماءوس" ، بل أقول إنه سيكون سباقا رائعا .

مــــيلون : حقا سباق رائع ، ولكننى سبق أن شاهدت أحد عشر سباقا رائعا . إن السباقات لتتشابه جميعا .

المعـمـارى : ألا تحب مشاهدة الجياد وهى تعدو ؟

مــــيلون : إننى أحب مشاهدة الجياد وهى تعدو إذا كان من الممكن أن نراهن عليها ، هلا عدت بذاكرتك إلى خطبة "إيبودامى" الأولى ، لقد كان حفلا حقيقيا اشتركت فيه المدينة عن بكرة أبيها قبل السباق بأيام. وكان المتراهنون منقسمين ، فقد كان ثلثهم على الأقل يراهن لصالح جياد الخطيب ، ذلك الشاب الجميل الذى أتى من " لاكونى " ، لقد رثيت له ، صدقنى ، فراهنت لصالحه . أما اليوم ، فانزل إلى الشوارع تجدها خلوا من الحياة ، فليس هناك

مجنون واحد يقامر بأجر يوم واحد على حظ الخطيب ، وقد يذهب الناس معا لمشاهدة السباق ، ولكن لن يكون هناك تلهف أو حماسة .

جلوكـــوس : من الممكن أن نراهن على المسافة، إننى أراهنك بأجر يومين على أنه لن يلحق ببيلويس قبل علامة حدود الطرق الأربعة.

مــــــيلون : إنك لتسخر منى ، فمع التقدم الذى أعطى له ، يجب عليه أن يسمح لجياده بقضم العشب على حافة الطريق ، حتى يمكن اللحاق به قبل الطرق الأربعة ، كلا ، احتفظ بنقودك يا جلوكوس ، فقد نتقاتل .

الأركـــــادى : إن الناس جميعا يعرفون الآن أن جياد " أونوماءوس " قد منحت هدية من الإله " إيكارلات " فهى جياد إلهية ، ومن الطبيعى أن تفوز فى جميع السباقات ، ولا يجب أن يُسمح باستخدام الجياد الإلهية فى سباقات العربات.

مــــــيلون : إننا نرى بوضوح أنك لست من هذه البلاد أيها الأركادى ، وأنت تصدق القصص التى ترويها الفلاحات فى الأسواق ، إن جياد " أونوماءوس " هى أعظم جياد فى العالم ، " وميرتيلوس " هو أعظم حوذى فى العالم ، وليس ثمة سر وراء ذلك .

المعـمـــارى : ولكن " ميرتيلوس " هذا الذى تتحدث عنه ، أتنكر أيضا أنه ابن الإله الطائر ؟

مــــــيلون : كلا ، بالتأكيد ، فإن أمه ، و لابد أنها تعلم ذلك ، تفخر بقول ذلك لمن يريد أن يسمعه ، إن لم تكن تباهى به .

المعماري : أنت تعرف إذن أن " ميرتيلوس " هو ابن إله ، فهل رأيت في حياتك نصف إله حوذيا ؟

ميلون : إنه يقود عربة الملك .

المعماري : فهو إذن حوذي الملك ، اعترف بذلك ، إن حوذي الملك ، نادرا ما يكون ابن إله .

ميلون : ماذا تقصد بذلك ؟

المعماري : هل تظن أنه إذا كان الإله الطائر يوافق على أن يصبح ابنه حوذيا ؟ فهل ذلك يقود أية جياد كانت ؟

ميلون : إن جيادنا التي تربت في " إليد " ليست كغيرها من الجياد .

المعماري : إن الآلهة لا تكرس لياليها في إنجاب حوذيين لجميع جياد " إليد" . فإذا كان ابن الإله الطائر قد تلقى من أبيه رسالة بالسهر على جياد " أونوماءوس "، فذلك لأن الجياد أيضا إلهية .

أجاتوكراتيس: هذا أمر مؤكد .

ميلون : إلهية أولا – فهي تفوز بجميع السباقات ، ولا يوجد هنا مجال للمراهنات .

الأركادي : أما أنا فلم يسبق لي المجيء إلى هنا ، وسأرى المشهد لأول مرة ويبدو أنها ستكون مباراة رائعة – تلك التي يتحدث عنها الناس في جميع أنحاء بلاد الإغريق . ذلك السباق بين الحياة والموت، حيث يكون الموت أكثر مبادرة. بقي أن يحسن المرء اختيار مكانه على حافة الطريق .

سنشهد في بادئ الأمر مرور المتسابق ، وإلى جواره على العجلة أجمل فتيات الدنيا وأكثرهن تمتعا بالصفات الملكية، وهو يظن أنه قد أصبح مالكا لها إلى الأبد، ويحدث نفسه بأنه سيأخذها بين ذراعيه مجردة من ثيابها ، وهي مجردة فعلا ، ولكن كخنجر في قلبه ، وعندئذ يلهب جياده بالسياط ، ويلهب ويلهب ، وإذا بعجلة "أونوماءوس" في إثره تطير فوق الأرض كطيور المارتينيه[1] قبل العاصفة. يقال إن "ميرتيلوس" لا يقود العجلة إلا بصوته.

ميلون : حقا .

الأركادي : فإذا بالخطيب وقد قضى نحبه ، وإذا بالأميرة وقد استردتْ تعود إلى قصرها هادئة دون أن تلقى نظرة على ذلك الرفيق الذي صاحبها ساعة من الزمن ، والذي أوشك أن يصبح زوجا لها ، والذي راح ينزف دمه على الأرض كثور قد نُحر ، إنها لا تنظر إلى المغلوب أبدا .

أجاتوكراتيس: حقا .

المعماري : ترى ، هل يخطر ببالها أن الحادث يقع بواسطتها ومن أجلها ؟ قاتلة ، لا تبالي ، سلبية ، لاهية عن أفراح عرسها وعن ترمُّلها ، مستسلمة للسلب والاسترداد بازدراء ، أسيرة غريبة ، ويبدو أن هذا كله لا يبعث في نفسها مجرد السرور .

(١) طائر يشبه السنونو ولكن جناحيه أضيق وذيله أقصر .

الأركـــــادي : لا يمكنكم أن تنكروا أن المشهد سيكون رائعا .

مـــــيلون : أيها الساذج المسكين، إنك لا ترى شيئا على الإطلاق، ونحن كذلك لا نشهد إلا الرحيل والعودة . إن أجمل ما في الاحتفال لم يشهده أحد منا ، باستثناء جلوكوس ، مرة واحدة .

جلوكـــوس : مرة واحدة. أجل ، كان الخامس، وقد مضى على ذلك أكثر من ثلاثة أعوام ، كان الخطيب شابا من "تسالى" ...

الأركـــادي : إنهم في " تسالى " يملكون جيادا عظيمة .

جلوكـــوس : أجل ، كانت الجياد عظيمة ، ولكنها لم تكن عظيمة بما فيه الكفاية ، فقد لحقوا بها عند مفرق الطرق التى كنت من بين حراسها ، أقصد أنني رأيتها عن كثب ، كنت مسرورا .

الأركـــادي : كيف حدث ذلك ؟

جلوكـــوس : أسرع مما أستطيع وصفه ، لقد شاهدت العجلتين تندفعان نحوى تتنافسان على السرعة ، كانت العجلات التى يطوقها الحديد تغوص في التراب الكثيف تارة ، وتارة تقفز فوق الأحجار وتنتزع منها نارا . وعندئذ كنت أسمع كراسي محاور العجلات تئن من الألم كما تفعل طيور النورس في الشتاء والسفن عند رسوها .

المعـــماري : إن " أونوماءوس " يريد أن يعدل بين الآثار .

جلوكـــوس : كان من العسير تمييز أشكال الجياد والعجلتين ، فقد كانت كل عجلة تطير وسط جو من الغبار ، حتى لقد بدأ

السباق وكأنه سباق بين سحابتين ، وفي وسط السحابة الأولى كان ثمة وهج يبرق ، كان ذلك هو شعر "إيبودامى" الذهبي ، وفي وسط السحابة الثانية أيضا كان ثمة وهج يبرق ، وكان ذلك هو رأس الحربة . وكان رأس الحربة يقترب من الشاب التسالي، يقترب، ويقترب ، وهو لا يراه إذ يقترب ، ومع ذلك فكلما اقترب رأس الحربة مال هو إلى الأمام على الزمام ، كما لو كان يشعر بثقله على رقبته . وبالقرب من هذا الرجل الذى كان يزيد من الميل في كل خطوة كانت هناك "إيبودامى" منتصبة صلبة كالحربة ، وعندئذ لحقت عجلة " أونوماءوس " بعجلة التسالي . وفجأة ، إذا برأس التسالي يغوص بين كتفيه وكأنه ارتعد بفعل برودة مميتة ، وكان الموت هو الذى يحلِّق فوق رأسه وليست البرودة ، فقد انفرجت السحابة فجأة عن عود الرمح ، يقذف سلاحه إلى الأمام فتشعل فيه الشمس ضوءاً لم تستطع العين أن تتحمله ، ولاح أن الشمس هي التي حملها " أونوماءوس " على طرف حربته ليغرقها ويطفئها في ظهر التسالي .

الأركـــادى : هل رأيت ذلك ؟

المعـمـارى : لقد رآه مرة ، ولكننا نحن لم نره أبدا ، ولن نراه أبدا . إن جياد " أونوماءوس " لا تُقهر ، والجميع يعرف ذلك ، وإذا كان سكان "بيز " لا يريدون أن يقامروا بأموالهم في

هذا السباق ، فهل تعتقد أن المجانين سيستمرون طويلا يراهنون بحياتهم ؟ لقد باتت السباقات نادرة ، وراحت بلاد الإغريق شيئا فشيئا تقفر من أمرائها الشبان ، لقد مات أشجعهم وأمهرهم ، وسيلزم الآخرون بيوتهم .

أجاتوكراتيس: هذا بالضبط ما يريده الملك . وهل تظن أنه كان يترك ابنته لمصير السباق لو كان يعتقد أن في الإمكان قهره ؟ إن الملك يقوم على حراسة "إيبودامي" كما يقوم الزوج الغيور على حراسة زوجه ، وكما يسهر البخيل على كنزه، وكما يقوم الكلب الضاري الأمين على حراسة سيده النائم ، فلو سلبوه إياها لبذل في سبيل استردادها خيوله ومدينته وقوته وكبرياءه . وأقولها لكم ، ما إن يلين قلب الرجل القوي القاسي مرة واحدة لنظرة امرأة ، حتى يحب جرحه ، ويدافع عنه بيدين متأهبتين للقتل ، إن "إيبودامي" هي نقطة الضعف في " أونوماءوس " ؛ لذلك فهو يجد لذة في القتل ، وإذا كان يدع ابنته على الطرق مع خطيب مؤقت ، فذلك لكي يجعل من كل رجل يجرؤ على التطلع إليها صيداً له ، إنه يفعل ذلك لكي يقتل .

[يدخل ميرتيلوس ، ولوكونونيه]

المعماري : إن أوضح ما في الأمر هو أن " إيبودامي " ستهرم وهي لم تزل عذراء .

* * *

المشهد الثالث

[الأشخاص أنفسهم ، ميرتيلوس ، ولوكونوئيه] .

[ينتحي ميرتيلوس جانبا ، وسيتكلم كما لو كان يتحدث إلى نفسه ، ونادرا ما سيوجه حديثه للعمال إلا حينما يصل إلى قمة غضبه في النهاية]

ميرتيلوس : من يستطيع أن يقول ذلك ؟

جلوكوس : (**يقترب من لوكونوئيه**) من يستطيع أن يقول ذلك ؟ أنت نفسك يا "ميرتيلوس" وأكثر من ذلك أيضا . أيتها البيضاء الجميلة العاشقة "لوكونوئيه" أليس "ميرتيلوس" هو أعظم حوذى فى العالم ؟

لوكونوئيه : أعظم حوذى فى العالم ، إنه حبيبى .

جلوكوس : أولا يقود أعظم خيول فى العالم ؟

لوكونوئيه : أعظمها بكل تاكيد . إنه حبيبى .

جلوكوس : فهل من الممكن أن ينهزم في سباق العجلات ؟

لوكونوئيه : مستحيل ، إنه حبيبي .

جلوكوس : وعلى ذلك فأنا أعظم جندى فى العالم .

لوكونوئيه : لقد كنت كذلك .

جلوكوس : كنت كذلك ؟ أيتها الفتاة الشقية ، هل تعلمين أننى قد لا أستقبح أن تغازلينى فى يوم من الأيام ، بعد إذن "ميرتيلوس" طبعا .

لوكـونونيـه : للأسف إنه يأذن لى .

مـــيلون : دعـوا " ميرتيلوس " يتكلم ، " ميرتيلوس " ذلك المعصوم ، " ميرتيلوس " الذى يقوم بمهارته وخيوله على حراسة "إيبودامى" خيـر من المزالج والأسـوار ، " مـيرتيلوس " يشك فى أن " إيبـودامى " سـتـهـرم وهى عـذراء ، "ميرتيلوس " ، قل لنا الأسباب التى تستند عليها .

مـيـرتيلوس : ماذا يهمكم من أمر " إيبودامى " وعذريتها ؟ دعوها فى سلام ، ودعونى فى سلام .

مـــيلون : ماذا يهمنا ؟ إنك لتمـزح يا " ميـرتيلوس " إذا كنت قد بدأت تشك فى نفسك، وإذا كنت قد بدأت تفقد إيمانك فى مقدرتك على النصر ، عندئذ يمكننا أن نتكلم .

مـيـرتيلوس : راهـن إذن يا ميلون ، راهن ، قامـر ببضعة دراهم ضد "أونوماءوس" . فإن ذلك الحظ له نهاية ككل حظ بشرى .

أجاتوكراتيس: ولكن حظك أنـت يا " مـيرتيلوس " ليس بشريا خالصـا ، فالآلهة تجرى إلى جوارك .

مـيـرتيلوس : لا تنطـق بكلمـة الحـظ وأنـت تتحـدث عنـى يا "أجاتوكراتيس" ، فـأنـا نفسي أجـهل إذا كان حظى انتصارا أو هزيمة ، وأجهل إذا كنت أحبه أو أبغضه .

مـــيلون : هيا يا " ميـرتيلوس " لا تمثل دور الشـاعر ، فـالواقع هو الواقـع . هل تعتـقـد أن عـجلة الأجنبى يمكن أن تنافس عجلتك فى معمعة السباق ؟

مـيـرتيلوس : لا هى ولا أية عجلة فى العالم .

مـــــيلون : وهل تعتقد أنه سيظل فى بلاد الإغريق شبان مجانين يأتون إلى " بيز " ليتزوجوا الموت وفى اعتقادهم أنهم إنما يخطبون " إيبودامى " ؟

مـيـرتيلوس : إننى أعتقد أنه لا يوجد فى بلاد الإغريق كلها ، ولا فى جزر الشرق السعيدة ، بنات النور الغاليات ، التى يداعبها أبوها النور أول ما يداعب عند صحوه ، ولا فى "تسالى" البدائية ، ولا فى " كريت " المترفة ، ولا فى مصر القديمة ، أعتقد أنه لايوجد فى هذه البلاد كلها شاب واحد يمارس سباق الجياد دون أن يحدث نفسه قائلا : "أنا ، ربما أفوز" .

المعـمـــارى : إن الحصول على " إيبودامى " شىء جميل ، أوافق على ذلك ، وأوافق على أن المرء يتمنى لو يأخذها ، ولو لليلة واحدة ، وفى رأيى كذلك أن هذا لا يساوى الحياة ، بل ولا عاماً من الحياة ، إن المتعة التى يحصل عليها المرء بقيامه برحلة إلى جوارها تستغرق ساعة من الزمن وسط العرق والتراب ، دون أن يكون فى استطاعته مجرد النظر إليها ، لأنه يكون مشغولا بجياده التى يلهبها وبجسده الذى يحاول إنقاذه ، تراوده فكرة رأس الحربة اللعينة التى تقترب من رقبته ، فى رأيى ، هذه متعة مجانين يشترونها بالموت .

مـيـرتيلوس : إنهم يأتون بسبب الموت ، أيها المعمارى ، حقا قلت ، إن على الأرض عشرين ابنة ملك ، جميلات كلهن كإيبودامى،

فإلام كانت تصير هذه الأميرة المغرورة؟ لو لم يقم حراس
أبيها الضواري بوضعها فوق قمة "بيز" بادية للناظر من
أطراف الأرض في سحابتها التي صيغت من الدم والمجد؟
ومهما نظر المرء إليها من بعيد ، فإنه يرى خلفها شبح
العملاق والحربة ، فإن القاتل لا يسعى إلى الضحية
وحدها ، ولكنه يسعى كذلك إلى الجلاد ، لقد قبل جميع
أمراء الإغريق الشبان أن يموتوا من أجل "إيبودامي"
حتى قبل أن يروها ، فإن هذا الجمال الذي يؤرقهم في
نومهم وينهش أغطية أسرتهم في حنق، إنما هو نفحة لها
من قبل الموت . إنهم يتدافعون نحوها بشجاعتهم البلهاء
وهم أكثر غباء من الحشرات التي تتدافع إلى اللهب لأنه
يضيء ، فهم يتدافعون إلى اللهب لأنه يحرق . إن
"إيبودامي" تمثل المستحيل ، والذين يحبون "إيبودامي"
كثيرون كعشاق المستحيل ، لا يحصى لهم عدد .

جلوكوس : هذا كلام ، فالناس لا يحبون أن يموتوا ، إنني أقول
ما أعرف ، فأنا جندي.

لوكونوئيه : إن الناس جميعا يسيرون إلى الموت يا جلوكوس ،
ولكنهم يسيرون القهقرى – إلى الوراء – ويحدث
لبعضهم وهم في نحو العشرين من عمرهم ، أن يسمعوا
نداء من خلفهم ، فيتعرفوا هذا النداء ، وهم كذلك
فخورون أن وقع عليهم الاختيار ليواجهوا الموت ، إذا بهم
يلتفتون ويدخلون السباق.

ميرتيلوس : إنه الملك مجنون ، ملك أبله ، يستسلم حتى يقع فى شرك هاتف الآلهة . إن الهاتف طُعم تستخدمه الآلهة لتقودنا حيث تشاء ، إنه الفراء الذى تصطاد بواسطته أولئك الذين يعتقدون أنهم أحرار ، فماذا قال الهاتف لأونوماءوس؟ : " فى اليوم الذى تحصل فيه ابنتك على زوج لها ، ستفقد حياتك ومملكتك " . وما إن أنذر "أونوماءوس" بذلك حتى راح يضحك تهكما ، فلسوف يحوطها بحرس شديد ، ولسوف يكرس من أجلها نظرته وحربته وجياده التى حصل عليها من الآلهة، و"ميرتيلوس" وهو حوذى عظيم ، إذن فهو يفعل ما كان يجب ألا يفعله. إذ كان ينبغى عليه أن يبحث لابنته بنشاط وبلا ضجيج عن زوج طيب مسالم ، أمير مناسب ، وبعد ذلك يمكنه أن ينام هادئ البال ، ولكن هاهو ذا يلقى بتحديه فى وجه شباب الأرض جميعا . أخبرنى إذن عما يمكن أن يحلم به أى شاب عنيد ، أينما كان ، إن لم يكن بالاستيلاء على "إيبودامى"، هل تعتقدون أن ملككم – حتى بعون الآلهة – سيظل يقاوم إلى الأبد ذلك الهجوم الذى تشنه عليه أقدار البشر وآمالهم ؟ ففى يوم ما سيجد فى مجابهته المصادفة أو الحيلة : التراب الذى يدخل فى عين حوذيه : الحجر الذى يحطم عجلته : جزىء الحظ الذى يأتى بكل هؤلاء الشبان المتهورين ليجربوه هنا ، وبسبب هذا الجزىء من الحظ يكون ضياع " أونوماءوس " .

مـــــيلـون : إنك لتتظاهر بالتواضع يا "ميرتيلوس " ولكننى أعرف أننى لن أقامر بدرهم واحد ضدك ، فمادمت موجودا أنت وجيادك فإن ابنة " أونوماءوس " فى مأمن عظيم .

مـيـرتيلوس : إن " أونوماءوس " هالك ، أقولها لكم ، ففى يوم من الأيام على الرغم منه وعلى الرغم منى ، ستُنتزع منه ابنته ، وإذا ما سألتمونى إذا كان ذلك اليوم سيكون بالنسبة لى يوم هوان وقنوط ، أو يوم خلاص ونجاة ، فإننى أقول لكم إننى لا أدرى من ذلك شيئا ، سأقول لكم إننى أجاهد بكل ما لدى من قوة وبكل ما فى نفسى من حنق حتى لا يحل ذلك اليوم، وإننى مع ذلك أنتظره ، هل فهمتم؟ ... هل فهمتم ؟ ... إذا لم تكونوا قد فهمتم فلا أهمية لذلك .

جلوكـــوس : هاهو ذا قد بدأ يغضب .

مـيـرتيلوس : دعونى الآن ، انصرفوا وتدبروا بعيدا عنى أمرَ "إيبودامى" وعثورها على زوج ، وما تكلفكم أو تجلب لكم عذريتها ، انصرفوا عنى ، اذهبوا لتراهنوا على الحياة والموت ، على الأمل وعلى الحب ، انصرفوا انصرفوا .

مـــــيلـون : هيا بنا ، فهاهو ذا قد ملكته نوبة من نوبات الغضب التى لا يدرك معها شيئًا .

[يخرجون]

* * *

المشهد الرابع

[ميرتيلوس - لوكونوئيه]

ميرتيلوس : فلتفاخر بنفسك يا ميرتيلوس ، وليملأك الغرور ، إنك تثير إعجاب القوم وتحظى بمديحهم ، أيها الخادم الأمين ، أيها السجان العظيم ، يا من باع مهارته وشجاعته لشخص آخر ، يا ابن الإله وتعيش عبدا ، حاميا نظير أجر ، لسلطان ليس سلطانك ، ولسعادة ليست سعادتك ، ولحب ليس حبك .

لوكونوئيه : حب هو حبك يا ميرتيلوس .

ميرتيلوس : بالله عليك ، إلا أمسكت يا لوكونوئيه ، فإنني لم أصرف أولئك القوم لكى تأتى أنت فتضايقيني، وأنت تعرفين ذلك، فلقد أخبرتك به ، فإذا كان هذا الحب يثير سخطك أو قنوطك ، فإننى لا أملك شيئا ، وإذا كنت تشعرين بالانتصار فى قرارة نفسك؛ إذ علمت أنني لا ألقى فى حبى غير الازدراء ، فلا تأتى للزراية بى ، وإذا كنت ترثين لحالي ، فأنت تعلمين أن العزاء الوحيد الذى أنتظره منك إنما تمنحينه لى فى الليل ، وفى الصمت .

لوكونوئيه : لقد حان دورى لكى أوقفك عن الكلام يا ميرتيلوس ، إننى لم آت اليوم لكى أقدم لك العزاء ولكى أظهر لك الزراية ، ولا لكى أعرض عليك مشهد بكاء أو عتاب ، إنما جئت

لكى أساعدك ، هل تريد أن تحصل على "إيبودامى"؟
استمع إلىَّ إذن .

ميرتيلوس : تريدين مساعدتى فى الحصول على " إيبودامى " ؟
تريدين مساعدتى فى هجرك ؟ تريدين الإسهام فى متعة تبغضينها ؟ تريدين مساعدتى ضد غريمتك ؟ ... كلا يا لوكونوئيه ، هذا كثير ، كفى ! كفى ! إننى لا أعرف أى شرك تعدِّين ، غير أننى أعرف أنك تبحثين لى عن نقطة ضعف .

لوكونوئيه : لقد قلتها أنت ، سأساعدك ضد نفسى ، وضد نفسك أيضا ، ضد هذه العاطفة التى تسكنك فتمزقك ، سأساعدك .

ميرتيلوس : ولماذا تفعلين ذلك ؟

لوكونوئيه : لا تسألنى .

ميرتيلوس : لا أريد أن أستمع إليك .

لوكونوئيه : ستستمع إلىَّ ، فسأخبرك بأن " إيبودامى " يمكن أن تحبك ، وأن احتمال حبها لك شىء يتعلق بك أنت .
استمع إلى .

ميرتيلوس : وأية مساعدة يمكنك تقديمها ؟

لوكونوئيه : ميرتيلوس ... هاهى ذى ثمانى سنوات مضت وأنت تحب "إيبودامى " ، وحدها ، ومن حقى أن أتألم لذلك ، أنا لا ألومك ، مادمت حتى قبل اللحظة التى وافقت فيها على أن أهب نفسى لك ، كنت أعرف أنك لست لى ، وإنما لها ،

ومنذ ثماني سنوات وأنت لا تجرؤ مرة واحدة على رفع عينيك إلى عينيها ، وقد كنت سعيدة بحيائك هذا ، أجل كنت سعيدة أنا التي أتمنى أن أموت من أجلك ، كنت سعيدة إذ أراك مغلوبا ، ولست أدرى أى جنون جعلني اليوم أنحاز إلى جانب مصلحتك أنت ضد مصلحتي أنا ، فإذا كنت لا أفكر إلا في نفسي لقدمتها قربانا حتى تستمر في صمتك ، ولكنني أفكر فيك وأقول لك ، لقد حان الوقت فتشجع وتكلم ، فإذا أعلنت اليوم حبك لإيبودامي ، فقد تنالها ، أما إذا لزمت الصمت ، فقد ضاعت منك إلى الأبد.

ميرتيلوس : إذن ، فماذا حدث لكي يصبح هذا اليوم أهم من الأيام الأخرى ؟

لوكونوئيه : لم تقع بعد أحداث ، ولكنني أكاد أرى " إيبودامي " في كل ساعة ألاحظها ، فأجد أنها لا تتأثر بشيء ، هادئة كعهدنا بها دائما ، حتى إنني لا أستطيع أن أتعرف عليها ، ولكنني أعرف أن تغييرا مريعا يكتمل في ليل قلبها ، أعرف أنها وصلت إلى غاية انتظارها وصبرها . لم تقع أحداث بعد ، ولكن مهما سيكون ذلك الحدث الذي يوشك أن يقع ، فإنه سيقع وشيكا ، وإن " إيبودامي " لمتأهبة لاستقباله .

ميرتيلوس : إذن فسأنتظره أنا أيضا في صمت .

لوكونوئيه : لا شيء يأتي بالصمت .

مـيـرتيلوس : ألا ترين مقدما أن فشلى حقيقة دامغة تبهر الأبصار ، كـهـذه الشـمس التى لا تطاق ؟ أمن العـقل أن تسـمع "إيبودامي" يوما من الأيام كلامـا في الحب يخـرج من فمي، وأن تتقبل فى وقت من الأوقات فكرة ترك جسدها الأنوف فى عناق نتن مع سائس الخيل ؟ إن قولى بأنها تحتقرنى شيء كثير يا لوكونوئيه . إنها تجهلنى ، إننى لست فى نظرها إلا أقل خدم أبيها قذارة وغباء . إننى فى نظرها غير موجود .

لوكـونوئيـه : إن وجودك شيء يرجع إليك أنت .

مـيـرتيلوس : ألا تدركـين إذن أنه لا تصل بينى وبينهـا طرق ولا أبواب للحب أو للكراهية ، فكرى يا " لوكونوئيه " فى وضـعى بالنسبة لها ، فبسببى أنا ، ظل جمالها معطلا ، وجسدها وحيداً كـجسد عانس يزدريها الرجال ، أنا الذى أحمل مفتاح سـجنها . إننى أحول بينها وبين الحياة ، أنا الذى أتمنى أن أكون لها الحياة وأحول بينها وبين الأمل ، أنا الذى أتمنى أن أصـبح لهـا الأمل. وأحـول بينهـا وبين الحب، وأحول بينها وبين العالم ، ومع ذلك فإنها حتى ... لا تبـغـضـني ، أواه ! لشـد مـا أتمنى أن أرغـمـهـا على بغضى .

لوكـونوئيـه : اعترف أن هذا ليس ما تتمناه فى قرارة نفسك .

مـيـرتيلوس : اسكتى ، اسكتى ، فيكفى أن تخرج كلمـة الأمل بالقرب منى من فم حى ، ولو كان ذلك بنغمة كاذبة ، حتى يقتل

ذلك في نفسي كل أمل ، ويعيد إليَّ الرغبة في اليأس ، إذا كنت قد فقدتها إلى الأبد .

لوكونونيه : ألا أستطيع يا " ميرتيلوس " أن أصبح بالنسبة لك أكثر قليلا من ذلك الجسد الذي لم تعد تشتهيه مع ذلك ، ألا أستطيع أن أكون أكثر قليلا من تلك الرفيقة الصامتة التي تطلب إليها أن تروِّح عنك دون أن تنقذك أو تفهم أغوار نفسك؟ إنني لا أزعم أن "إيبودامي" على استعداد لأن تحبك ، بل إنني أوافق على أنها تحتقرك ، ولكنني أعرف مقدار حبك لها ، صدقني ، إنني أعرف أنك الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يقترب منها ويتحدث إليها دون أن يعرِّض نفسه للموت ، وأعرف أنه قد حان اليوم الذي تستطيع فيه أن تصبح بالنسبة لإيبوادمي ما يمكن أن يكون أغلى شيء في الدنيا بالنسبة لأميرة شبه أرملة عذراء ، رجلا يفيض حيوية .

ميرتيلوس : ألا تعرفين " أونوماءوس " ؟ ألا تعرفين أنه قد أعلن الحرب على كل رجل يتجاسر على التطلع إلى "إيبودامي" بعيني رجل ؟ وإذا استطعت يوما ما أن أستميل "إيبودامي" فمن يستطيع أن يستميله هو ؟

لوكونونيه : "إيبودامي" – إنه لم يصفح في حياته عن أحد من أولئك الذين طمعوا فيها ، لكنها لم تطلب في حياتها الصفح عن أحدهم ، وهو لم يرفض في حياته طلبا لها ، إن حبه لها هو نقطة الضعف عنده .

ميـرتيلوس : إن حبه لها لا يرحـم ، إنه سـيقتلها هى لو سولت لها نفسها ، أن تفر منه يوما ما ، إنها نزوته ، إنها نفسه ، فلتطلب أن تعيش حياتها ، إذن فلن يبقى لها أثر فى الوجود . هل قرأت النظرة التى يصوبها إليها عندما تسير إلى جواره ؟ وهى قد تبدو غريبة لا يمكن سبر أغوارها ، ولكنها وديعة ، إن هذه النظرة مطلقة كالموت .

لوكـونوئيـه : ولكن نظرة " إيبودامى " يا " ميرتيلوس " ... هل تجرؤ أن تحدثنى عنها؟ أنا التى أراها فى كل يوم .

ميـرتيلوس : إنها نظرة خاوية ، خالية من الإحساس .

لوكـونوئيـه : إنها نظرة نائمة ، تفيض وعدا حلوا ، ووعيدا مريعا ، كنعاس الطفل ونوم القاتل .

ميـرتيلوس : إن مياه نظراتها التى تصوبها نحوى لشبيهة بمياه تلك المستنقعات السحرية التى لا تستطيع نسمة أن تحرك ، سطحها ، والتى تطبق على الحجر الذى تلقيه فيها دون تموج أو اضطراب . لقد شاهدت بهذه النظرة أجمل شباب الأرض وأشجعهم يموتون عند قدميها من أجلها ، دون أن ينتفض لها هدب .

لوكـونوئيـه : إنها لم تكن تراهم ، لقد كانت ترى وراء المغلوبين من يمكن أن يكون غالبا ، ووراء أولئك الذين عجزت أصابعهم فراحت تخدش الأرض فى تشنج الموت ، كانت تتطلع إلى ذلك الواقف الذى يضمها إلى صدره ، إنها عمياء حيال كل ما فى الدنيا إلا ذلك الذى لم يتخذ بعد

اسما ولم تتحدد معالم وجهه بعد ، والذى سيحطم
سلاسل العبودية الطاغية التى تقيد حريتها ، ليحل محلها
أساور أذرع تفيض حياة، وهى لا تدرى بعد أنها تختنق ،
لا تنس ذلك ، لا تنس يا "ميرتيلوس" أن الساعات تمضى
وأن الأمور تتحول فى الخفاء تحت ستار الظلمات الجامد،
وأن الشياطين تستيقظ يوما فى قلب الحنان الأبوى
والخضوع البنوى ، وأنه فى هذه اللحظة التى أتحدث
إليك فيها الآن ربما استحق هذان الشعوران أن نطلق
عليهما اسمين آخرين .

ميرتيلوس : كانت قد بلغت سن الحب وسن التمرد ، عندما سقط أول
خطابها فى تراب الطريق ، ومنذ ذلك الحين مضت سبع
سنوات وسرعان ما سيفوت الأوان.

لوكونوئيه : ولذلك فقد أتى اليوم الذى ستبلغ فيه " إيبودامى " غاية
انعزالها وصبرها ، أتى اليوم الذى ستضع فيه قناع
ثورتها على وجه رجل من الرجال ، وعندئذ سيصبح ذلك
الوجه بالنسبة لها أجمل وجه على الأرض . وعندئذ
سيتكشّف لها فى أبيها أنه وحش ضار ، وسيتكشف لها
فى أول رجل يتقدم لها أنه حبيب خصتها به الأقدار ،
لا يمكن استبدال سواه به ، وستكون هذه هى الصحوة
التى تتغير معها ألوان الأرض والسماء فى عينيها ،
الصحوة التى تفيق معها ، وتنتبه إلى قيودها ، فليحذر
"أونوماءوس" من الحقد النائم .

مـيـرتيلوس : إنك تحلمين ، وأنا لا أريد أن أحلم .

لوكـونوئيـه : قد لا أستطيع إقناعك يا مـيرتيلوس ، ولكننى سأنذرك . إننى أعرف ذلك. أعرفه دون أن أدرى لهذه المعرفة سببا ، إن الصـاعـقـة توشك أن تقع فـوق بيت " أونومـاءوس " وسيكون محرك هذه الصاعقة وجه رجل ، وهذا الوجه – وجهك – عجل بكشفه لتلك التى تراه كل يوم ولم تره بعد، أظهر نفسك " لإيبودامى " يا مـيرتيلوس ، أظهر نفسك الآن ، لقد حانت اللحظة ، ولقد أعددتها لك .

مـيـرتيلوس : ماذا تعنين ؟

لوكـونوئيـه : لقد قلـت لإيبـودامي بالأمـس إن " ميرتيلوس " يريد أن يتحدث إليها صباح اليوم ، قبل الجولة التى تقوم بها كل يوم مع والدها لزيارة العـمـال فى أمـاكن عـملهم ، ولذلك جئت بك اليوم إلى هنا ، وستراها الآن . وقد لا تصدقنى حين أقـول لك إننى فـعلت ذلك من أجلك وأنا أشـعـر بنوع من الفرحة التى تمزقنى .

مـيـرتيلوس : أنت فعلت ذلك ؟ وبماذا أجابت ؟

لوكـونوئيـه : بأنها ستأتى .

مـيـرتيلوس : ألم تفاجأ لذلك ؟

لوكـونوئيـه : كلا ، لم تفاجأ بالضبط ، ولكنها بـدت كالمهتمـة بحدث لم يكن فى الحسبان يتصل من ناحية ما بذلك الحدث الذى يشغل بالها – أواه ! لا تستنتج من هذا أية نتيجة عاجلة، ولكن " إيبـودامى " تبدو لى منذ بضـعة أيام مـختلفة عن

ذى قبل، وأكثر شروداً مما اعتدنا أن نراها فى الماضى ، وأكثر بعداً عن عاديّات حياتها . ونظرتها الآن تلمع بفعل انتعاش غريب لا أدرى كنهه .

ميرتيلوس : وهل تعتقدين ؟ ... ولكن هأنذا أقع ضحية لمؤامرتك البلهاء ، مؤامرات المرأة ، ستظهر الآن فى هذا المكان ، أمامى ، كما تقولين ، فى انتظار أن أتحدث إليها ، ولكننى لن أستطيع إلا أن أتحصن فى صمت مهين ، أو أن أقول فى الحب كلاما يثير السخرية ، فأكون بذلك هدفًا لسخريتها ، وهذه هى النتيجة التى تنتظرينها من وراء خدماتك ، تريدين رؤية "ميرتيلوس" مطرودا إلى حظائره كنذل وقح ، إننى أعرف يا لوكونوئيه ، أعرف أننى لست جديرا إلا بحب الخادمات ، أعرف أننى جدير بك وأننى لا أساوى أكثر من ذلك .

لوكونوئيه : ما كان أجدرنى بالبكاء أمام إهاناتك لنفسك لو لم أكن أدرى أنك لا تفكر قط فى إهانة نفسك ! " ميرتيلوس " يا ابن الإله ، أنت لست عبدا ، إن هذا الحق الذى يتملكك فيدفعك إلى إهانة نفسك إنما ينبع من الكبرياء ، وهو فى هذه اللحظة يضفى على نظرتك بريق نار سامية ، فليسطع بريق تلك النار فهى نفسها ، التى يشعلها الكبرياء نفسها فى هاتين العينين اللتين سترفعهما فى تلك التى تحبها ، إن ابنة " أونوماءوس " نفسها ستعجب بهذا البريق .

ميرتيلوس : هل تريدين ذلك ؟ ليكن ، لقد دفعتني إلى " إيبودامي " وأنا في طريقي إليها ، ولكن حذار ، فسواء قبلتني أو رفضتني ، فلا أمل لك يمكن رجاؤه مني .

لوكونوئيه : وهل تعتقد أنني لا أعرف ذلك ؟ إنك إن نجحت ، فإن الجرح الذي سيسببه لي هناؤك سيكون شديدا ، غير أنني قد أجد فيه لذة ، ولتذكر ذلك لو استطعت ، كان من العسير على أن أفعل ما فعلت يا " ميرتيلوس " ، كان من العسير على أن أقول ما قلته ، وما أقوله لك مرة أخرى من أعمق أعماق قلبي . انتهز الفرصة التي هيأتها لك ، انتهزها بجرأة ، فقد لا يكون هناك وقت آخر لذلك .
هاهي ذي " إيبودامي " .
إلى اللقاء يا ميرتيلوس ، لقد فعلت من أجلك ما استطعت أن أفعل .

* * *

المشهد الخامس

[ميرتيلوس - إيبودامي]

[يتردد ميرتيلوس ثم يتهيأ للهروب ، تبدو " إيبودامي " على درجات سلم القصر وتوقفه]

إيبودامي : أتريد أن تتحدث إليَّ يا ميرتيلوس ؟

ميرتيلوس : ربما .

إيبودامى : ترى ، أدون أن تدرى بعد ، أرسلت فى طلبى ؟

ميرتيلوس : إذا كنت قد حضرت وفى اعتقادك أنك ستستمعين إلى شكوى أو التماس يتقدم به أحد الخدم ، فليس لدى ما أقوله لك .

إيبودامى : يبدو لى أن أبى لا يعاملك معاملة الخدم .

ميرتيلوس : لا تعنينى كثيراً الطريقة التى يعاملنى بها والدك ، فالأمر هنا لا يتعلق به ، وإنما بك أنت .

إيبودامى : إنك لغامض يا ميرتيلوس ، خبرنى إذن بذلك الأمر الذى لا هو بالشكوى ولا هو بالالتماس ، فلابد أن لوكونوئيه قد أخبرتك بأننى لن أستطيع أن أنفق معك وقتا طويلا ، وأن أكثر من شاغل يتعجلنى ، غير أننى سأستمع لك بود صادق.

ميرتيلوس : آه .. إننى لأبغض ودك هذا .

إيبودامى : وهو مع ذلك صادق، حتى إننى لن أتأثر بالكلمات التى سمعتها الآن، وأعلم جيدا أن هذا الود الذى تحتقره ، يجمل بى فى هذه اللحظة أن أحتفظ به لك.

ميرتيلوس : فى هذه اللحظة؟ ماذا تعنين ؟ يشهد قلبى أننى لم أقصد إهانتك ، فعندما يرفض رجل ود امرأة فاعلمى جيداً أن هذا لا يكون أبداً بغرض الإهانة ، أتراني أنا المخطئ إذ حدثتنى امرأتان فى لحظة واحدة عن ودهما، وإذا بدا لى لأسباب تختلف بواعثها، أن هذين الودين لا طاقة لى بهما ؟

إيبـــودامـى : أتقول امـرأتين ؟ لم أكن أظن أننى أبدو لعينيك غـير ابنة مليكك .

مـيـرتيلوس : إنك لست ابنة مليكى الآن يا " إيبودامـى" ، ولتعلمى ذلك جيدا ، ربما أسيء فهمـى . إنك ابنة ملك ، حقـا ، ولذلك فإن ما سأقوله لك لا أستطيع أن أقوله إلا إذا كانت نظرة كل منا في مستوى نظرة الآخر .

إيبـــودامـى : إننى أمنحك هذه المساواة .

مـيـرتيلوس : ليـس لديك ما تمنحينه لى ، إننى ندٌّ لك ، فـأنا ابن إله ، ألقي بى وسط البشر لأشغل وظيفة تكاد تكون وضيعة ، أدنى منك منزلة. فلدى أكثر منك أسباب تدعوني للخجل ، ولدى أكثـر منك أسبـاب تدعـوني للفـخـر ، فـمن اليـسـير بالنسبة لك أن تستسلمى للطاعة والشيخوخة .

إيبـــودامـى : كلا ، ليس بالقدر الذى تعتقد .

مـيـرتيلوس : على الأقـل ، فإن الشقاء والظلم اللذين تعانون منهما هما في مـسـتـواكم ، فـإن من حـقكم أن تتـألموا مـعًـا ، وأن تجابهوا معًـا ، أمـا أن يلقـى بى بعيـدًا عن الآلهة ، فـهل تعتقدين أننى أشعر بأننى أقرب إلى البشر ؟ إننى لست من هذا الجنس أو ذاك، إننى منفى فى كوكب غير مفهوم، وحيد ، وحيد ، وحيد ، إن زواج الآلهة غـير المناسـب قد لا يكون له هدف إلا إلقـاء أبنائهم الغـربـاء عنكم بينكم ليـقـدروا عـارهم ، وليـدخلوا دون تنازل أو تعـود ، فى حياتكم وموتكم .

إيبـــودامي : إن عنفك ليدهشني ، وأعترف أنني لم أكن أظن أن مثل هذه الكبرياء يمكن أن يصدر عن " ميرتيلوس " المخلص، وأن مثل هذه المهانة يمكن أن يشعر بها " ميرتيلوس " المجيد ، أمهر إغريقي يقود الجياد في السباق ، والمفوض لدى " أونوماءوس " من قبل حماية قادرة ، وأبعد حراسي جميعا عن الملامة .

مـيـرتيلوس : أبعـدهم عن الملامـة ، فـعـلا ! وهـذا هــو السـبب الذى من أجلـه يقدِّرون "ميـرتيلوس " ، فبـفضله يكتسب بيت الملك في " بيز " عاما بعد عام ، بهاء جديدا ، وبفضله تفقد بلاد الإغريق خيرة أبنائها ، أو أغباهم . وبفضله تظل " إيبودامي " في سلطان أبيها المحبوب كما هي طاهرة لا تمس .

إيبـــودامي : وأخيـرا ، ماذا تريد مني ؟ إنني لا أظن أن في إمكاني أن أسوى خلافاتك مع الآلهة أو مع البشر ، ولا أدرى بعد ما الذى جعلك تعرض على مظالمك بهذه الحرارة الغريبة ، بهـذه الخشـونة التى تقـتـرب من الإهانة ؟ إنني لست مسئولة عن الحراسـة التى تساعد أبي على القيام بها نحوى . أليس من الغريب أن يأتى سجَّاني فيحدثني عن سجنه هو ؟

مـيـرتيلوس : أيمكن أن أتصور أنك تعتبرين نفسك أسيرة هنا ؟

إيبـــودامي : لست أدرى ، ولكنه يبـدو لي أنني قد بدأت أعتقد ذلك أنا نفـسي ، إنك أول من أقـول له هذا ، قـبل أن أقـوله

لنفسي بطريقة واضحة ، ولقد سمعته . فإذا كانت علاقتك بأبي تحتم عليك أن تطلعه على ذلك ، فلتطلعه عليه .

ميـرتيلوس : ألم تعد سباقات العجلات تحظى بإعجابك ؟

إيبيــودامي : إنني لا أطيقها ، أتراني فريسة ، أو غنيمة يتنازعونني ؟ إحدى عشرة مرة يا " ميرتيلوس " حملوني بعيدا عن "بيز" دون أن يسألوني ما إذا كنت أريد ذلك ؟ وأنت الذى تشكو عبوديتك ، إنك على الأقل فى هذه الجـولات تكون الصياد لا الفريسة ، اللاعب لا الرهان .

ميـرتيلوس : فلتنطقي بالكلام الذى أنتظره يا" إيبيـودامي" ولن يكون السباق المقبل، ولن يكون أى سباق آخر ، وتكونين هنا حرة .

إيبيــودامي : ميرتيلوس ... أحقا تقول ؟

ميـرتيلوس : فلنتحد ، إننا مقيدان بالسلسلة نفسها ، فلنحطمها معًا .

إيبيــودامي : ماذا تريد أن أفعل ؟

ميـرتيلوس : إن جياد " أونوماءوس " لا تطيع أحدا غيرى ، إنني أهبها لك ، وبذلك تستطيعين الرحيل .

إيبيــودامي : الرحيل، تعرض عليَّ الرحيل ، تعرض على الرحيل اليوم؟ ترى أيمكن للصرخة الوحيدة ، التي يطلقها أملي الصامت أن تجذب نحوى منقذا ؟ أيمكنني الرحيل ؟؟

ميـرتيلوس : آه يا عزيزتي البصيرة " لوكونوئيه " أكان حدسك صحيحا ؟ ترى أكانت اللحظة التى دفعتني فيها نحوها ، هى اللحظة الوحيدة في عمرينا ؟

اللحظة الوحيدة في أبد الأزمان التي يمكن أن يتحد فيها مصيرانا ؟

إنني أفتح ذلك الباب الذي أملك وحدي مفتاحه ، وها هي ذي " إيبودامي " تنتظر حريتها ، وربما كان ذلك منذ زمن بعيد .

إيبودامي : كلا ، ليس منذ زمن بعيد .

ميرتيلوس : إيبودامي ، سنهرب غدا .

إيبودامي : سنهرب غدا ، يا عزيزي ، يا عزيزي " ميرتيلوس " .

ميرتيلوس : انظري ، انظري إلى ذلك السهل الذي لا يحده غير السماء . انظري في هذه الناحية إلى الروابي الجافة التي تمتد الأرض وراءها بلا حدود . انظري إلى الطريق الممتدة في استقامة نحونا من الأفق كنداء يدعونا . انظري إلى الفضاء الهائل ، إنه ملكك ، فأنا أهبه لك .

إيبودامي : وأنا قبلته .

ميرتيلوس : غدا ، غدا لن يستطيع إنسان أن ينازعنا العالم ، غداً سنكون إلهين .

إيبودامي : سأحل شعري ، سأغسل وجهي في رياح الحرية .

ميرتيلوس : إن عجلتنا ستشق المدى كنجم مذنَّب معصوم ، فمن ذا يلحق بالنجم المذنَّب؟ وسأكون إلى جوارك .

إيبودامي : إنك لا تستطيع أن تدرك ، لا تستطيع أن تدرك يا "ميرتيلوس" عظمة هذه الهدية التي تقدمها لي ، ولكنني سأخبرك بذلك في يوم من الأيام .

ميرتيلوس : الحياة إذن ليست كلها حقودة ، سخيفة ، مادام فى استطاعة قلبين أن يتلاقيا فى حلم واحد ، مادامت الأيدى الأربعة التى تتلاقى قرب النبع ، تستطيع أن تعب الماء من فيض سعادة واحدة ؟

إيبودامى : وسنكون طاهرين ، سنكون شابين ، إننى غدا سأكون فى السادسة عشرة من عمرى .

ميرتيلوس : ترى ، ألم تكن مستحيلة تلك السعادة ؟ تلك السعادة التى كنت أرتعد عند عتبتها ، ألم تكن مستحيلة ؟ هل توجد فى الدهر لحظة ، وهل يوجد على الأرض مكان يستطيع الإنسان فيها ألا يحب وحده ، وألا يكون وحيدا؟

إيبودامى : سأنطلق غدا إلى الزمان والمكان اللذين ستنتهى عندهما وحدتى . آه ! بالسرعة نفسها التى تنطلق بها العجلة ، كم سيكون الطريق طويلا ؟

ميرتيلوس : ما أهمية طول الطريق ؟ ما أهمية نهاية السباق بالنسبة لمن وصلا ، وأحدهما بجوار الأخر ؟

إيبودامى : وصلا وأحدهما بجوار الآخر ؟

ميرتيلوس : لمن ليسا فى حاجة للعالم ؟

إيبودامى : ولكن ... سأكون بمفردى معك يا ميرتيلوس .

ميرتيلوس : بمفردك معى ؟ دون أدنى شك ، سنكون بمفردنا .

إيبودامى : سأكون بمفردى .

ميرتيلوس : ترانى أخطأت فهمك ؟ ولكن كلا ، فلا يمكن أن أنخدع ، لقد قبلت محالفتى فوعدتنى خيرا ..

إيبـــودامي : لقد وعدتك بالعرفان ، أليس ذلك ما ترجوه ؟ آه .. تراني أنا التي خدعت . هأنذا أذعر بدوري ، ماذا تنتظر ؟

مـيـرتيلوس : أواه .. ألن تساعديني ؟ ألن تسبقيني على ذلك الطريق الوعر الذى لابد من تسلقه بكلمات عسيرة ؟ إيبودامي ، إذا لم تكوني قد عرفت طلبى منذ الآن ، فذلك أنك ترفضينه .

إيبـــودامي : إنني في الواقع أخشى أن أعرفه يا ميرتيلوس . أكان ذلك إذن ؟ لا تتكلم ، لا تتكلم أسرع مما يجب ، فربما لم أكن قد فهمتك ، وربما لم تكن قد فهمتني ، وربما أملك وأملي ليسا أملا واحدا ، وربما مُحي هذا وذاك في لحظة واحدة ، إذا نطقت بكلمة واحدة ، كلمة واحدة ، لا تقل هذه الكلمة ، لا تقلها الآن .

مـيـرتيلوس : ومع ذلك فيجب أن أسمعك إياها .

إيبـــودامي : لا أريد ذلك ، لا أستطيع ذلك .

مـيـرتيلوس : لقد فات الأوان لكتمها . فلتتفجر ، ولتمح كل شيء .. أحبك .. هل سمعتها؟ أحبك .

إيبـــودامي : قيلت الكلمة ، وأوصد الباب المنفرج .

مـيـرتيلوس : أحبك .. أحبك .. أحبك .. "ميرتيلوس" ، أجل "ميرتيلوس" يتطلع إلى الشرف الذى من أجله يأتي إلى هنا أمراء الأرض جميعا لكي يموتوا... تبتعدين عني .. أليس ذلك مضحكا؟ فلتضحكي كما أضحك أنا نفسي ، منذ ثماني سنوات يا "إيبودامي" لم أنم يوما واحدا إلا على هدْهدة ذلك الحلم

الذى صدقته لحظة ، قبل قليل ، كالأبله، ذلك الحلم الذى تناثرت عند قدمى، وعند قدمك، بقاياه التى تثير السخرية ، لقد أحببتك كما لن يحبك إنسان من الجنس البشرى الخالص، لأن سر كساء وجوه البشر بطلاء المجد الإلهى، لايعرفه إلا أولئك الذين يحلمون مثلى، ليس بالأمل الغبى، وإنما بذكرى السماء، لقد حلمت باللحظة اللامعقولة ، اللحظة المستحيلة ، التى يزكّى فيها حبك جسدى وينقذه ويغسله، جسدى البشرى، جسدى الذى كتب عليه التعفن، جسدى المحنط، جسدى الذى أبغضه. لقد حلمت باللحظة التى أستطيع فيها فى نهاية الأمر أن أرضى بجسدى مادمت قد رضيته أنت . هل أدركت إذن لماذا اضطربت قبل برهة عندما أعمانى احتمال الحصول على سعادة من السطوع بحيث إن الشمس الآن - وقد عاد كل شىء إلى ما كان عليه - تبدو لى وقد ارتدت الحداد؟ هذا هو ما كنت أريد أن أقوله لك، ألم أحسن قوله ؟ أليس هذا اعترافا لبقا بالحب ؟ وإذا كانت قد أتيحت لى فى حياتى فرصة لكى أثير إعجابك ، أترانى لم أضيعها هدرا ؟
وداعا ... لقد تكلمت ، وكان يجب على أن ألزم الصمت .
[يخرج]

إيبــــودامى : **(بمفردها)** كان يجب عليك أن تلزم الصمت فعلا ، بل أكثر مما تستطيع أن تتصور، كان يجب عليك أن تلزم الصمت.

* * *

الفصل الثانى

المشهد الأول

[ميرتيلوس . الأركادى . المعمارى . جلوكوس . أجاتوكراتيس . ميلون . لوكونوئيه . بروكليس]

[يتحدثون بحماسة ، تتنحى لوكونوئيه جانبا]

ميلون : أما هذه المرة فالأمر أكيد أيها الأصدقاء ، إن بروكليس يأتى فى إثرى وسيؤكد لكم ذلك بنفسه، إن فتاتنا الباردة قد بدأت تتأثر ، فلقد تبادلت فى الليلة السابقة حديثا رقيقا مع الأجنبى ، فى هذا المكان الذى نوجد فيه الآن .

ميرتيلوس : ميلون ، إنك لتكذب .

بروكليس : **(مواصلا)** ، بل إنه يقول الصدق يا "ميرتيلوس". فبالأمس راح الناس فى المدينة يتهامسون بأنهم رأوا عاشقين فوق المرتفعات بعد هبوط الليل .

جلوكوس : أهذا كل ما فى الأمر؟ ما إن يلتقى جندى بخادمة بعد خدمة اليوم فوق المرتفعات التى لا يقوم أحد على حراستها، حتى تضطرب المدينة وتتهامس النسوة. فمن صورة تخيلها مخمور ينسج الناس فضيحة ملكية. ومن

الممكن أيضا أن تكون تلك المرأة هي لوكونوئيه في صحبة واحد من العشاق.

لوكـونوئيـه : إنها أنا .

بـروكـلـيـس : دعيني أتحدث ...

جلوكـــوس : تحدث .

بـروكـلـيـس : فأردت أن أستوضح الأمـر ، فعندما حانت نوبة النوم وراحت الأنوار تخبو فوق الأرض وشرعت السماء تضيء أنوارها ، صعدت إلى هنا متخفيا وجثمت فوق الأحجار وكانت لا تزال دافئة كبشرة المرأة ، بتأثير حرارة النهار ، ولم يطل انتظارى حتى رأيت المرأة والرجل يتوجهان كل إلى صاحبه ، وكانت هي آتية من القصر ، أما هو فقد كان آتيا من المدينة ، ثم تشابكت الأيدى كيديَّ هاتين .

مـيـرتيلوس : لوكـونوئيـه ، كنت تعرفين ذلك ، فـدفـعـتني في الشـرك وخنتني.

لوكـونوئيـه : بروكليس ، كـيـف تسـنى لك أن تطـلق على الخـيـالات أسـماء ، إن القمر لم يكن قد طلع بعد .

بـروكـلـيـس : طفل صغير يا لوكونوئيه؟ نحن، معشر العامة، إذا خرجنا للنزهة مع فتاة في وقت الغروب لا يكون لنا في الظلمة إلا بقعة صغيرة تكون أكثر إظلاما. ولكن غرام الملوك والملكات يضيء حتى الليل الذي يتوارون فيه، إن قذارة العالم كلها تتماسك وتتجمد فوق أيدينا وجباهنا ومآزرنا في وضح النهار الصافي . إن [illegible]ـا تسكبه النجوم على الأرض

من ضياء خفي وسط الليل المظلم يجمعه شعر "إيبودامي"
كعيون النمس ، كالفسفور . والأجنبي ، ما اسمه إذن ؟

أجاتوكراتيس: بيلوبس ...

بروكليس : " بيلوبس " ، هل رأيته يوم أن وصل إلى المدينة ؟ هل رأيت عباءته وأسلحته ؟ كان يتلألأ في مجوهرات الشرق ومزركشاته وكل أحجاره الكريمة ، فكيف يمكن أن تخطئ التعرف إليه مع هذا الصدر الذهبي ؟ إن ملابس هذا الرجل لا تكون في الليل خيالا ، وإنما وهجا. إنني أقول لكم إنني قد رأيتهما يسيران جنبا إلى جنب فوق هذه الربوة ، وأقسم لكم أن الكتف كان يبحث عن سند ومداعبة في الكتف الآخر ، وأن الذراع كانت تضغط على القوام ، وأن الخطوات كانت مرتبكة حيرى .

لوكونوئيه : إذا كنت قد رأيتهما من مثل هذا القرب فلا بد أنك عرفت ما كانا يقولان .

بروكليس : أجل لقد سمعت ما كانا يقولانه ، كانا يتحدثان عن قباقيب نساء طروادة ويقولان إنها أعلى من قباقيب نسائنا .

جلوكوس : أجمل بها من محادثة عاشقين .

الأركادي : يالك من جندي ساذج ... إن الحديث الحق في مثل تلك اللحظات ، إنما تتبادله الأيدي أيها الجندي ، إن الألسنة لا تتحدث إلا حياء حتى لا يصرخ ذلك الصمت عاليا .

لوكونوئيه : إذن ، فقد عرفت الأصوات أيضا يا بروكليس .

بروكليس : لوكونوئيه .. إنني لا ألغو بالحديث ، أقسم لك على ذلك ، إن العاشقين اللذين تواعدا مساء أمس على اللقاء فوق هذه الربوة هما الأمير الشرقي وفتاتنا الجميلة "إيبودامي" .

لوكونوئيه : وهكذا ، وهكذا يستيقظ اليوم جسد " إيبودامي" الراقد تحت سمع ميرتيلوس وبصره ، " ميرتيلوس " لقد ساعدتك بعد فوات الأوان .

ميلون : حسنا يا بروكليس ، إننا نصدقك . ولكن يجب أن تعترف بأن هذا لم يكن في الحسبان . لعمرى ، ما كان ليخطر لى على بال يوما من الأيام ، أن هذا يمكن أن يقع .

لوكونوئيه : كانت لا تعبأ بحب الرجال كوثن لا يعبأ بالقرابين ، وكان الشقاء يحل بواسطتها دون أن يبدو عليها أنها تهتم لذلك ، لقد تبدّل كل شىء . ماذا عسى أن يقع الآن ؟

المعمارى : لا تهاترى يا لوكونوئيه ، أتظنين أن شعور "إيبودامى" يمكن أن يهب خيول الفرجينى أجنحة تطير بها ، وأن خيول " ميرتيلوس " وقد أثارها مشهد غرام متبادل ، يمكن أن تثور على سيدها وتتحول عن المطاردة ؟ فسواء كان " بيلوبس " محبوبا أو لم يكن ، فسيموت بعد ثلاثة أيام ، وسيعود كل شىء إلى سابق عهده .

ميلون : إن يقينى فى ذلك أقل من يقينك ، فما دمنا قد رأينا "إيبودامى" عاشقة ، فلسوف نرى أيضا " أونوماءوس " مقهوراً ، ليس ثمة ما يمكن أن يثير دهشتى .

لوكونوئيه : إن قواعد اللعب ثابتة ، ونهاية كل دور معروفة ، قوة "أونوماءوس" بلا منازع وسلطان بيته بلا تزعزع ، ولكن غرام " إيبودامي " لم يكن من المتوقع حدوثه في ظل هذا النظام الفظيع ، ولم يخصص له فيه أي مكان ، وها هو ذا يعلن عن نفسه ، فمن يستطيع أن يخبرنا بما يحمل معه من حيلة وثبات ومن خيانة وعناد ؟ هاكم أول فرجة في درع " أونوماءوس " الصلب ، أول صدع في مدينة "أونوماءوس" ، تدبروا هذا الأمر ، ما إن يتراءى للفتاة أنها يمكن أن تحب ، حتى تخور قوة الأب . ومن الآن فصاعدا ما من أمر يمكن ضمانه .

ميرتيلوس : لقد فزت بالدور يا لوكونوئيه ، أردت رؤيتي مهانا ، محقَّرا أتوارى في ركن ما حاملا ذلك العار الذي أعددته لي . لقد طبت الآن نفسا ، ولكن إذا كنت تأملين أن تحوِّلي فشلي لصالحك ، وأن تجديني فريسة مثخنة تستسلم مقدما لمواساتك الرقيقة ، فقد خاب ظنك ، فليس لديَّ ما أقوله لك ، ولن يكون لديَّ ما أقوله لك في المستقبل .

جلوكوس : ما من شيء يمكن ضمانه ، والآن يمكن أن نراهن ، كل ما في حافظتي لصالح "أونوماءوس" مساواة ، طبعا .

ميلون : إنني لن أراهن الآن ... كلا .

أجاتوكراتيس: إنني لا أدرك قيمة جياد الفرجيني ، ولكنني أعرف أن ميرتيلوس سيفوز بالسباق .

لوكــونوئيــه : لقد ساعدتك ، لقد أردت أن أساعدك ، فقد أحببتك أكثر من حبي نفسه . فلست أدري من أين تأتت لي تلك القوة الخارقة التي جعلتني أدفعك إلى امرأة أخرى معتقدة أنني قد أستطيع أن أرى من خلال ستار دموعي صورة "ميرتيلوس" السعيد . وإذا الوقت قد فات ، ولكنني لم أكن أدري ذلك ، لم أكن أدري ذلك . لقد كلفني ذلك غاليا ، يا " ميرتيلوس " ، أليس من العدل أن يقابل ذلك بنظرة حنان ؟ إنني لا أنتظر حبك ، لا أنتظره منذ زمن بعيد ، ولكن ألا يمكنني أن أحصل على نصيبي ؟ ألا يحق لي أن أتوجه بدموعي إلي دموعك ؟ ولكن العالم يفتقر للحب ... العالم يفتقر للحب .

[يخرج ميرتيلوس دون أن يجيب]

آه .. إنه يحقد علي .. إنه يحقد علي .. أتراني أملك مجرد الشكوى من ذلك؟ إن هذا الجرح الذي أصابه إصابة قد أولول أنا منها ، ترى هل تمنيته له ؟ هل أردته له لوكونوئيه ؟ كلا ، إن تضحيتي ليست مراءاة . إنني لم أسْعَ إلي فشلة ، لا ولم أبغ لنفسي ثأرا . لقد حاولت أن أضحي بنفسي في سبيل إنقاذه . إنني لا أريد أن يشوب عذابي أي ابتهاج أبدا ، ولا أي شيء يشبه الابتهاج .

* * *

المشهد الثانى

[الأشخاص أنفسهم - أونوماءوس ، إيبودامى]

[يظهر أونوماءوس وإيبودمى ، عند باب القصر]

أونومـاءوس : مـاذا يعني هذا السكون في أمـاكن العمل ، وهذه الثرثرة أمام بابي ، أيها المعمارى ؟

المعـمـارى : (يتقدم) هأنذا طوع أوامرك أيها الملك .

أونومـاءوس : أوامـرى ، أنت تعرفـهـا ، هل أنـت الذى أمـرت بإيقـاف العمل قبل منتصف النهار ؟

المعـمـارى : إن مناطق العمل فى الشـمـال خالية اليوم كلهـا ، ولكن لاضرر في ذلك . فإن الفرق المعاونة التى قمت بتوزيعـها على الأسوار قد تقدمت عربات النقل فى عملها ، فعلينا انتظار الأحجار .

أونومـاءوس : ألم تقم بإبلاغ مـهندس المحـاجـر بأنه يجب عليـه أن يضاعف فرق العمال ؟

المعـمـارى : بلى، لقد أبلغته، ولقد حاول إرضاءكم، بيد أن دواب الحمل تعـوزنا فى عـمليـات النقل . إن الحـيوانات تنفق ، فـإن المطلع مسرف فى وعورته ، والحرارة مفرطة فى شدتها ، ولم يعد فى " إليد " ثور واحد يمكن شراؤه .

أونومـاءوس : إذا كانت الثيران تنقصكم ، فهناك الرجال ، فعليك بطلب خمسمائة عبد من المدينة . فما جدوى تقدم العمل فى

الأسـوار مـا دمنا بعد ذلك - لعدم وجود مـواد البناء - نفقد الساعات التى انتزعتها من الزمن . فلتعاقب مهندس المحاجر !

المعـمـارى : إنه لمهندس عظيم أيها الملك ، وليس فى مقدوره أن يعمل بسلطته منفـردة على حل مشكلة النقل .

أونومـاءوس : يجب أن يفعل ذلك ، إن الوسائل من اختصاصك أنت ، فليس علىَّ أن أبين كيف تنفذ أوامرى ؟ إننى آمر فقط .

المعـمـارى : لقد استطعنا أن نتقدم عشرين يوما عن خطة العمل ، منذ نهاية الشتاء .

أونومـاءوس : يجب أن تتقدمـوا أكثر من ذلك ، فيجب استغلال كل دقيقة وكل ذراع حتى ينتهى العمل . وعندما نفرغ من إحاطة " بيز " بحزام من الحجارة يفوق حجمه وروعته ومنعته ما عداه من الحصون ، عندئذ يمكننا أن نستريح. ابعث برجـالك إلى مناطق العـمل فى الجنوب ، فـإن إمكانيات البناء متوفـرة هناك ، وليستـأنف العمل هنا صباح الغد ، بل الفجر ، ولا يتوقف أبدا .

المعـمـارى : أمرك مطاع أيها الملك . تعالوا أنتم .

[يخرجون]

* * *

المشهد الثالث

إيبـــودامى : ما أشد ما يخشونك !

أونومـاءوس : إنهـم يخشـونني ويشكرون لى هذه الخشية ويحبونني .. إن الطغـاة الأغـبـيـاء يقـولون إنه لا يعنيـهم أن يكونوا مكروهين مادام يخشى جانبهم . أما أنا فأرى أن الناس يحبـون الخشية وأنهم فقط عندما يكفون عـن الخشية يبدءون فى كره أولئك الذين كانوا يخشونهم .

إيبـــودامى : أمن الممكن إذن ألا يخشى جانبك ؟

أونومـاءوس : إن ولاء الشعب لملكه ليس بالنسبـة للملك إلا دليل حظه ، فإن العطف الذى توليه الآلهة للملوك، إنما يستطيع الملوك أن يتـعـرفـوا فى نظرات شـعـوبهم أفضل من قـراءته فى تنبؤات منجم مجامل أو فى أحشاء حيوان ميت . فعندما تتـحـول عنا حظوة الآلهـة ، يكفـينا لمعرفـة ذلك أن نسـأل عينى أحد الجنود ، أو أحد العبيد ، كما يكفينا أن نثبت نظـرنا على سطـح مـستنقـع لكى نعـرف دون أن نرفع رءوسنا ، أن الشـمــس قـد أفلـت . إن حـب الشعـوب يا "إيبودامى" لا يتـيسـر للملوك الطيبين ، وإنما للملوك السعداء، ولسوف أقرأ فى عيون شعبى أول تجعيدة تُخط فى سعادتى وفى قوتى كما تقرأ المرأة على سطح مرآتها أول تجعيدة تخط فى جمالها .. إن المرأة تدرك جيدا أن التجعيدة ، لا تنشأ فى المرآة ، وأنا أدرك ذلك أيضا .

إيبـــودامـى : وماذا قرأت إذن فى عيونهم اليوم ؟

أونومــاءوس : قـرأت فيها أن إرادتى هى أقـوى إرادة ، وأن ابنتى هى أجمل فتاة . وأن يدى لا تزال تقبض على الحربة فى ثبات بحيث إن الفرجيني سيموت بعد ثلاثة أيام .

إيبـــودامـى : بعد ثلاثة أيام، يبدو لى أن عيون رعاياك تتعجل فتقول لك ما تعرف، وتتملق أمانيك، ترى هل عيناى أنا أيضا وديعتان؟

أونومــاءوس : إننى لا أبحث فى عينيك عن نفسى ، وإنما أبحث عنك أنت . فهما يحفظان سرك جيدا . وربما كان هذا السر هو ما أحبه .

إيبـــودامـى : ألا تقولان الآن شيئا ؟

أونومــاءوس : لا شىء ، على ما يبدو لى مما ليس فى لغتهما المعتادة .

إيبـــودامـى : لا شىء ؟ لا شىء حقـا ؟ أمن الممكن أن تكون عيناى اليوم هما عينا كل يوم ؟

أونومــاءوس : ما هذه الحمَّى يا ابنتى العزيزة ؟ إننى لا أرى فيهما أية صورة .

إيبـــودامـى : ربما كان ظلك يملؤهما ، ظلك الذى يحجب الشمس عنى؟

أونومــاءوس : فلتحفظى لى هذا الجميل ، فهى قاسية حقود .

إيبـــودامـى : أوليس ظلك كذلك ؟

أونومــاءوس : إننى أريد أن تجديه رقيقا ، وأن يبلغ فيه وجهك منتهى تألقه . "إيبودامى"، هل أخبرك أحد الشبان الذين أتوا إلى " بيز " محاولين سلبك منى أنك جميلة ؟

إيبـــودامـى : إنك لم تدع لهم وقتا ، ولكن ربما كانوا يفكرون فى ذلك .

أونومـــاءوس : إنني أكره حتى أفكارهم ، وأود لو أقتل أفكارهم .

إيبيـــودامي : إذا صدقنا هاتف الآلهة، فإن أفكارهم هذه لا تطمع فقط في ابنتك ، بل تطمع كذلك في مملكتك ، وفي حياتك .

أونومـــاءوس : أنت حياتي ومملكتي .

إيبيـــودامي : هاهي ذي جُملة رائعــة يا أبي ، جملـة كان يروق لي أن أسمعها من رجل أحبه .

أونومـــاءوس : ألا يروقك أن أقولها ؟

إيبيـــودامي : إنني أعلم جيدا إلى أى حد أنا ملك لك .

أونومـــاءوس : أنت ثروتي ، أنت عقلي ، أنت ملكي .

إيبيـــودامي : هـذه الحــرارة لا طـاقة لي بها ، فهـل تتكرم عليَّ بشيء لم أطلبه منك حتى الآن ؟

أونومـــاءوس : تكلمي ، وسترضين نفسا .

إيبيـــودامي : إن قـسـوة الشـمـس ترهقنــي ، وأتمنى لو لـم أصـحـبك اليـوم إلى مناطق العـمل وأعـود إلى حـجـرتـي ، ائذن لي بهذه الراحة .

أونومـــاءوس : هذا طلب لم أكـن أتوقـعـه ، إن جولتنــا في مناطـق العمل تستغرق ساعة بالكاد ، وأنت تضربين للعمال مثلا سيئا إذ ترفضين أن تقاسي للحظة واحدة ما يقاسونه طوال اليوم وهم يبذلون مجهودا مضنيا .

إيبيـــودامي : فلتمنحهم قسطا أوفر من الراحة .

أونومـــاءوس : إن هذه المدينة مـدينتك يا "إيبـودامـي" . ويسـوءني أنك تنسينها .

إيبـــودامي : ما أمهر أونوماءوس في فرض ما يهب ...

أونومـاءوس : إنني أحب أن تأتي معي .

إيبـــودامي : إنني أدرك ثقل أوهَى رغباتك ؟ ومع ذلك فإنه يحدث أن تصادف من يقاومها ، انظر ، إن حجارة المحاجر قد رفضت بالأمس أن تستجيب لها .

أونومـاءوس : إنك تخطئين فهم ما أقول ، فأنا لست الآن ملكا يصدر أوامره لأحد رعاياه، ولا أبا يطلب إلى ابنته تنفيذ أمر من الأوامر ، وإنما عطفي هو الذي يناجي عطفك .

إيبـــودامي : وهو لا يتحدث بلا جدوى ، سأذهب معك إذن ، ولكن ألم يكن أولى بك ، بدل أن تتمنى أن أصاحبك أن تتمنى أن أجد في مصاحبتك شيئًا من المتعة ؟ وفي هذا الأمر فإن الاستجابة إلى طلبك هذا الصباح أمر خارج عن إرادتي .

أونومـاءوس : تراني أهنتك في شيء ؟

إيبـــودامي : لقد عهدتك مستجيبا لأقل رغباتي شأنا ، وإن المعاملة التي ألقاها لهي أقرب إلى معاملة ملكة من معاملة ابنة ، تحميني يدك القوية ، من جميع الأخطار، ولكن كيف يتسنى لي أن أكافئ عطفك الزائد بكل ما يستحق من حب ؟ إذا كان عليَّ أن ألمح وراء هذا العطف قوة لا تفتأ متأهبة للإكراه ، ومن جانبك أنت ، أية قيمة تعلقها على مبادرتي بإرضائك في كل أمر ؟ إذا كان عليَّ أن أضع دائما قناعا باسما فوق وجه الطاعة المستسلم ؟ ولكن

ربما كان غاية ما تهوى هو أن تتصرف فيَّ وكأنني كنز تمتلكه ، وفي هذه الحال ، فيم تهمك أفكاري ؟ فحسبك أنني ملك لك ، وهذا أمر لا ترتاب فيه ، وإذا كان لابد فوق ذلك، إرضاء لك أن أصرخ لأقل إشارة منك، فأقول.. " إنني سعيدة ، سعيدة ، سعيدة " فلْتطب خاطرا ، فقد نفذت ما تريد .

أونوماءوس : لست أدرى فى أى أمر آذيتك يا " إيبودامى " ؟ ومع ذلك فتنبهى إليَّ أننى لم أغضب بدورى ، إن عطفى عليك يفوق كل حدود المعقول ، ولكننى لم أتعود هذه اللهجة الجديدة منك ولا من سواك .

إيبودامى : أرجوك يا والدى العزيز أن تغفر لى ما قلته الآن، فهو ليس إلا مهاترة فتاة عصبية أرهقتها الحرارة وأهاجتها ، وهى لا يمكن أن تعنى شيئا إلا أننى فى حاجة إلى لحظة من الراحة ، وشيء من الظل ومن السكون . اسمح لى بعدم مرافقتك هذا الصباح ، إننى أسأل حبك هذا الفضل ، حبك الذى أتجاوب معه بكل كيانى .

أونوماءوس : كان يجب عليَّ ألا أسمح لك ، ولكننى لا أقبل أن أسيل دموعك بسبب كعنادك ، فى موضوع بمثل هذه التفاهة ، سأنزل وحدى إلى مناطق العمل، لقد تغلبت عليَّ.

* * *

المشهد الرابع

[إيبودامى ثم بيلوبس]

[بعد لحظة انتظار ، تظهر إيبودامى لبيلوبس الذى يبدو للعيان من أعلى الربوة ، ويدخل بيلوبس]

إيبودامى : ظننت أننى لن أستطيع أن أفى بوعدى ، ظننت أننى لن أستطيع أن أتخلص منه ، ظننت أننى لن أراك أبدا .

بيلوبس : إيبودامى ، إننى لم أفز منك بغير لحظات خاطفة فى الظلام ، دقائق مسترقة من نومك ، قبلات عاجلة عمياء أطبعها على وجه لا أراه ، كلمات هامسة نتبادلها كلعينين يتآمران عند ركن حائط . لأول مرة ، هاأنت ذى أمامى فى النور ، إننى أحبك ، ولأول مرة أرى تلك التى أحبها .

إيبودامى : اسكت .. يا للآلهة .. هل خطر لى ببال أنه فى اللحظة التى سيقول لى فيها إنسان هذه الكلمة لأول مرة ، سأجد من الواجب أن أطلب إليه الصمت. إننى ما رجوتك أن تأتى هذا الصباح لكى تحدثنى عن حبك ، لا أريد أن تحدثنى عنه . إن عزيمتك يجب أن تؤازر عزيمتى ، لأنها لو قاومتها فلن يتسنى لى أن أدافع عن نفسى . إن الدقائق التى تمضى لا يمكن تعويضها ، فقد اشتريتها نظير جهد كبير ، لقد منحنى أبى إياها فى غضب

وارتياب وربما لا أستطيع أن أنتزع منه غيرها ، قبل اليوم المهول . بل لعلى لن أراك قبل ذلك اليوم المهول . إن الأمر هذا الصباح لا يتعلق بحبك ، وإنما يتعلق بحياتك أو مماتك .

بيلوبس : لا حياتى ولا مماتى أهم ما يشغلنى اليوم .

إيبودامى : أتوسل إليك يا عزيزى بيلوبس .. أمن الممكن أن تكون شفتاى قد مست شفتيك ولم أقل لك بعد .. عزيزى بيلوبس ؟ لا تفرط فى وقتك ، إن هذه الكلمات التى قلتها لى الآن ربما تكون قد قلتها لنساء أخريات . وربما قيلت مجاملة لا خطر لها . وربما كانت جزءا من قاعدة اللعبة بين الرجل والمرأة ، أما أنا يا " بيلوبس " ، فأننى أسمعها لأول مرة ، ولم أسمع مثلها فى حياتى على الأقل صادرة عن رجل .

بيلوبس : عن رجل ... ...

إيبودامى : عن رجل أجد لكلماته معنى ، إننى فى السادسة عشرة من عمرى يا بيلوبس ، ولكن الفسالات اللائى يبلغن الخامسة عشرة واللاتى يعاكسهن الشبان فى قصب النهر ، أكثر منى إدراكا وأشد متعة . إننى أجمل بنات الإغريق ، ومع ذلك لم يقل لى إنسان ، أحبك . لم يقلها لى أحد مثلك . إننى لا أعرف حتى ما إذا كنت أصدقك ، أو لا أصدقك ، فإن هذه الكلمات تنساب فى كيانى كسائل من نار ، آه .. كيف أرفض هذه النشوة ؟ ولكن

لابد من ذلك ، لابد من ذلك ، فسيظهر أبي هنا قبل مضي ساعة من الزمن ، فنحن لا نملك ساعة من أجل إنقاذك .

بيلويس : إن التحديات التي أواجهها في سبيلك يا " إيبودامي " تجعلني أقبل على الموت مختارا ، لأنني لا أطيق الحياة دونك ، ولأنني إذا عشت فقد فقدتك.

إيبودامي : وإذا مت فقدتني أيضا .

بيلويس : إذا مت فقدتك أيضا ، ولكنني لن أفقد حقي في دموعك ، آه أيها الحبيب المجهول ، يا من أحبه قبل أن أراه ، أمن الممكن أنك لم تذرفي دمعة واحدة على أي ممن ماتوا قبلي ؟

إيبودامي : أعتقد أنني حيال تلك الجماهير البلهاء التي كانت تتدافع من حولنا ، في هذه الاحتفالات الشنيعة ، تلك الجماهير التي كانت تتجمع حول المتصارعين الأبطال، حول حفلات العرس والعذاب ، أعتقد أنني لم أكن أبدى إلا وجه اللامبالاة ، إن شعوري الحقيقي قد لا أستطيع وصفه ، قد يكون غضبا مزدوجا ضد هاتين القوتين المتناضلتين اللتين تتنازعان شخصي دون رضائي ، في لذة مزدوجة لضحية وجلاد ، لذة مزدوجة لامرأة تحمل معها حيثما حلت ثأرها وخضوعها .

بيلويس : حبيبتي .. انظري إلي .

إيبودامي : إنني انظر إليك .

بيلويس : لو أن الحظ خانني بعد ثلاثة أيام ، لو كانت جياد "أونوماءوس" أسرع من جيادي ، عندئذ ، في تلك اللحظة التي سأكون فيها مجرد هدف قريب أمام رأس الحربة ، سأبحث بالقرب مني عن هذه النظرة ، فإذا وجدتها فسيكون فيها عوض لحياتي .

إيبودامي : بيلويس ، بيلويس أيها العزيز القاسي ، ألم تفكر إذن فيما سأجدني مضطرة لرؤيته في اللحظة نفسها ؟ ألا تفكر إذن إلا في موتك ؟ ألا تفكر إلا في نفسك ؟ من أجلي أنا ، ألا تقبل الحياة ؟ ...

بيلويس : كلا ، ليس دونك .

إيبودامي : بيلويس ... أواه ... أمام عنادك القريب ، لم يعد هناك ما أستطيع أن أخفيه عنك يا بيلويس، لماذا يكون ذلك دوني؟

بيلويس : لماذا يكون ذلك دونك ؟ إن ما سمعته الآن ، ترى ، هل قلته فعلا ، هل حلمت به ؟

إيبودامي : إذا أخبرتك بأنني سأهرب أيضاً ، فهل تهرب ؟

بيلوس : إنك لا تستطيعين الهروب ، إنك تعرفين أن شبح "أونوماءوس" القوي وهو أقوى من الحراس ، ومن الأسوار ، يحتفظ بك أسيرة هنا .

إيبودامي : حتى الأمس ، حتى الليلة السابقة ، كنت يائسة ، ولكن هذا الصباح طلب مني " ميرتيلوس " أن يتحدث إليَّ .

بيلويس : " ميرتيلوس " ، حوذي الملك " أونوماءوس " ؟

إيبـــودامي : ومن عليه أن يقود ضدك جياد " أونوماءوس" . إن الجياد لا تطيع سواه ، وهو يحبني ، لقد أخبرني بذلك ، فأنا أستطيع أن أستغل حبه لي . عليك بالرحيل . ولتلجأ إلى أي مكان يمكن أن تكون فيه آمنا ، ولسوف أغادر "بيز" في صحبة " ميرتيلوس " فأكون قد تخلصت من هذه الجياد نفسها التي يعتمد عليها " أونوماءوس " في حراستي ، سأفعل ذلك يا بيلوبس ، هذا عهد مني ، وأنا أعرف أنك تثق بي .

بـيلـوبـس : أجل إنني أثق بك ، لماذا يتحتم عليَّ في اللحظة نفسها التي أثق بك فيها ، وأدرك فيها أنني جدير في نظرك باتخاذ أكثر القرارات شططا وأقلها عقلا ، وأجدني فيها مبهورا أمام المصير الذي تصنعينه لي ، لماذا يتحتم على أن أقول لا ؟

إيبـــودامي : تقول إنك تحبني ولا تضعني على قدم المساواة مع مجدك البغيض ؟ ألم أكن لا أزال بعيدة عما أجسر عليه ؟ لقد قلتُ إنني سأهرب أنا أيضًا ، فهل إذا قلتُ إنني لن أهرب إلا للحاق بك ، فهل ترحل ؟

بـيلـوبـس : لن أرحل .

إيبـــودامي : وإذا نطقتُ بهذه الكلمات التي لا يزال معناها غير محقق بالنسبة لي ، تلك الكلمات التي ربما كان لا يزال يُشك في تمام صحتها منذ لحظة قصيرة ، والتي ستصبح الآن ، حالما أسمعها تخرج من فمي ، حقيقتي

الوحيدة ، حقيقتي الناهشة ... إذا قلتُ إن حياتك هي
حياتي ، وإنني أموت إذا مت ، إذا قلت لك إنني أحبك ؟

بيلوبس : لا ينبغي فقط أن تخبريني بذلك ، بل ينبغي أيضا أن أعرفه .

إيبودامي : فلتعرفه .

[يتناولها بين ذراعيه]

بيلوبس : إذن ، فأنا المنتصر ، حيا كنت أو ميتا ، فأنا المنتصر ، " إيبودامي " ... إنني أستطيع بعد ثلاثة أيام أن أواجه المعركة بقلب مطمئن، ما دمت قد فزت بها مقدما، مادمت قد اختطفتك مقدما ، كلانا لن يلحقه أذى . وحيث نكون معا ، معا ، معا ، حتى ولو كانت قوة إلهية تسرى في أعضاء جياد "أونوماءوس" ، فلن يُلحق بنا أبدا . أيها الوجه الجميل ، كيف تغفر لى أننى رفضت أن ألبى ما تطلبه منى وأنت منى قريب؟ ومع ذلك، فاعلم أننى وأنت، حتى بالقرب منك ، وبخاصة بالقرب منك ، لا أستطيع أن أنشر في الدنيا سمعة شائنة ، مجداً مهينا ، لا أستطيع أن أدثر " إيبودامي " في عاري ، في ثوب العرس الحزين ، لا أستطيع أن أصحبها إلى حجرة الزواج في موكب تحفه صيحات الاستنكار ، أيتها الذراعان المحبوبتان ، أطلقاني الآن ، فإنني لا أعرف كيف أدافع عن نفسي أمامكما .

إيبـــودامـى : اطمـئن ، فستدعـك ذراعاى ، لقـد أدركتا الآن أنهمـا لن تقنعاك، مادام شىء لا يمكن أن يقنعك، وهأنذا أضـعف أمامك وتقسو، وستفعل ما تريد ، ولو فعلت ما أريـد أنا ، فـقـد ينقص حـبى لك ، فـانطلق إذن إلى هلاكك أيهـا الحبيب ، ولكن حذار ! إذا كان هذا طريقك ، فـهـو ليس طريقى ، إن مـا يفرضـه علىَّ وضـعى كامرأة أن أمنعه ، يفرضه عليك وضعك كرجل أن تقدم عليه . إننى لا أسألك شيئا إلا أن تقبل الحياة إذا كانت " إيبودامى " هى التى تمنحها لك .

* * *

المشـهـد الخامس

[إيبـودامـى - بيلـوبس - أونـوماءوس - الجـنود وبينـهـم جـلوكـوس]

[يدخل أونومـاءوس دون أن يُرى ، وإيبـودامى تنطق آخـر كلامها]

أونومـــاءوس : أيها الجنود ... كلا ... انتظروا أوامرى .

[يذهب نحو " إيبودامى " ، وينتظر أمامها فى صمت]

إيبـــودامـى : مما لاشك فيه أنه يجب على أن أبـرر موقفى. لا أتصـور أنك تسـتقبح حديث ابنتك ، مع أمير طلبها للزواج ، علنًا

ومنك أنت بالذات. فإذا كان من الممكن أن أصبح له زوجة بعد ثلاثة أيام ، أفليس من الممكن أن أتحدث معه الآن ؟

أونومـاءوس : حتى صباح يوم السباق ، فهو بالنسبة لك غريب لا يحق لك أن تعرفيه ، إنني لا أمنح أى رجل حق الاقتراب منك ، طالما لم يفز مني بهذا الحق في مباراة ملكية ، تبعًا للقواعد .

بـيلـوبـس : أيها الملك أونومـاءوس ، لا أحب أن أنسى هنا أنني ضيف عليك ، ولا أن ابنتك ملك لك . ومع ذلك فينبغي أن أخبرك بأنه إذا كان قد ارتكب خطأ ما . فإن شطره الأكبر يقع على عاتقي ، لأنني أنا الذى لمحت عند عبوري فوق هذه الربوة ، خطيبتي أثناء عودتها ، فأوقفتها لأتبادل معها حديثا عارضا .

أونومـاءوس : إن القوانين المتبعة في " بيز " تنص على أن أي مواطن في المملكة ، وأى غريب عنها ، مهما كانت صفته ، يجب عليه عندما يستقبله الملك ، أن ينتظر ريثما يدعى للكلام .

بـيلـوبـس : إنني أعتذر عن هذا الخطأ الجديد ، غير أنه لا يعزى إلا إلى نفاد صبري. فقد نفد صبرى إذ رأيت وجه غضبك.

إيبـودامـى : بيلوبس ، لا تزد من غضبه ..

أونومـاءوس : إنها لرغبة متهورة ، و لا يستطيع أن يكسب لصالحه أصول الكرم والضيافة من يسىء استغلالهما ، فيتحدى مضيفه . لقد حظيت هنا باستقبال رقيق ، وعوملتَ معاملة كريمة ، ولكنني أنا وحدى الذى أقرر ما تُولى من

رعاية ، وليس حقك . وأنت لا تعيش في هذه المدينة إلا إذا أردت أنا ذلك .

بيلويس : لكي تحدثني بهذه اللهجة ، يجب أن أكون قد خالفت تعليماتك ، وهذا في الواقع أمر جائز ، ولكن لم يصلني منك مرسوم عند دخول "بيز" يخبرني بأن السلطة الأبوية تحجز على الفتيات أكثر مما يحبس النساء شكُّ أزواجهن الغُيرُ . إنني أعترف بأنني تحدثت مع ابنتك ، ولكن ليس بطريقة تمس شرفها ، وإنما في ساحة عامة ، وفي وضح النهار . فما هو القانون الذي يمنعني من ذلك ؟

أونوماءوس : إن إرادتي هي التي تسن القانون وتلغيه ، فكل أمر لا يروقني يعتبر جريمة ، وإن ما أتيته ليس محظورا لأنه لا ضرورة هناك لحظره ، فإن حدود الاحترام التي وضعتها حول بيتي لا تحتاج لحمايتها إلى حراس أو حواجز، وإن تحديها لعمل لا تريث فيه ، وكان عليك أن تدرك ذلك .

بيلويس : كان عليَّ أن أدرك ذلك ، خصوصا وأنني حتى قبل أن أغادر وطني إليك كنت أعرف سمعتك .

أونوماءوس : أفأنت هنا لكي تشينها ؟؟

بيلويس : إنني هنا لكي أقضي عليها .

أونوماءوس : حذار .. ففي استطاعتي ، لو شئت ذلك ، أن أسلبك حتى مجرد الفرصة لمحاولة ذلك ، إن المباراة القادمة بين خيولك وخيولي والتي تعطي لنفسك باسمها حقوقا ،

ليست إلا منَّة أتفضل بها عليك وأستطيع أن أستردها ، إنك تبدو واثقا من حظك . إنك بتهجمك عليَّ يمكن أن تجد نفسك محروما من مجرد الأمل في الاشتراك في هذه المباراة ، ما من شيء يفصل بين حياتك ومماتك في هذه اللحظة إلا إشارة مني .

بيلويس : فلتعط هذه الإشارة ، وبذلك يتأكد شعبك والشعوب الأخرى مما كانوا يرتابون فيه ، ويصرخون عاليا بما كانوا قد بدءوا يتهامسون به، من أن الأمراء الذين يأتون إلى " بيز " لا يتوافر لهم من جانبك أي ضمان من الضمانات التي تتوافر في المباريات الملكية ، وأنك بدلا مما تدعيه من أنك تحتفظ بابنتك لأمهر وأجدر خطيب ، فإنك إنما تريد أن تصرف عنها إلى الأبد أي فرصة للزواج ، وأن تحول بينها وبين آمال الشباب من أجل إرضاء عطف مسرفٍ في استبداده ، ويعلمون كذلك أنك قد بدأت ترتاب في نتيجة مصارعة أنت الذي وضعت قواعدها مع ذلك لصالحك ، مادام قد بلغ بك الأمر أن تفضل عليها الاغتيال .

أونوماءوس : أخطأت يا بيلوبس ، لأنك ستموت قبل حلول الليل ، ودون أن ينال ذلك من مجدي ، فسيقام السباق الآن ، أيها الجنود .. أدركوا " ميرتيلوس " ، وانقلوا إليه مشيئتي ، لينزل إلى الحظائر وليتفقد حال الجياد ، وليسرجْ أسرع عجلاتي ، وليقدْها إلى بوابة الجنوب . وأبلغوا ضباط

الحرس بأن يقوموا بتعيين رجال يصرفون الناس عن نقطة بدء السباق ، وأن يُنزلوا فرسانا كافية إلى الطريق الشرقي لحراسة المفارق ، حتى إلى ما وراء أولمبيا . وليعلن المنادون في المدينة وفي مناطق العمال توقف العمل حتى المساء ، وليكن الجميع على أهبة الاستعداد لحفل الغداء الذي سأتوجه إليه الآن ، ولتزين المدينة بأعلام آلهتها .

إيبودامي : (**بعد لحظة**) . ماذا تصنع ؟ ماذا يقول شعب " بيز " عن هذه السرعة التي لا تليق بالملوك ؟ إنك تنساق للغضب ، لا تتعجل .

أونوماءوس : إيبودامي ، إنما ينبغي أن أخشى بسببك أنت ، فإذا تراءى لك في هذا الأمر ألا تقرّي أوامري بغير الصمت ، وإذا كان غضبي لا يروق لك ، فاعلمي أنك سببه ، وأن هذه الوجهة التي يتخذها هذا الغضب ، إنما هي آخر ورقة في الحب الذي أكنه لك . بيلوبس ، لقد سمعت ما قلت ، فاعمل ما يلزم لكي تكون عجلتك بعد ساعة عند بوابة الجنوب مستعدة للسباق ، وإن القانون يجيز لك أن تنطلق على الطريق في اللحظة التي تسمع فيها طبول الاحتفال . أما عملية المطاردة فإنها تبدأ حينما ينتهي الاحتفال ، ولسوف تجد إيبودامي في مكان اللقاء . وعندئذ ستكون تحت سلطانك ، بعيدا عن أعين أبيها وسلطته . ستكون لك قدر ما تستطيع أن تحتفظ بها .

بيلوبس : قبلت يا أونوماءوس . وهكذا سنعرف هذا المساء أيهما
يحظى بعطف الآلهة : استبدادك أم حقى ، إننى ذاهب
وعلى الطريق الذى ستحاول أن تلحقنى فيه ، لا تنس أنه
ليس عليك أن تستردَّ منى " إيبودامى " فحسب ، فأنا
أيضا طالب مملكتك وخطيبها . وداعا . ولو حدث أن تلاقينا
وجها لوجه ، فإن أحد وجهينا لن يكون وجهَ حيٍّ .

* * *

الفصل الثالث

المشهد الأول
[إيبودامى - لوكونوئيه]

[تبدو " إيبودامى " فى ثياب فخمة استعدادا للحفل]

إيبـــودامى : لم يدع لى غير لحظة تهرب وتفرُّ منى لكى أخترع الشرك الذى أوقع فيه هذه القوة الغاشمة ، لكى أرجئ للحظة واحدة بأية وسيلة – نتيجة هذه الأوامر التى لا رادَّ لها ، والتى تدور الآن فى أركان المدينة الأربعة ولن تلبث أن تتوقف ، مقدمة علامات الموت إلى السماء ، لحظة واحدة لكى ألبى ذلك القدر الأعمى الذى استيقظ وبدأ مسيرته .. إننى ألوى بين هذه الأسوار ، لا أجدى فتيلا ، بلا حلول وبلا فكرة ، وكل لحظة تمضى من الزمن إنما تنزف من شرايين حبيبى ، آه .. أيتها القدرة البغيضة ، هل تدرين أنت نفسك قيمة هذه الأيام الثلاثة التى تحرميننى منها ؟ كانت هذه الأيام أمامى رحبة فسيحة كالسنين خصيبة بالحيل والمفاجآت ، وكنت أزينها بالأمل . ماذا عساى أن أصنع بمفردى فى لحظة واحدة ضد أبى ، وضد القانون

والدولة ، وضد عزيزى "بيلوبس" نفسه ؟ لقد وضع الموت
أمامى العالم فى معسكره . حتى أفكارى ، وهى ملجئى
الوحيد ، ترتعد وتفلت من قبضتى ولا يمكن الإمساك بها.
من يستطيع أن يعاوننى؟ من يستطيع أن يعاوننى؟ آه ..
أيتها الصلوات .. يا شراب العشق ، يا أعشاب السحر..
آه .. يا حكمة الأصدقاء الناصحين ، آه أيتها الحظوظ
التى تمنحها النجوم .. آه أيتها القوة التى حرمتها
النساء .. آه يا يدىَّ الضعيفتين ، يدىَّ المسكينتين !

لوكونونيه : لا يوجد هنا لمساعدتك إلاّ ضعف أوهى من ضعفك ، فاستعينى على الأمل ، وإذا كان هناك أمل لك فلن تكشفى علامته إلا فى الهدوء ، فاهدئى، أتوسل إليك ، وأخبرينى بما أستطيع أن أصنع من أجلك .

إيبودامى : ما تستطيعين أن تصنعى من أجلى ؟ انتظرى .. أى حبى، أيها الإله الواحد الذى أتضرع إليه، إذا لم تمنحنى القدرة لكى أسيطر على أفكارى ، فسيلقى بيلوبس فى القبر الذى يبتلعه كما تبتلع الدوامة القارب . انتظرى .. إننى لا أستطيع أن أبتعد عن هذا المكان ، فلن يلبث أبى أن يخرج ، فيجب أن أحتجزه هنا، يجب أن أتوسل إليه ، يجب أن أوقظ الحنان فى قلب هذه الصخرة ، فى قلب هذه الشجرة العتيقة التى صيغت من الغرور والقسوة . سيكون الفشل نصيبى ، فبينما أنا أتضرع إلى إله الموت ليمنح الحياة لحبيبى ، فإن ميرتيلوس فى هذه اللحظة

يتنقل بين الحظائر ليعد ضد "بيلوبس" جيادا مريعة وعجلة لا تخيب ، "ميرتيلوس" الذى تحدث إلى صباح اليوم .. إنه يحبنى يا لوكونوئيه ، لقد أخبرنى بذلك ، سأخاطب حبه، فقد أستطيع أن أثنيه عن مقصده ، سأسرع إلى "ميرتيلوس" . ولكن ماذا أدرى عن "ميرتيلوس" إننى أعرفه منذ هذا الصباح ، وأعرف حب أبى منذ مولدى ، وفوق ذلك فلى مأخذ عليه هو أيضًا ، من الممكن أن تكون ثائرته قد هدأت ، وقد يلين إذا رأى وجهى . كلا ، إنه لن يلين ، فمن الحماقة أن نحاول المستحيل، ويجب مع ذلك أن نحاوله، يجب أن أبقى هنا ، يجب أن أذهب إلى "ميرتيلوس" ولكن إذا كان "ميرتيلوس" يحبنى فإنه يبغى موت "بيلوبس" أيضًا، فعلى أى النردين أقامر بهذه الحياة التى هى حياتى ، بهذا الدم الذى هو دمى ؟ آه .. إننى مقيدة إلى هذا الباب ، وأتمنى لو مزقت نصفين من نفسى ، لوكونوئيه أنقذينى .

لوكونوئيه : ماذا أفعل ؟

إيبودامى : إننى أنتظر أبى هنا ، سأحاول أن أثنيه عن قصده، أو على الأقل أن أؤخره، أما أنت فاذهبى إلى "ميرتيلوس"، واطلبى منه أن يتعجل أمره، وأن يأتينى فوق هذه الربوة قبل أن يذهب إلى ساحة السباق . أخبريه بأن "إيبودامى" تنتظره بمفردها ، أخبريه بأن "إيبودامى" يجب أن تتحدث إليه قبل المباراة، وأخبريه بأن حياة "إيبودامى" معلقة

بهذا الحديث . كلا ، فليس هذا كافيا ، أخبريه .. أخبريه
بأنه لم يجرح إحساسي بسبب الشعور الذى أبداه لي
صباح اليوم ، وبأنه إذا هرع إلى هنا لكى يعيد علىَّ
ما قاله لي ، فسيلقاني أقل استهجانا وأكثر قبولا .

لوكونوئيه : سأخبره فقط بأن "إيبودامي" تطلب منه المجيء ، فلا يلزم
أكثر من ذلك .

إيبودامي : إنني أقدِّر ما تفعلينه من أجلي حق قدره يا لوكونوئيه .

لوكونوئيه : لست أدرى إذا أنا فعلت ذلك ، هل أخدم غرام
"ميرتيلوس" أم غرامك ، أو إذا كنت بذلك آمل على الرغم
مني ، أن أخدم غرامي ، تراني أعمل من أجل بيلوبس ؟
أم من أجلي أنا ؟ إنني لا أريد أن أنزل إلى أعماق قلبي .

[يظهر أونوماءوس]

إيبودامي : انطلقي إلى " ميرتيلوس " وائتيني بجوابه .

المشهد الثاني

[يبدو أونوماءوس حاملا رمحه متهيئا للسباق]

أونوماءوس : إن موعد سعادتي يقترب ، لقد انطلقت الدابة ،
فلتسرع ولتكسب مسافة ، إن هذا التقدم من الحياة الذى
ستناله ، سيلذ لي أن ألتهمه بعد ذلك ، دورة عجلة بدورة

عجلة ، ثانية بثانية ، سيلذ لى أن أطويه فأجعله فى طول هذا الرمح ، إن الصيد لم يكن بهذه الروعة أبدا . ماذا تصنعين هنا أيتها الخطيبة الصغيرة ؟ إن الزوج الذى يبدو أنه يروق لك ينتظرك وهو يتحرق شوقا عند باب المدينة ، عند باب الموت .

إيبودامى : إن الوقت الذى قدرته له وأنت مسرف في تقديرك ، لم ينقض تماما . ثم إننى فى حاجة إلى لحظة أخرى .

أونوماءوس : إلى لحظة أخرى ؟ لا تعتقدى أنك عندما تؤخرين بداية المغامرة سوف تؤخرين نهايتها ، إنك إذا لم تكونى فوق عجلة " بيلوبس " عندما أعطى الإشارة ببدء الاحتفال أمام المعبد ، فأعلمى جيدا ، أن كل جُزَىء تضيعينه من الزمن سوف يخصم من رصيدك ، إن كل جُزَىء من الزمن سيمثل بالنسبة لسابيك العزيز نبضة قلب على الأقل ، هل تعتقدين أن أمامه حياة أطول من اللازم ؟

إيبودامى : إننى إذا كنت قد زدت من الخطر الذى يتهددها ، فذلك لانتظار مجيئك . وعندما أريد أن أزيده أكثر ، فلأن من الضرورى أن أتحدث إليك .

أونوماءوس : ليس لدى وقت ولا رغبة للاستماع إليك .

إيبودامى : ربما كُنت استحق غضبك صباح اليوم ، فأخشى أن أستحقه أكثر إذا لم تستمع إلىَّ . أى مليكى ، أى أبى ، إن هذه الثورة العمياء لا تليق بمن هو واثق من انتصاره وحقه ، فإذا كنت لا تخشانى ، فهل تخشى نفسك ؟

أونومـــاءوس : مـا فى نفسـى مكان لفكـرة أخــرى غـير هذه . إن الرجل الذى تجاسر وطمع فيك ، وحاول خيانتى ، واستطاع أن يقتـرب منك بالإغـراء وبالخـدع ، هذا الرجل سـيفـر الآن أمامى كما يفر الوعل أمام كلاب الصيد ، إنه نصيبى وأنا قابض عليه لا محالة .

إيبــــودامـى : إذن فـأنا لا أعـد شـيـئـا فـى نظرك ، وأتحـمل العـواقب فحسب .

أونومـــاءوس : إنك تسـعـين دون تبـصـر إلى اسـتـغـلال عطفـى عليك ، بعـد أن أهنتـه إهانة شنيـعـة ، فـدعـينى أنصـرف إلى مهمتى ، وسأستمع إليك هذا المساء .

إيبــــودامـى : **(دون أدنى انفعال ، وإنما بتصميم يائس)** انتظر ! إذا كنت لا تبـغـضـنى ، فـانتظر . إنك لن تسـتـمع إلى هذا المساء ، لأننى سأصبـح أمامك خرسـاء إلى الأبد ، إذا لم أستطع أن أتحدث معك الآن .

أونومـــاءوس : خرساء إلى الأبد ... إيبودامى ...

إيبــــودامـى : أقسم لك على ذلك .

أونومـــاءوس : ليكن .. تكلمى مادمت تريدين ، ولكننـى أنذرك بألا يكون ذلك عـن " بيلوبس " .

إيبــــودامـى : ومع ذلك فإن الأمر يتصل به، أو بالأحرى يتصل بى أنا ، وبك أنت أيضـا ، ليس لأننى أهتم به اهتـمـامـا يزعـجك ، إننى أعـتـرف بأننى نظرت إليـه دون ضـيق ، وأعـتـرف بأننى سـمـحت له بأن يتـحـدث مـعـى ، بل وأعـتـرف بأنه

تبادل معى حديثا فى الحب ، وأعترف بأننا بذلك قد تعدينا على محرماتك ، ولكن ، هل تعتقد بأنه كان أول من حصل منى على مثل هذه الحظوة التافهة ، التافهة حقا بالمقارنة بحياته التى سيفقدها ، هل تعتقد بأنه كان أول من عصيتك من أجله ؟

أونومـاءوس : هل استطعت ... أهكذا تجرؤين على تحدى أوامرى وخيانة ثقتى ؟؟ ألم تخافى إذ تعرضين شرفك لمؤامرات سيئة ، وتتبادلين أحاديث فى الخفاء وتمنحين الوعود ، وربما القبل أيضا ؟ هل استطعت بلا خوف ولا حياء أن تنحدرى إلى هذه الدرجة من السفاهة؟ كلا، إنك لم تفعلى ذلك ، إن ابنتى " إيبودامى " الشريفة الطاهرة ، التى ظلت عفيفة طيلة هذه السنوات السعيدة ، ليست اختراعا يرضى سذاجتى، أو وهما يصوره غبائى ، إن "إيبودامى" إنما هى حقيقة واقعة ، لا تحاولى تحويل غضبى عن هدفه الحقيقى إلى أطياف خيالية . فلا جدوى من أن تسفهى نفسك أو تسفهينى .

إيبـــودامى : أى والدى ، يا ذا الحذر الأعمى ! ويا ذا العطف الذى يغمض العينين أمام بسط الحقائق .. أمن الممكن أن تكون غير عالم بقلب الفتاة ؟ ألا تتصور ماذا يعنى بالنسبة لفتاة وجه رجل يقترب منها لكى يعبدها ويقهرها. إن كل أولئك الشبان الذين كنت تذهب لتقتلهم ، والذين قتلتهم ، إنما جاءوا إلى هنا من أجلى . ومن أجلى كانوا

يهبون حياتهم ، كانوا يهبوننى حياتهم ، كانوا يحبوننى .
ولم ينالوا منى إلا ازدراء وسخرية. لم ينالوا منى إلا عدم
اكتراث ؟ كانوا يحبوننى ولم أكن أبتسم لحبهم ، ولم أكن
أخاطب حبهم ؟

أونومـاءوس : لا تنطقى بلفظة الحب يا " إيبودامى" . فمـاذا تعلمـين
أنت عما تسـمينه الحب ؟ هل ترين ؟ إننى أستمع لك .
وأبذل مجهودا لكى أفهمك . لقد كانوا يتمنونك ، وكانوا
يساعدونك على أن تدركى أنك جميلة . وكانوا بخاصة
يقتربون من الموت ، أجل ، كانوا يقتربون من الموت .
اعترفى بأنك إنما كنت تشفقين عليهم . اعترفى بأنك فقط
إنما كنت تشفقين عليهم .

إيبـــودامى : إننى لم أشفق عليهم ، وإنما كنت أحبهم .

أونومـاءوس : إنك لم تكونى تحبينهم .

إيبـــودامى : لقد حاولت أنا أيضا أن أطلق على ذلك شفقة ، ولكننى
كنت أعلم فى قرارة نفسى أنها لم تكن التسمية
الصحيحة . لقد أحببت الرغبة التى كانوا يسعون بها
نحوى ، والشجاعة التى كانت لديهم من أجلى ، والعيون
التى كانوا يتطلعون بها نحوى . لقد أحببتهم .

أونومـاءوس : إنك لم تحبيهم ... إنك لا تحبين بيلوبس ...

إيبـــودامى : لقد أحببتهم ، وإننى أحب بيلوبس . ولسوف أحب من
يأتى بعد بيلوبس . إن كل انتصار لك إنما هو ضربة فى
صميم أملى الذى يتشبث بالحياة . وفى كل مرة أرى

فيها نصيبي ، نصيب المرأة ، هنائي ، هناء المرأة ، وقد صرعته حربتك ، يحتضر عند قدمي . فإذا كنت لا أقوى على الصراخ ، وإذا كنت لا أموت ، فإنما ذلك لأنني أعلم أنهم سوف يُبعثون . هل من الممكن ، هل من الممكن أنك لم تفكر في ذلك أبداً ؟

أونومـاءوس : لم يكن من السهل كما تتصورين ألا أفكر في ذلك .

إيبيـــودامي : إن كل من يأتون إلي هنا لكي ينتزعوني منك ، أجد لهم الوجه نفسه ، وجه الرجل الذي أنتظره .

أونومـاءوس : وهـل تعتقدين إذن بأنني كنت أضربهم بمثل هذا الفرح وهذا الغضب إذا لم أكن أخشى ذلك ؟ آه ... لقد فعلت كل شيء لكي أطرد هذا الخوف من تفكيري ، فلم يكن يبدو إلا في حمية مطاردتي وحنق ضرباتي . كان خوفا صامتا ، وهأنت ذي تنزعين عنه الكمامة ، وها هو ذا يصرخ الآن .

إيبيـــودامي : كانت هذه الكمامة كمامتي. وإن هذا الصراخ صراخي ، ولقد سمعته في النهاية .

أونومـاءوس : وهكذا ينهار كل شيء . "إيبودامي" مليكتي البريئة ، التي كانت تشع في سمائي أنقى ضياء وأبهى سنا ، لم تكن سوى أنثى فائرة ، تطلب المتعة ، وتتنسم متعة الرجال الكريهة . لقد كنت أكسوها بالأمجاد وأزينها بالممالك. كنت أمد من حولها يوما بعد يوم، رويدا رويدا ، أطراف مدينة أرويها بعرق عشرة آلاف من الرجال ، مدينة تنمو

كحصاد من الحجارة . كنت أصوغ لها بيدى مصيرا لا يقارن . أما هى ، عديمة الشعور ، العمياء ، فلم تكن تنتظر إلا معانقة حمقاء من رجل ، لم تكن تنتظر إلا أول قادم غبى .

إيبيـــودامى : كنت أنتظر ذلك الذى سيمنحنى العالم . لقد منحتنى أنت كل شىء ، ما عدا العالم .

أونومـاءوس : إنك لا تدركين أن هـذا الذى تضعـينه فـوق كل شىء سيبدو لك فى يوم من الأيام شيئا تافها . إنك لا تدركين أن معانقة الرجل التى تحتفى بها الفتيات ويزينـّها بذهب أحلامهن ، ليست إلا وهما وخداعا .

إيبيـــودامى : إننى أدرك ثمـن هبـاتك . وإننى لأرثى لك حتى البـكاء إذ تراها تقابل بالازدراء. ولكن هذا الحب الكبير الذى أراد أن يهبنى حتى المستحيـل ، لماذا كان يمنـع عنى دائما ما هو ليس بفريد ولا بمنقطع النظير ؟؟ إننى لم أخلق من لحم يختلف عن لحم النساء جميعا . أى والدى المريع ... أى والدى العزيز ... إننى امرأة كغيرى من النساء .

لا تسقط من حسابك ما أحفظ لك من ود وعرفان ، وآلاف الساعـات التى أمضيتها بالقرب منك . إننى لك بمقدار ما تكون الفتاة لأبيها . ولكن ليس أكثر من ذلك . فكما يطيب لى أن أكـون ملكا لك ووثنك المعبـود ، يجب أن تتصـور أن هناك شـخصا آخر يمكن أن يكون لى أنا ، يجب أن تتصور أنى أعيش . يجب أن تتصور أننى أرى

الأيام التى لا يمكن تعويضـها تنقضى يوما فى إثر يوم منذ سبع سنوات ، وأن كل فترة تنقضى من شبابى إنما يمهرها خطيب ميت ، وأن الأمل الذى لا يزال يلازمنى ، لن يلبث أن يبلغ حـدوده التي لا يتـجـاوزها ، ويدعنى وحدى أتابع الطريق . ترى أهذا ما أراده حبك لي ؟؟

أونومـاءوس : إن أملى ينهار، وكنزى يتناثر.. كل شيء يكذبنى ويديننى، اسكتي ... اسكتي لحظة يا "إيبـودامي" . تفـضلي عليَّ بلحظة صمت ، إن فكرى يهرب منى . لقد فقد العالم ضـيـاءه ، ولن يكون للأيام الآتيـة من مـعنى إذا كنت تضيقين بي صدرا ، حتى الماضى يفقد بهاءه ، ويسقط ترابا من يدى. أواه !! ... مـاذا تريدين إذن منى ؟ أن أسلمك ، أن أنمحى من حياتك ، أن أموت ؟

إيبـودامي : ألا يمكنك دون أن تمـوت أن تعـدل عن إبقـائى سجينة حبك ، وعن خنقي تحت وطأة حبك ؟

أونومـاءوس : إنك تعرفين ما نبِّئت به ، إنك تعرفين أننى لا أستطيع أن أقبل حريتك إلا إذا قبلت نهاية سلطانى ونهاية حياتي. فإن الرجل الذى سينالك سينال منى كل شيء .

إيبـودامي : آه ... لا تخش ذلك الهاتف الذى يكذب..! ولكنك لا تخشاه مطلقا . إنك تستشهد به لأنه الشيء الوحيد الذى يبرر مسلكك. إن ابنتك سجينة وتستغيث بك ، أفلا تخلصها ؟؟

أونومـاءوس : ماذا تريدين ؟

إيبيـــودامي : إننى أسـألك ، أنت يا من غـمرتنى بأثمن الهدايا وأندر
المطايا ، أسـألك أحقـر وأردأ شيء في الوجـود ، أسـألك
أن تضـع نهـاية لـهـذه السنة البـربرية التى تقـضى على
بوحدة يغمرها الموت ، بشيـخوخة يائسـة . فلأكن لك ابنة
كمـا تكون الفـتيات الأخـريات لآبائهن ، وليقـدمـنى حنانك
يومـا من الأيام ، ليس اليوم ، وإنمـا يومـا من الأيام ، بين
ذراعي حنان آخر ، في زواج سعيد .

أونومـاءوس : هـاهو ذا إذن مـــا تطلبـه منى تلك التي لا أرفـض لهـا
طلبا .. إنها تنتظر منى الحياة ، فعلى أنا أن أراها تبتعد
عنى إلى الأبد يحـملها سابٍ منتـصـر ، وهي نفـسـهـا
منتصرة ، وأن أبقى وحيدا ، أو أن أستبقيها بالقرب منى
مرغمة ، متمردة ، متجمدة ، تكرس حذقها وعنادها في
نسج مشاريع لا تنتهى بغية الهروب . ومع ذلك ، فلتبق ،
فلتبق ... ليس بغضـها أفضل من غيابها ؟ هذا أو ذاك ،
هذا هو الاختيار الذى تعرضـه عليَّ، أن أفقدها أو أفقدها
أيضـا إن السـعادة الوحـيدة التى آمل أن أحـصل عليـها
منها هى أن أرى ، إذا أردت ذلك ، زهرة ابتسامة سعيدة
تتفتح مرة على شفتيها .

إيبيـــودامي : إننى أعـرف ، أعـرف . إننى لسـت خلوا من الإحـسـاس
والرحمـــة . فبأى حق أتهـمك ؟ كيف كان يتسنى لك أن
تدرك شقائى طالما كان يبدو عليَّ الرضـا ، طالما كنت فى
أغلـب الأحـيان راضـيـة ؟ أما اليـــوم ، فقـد تكلمـت ،

ولا يمكنك أن تنسى أننى تكلمت ، فكيف وقد علمت ما علمت، يُمكن أن تستمر فى إقامة هذه الحراسة المميتة من حولى ؟؟ كيف يلذ لك أن تعذبنى؟ تخل عن هذا الصراع الذى لا رويّة فيه مادمت قد تأكدت الآن أنك تشنه ضدى ، وأننى أنا التى أتلقى الضربات .

أونومـاءوس : حسن ... علىَّ إذن أن أسعى إلى الهزيمة ، وأن أرضيك .

إيبـودامى : وهل تريد رضائى ؟

أونومـاءوس : وهل أردت فى حياتى شيئًا آخر ؟

إيبـودامى : **(تسقط بين ذراعيه)** آه .. فليحببك الحظ إلى الأبد كما سأحب .

أونومـاءوس : تريدين العفو عن " بيلوبس " ... تريدين أن تذهبى مع " بيلوبس " وتهجرينى ؟

إيبـودامى : لا تعتقد يا والدى الحبيب أن "بيلوبس" يهمنى إلى هذا القدر . فاليوم ، لكى أضع حدا لصبرى الذى كان من الممكن أن يظل صامتا ، كان لابد من انفجار غضبك . فقد كدت أدعه يموت كما مات غيره ، ولكنك أرغمتنى على قطع هذا الصمت . ولقد تكلمتُ من أجلى وحدى ، فلتأمر فقط بالتنازل عن السباق ودع "بيلوبس" يعد إلى وطنه .

أونومـاءوس : لا تكذبى ... إن "بيلوبس" يثير إعجابك ، وتريدينه زوجا .

إيبـودامى : يثير إعجابى ...! إن رجلا جرح إحساسك ، ولو كان ذلك عفوا، لا يمكن أن يثير إعجابى تماما، أى والدى، لا شىء

الآن يتعجل فراقي لك ، دع هذا للزمن . فسيمكنني أن أنتظر إلى جوارك .
سيمكنني أن أنتظر في سعادة . فلقد انتهى جزعي الطويل . وقد لا تكفيني حياتي كلها لكي أكافئك على الفرحة التي وهبتها لي اليوم .

أونومـاءوس : إيبودامي ، إن رقتك نفسها ليست إلا فيض هذه الفرحة، شطط هذه الفرحة . إنني لا أقبل أن تكافئيني على سعادتك بالشفقة . لا تترفقي بي لا تكذبي إنك تريدين "بيلوبس" ، إنك تريدين هذا الرجل .

إيبـودامي : آه ... أيمكن أن يكون كرمك قاسيا . لا تمنحني ما يفوق دعواتي رحماك ... فأنا ضعيفة أمام عطاياك ...

أونومـاءوس : غاية الضعف ، أليس كذلك ؟ حتى إنك تقولين مرة أخرى : لا . وهكذا يتضح الآن كل شيء ، إنك تحبينه ، تحبينه كما لم تحبي في حياتك . سعادة غير رحيمة ، نظرة تنبثق من الدموع ، ذراع ذهبية يرعشها الخوف مع الأمل . جسد يزدهر بالسعادة كما تزدهر الأرض بعد العاصفة، هذا هو كل ما يُقدم لبيلوبس، كل ما يوهب له ، إنك منعطفة تماما على بيلوبس يا إيبودامي ، ومداعبتك لا تداعب على وجهه إلا الثقة التي يمنحها لك وجهه ، وأن انفراج شفتيك عن وعدهما ، وارتفاع صدرك وانتشار شعرك ، كل هذا ليس لمصارحة بنوية ، وإنما لطقوس أخرى لا تعلمينها ، تلتهمك مقدما .

إيبيسوداميا : ماذا تقول ؟ ماذا تريد أن تقول ؟ فلتهدأ أتوسل إليك .
فإن صوتك يخيفني ويديك تؤلمانني .

أونوماءوس : آواه !! ... أيتها المجنونة ، مجنونة، لعمري مجنونة، يا من جئت تلقين بين ذراعي من قبلات العرفان الخاطفة ، من قبلات الوداع، كل ما يفلت منهما الآن ، كل ما تسلبينهما الآن ، يا من تريدين أن أفكهما من حولك ، لماذا دنوت مني هكذا مادمت لا تريدين أن تكوني لي . مادمت قد أصبحت له ؟ أنك له ، أليس هذا صحيحا ؟ تُرى هذا الجسد الذى خرج مني ، هذا الشعر الذى في لون النور والذى لا يزال يحتفظ على وجنتيك برقة شعرك إذ كنت طفلة ، ورقة هذا الجيد تحت الأنامل ، وكل هذا الجمال ، ترى أيُسلب مني كل هذا ليُعطى لشخصٍ آخر ؟ ترى ، هذه الصورة الجديرة بالخلود التي تبدو في صورة فانية ، أيمكن أن تُجرد من حليتها السامية ، أيمكن أن تعرى وتترك نهبا السلب ، لضمة دنسة من شخص لا تعرفينه ؟ ألا يجب منع ذلك ؟ ألا يجب عقاب ذلك ؟

إيبيسوداميا : أي شيطان ركبك ، وأي هذيان هذا ؟ فمنذ لحظة وجيزة كنت طيبا ، ومصيبا ، كنت تحبني .

أونوماءوس : كنت غبيا ، كنت جبانا . كنت أجرد نفسي من سعادتي ومجدي بتأثير بضعة دموع تافهة لن تلبثي أن تنسيها غدا ، كنت واثقة أنك ستهجرينني ، كنت تريدين أن تهجريني ، كنت تنتشين من السعادة لفكرة هجري .

كنت أحس سعادتك تسرى في جسدك الذى راح يتجمد الآن ويحاول الخلاص من يدى ، كما يحاول الصيد أن يتخلص من الشباك . لقد فرحت مبكرا أكثر مما ينبغى . فإن كان "بيلوبس" يريدك ، فليأت لكي يأخذك . إنك لي . إنك لي .

[تدخل لوكونوئيه] .

إيبـــودامى : لقد سخرت منى . أوقعتنى فى الشرك وتعتقد أنك ستحتفظ بصيدك . آه .. دعنى ، دعنى ، فإن يديك ترعباننى .

[يرخى يديه اللتين تضمانها وتنتزع نفسها منه]

أونومـاءوس : إنك أنت التى أردت أن تقيدى ذراعى ، ولم يكن حنانك إلا تدبيرا . ولكننى استعدت بصيرتى وقوتى. لن تنتصرى طويلا. سأختبر قوتى بقوة "بيلوبس"، ولكى أضاعف قوتى عند تحطيم قوته، سأتذكر جسدك ووجهك، عندما كنت ، وأنت بين ذراعى ، تعتقدين أنك تحت ضغط ذراعيه . أجل ، لقد خسرتُ الدور وقضى علىّ بالسجن الأبدى ،

إيبـــودامى : وستقتل الرجل الذى أحبه ، ولكن على الأقل ، فسيكون كل شىء بينى وبينك واضحا منذ الآن . ولقد أجبرتك على خلع القناع، فلا تحاول بعد ذلك أن تضعه من جديد.

أونومـاءوس : ماذا تقصدين ؟

إيبـــودامى : أقصد أنك فقدت الآن قدرتك على إخفاء رغبتك المنحرفة. لحظة واحدة بصَّرتْنى . حسنا .. هاأنذا أمامك ، فانقض

عليَّ، فأنت تستطيع ذلك واضربني ولكن ليس الضرب هو ما تبغى، أليس كذلك؟ لتكشف أخيرا عن حقيقة نفسك .

أونومــاءوس : لقد فقدت صوابك ...

إيبـــودامى : إننى لا أشعر نحوك باحترام ولا بخشية. وتستطيع أن تقتلنى بكل نظرتك، بهذه النظرة الطويلة الثقيلة التى تنبعث منها حرارة لا يمكن الإقرار بها ، تلك النظرة التى أحس فيها بخطر مهول ، يتربص بى، إن جسدى نفسه يعرف معناه ويقشعر أمامه. إننى أراك على حقيقتك. فلتجرؤ وانظر إلى نفسك. تجرأ وسمِّ حبك باسمه، تجرأ وانطق به...

أونومــاءوس : سأعرف كيف ألزمك الصمت .

إيبـــودامى : أجل ، إنما هو الصمت ما تبغيه عاطفتك . ولكن لن يكون هناك صمت فى " بيز " إلى الأبد . لا لها ولا لك . فهذه الحقيقة التى ترتعد أمامها أيها الملك المتكبر ، أيها الملك الذى لا يقهر ، سأصرخ بها فى وجهك حتى يحين أجلى. ولسوف تدوِّى فى أركان المملكة الأربعة ، وسترجعها إليك كل الأصداء . ولن تسمع غيرها .

أونومــاءوس : إيبودامى ... إنك تعتقدين بتحديك لغضبى أنك تحولينه عمن تريدين إنقاذه، ولكننى أعرف كيف أعاقبك ، وإنما إلى عقابك أسعى الآن .

إيبـــودامى : ستلحق بعجلة " بيلوبس " . وستقتل " بيلوبس " ، ولكن الحقيقة قد أفلتت . ولا تستطيع جياد " ميرتيلوس " أن تلحق بالحقيقة ، وأنت لا تستطيع أن تقتل الحقيقة .

ستجد نفسك مكرها لأن تعيش بصحبتها ، وستجد نفسك مكرها لأن تعيش فيها ، لأننى سأعرف كيف أجعلك تعيش فيها . وداعا ... انطلق لتأخذ بثأرك ، ولتطلع علىَّ بعد ذلك بغيضا إلىَّ ، بغضا مضاعفا بسبب انتصارك وغرامك . وأنت تعرف ماذا ينتظرك ، فإذا أردت أن تحب البغضاء فأحبنى .

[ينطلق أونوماءوس قبل أن تتم حديثها]

* * *

المشهد الثالث

إيبودامى : سيقتَل . شد ما يلذ له القتل .. لوكونوئيه . هل استجاب لك " ميرتيلوس "؟ هل سيأتى ؟

لوكونوئيه : إنه آت يا " إيبودامى " . لم أجد صعوبة فى إقناعه بالمجىء . لقد حملت إليه نداء منك .

إيبودامى : إنه آت ، يحمل لى آخر قبس فى نصيبى . أفترانى أحتفظ بنَفَسٍ كافٍ لإذكائه ؟ آه ! ... أى ذلك الأمل الضعيف العنيد ، هل ستجد القوة لإلهاب ذلك الجسد الذى يفنى؟ أى ذلك الإغراء الحلو باليأس والبكاء، والنوم، يجب أن أستمر فى مقاومتك واقفة، يجب أن أظل واقفة . هل رأيت أبى يا " لوكونوئيه " هل أدركت موقفه ؟ سنوات كاملة من ورائى تتضح معالمها الآن ، سنوات كاملة

مسمومة . "ميرتيلوس" هل أنت متأكدة من أنه سيأتى ؟
هل أقسم لك على ذلك ؟

لوكـونونيـه : إنه آت لأنك تنادينه. إنه آت لأنه عرف أن الساعة قد حلت، الساعة التى لا يُرجأ فيها شىء ولا يؤخَّر ، لقد نطقت الآن بكلمة الحقيقة يا "إيبودامى" إن الحقيقة تحرق العالم من حولنا. ولقد اكتملت حلقاتها ولم يعد ثمة مكان للشك، ولا للهرب ، ولا للتردد . إنه آت . لأن كل شىء يجب أن يتقرر الآن . لقد اعترفوا لك جميعا : فجزع "إيبودامى" وثورتها ، كانا وراء حجاب تمزق باسم "بيلوبس" . وحب " ميرتيلوس " كان وراء حجاب فأصبح يبهر أبصارنا ، وغرام " أونوماءوس " كان خافيا على "أونوماءوس " نفسه ، فأصبح من المحتم أن ينظر إليه بعينين مفتوحتين . كنتم جميعا تسيرون فى ظل أسراركم بخطى مسترقة ، وهاأنتم أولاء فى الذهول . وقد تجردتم من كل شىء ، وأُنْفِذتُم فى ضوء الصاعقة ، ولا تزالون أنتم الأربعة واقفين ، ومع ذلك فقد انفجرت الصاعقة ، وخلال هذه اللحظة التى يستغرقها الضوء فقط ، فإن الموتى ، الذين لم يجدوا وقتا كافيا للرقود ، يحتفظون بمظهر الأحياء .. إنه آت . هاهو ذا .

إيبـودامى : دعينا .

* * *

المشهد الرابع

[إيبودامى - ميرتيلوس]

إيبودامى : ميرتيلوس ، لقد جئت إذن .

ميرتيلوس : وهكذا ترسل إيبودامى فى طلب "ميرتيلوس" ، وتنتظره ، وتندفع نحوه في شوق العاشقة . ألستُ أهلاً للصدّ إذن؟ ألستُ محتقرا ؟ وهذه النظرة التى كانت تنفذ من خلالى دون أن تراني أدركت أن جسدى كثيف غير شفاف ، وهذا العجب الجليدى يذوب لمجرد القرب منى ، وهاتان اليدان تمسكان بيدى ، ينبغى لى أن أسعد لشقائك يا "إيبودامى" ، مادام شقاؤك وحده يمكن أن يجعلك فى حاجة إليّ ، فما حاجتك ؟ فإن الوقت يمضى حثيثا بالنسبة لك أكثر منه بالنسبة لى .

إيبودامى : إن الوقت يمضى حثيثا أكثر مما تتصور يا " ميرتيلوس " إن جيادك وجياد " بيلوبس " لم تتحرك بعد . ولكن جياد القدر قد بدأت شوطها ، إنها تنقض علينا ، إنها ماثلة .

ميرتيلوس : لم هذا الشرود ، وهاتان اليدان المرتعدتان ؟ تكلمى فإن إشارة الطبول لن تلبث بعد لحظة أن تعطى "بيلوبس" الحق فى الاستيلاء عليك والفرار بك . وكان يجب أن تكونى إلى جواره الآن .

إيبـــودامى : مـاذا أقول ؟ أوه . مـاذا أقـول ؟ إننـى على وشك أن أنهار من الضنى والحـمى ، يلاحـقنى عـدو الزمن . يجب أن أبحث عندك يا "ميرتيلوس" عن أعجب وأغرب عون .

ميـرتيلوس : ماذا تطلبين منى بعد أن رفضت أن تهبينى الحياة ؟

إيبـــودامى : إننى لم أصد "ميرتيلوس" ، ولكننى صددت رجلا من بين الرجال ، والآن أنا فى حاجة إلى إخلاص " ميرتيلوس " ، وربما ...

مـيـرتيلوس : وربمـا ؟

إيبـــودامى : وربما إلى حبه .

مـيـرتيلوس : إلى حبى ؟ ما هـذه السـعادة ؟ ما هذا الشرك ؟ ما هذا الأمل الذى تمنحينه لى أغلى من كنوز الأرض . ومع كل فإننى أنصت لك .

إيبـــودامى : ميرتيلوس . هل أنت مسـتعد لأن تعيـد علىَّ ما قلتـه لى صباح اليوم . ميرتيلوس ، هل تحبنى ؟؟

مـيـرتيلوس : لقـد شـاهدتْ صـبـرى الطويل ونفـاد صـبـرى ، وارتعـدت لهـوسـى وجنــونى ، وتقـرأ الآن عــذابى فــوق وجـهى ، ثم تسألنى إذا كنت أحبها .

إيبـــودامى : انظر إلام صبرت ، إننـى فى حاجة إلى سماعك تبوح لى بحبك .

مـيـرتيلوس : إننى أحبك . وأبغض ما عداك ، وأسير من أجلك فى دغل من الأشواك .

إيبـــودامى : إذا كنت تحبنى ، فأنقذنى .

مـيـرتيلوس : أنقذك ؟ ممن أنقذك ؟؟

[الطبول تدق]

إيبـــودامى : ممن إذن، إن لم يكن من ذلك الذى يجور علىَّ؟ إن لم يكن من ذلك الذى تحجب كتفاه الثقيلتان عنى نور الدنيا؟ من ذلك الذى لا أستطيع حتى أن أدعوه أبى... من أونوماءوس . لقد بدأ الحفل . فكل لحظة أنفقها معك منذ الآن ، فإننى آخذها من آخر فرصة لى فى الحرية . "ميرتيلوس " ... باسم الحب، تصرف بحيث لا تلحق بى جياد أونوماءوس.

مـيـرتيلوس : آه ... هاهو ذا ما تنتظرينـه منى ... ما أغبانى مـن طفـل لم أدرك لعبـتك مـبكرا . إن " بيلوبس " هو من تريدين إنقاذه ، إنه بيلوبس الذى تطلبين منى إنقاذه .

إيبـــودامى : إنه ليس " بيلوبس " ...

مـيـرتيلوس : أتظنين إذن أننى غبى أعمى ؟ إن الإشاعـة التى تملأ المدينة قد بلغتنى . يقولون إن " بيلوبس " قد استطاع أن يثير إعجابك . وأنك تريدين أن تفرى معه ، وتريدين أن أساعدك على ذلك . كلا يا " إيبودامى " لن تجعلى منى شريكا فى مؤامرة تحاك ضدى ، " بيلوبس " يطمع فيك ؟ إذن فأنا أبغى موته . و " بيلوبس " يثير إعجابك ؟ إذن فأنا أبغى موته مضاعفا . إننى حليف " أونوماءوس " ضد كل من يحاولون انتزاعك من " بيز " ، والذهاب بك بعيدا عنى . و" أونوماءوس " يحرسك . فأنا أحرسك .

إيبــــودامي : وماذا عساك أن تأمل ، مادمت تحت سلطانه ؟

مــيـرتيلوس : لا شيء منه ، ولا منك ، هذا أمر أكيد . ولكنك وأنت تحت سلطانه ، على الأقل تكونين قريبة مني . إن وجودك هو الهواء الذى أتنفسه ، فإذا رحلت اختنقت . فطالما أننى هنا ، فإنك تعينينى على العذاب ، مادمت هنا ، ومادمت فى شقاء . إننى لا أريد بعدك . إننى لا أريد سعادتك .

إيبــــودامي : إن الأمل يفلت من بين أصـابعى كـرمـال الزمن . إن الإرهاق يحطمنى ولم يعد جسدى يطيعنى ، وراح عقلى يتحسس الكلمات الواضحة كما يفعل الأعمى فى وضح النهار. الإدراك، لحظة أخرى أواه ... لو أن إلهًا فى مكان ما ، ألقى نظرة عطف على كرب الناس ، أفلا يعيننى على اجتلاء الحقيقة ؟ ... اسمع يا "ميرتيلوس" .

مــيـرتيلوس : إننى أستمع .

إيبــــودامي : إننى لا أطلب منك أن تقدمنى "لبيلوبس" . إن هروبى من "أونوماءوس" يتوقف عليك دون أن أسلَّم لشخص آخر .

مــيـرتيلوس : وضحى ما تقولين .

إيبــــودامي : سأقول لك إذن ما لا تريد أن تفهمه، إننى بهروبى مع بيلوبس، بهروبى من "بيز"، إنما أهرب من طغيان أونوماءوس.

مــيـرتيلوس : أتطلبين منى ... أتطلبين منى أن أقتله ؟

إيبــــودامي : سـواء انتـصـر " بيلوبس " أو انهـزم ، فلن أعـود هذا المساء إلى " بيز " إلا إذا كان " أونوماءوس " لا يحكمها، إلا إذا كان " أونوماءوس " لا يعيش فيها .

ميرتيلوس : أتجندينني ضد أبيك ، ضد سيدى ؟ أما من حدود للجرائم التي يمكن أن يتفتق عنها ذهن الإنسان ؟

إيبودامي : لا يا " ميرتيلوس " ، لقد حدثني أبي منذ قليل ، لأول مرة بصراحة غير معقولة ، إن أبي يحبني ، ليس كابنته . هل فهمت الآن ؟

ميرتيلوس : أبوك ... إنني لا أستطيع أن أصدقك ؟

إيبودامي : إن الذى أدفعك لنزاله ليس أبى ... إنما هو غريمك – إنه أخطر غريم لك.

ميرتيلوس : إذا كنت تقولين الحق ... ولكن كلا ، إنك تسخرين من "ميرتيلوس" الساذج. إنك تريدين التغرير بى واستغلالى ، إنك تتهمين ولا تقدمين البراهين .

إيبودامي : أى برهان أقدم ؟ بأى إله أقسم ؟ ... ولكن اسمع . لقد عجبت لدى وصولك لاضطرابى وارتباكى ... فأعلم إذن سبب ذلك . لقد جُن جنونه فانقض على وراحت يداه تمزقان جسدى ، يداه اللتان لا تطاقان ، ولا تزال أظفاره فوق كتفى . انظر ... أجل ، انظر ... **(تكشف له عن كتفها)**

جلوكوس : (مواصلا) ... أيتها الأميرة ، إن الشاب الأجنبى يرسلنى إليك . إنه قلِق للغاية بسبب تأخرك . وهو قد أمرنى أن أقول لك إن هذا التأخر يعرض حظه لخطر فادح . وهو الآن فوق عجلته ممسك بالزمام ، ويرجوك أن تلحقى به بأقصى سرعة عند بوابة الجنوب .

إيبـــودامى : إننى راحلة أيها الجندى .. إننى راحلة . اذهب وقل له إننى سأكون إلى جواره بعد لحظة ، اذهب وقل له ... اذهب **(يبتعد جلوكوس ولكنه يبقى مختفيا فى ركن من أركان المسرح)** . أى ميرتيلوس ... " ميرتيلوس " .. لن يستطيع أى شىء أن ينتزعنى من هذا المكان قبل أن أتمكن من فتح عينيك . هل عرفت الآن أننى أنا التى يجب أن تُنقذ ؟

مـيـرتيلوس : أقتله... أقتله فى سعادة... آه.. إذا لم تكونى تكذبين علىّ... ولكن كيف أطيعك ، وإذا أطلعتك ، فإنما أقدمك لبيلوبس.

إيبـــودامى : إن أبى هو الذى ارتبط بالعهد مع بيلوبس ، ولست أنا . فإذا أطعتنى ، فلن يستطيع أحد أن يكرهنى هذا المساء. فسأكون ملكة ، سأكون حرة .

مـيـرتيلوس : حرة فى اختيار من تحبين ، وهو لست أنا .

إيبـــودامى : لا تحط من قدر حظك . فأنت هنا لكى تنازعه . أنت أيها الرجل الذى سينقذنى من عار يفوق كل الحدود . ستكون بالنسبة لى متدثرا فى عباءة أبهى من عباءة أى ملك . ستكون متدثرا فى عظمة حبك .

مـيـرتيلوس : إنك تقولين ذلك ، وقد تكونين الآن مؤمنة به . ولكن لن تكونى مؤمنة به فى هذا المساء ، بل ستضحكين منى وأنت بين ذراعى " بيلوبس "

إيبـــودامى : إنك إنما تشك فى نفسك أنت يا ميرتيلوس . حذار . لا تنتظر منى أن أفضلك على غريمك إذا كنت أنت

لا تفضل نفسك عليه ، أيها الجبان ... أيتها النفس الوضيعة ... لقد اتضح لي جيدا أنني كنت مخطئة عندما اعتقدت ، ربما عندما أملت أن رجلا ظلوا طويلا يستخدمونه في أعمال العبيد، يمكن أن يصبح جديرا بي.

ميرتيلوس : أملت ، هل قلت ذلك ؟ هل يمكن أن تأملي ؟

إيبودامي : ما أهمية ما قلت ، مادامت ليست لديك الجرأة الكافية على نيلي ولا على استحقاقي؟ وبينما أتفانى في الحصول من هذا على برهان حبه، ذلك البرهان الذي قد يسمح لي بأن أحبه ، يضحي رجل آخر في سبيلي بآخر أمل له في الحياة . غفرانك " بيلوبس " ، وأنت يا ميرتيلوس وداعا .

ميرتيلوس : انتظري ، يا " إيبودامي " ، إنني أعتقد ... أعتقد أن باستطاعتي أن أنقذك دون جريمة ، فدعي السباق يتم ، ودعي أونوماءوس ينتصر . فغدا سأهرب معك .

إيبودامي : غدا لن يكون هناك وقت ... فلقد شعرت بقوة "أونوماءوس" تحطم صدري . لقد اعتصرتني رغبته عن كثب كما لم تعتصرني رغبة أي رجل آخر . إذا كان هذا هو كل ما تستطيع أن تقدمه لي ، فإنني راحلة .

ميرتيلوس : يجب عليَّ إذن ... ولكن ماذا يجب أن أفعل ؟

إيبودامي : لم يكن يحبني ... فلماذا اعتقد بأنه يحبني ؟ لماذا طاب لي أن أعتقد ذلك ، لم يكن يحبني ؟ **(تبكي)**

ميرتيلوس : أتبكين ؟ ... أمن الممكن أن تبكي ؟ كلا ، إنني لا أستطيع أن أضيف إلى شقائي شقاء آخر ، وهو شكك في حبي .

إذا حميتك من "أونوماءوس" بعد السباق يا "إيبودامى" ،
إذا جابهته هذا المساء ، فهل تصدقينني ؟

إيبـــودامى : كلا ، يا " ميرتيلوس " .

مـيـرتيلوس : فإذا مت ، تصدقينني ؟

إيبـــودامى : كلا ، أصدقك ، إذا أنقذتني . وإذا أنقذتني ، أستطيع أن أحبك .

مـيـرتيلوس : أتقولين تستطيعين أن تحبيني ؟ وتطلبين مني ، لكي يكون لي فقط حق الأمل ، تطلبين مني أشنع برهان . ولكن أي برهان تقدمين أنت لي ؟ ماذا يجعلني أثق في قولك ؟

لوكـونوئيـة : (**مواصلة**) ماذا تصنعين يا إيبودامى ، لقد أريقت دماء الفدية ، ولن يلبث الاحتفال أن ينفض ، ولقد خسرت الآن نصف المسافة التي تتقدمين بها . فلترحلي .

إيبـــودامى : أوه أيتها الدقائق ، أيتها الدقائق اللحوح ... دعيني يا لوكونوئيه ... دعيني . هل تسمح يا ميرتيلوس؟ إن كهنة أونوماءوس يطلبون إجابة السماء . وعلينا أن نقدمها لهم . تسألني برهانا . وأنا لا أملك لك غير برهان واحد. إذا أردته ، حصلت عليه . إنني لا أستطيع أن أقسم لك على حبي، لأن الشك يكتنفه ، وهو لا يطيعني ، ولكن جسدي يطيعني . فهو لك هذا المساء إذا فعلت ما أريد . لقد أردت أن أقول ذلك ، وكنت ، وكنت أفضل لو أنك

أدركت وعدى فى صمت .

مـيـرتيلوس : توافقين على أن تكوني لي ، دون أن تعرفي ...

إيبـــودامى : دون أن أعرف ما إذا كنت أحبك ، فإذا أقبلت نحوك هذا المساء دون أن أنطق بالكلمة التى تنتظرها فلا تسلنى بالقول . فإن جسدى وحده هو الذى سيجيبك ، أجل سيجيبك . والآن هل أنت راض ؟

مـيـرتيلوس : إننى راضٍ إذا حصلت منك على اليمين .

إيبـــودامى : لك مني اليمين يا ميرتيلوس . .

مـيـرتيلوس : هذا المساء ستنالين خلاصك .

إيبـــودامى : هذا المساء سأكون لك يا ميرتيلوس .

مـيـرتيلوس : ولقد قبلت الصفقة .

إيبـــودامى : ماذا تنوى أن تفعل ؟

مـيـرتيلوس : لا تقلقى . كل شىء بسيط . انتصرى أيتها الأميرة "إيبودامى" . إن شجرة الملك العتيقة سوف تسقط ، وفى هذا المساء سترقدين بغيا وقاتلة أبيها . فى مضجع الخائن ميرتيلوس ، لكي تمنحيه مكافأة . كان يجب علىَّ أن ألعن الآلهة التى تستجيب لى ، ومع ذلك ، فإننى أشكرها ، وإذا شعرت فى جسدك هذا المساء ببرودة وثورة فلن يكون ذلك بلا متعة .

* * *

المشهد الخامس

[ميرتيلوس - إيبودامى - بيلوبس]

[يتجه بيلوبس إلى إيبودامى مهرولا]

بيلوبس : إنك تضيعيننا يا " إيبودامى " ، إن الحفل يوشك أن ينفض ، وأنت تبددين في الكلام ذلك الوقت الذى منح لنا لنحاول أن ننتصر ونستميل الآلهة إلى جانبنا . كنا نستطيع أن نكون الآن أبعد من مدى البصر . كنا نستطيع أن نلجأ إلى الغابات ونمحو آثارنا ونطمسها . ولكننا سنهرب الآن وأنفاس جياد " أونوماءوس " على رقابنا كوعول قد أحدق بها ، تعالى ولنسرع .

إيبودامى : لا شيء يتعجلنا يا "بيلوبس". إن الموت يطارد اليوم صيدا آخر . لا تلمنى على تأخرى ، ولا تخش شيئا على حظك . لأن جياد الشمس نفسها، التى تقطع العالم من أقصاه إلى أقصاه في يوم واحد، لو أن الشمس أعارتها أونوماءوس فلن تمكنه من اللحاق بنا ، سنرحل يا "بيلوبس" ، سنرحل ونحن متأكدان من أننا سنفلت من الطاغية أكثر مما لو كنا نمتطى الريح نفسها أو الصاعقة. إن ما قيل هنا قد باعد بين والدى وبين حياتك، بين والدى وبين حريتى إلى الأبد . سنرحل ، ولكن أنفق لحظة أخرى فى الاستماع إلى "ميرتيلوس" ، فلن تندم على ذلك .

ميرتيلوس : **(بازدراء ، دون أن ينظر إلى بيلوبس)** ليس عندى ما أقوله لك أيها الأجنبي، ليس عندى غير هذا: أسرع مع الأميرة إلى خط الانطلاق. وهناك انتظر اللحظة التي يبدو لك فيها " أونوماءوس " آتيا من المعبد . عندئذ فقط ألهب جيادك ، ودُرْ حول المدينة في اتجاه الشمال ، ثم في اتجاه الشرق دون أن تبتعد عن الحصون . وعندما تصل إلى سفح الربوة حيث تضيق حلبة السباق ، لا تنخدع بالفضاء الشاسع أمامك ، كما هو شأنكم جميعا ، فإن الخطر يكمن من ورائك . انظر خلفك سنكون على أهبة اللحاق بك ، وسيوجهني " أونوماءوس " إلى يسارك لكي تكون في متناول يده اليمني ، عندئذ تذكر أن حياتك في زمامك الأيسر ، فانحرف بجيادك أمامنا واقطع طريقنا . في تلك اللحظة سترى حظك . وداعًا ، يمكنك أن ترحل .

بيلوبس : إنني راحل . ولكن لماذا ؟ ...

ميرتيلوس : أدركت سؤالك . تسألني لماذا أخون من أخدم ، ولماذا أخدم من أكره ؟ ... ليس هناك وقت للرد عليك .
ولكن إذا كان هناك قسم يعدل قسمى ، فلن تلبث أن تدرك. فقبل أن تقبل هذه الليلة التي أنتظرها فتدارى جثة ملك ، ومدينة في الحداد ، وأميرة تبيع نفسها ، ومتعة يذكيها العار ، ستكون هذه قد أجابتك .
[في أثناء هذا الكلام ، تحوِّل إيبوداميى " بيلوبس " عن " ميرتيلوس " ، وتجذبه]

الفصل الرابع

المشهد الأول

[المعماري - جلوكوس - ميلون - أجاتوكراتيس - الأركادي- بروكليس ثم لوكونوئيه]

[جلوكوس منهمك جدا ، ينتقل من هذا إلى ذاك]

جلوكـــوس : إنني أراهــن بخمســة دراهم في مقابل عشرة لصالح الأجنبي . هل يعجبك ذلك ؟

الأركـــادي : يعجبني .. ولكن إذا خسرت ؟

جلوكـــوس : أوه .. إذا كنت تعتقد أن " أونوماءوس " يمكن أن يقهر ، فلا تراهن .

الأركـــادي : أراهن بثمانية دراهم في مقابل خمسة .

جلوكـــوس : لتكن ثمانية دراهم .

الأركـــادي : إننا، من هذا المكان أيها الأصدقاء، سيمكننا أن نطل على المشهد من منصة ملكية حقا. ألسنا بوضعنا هنا، وساحة السباق تحت أقدامنا، أكثر راحة مما لو كنا وسط الجموع عند بوابة الجنوب، وراء ستة صفوف من الرءوس؟

بروكليس : ولكن هل أنت واثق من أنهم سيدورون حول المدينة من الشمال ؟

المعماري : لقد أعلن المنادون ذلك . ألم تسمعهم؟ انظر ، ها هم أولاء الجنود يحرسون ساحة السباق .

جلوكوس : هل تريد أن تلاعبني على نصيب " أونوماءوس " ، أيها المعماري ؟ ليس بمبلغين متساويين طبعا .. أجر شهرين مني لك إذا فاز " أونوماءوس " ، وثلاث قطع ذهبية منك لي إذا فاز " بيلوبس " .

المعماري : إنك معتقد أنك بذلك إنما تغرر بي ، ولكنك تغرر بنفسك ، ففي رأيي أن الأجنبي قد مات . وإذا شئت ضاعفنا الرهان .

جلوكوس : سأحاسبك على كلامك أيها المعماري .

أجاتوكراتيس: إنك لمجنون يا جلوكوس .

المعماري : دعه يفعل . فلقد أصبح منذ الآن مدينا بأكثر مما يملك . وهو الآن يتعهد بدفع أجور الشهور القادمة . وقد يراهن ببيته . وقد يراهن بزوجته .

جلوكوس : إنني على استعداد للمراهنة ببيتي أيها المعماري ، وللأسف ، ليس لي زوجة .

بروكليس : قد لا يكون مجنونا بقدر ما يظهر . ففي رأيي أن هذا السباق لا يدل على خير، لا يدل على خير لـ "أونوماءوس". فايبودامي عاشقة ، والملك غضبان ، أجل ، هناك جديد.

المعماري : جديد ؟ ليس هناك جديد . لا يمكن أن يكون هناك جديد ما دامت جياد " أونوماءوس " لم يُدسّ لها سم . إن جياد " أونوماءوس " لا يمكن أن تُقهر ، هذا كل ما في الأمر .

وأنت يا " ميلون " ، أنت الذى كنت لا تتحدث إلا عن المراهنة ، أتتهاون فى نصيبك ؟ إننى لا أقرك على ذلك .

ميلون : لقد سبق لى أن راهنت . كنت أول من يراهن . ولكن على مبلغين متساويين . إننى لا أعرف السبب الذى جعل صديقنا " جلوكوس " يراهن لصالح " بيلوبس " بهذه الطريقة . ولكن لابد أن لديه أسبابا لا يصرح لنا بها . اعترف بأنك قد عرفت شيئا يا " جلوكوس " .

جلوكوس : هو ذاك . فلقد عهد " بيلوبس " إلىَّ بسره .

الأركادى : لا تسخر منا يا "جلوكوس" . إذا أردت أن تلعب ، فلنلعب بنزاهة وشرف . أما إذا كانت هناك خدعة ، فالرهان باطل . ماذا تعرف ؟

جلوكوس : فلتفترضوا أننى استشرت منجما .

ميلون : قل ذلك لقوم سذج . فليس فى " بيز " منجمون سئموا حياتهم إلى درجة أن يتنبئوا بهزيمة "أونوماءوس" ثم يخبروا بذلك واحدا من حراسه .

المعمارى : جلوكوس ، إذا كنت تخدعنا ، فخذ حذرك .

جلوكوس : (**مضطربا**) ليكن .. سأخبركم بكل شىء . كنت هنا خلف هذه الحجارة ، عندما قال " بيلوبس " لإيبودامى ...

بروكليس : ماذا قال لها ؟

جلوكوس : إنه واثق من الفوز بالسباق. إن جياد "أونوماءوس" إلهية كما تعلمون، وكذلك جياد "بيلوبس". فقد وهبها له الإله "أوسيان" على ما يبدو، فإن الإله "أوسيان" هو حاميه وناصره.

الأركـــــادى : هــذا مــن الممكن أن يـكون صـحـيـحـا ، مـادام قـد استطاع أن يعبر البحر .

[ضحك ...]

المعــمــارى : لا تهاتــر أيها الأركادى ، فكـل النـاس يستطيعون أن يعبروا البحر . لقد اطمأننت الآن ، فإذا كان " جلوكوس " يقامر بعشرة أمثال ما يملك معتمداً على تفاخر الأجنبى، فيمكننا أن نطمئن . وإننى أنصح لكم أن تأخذوا أماكنكم استعداداً للعرض ، فلقد أزف الوقت .

أجاتوكراتيس: المكان لا يعاب أيها الأصدقاء ، ولكن ينقصه الظل .

[تدخل لوكونوئيه]

المعــمــارى : لقد مضت ذروة الحرارة . وهاهى ذى الشمس قد مالت نحو الغرب، ثم إن انتظارنا لن يطول . انظر ، إن الطريق يمتد مستقيما حتى الهضاب ، يتجاوز الفرسخ ، لن تفوتنا مشاهدة النهاية هذه المرة .

الأركـــــادى : أتعتقد ذلك ؟

[يصعدون نحو الداخل]

بـروكـلـيـس : **(ناظرًا إلى بعيد)** يبدو لى ...

المعــمــارى : هاهى ذى ... هاهى ذى عجلة الأجنبى ... إنـها تنعطف عند زاوية الحصن ؟

الأركـــــادى : إنها تقبل نحونا . إنها تطير فوق ساحة السباق كما تأكل النار الهشيم .

بروكليس : سواء كانت عطاء من الآلهة أو لم تكن ، فلنعترف بأن هذه الجياد عظيمة السرعة تضرب حوافرها الأرض في إيقاع موحد . كأنها دابة واحدة من دواب الأعاجيب . دابة واحدة صهباء ، ذات ست عشرة قدما .

مسيلون : ولقد شدت عليها عدة مسرفة في الثقل . فلقد رأيتها عند بوابة الجنوب . فما عسى تفيد هذه الفخفخة في السباق ، يجب الاهتمام بالخفة فقط . إنها خيول رائعة تصلح لعرس ، أوافق على ذلك ، ولكنها لا تصلح للعرس الذى يقام اليوم .

لوكونوئيه : **(طوال المنظر، تنتحي لوكونوئيه جانبا دون أن تتفرج على المشهد)** إنهم يقبلون نحونا، مساحات سوداء أمام الشمس ، تسبقهم ظلالهم الكبيرة ، ومع ذلك فإن الركب يلمع من كل جهة . فالعنان من ذهب ، ومساند العجلات من ذهب . والعريش من ذهب ، إن العجلة كلها تتلألأ بالذهب . وعباءة بيلوبس من الذهب . وشعور أميرتنا وقد انتثرت تحت الإزار ، حلتها رياح السباق ، وراحت تلهب وجهها بالذهب. وهى تطوحها إلى الخلف، والشمس تشارك فى حفل العرس ... فجعلت من الغبار سحابة من الذهب. تراهما سيختفيان أمام أونوماءوس فى سحابة من ذهب؟

جلوكوس : إن هذا الذهب كله فى رأيى فأل حسن .

أجاتوكراتيس: " أونوماءوس " ... " أونوماءوس " ... هاهى ذى عجلة "أونوماءوس" .

مـــــــيلون : لم يكن " أونوماءوس " بعيدا .

لوكـونوئيــه : هاهى ذى جيـاد " أونومـاءوس" الأربعـة منطلقـة ، إنهـا تجـرى خلف بيلوبس، وإنما تنقض عليـه كـالموت ، إنهـا جياد الموت .

المعــمــارى : انظروا ، لقد أبطأ بيلوبس .

مـــــــيلون : خطأ . إن بيلوبس لم يبطئ ، ولكنه يكفى أن تظهر جياد أونوماءوس حتى تبدو جياد بيلوبس ، فجأة ، وكأنها تجر وراءها عجلة من الرصاص .

أجاتوكراتيس: إن المسافة بينهما تضيق فى كل ثانية .

مـــــــيلون : انظــروا إلى الأقـدام السـوداء ، كـيف تقــرع الأرض . إنــها ترقــص هي الأخرى رقصة الحرب ، غير أن معلمها يدق لها إيقاعا آخر .

لوكــونوئيــه : مـا أروع جـيـاد الآلهـة ! إنهـا بيننا ، وفوق أرضنا ، ومع ذلك فـهى تغتـرف قوتهـا من هواء ليس بـهوائنا ، وتقـيس حـركاتها بغيـر مقاييسنا . إنهـا تجرى فى زمن آخر . آه أيتها الثوانى المتهورة ... إنها تجرى فى زمن إلهى .

مـــــــيلون : هل تسمع الآن حوافـرها ؟ إنها تقرع الأرض كمـا تقرع طبـول الحرب ، وترقـص ، وترقص . أمـا جـيـاد "بيلوبس" فإنها تقرع الأرض وكأنها مطارق ثقيلة . إنها تغوص فى الرمـال وتحت الحـجـارة . وإن الرمـال والحـجـارة عند وقع كل حافر يصطدم ، لتدفع بجياد "أونوماءوس" إلى الأمام.

المعماري : لقد قلت لك يا جلوكوس إن ميرتيلوس وجياده لا يمكن قهرهم ، لقد خسرت رهانك . ويمكنك من الآن أن تذهب فتبيع ثيابك وتبيع نفسك معها أيضا .

جلوكوس : إن السباق لم ينته بعد أيها المعماري .

بروكليس : جلوكوس ، إنك لتهذي .

جلوكوس : إنني أراهن بخمسة دراهم في مقابل عشرة في جانب بيلوبس ، فهل توافق يا بروكليس ؟

بروكليس : خمسة في مقابل عشرين لو شئت .

جلوكوس : ليكن .

المعماري : هل ملأ غبار العجلتين عينيك يا " جلوكوس " ؟ انظر إلى حلبة السباق ، ولا تنظر إلى أحلامك . إن العجلة التي تحمل حظ " بيلوبس " وحظك تجرجر أذيالها كعربة نقل غاصت في الأرض ، إن "أونوماءوس" يجري فوقه كالطيور التي تعبر البحار في الخريف .

أجاتوكراتيس: سيفوز " أونوماءوس " ، سيفوز .. فلم يعد هناك إلا مائتان من الأمتار ، مائتان من الأمتار بالكاد .

المعماري : أتراهن مرة أخرى يا جلوكوس ؟ إنني أضيف إلى الرهان قطعتين من الذهب إذا أضفت أنت أجر شهر .

ميلون : إذا ضاعفت رهانك ، فسأضاعف رهاني ثلاثا .

الأركادي : وأنا أيضا .

جلوكوس : إنني أوافق على جميع الرهانات ، إنني أوافق على جميع الرهانات .

أجاتوكراتيس: إنهم يقتـربون . انظروا إلى وجـه "بيلوبس" ، إن العـرق يغطيه ويطمسـه غبار أبيض .

لوكـونونيـه : لقد جمد وجهه في تصميم يائس ، حتى لتظنه قناعا من الحجر ...

الأركـــادى : هو ذاك . ألـهب جـيـادك مـا اسـتطعت يا " بيلوبس " ، فمهما ألهبتها ، فإنك قاب قوسين أو أدنى من نهايتك .

المعـمــارى : ما أشـد قلق الأميرة " إيبودامي " . لقد كنا نشاهدها في السـباقـات الأخـرى باردة ، ثابتـة ، لا تكتـرث . أمـا هذه المرة فهى لا تفتأ تلتفت ناحية المطاردين ، إنها تميل على خطيبها .

بـروكـلـيـس : إنها وسط ضـوضـاء العـجلة . تصـرخ في أذنه ببـعض العبارات .

جلوكـــوس : هاهم أولاء قد اقتربوا منا كثيرا ؟ تشجع يا " بيلوبس " .

المعـمــارى : هيا يا " ميرتيلوس " ، هيا ... هيا ... فإنك ممسك بهما .

الأركـــادى : ما أروع ذلك !

مـــــيلـون : " ميرتيلوس " ، لقد فزت بالسباق .

أجاتوكراتيس: عـاش " أونومـاءوس " ... عـاش " مـيـرتيلوس " ... الموت للأجنبى .

المعـمــارى : انظـروا ... لقد ضـبط " أونوماءوس " حربته ... وانتفخت عضلة ذراعه وهو يمسكها بجانبه ، لقد وضـع قدمـه اليمنى على حافة العجلة . ومال بقامته الطويلة إلى الأمام كما يفعل المصارع لحظة الانقضاض .

لوكونوئيه : إنه لم يعد فوق هذه العجلة ، فقدمه فقط تستبقيه عليها وتؤمنه . إنه كائن بكليته داخل المعين اللامع الذى يبرق عند طرف عود الحربة الثقيلة .
إنه كائن بكليته داخل الرأس المميتة . فقوته وفكره وحقده قد تجمعت في رأس الحربة . إن مليكنا لم يعد إلا رأس حربة .

جلوكوس : ولكن انظروا إذن ... لقد ضاعف "بيلوبس" من صيحاته ومن ضرباته وإن جياده تنقاد له . إنه يحتفظ بالمسافة الفاصلة . آه ... حقا ما أروع جياده .

بروكليس : إنه يتقدم من جديد ... إنه يتقدم من جديد ...

جلوكوس : إن السباق لم ينته بعد . " بيلوبس " أيها الجسور ... لتنتزع الفتاة والملكة. لقد استرد أكثر من ثلاثين قدما .

ميلون : لقد صاح " ميرتيلوس " في جياده يقول شيئا . إنه لا يضربها أبدا . فهى تهيج تحت السياط .

المعمارى : هاهى ذى النهاية ، إنها تنطلق كالصاعقة . إن الناظر ليظن أنها كانت متوقفة منذ لحظة .

ميلون : المجد " لميرتيلوس " ... المجد " لأونوماءوس " .

الأركادى : المجد " لأونوماءوس

المعمارى : بيتى في مقابل بيتك يا جلوكوس ...

جلوكوس : ليكن أيها المعمارى !

ميلون : إن "ميرتيلوس" ينحرف إلى اليسار . سيصبح "أونوماءوس" على مسافة مواتية ، سيضرب ضربته ...

بـروكـلـيمس : إن ظلها ليجرى أمامـهـا، على السـاحة البيضـاء مـع ظل الحـربة الرفـيـع المسـتـقـيم . إنظروا لقد بلـغ الظل عـجلة "أونوماءوس" ...

لوكـونوئيـه : إنه ظـل الموت . إنـه يلحـق بهم . إنه يغطيـهـم ، لقـد غطاهـم إن ظل " أونومـاءوس " أقـوى من الشـمس . إن ظلامـا مميـتـا قـد ابتلع فى لحظة واحـدة كل بريق عـجلة "بيلوبس" ، لقد أطفئ ذهب آسيا كله، ذهب الشباب كله ، فى لحظة واحـدة كمـا تطفئ الريح المصـبـاح . وجـيـاد "بيلوبس" لا تزال تجـرى فى الشـمس ولكنـهـا تجـرجـر وراءها عجلة قدت من الليل .

مـــــيلون : إن ظل الحـربة يركض الآن متقـدمًا "بيلوبس" فـهو يرى موته يركض أمامه .

جلوكـــوس : انظروا ... انظروا ...

المعـمـــارى : ماذا جرى ؟

الأركـــادى : إنه لمجنون .

جلوكـــوس : لقد دفع بيلوبس بجياده ناحية اليسار .

مـــــيلون : إنه يقطع طريق ميرتيلوس .

جلوكـــوس : مـا أروعـهـا من مناورة ... إنه لم يعـد فى مـتنـاول يد "أونوماءوس" .

المعـمـــارى : إنه عمل غير شريف ...

أجاتوكراتيس: لا مناص من اصطدام العجلتين .

بـروكـلـيـس : هل سمعتهما؟ إن عجلات "ميرتيلوس" تئن تحت الفرملة .

ميلون : إن الجياد لا تستطيع أن توقف اندفاعها... فهي تجر وراءها العربة وعجلاتها مشدودة... ولن تلبث أن تحطمها تحطيما.

المعماري : كلا ، لقد عاد كل شيء . فقد وجد " ميرتيلوس " فضاء رحبا فتفادى الاصطدام . ولكن ماذا يجرى ؟

الجميع : آه ... ...

جلوكوس : لقد قفز " ميرتيلوس " على الأرض .

الأركادي : لقد انفصلت عجلة العربة عن محورها ...

لوكونوئيه : لقد أفلتت العجلة ، وراحت تدور وحدها أمام العربة كطوق الأطفال .

جلوكوس : إن عربة "أونوماءوس" تميل إلى اليمين وتغرق كالسفينة... وتنقلب ...

الجميع : آه ... ...

[صمت طويل]

المعماري : لقد سقط الملك فوق الأرض على أم رأسه .

ميلون : إنه يتدحرج إلى قاع الخندق .

لوكونوئيه : لقد انقلب كالشجرة الضخمة وسط الغابة التي تتحطم .

جلوكوس : لقد فاز " بيلوبس " ... فإليّ بجميع الرهانات ...

المعماري : إنها حادثة وليست مباراة .

ميلون : ليست مباراة . لقد كنت تعرف شيئا .

بروكليس : توجد وراء ذلك خيانة .

جلوكوس : يوجد ما تريدون . ألم تصبح الفتاة من حق " بيلوبس " ؟ إذن فكل الرهانات من حقي .

المعـمـاري : لقد قفزت الأميرة من عربة "بيلوبس". إنها تهرب ، إنها تصعد السلم على عجل، ولم يعد الملك أكثر من ميت .

الأركـسـادي : هيا بنا نتفرج .

أجاتوكراتيس: أسنكون أول المتفرجين ؟

جلوكـــوس : لقد كسبت كل شيء ... لقد أصبحت غنيا .

[ينزلون بسرعة ناحية السهل]

* * *

المشهد الثانى

[إيبودامى]

إيبـــودامى : (تقبل بمفردها ، وتطيل النظر إلى السهل عند سفح الربوة) وهكذا نجوت يا " بيلوبس " ، وأصبحت ملكا ، وأصبحت لك . إننى لا أكلفك أية مشقة، اللهم إلا أن تنحنى على الأرض لتتناول من فوقها ذلك التاج الذى ألقيت به عند قدميك ، ولكن هأنت ذا غائب . أكان يمكننى أن أنتظر معك جلبة وصخب هذه الجماهير التى كانت تبغضك صباح اليوم ، وتعبدك الآن ، والتى تحوطك ؟ وكم هى تحوطك ! ... لكى أذكرك أنك قبل أن تخصنى، فإنك تخص هذه المملكة التى وهبتها لك ، إنهم يأخذونك ، يأخذونك شطر المعبد حيث يقدسونك ، شطر المدينة التى

هى مـدينتك . يجب أن تتـأكـد من هـذه المدينة اليـتـيمـة ، التي اضطربت لتغيير مفاجئ ، وذهلت لقيام سلطة غريبة عنـهـا . جنون ، جنون ، جنـون النســاء . فـقـبل أن ينال الحبيب بين أذرعهن تلك اللعنة التي يسألهن إياها ، يكفى أن يقلن : نعم ، حـتى يصـبح بعـيـداً عنهن ، وحـتى تخترقهن نظرته ، إذ يكون مجذوبا بما هو بعيد .
أوه يا "بيلوبس" ، ما كدت أقتل من أجلك الماضى حتى أصـبحت أخشى هذا المستقبل الذى يتحزَّب ضـدى . أتراني قريبـة منك جدا ؟ وإذا كـانت المرأة أصـغـر من الرجل حجما ، فهل ذلك لكى يتمكن وهى بين ذراعيه من أن ينظر وراء شعورها المتناثرة فوق خدها وصدرها إلى برجه الذى يرتفـع ، أو سفينته التى ترفـع مرساتهـا ، أو المرأة الأخرى التى ستأتى ؟ لماذا لم تتبعنى ؟ إننى وحيدة . وحيدة أمام هذا الفضاء الذى سببه سقوط العـرش الملكى الذى رأيتـه الآن صـريعـا فى التـراب ، صريعا بيدى ، إننى وحيدة أمام "ميرتيلوس" الذى ينتظر الآن أجره ، والذى يبحث وتخطو أقدامه نحوى ، وحيدة أمام أبى المسجَّى .. وحيـدة أمـام " ميرتيلوس " الحى . ألا يوجد فى العالم ملجأ لا يبلغه الأحياء ولا الأموات ، يدلنى الحب على طريقه ؟

* * *

المشهد الثالث

[إيبودامى - ميرتيلوس]

[يظهر ميرتيلوس فى اللحظة التى تهم فيها إيبودامى بالخروج]

ميرتيلوس : إلى أين تجرين إذن يا إيبودامى ؟ يمكنك أن تحولى عينيك ، ويمكنك أن تولى ظهرك للقاتل . ولكننا حبيسان لهذه اللحظة ، لحظة انتظارك الرهيب ، لا مناص من تجرع كأس الندم وتذوقها ، بطيئا ، بطيئا . آه ... ما أبطأ الزمن ، اشكرينى والعنينى .

إيبودامى : أنت يا " ميرتيلوس " ، بهذه السرعة ؟ ...

ميرتيلوس : لقد طعنت الثقة. وما أعجب سهولة ذلك.. لقد تخليت بكتفى عمن كان يعتمد على، وضربت، وضربت فى صميم القلب. ما أغرب نظرة الصديق لحظة يضربه الصديق فى صميم القلب ... إنها نظرة لا تحقد ، فليس لديها وقت للحقد ، إنها تتعجب ، إنها تتساءل فى الليل حتى يأكلها العفن ، هاأنت ذى تتحصنين بالصمت . كانت الجريمة محكمة ، هكذا تعتقدين ، وأنا الجزاء ، لماذا لا يسعد "ميرتيلوس" ؟ إننى سعيد يا "إيبودامى" وإن سعادتى لاتنبع من العدل ولا من الجزاء، وإنما من القتل. ترى هل السعادة التى يمنحها القتل للقاتل هى عقابه الحقيقى ؟

إيبـــودامى : ما هذا الصوت الجديد ؟ ما هذه النظرة الجديدة ؟ إننى لا أعرفك .

مـيـرتيلوس : لا تعرفيننى ، مع أننى كما أردت لى أن أكون ، لقد قتلت. وأنت قتلت كذلك. قتلت "ميرتيلوس" الأمين ، "ميرتيلوس" الخجول الذى كنت فى نظره تشعين فى الضوء المنيع ، قتلت "ميرتيلوس" الذى لا يشان . إننى شخص آخر ، أنا الخائن . أنا القاتل . أنا من ضاع .. ضمير متقد ، شمس متأججة ، إننى واضح أمام نفسى حتى أغوار أعماقى . شكرا يا "إيبودامى " ، شكرا . فأنا جدير بك ، ولست جديرة . لقد شريتك ... شريتك ، كنت بالنسبة لى صنمًا معبودا حيا ، وقد جعلت لى عليك ذلك الحق الذى نبتاعه من بنات الضاحية بدراهم معدودة . ما أشد دنسها من متعة ، وما أروعها من متعة ، أن نمتلك باحتقار وازدراء تلك التى كنا نضعها فوق النجوم ...

إيبـــودامى : ولماذا لا تجرؤ ؟

مـيـرتيلوس : إن جثته الضخمة لا تزال هنا حيث توقفت عن التدحرج على أثر سقوطها، ووجهه متجه صوب السماء ، ومتجه نحونا . إن الدماء لم تجف تماما فوق الأرض . انظرى ، لقد زلج الدم فوق جبينه من صدغ إلى صدغ . الملك "أونوماءوس" متوج بالدماء . انظرى إلى فمه المفتوح ، المستدير ، الفم الصامت الذى يصرخ ، والذى سيظل يصرخ إلى الأبد .

إيبــــودامى : هاأنت ذى أيتها الأبهة الملكية. كنت تتعاظمين وترعبين، وحسب يد أن تنزع من قاعدتك المتحركة مسمارا واحدا، فإذا بك تنقلبين وسط التراب كلعب الصبيان . أكنت تريد أن تلقى الرعب في قلبي يا "ميرتيلوس"؟ لسوف ترتعد وحدك.. ولكن ماذا يجرى؟ ماذا يصنع هؤلاء القوم حول العجلات؟

مـيـرتيلوس : إنهم خدم الإسطبل . فقد تحطمت عجلة "أونوماءوس" . وهم يشدون جيادى إلى عجلة "بيلوبس" تنفيذا لأوامرى . فإننا سنرحل على عجلة "بيلوبس" أنت وأنا ، وبعد لحظة.

إيبــــودامى : هل جننت يا " ميرتيلوس " ؟ إننى لن أرافقك .

مـيـرتيلوس : سترافقيننى . فلقد عقدنا اتفاقا . وإننا لمرتبطان بمشيئتك ، بل بما يفوق مشيئتك ، إننى أملك قسمك .

إيبــــودامى : إننى لم أقسم لك على الرحيل .

مـيـرتيلوس : هل تعتقدين بأننى سأدع "لبيلوبس" الوقت والوسيلة لكى يضع يده على ما يخصنى؟ لقد سمعتك تصدرين الأوامر. وقد بدءوا يعدون الحفل ...

إيبــــودامى : حفل الجنازة ...

مـيـرتيلوس : حفل العرس . الحفل الذى يمنحك "لبيلوبس" ، وينتزعك منى إلى الأبد . إننى أرى ألا تحضرى هذا الاحتفال ، فلقد أعددت لك عرسا آخر . ليس عرسا ملكيا مجيدا ، وإنما عرس أسود ، عرس معزول، عرس لص، عرسنا ... إننى أترك لبيلوبس الملكة التى لا يستحقها . أما أنت ، فنصيبى . وسآخذك ، وستأتين معى .

إيبــــودامى : كلا ...

مـيـرتيلوس : وهل تظنين أن مـــوافــقــتك شىء أهتم به ؟ هل سـألتُ "أونوماءوس" ما إذا كان يريد أن يموت؟ لقد خنتُ سيدى، ولقـد أردت أنت ذلك لقـد فـتـحت باب عـالمٍ لا تعنى فـيـه الحيرة كثيرا ، يسير فيه الحب الضارى نحو هدفه ، فوق خرائب العالم، فحيث أنا الآن ، حيث نحن الآن ، لا الأناة ولا الرقة تروجان . فمقابل القصاص الجهنمى ، فزت على الأقل ، بحق إنكار كل حق . فزت بحق القاتل . وهذا الحق هو ما أطالب به .

إيبــــودامى : " ميرتيلوس " ... " ميرتيلوس " ... دعنى لحظة . ولسوف أتجـاوز وعـدى . سـأهرب مـعك ، مـادمت تريد ذلك . سـألحق بعجلتك الليلة تحت ظلام الأسـوار . أجل ... هذه الليلة ، إننى لا أسـألك إلا وقـتـا أرتاح فـيـه ، أجـمع فـيـه حواسى وأفكارى ، أتعود فيه على مصيرنا الجديد ، على وجهينا الجديدين انظر إلى نفسك . انظر إلى أن التراب الذى تدحـرج فـيـه أبى لا يزال يعـفـر شـعـورنا ويغطى وجهينا . هذا التراب ، لا يمكنك أن تطلب منى أن أقبِّله فوق شفتيك ، يجب أن نغتسل يا ميرتيلوس .

مـيـرتيلوس : كلا . بل يجب أن تتبعينى الآن ... كيف أثق فى وعدك ؟

إيبــــودامى : لقد وثقت فى وعدى قبل أن ...

مـيـرتيلوس : قبل أن أقتل . كلا ، إننى لم أثق فيك . لم أثق فيك أبدا . لم أستطع أن أثق فيك . إنك لم تكونى ترين وجهك عندما

كنت تستسلمين لي مقدما. كان يتوهج ، كان يشع بالحب " لبيلوبس " . كنت تتضرعين إليَّ ليس من أجل نفسك ، وإنما من أجله هو . من أجله ، أليس كذلك ؟ من أجله ، كنت تخدعينني ، ولكن ما أهمية ذلك مادمت كنت توقعين التحالف معي ، مادمت كنت تدفعين معي على طريق العنف ، طريق الخديعة ، طريق النكبة . حيث لا يوجد رجوع إلى الوراء ، مادمت قد وافقت على التعاون معي لإنجاز الموت . ولماذا أحدثك عن العرس ؟ لقد أقيم عرسنا ، وهاهي ذي ثمرته تحت الأسوار . لقد تزوجنا يا إيبودامي .

إيبودامي : كلا.. كلا .. إنني لم أقسم لك على شيء. إنني "لبيلوبس" فقط . فلست زوجتك ، وإنما أنا زوجته ، زوجته .

ميرتيلوس : أأنت زوجة بيلوبس ؟ ليكن .. إنها زوجة " بيلوبس " التي أريدها .

إيبودامي : لا تقربني . إنني أصدك بكل روحي .. من ذا جعلني أتحدث فقط عن روحي .. حتى جسدي لا يريدك .

[يجذبها]

ميرتيلوس : سأتمكن من إقناعه .

إيبودامي : لن تتمكن إلا من إرغامه .

ميرتيلوس : ما أدراك فهذا كل ما أريد ؟ إنني لا أستطيع أن أصيب سعادتك . فعلى الأقل سأعرف كيف أهينها ، سيحلو لي

أن أثأر مـن " بيلوبس " ولكن غضبـه لن يهمنى بقـدر ما تهمنى ثورتك ، أيها الحب البغيض الذى أطأ فيه بقدمى ، حبى الذليل ... دافعى عن نفسك ، دافعى عن نفسك أيتها الفتاة ، دافعى عن نفسك أيتها الملكة ، دافعى عن نفسك أيتها العاشقة ، لكى أدنسك ثلاثا .

إيبـــودامى : لن أخضع ، سيساعدنى " بيلوبس " .

مـيـرتيلوس : إن " بيلوبس " يتخلى عنك . فافتحى عينيك .

إيبـــودامى : إننى لا أرى غير " بيلوبس " .

مـيـرتيلوس : إن جسدك لا يراه . إن جسدك أعمى .

إنه يتحدث باسم شيء آخر غير إرادتك، يتحدث به عاليًا، رويدا رويدا .

إيبـــودامى : إذا استسلمت لك ، لأبغضته ، لحطمته .

مـيـرتيلوس : سيستسلم لى ، إنه يستسلم لى ، إنه يستسلم لى . إنه على أهبة أن يصيح مناديا باسمى فى المتعة والبغضاء والصمت .

إيبـــودامى : " بيلوبس " ... ...

مـيـرتيلوس : نادى بيلوبس إذن ... وليأت ويخبرنا القدر باختياره . ناديه مرة أخرى قبل أن يختم فمى على فمك .

إيبـــودامى : " بيلوبس " ... ...

* * *

المشهد الرابع

[ميرتيلوس - إيبودامى - بيلوبس]

بيلوبس : إيبودامى !

ميرتيلوس : هاهى ذى بين ذراعى ، يا " بيلوبس " . فلتعجب بها ، والغضب في عينيها وقد فكت أزرار ثوبها، ونكش شعرها كخادمة فوجئت فى الجرن مع أحد شبان المزرعة. كفتاة ألقوا بها إلى الجند ، كبغى نشوى ... لا تزال بها غضون من آثار يدى " ميرتيلوس " . إنها مستعدة حقا لحفل الزفاف . هاهى ذى ملكتى . هاهى ذى زوجتك .

إيبودامى : " بيلوبس " ...

بيلوبس : وهكذا يطالب الحوذى بأجره ، إن لم يكن الخائن .

ميرتيلوس : إنه الحوذى الذى جعل منك ملكا يا "بيلوبس" ، إن لم يكن الخائن .

بيلوبس : إليك عنها يا من تجرؤ فتضع يدك على الزوجة التى تخصنى ...

ميرتيلوس : وهكذا يفاخر " بيلوبس" منذ الآن ، وقد تدثر بعظمة فى مملكته الحديثة ... فى عباءة الملك التى ألقيت بها إليه كما ألقى بالخرقة إلى الشحاذ . يقول : المرأة التى تخصه ، فلعله يظن أنه قد فاز بها .

بيلوبس : فلتدع بأنك الذى فزت بها . لماذا لم تَتَحَدَّ "أونوماءوس"؟ فيكون لك اليوم المجد والجزاء .

ميرتيلوس : إننى أعرف أننى لست من طبقة الأمراء ، ولكنك يا ملك الصدفة تسخر من دمٍ يفضل دمك وأصل أنبل من أصلك.

بيلوبس : إنك لتفاخر بدورك إذن ، وقد تزينت بالجلالة السماوية . ولكن لا ضرورة لتذكيره بأنه ابن سفاح أحد الآلهة ، ذلك الذى تصرف منذ قليل كما يتصرف ابن سائس الخيل .

ميرتيلوس : إننى أفهم غضبك ، أيها الرجل المتهور ، الذى يقبل مساعدتي ساعة الخطر ويرفضها ساعة المتعة ... إننى أرى أننى مادمت قد قمت بدورك فى مجابهة الأب ، فإننى أستطيع أن أقوم به قبل الفتاة .

بيلوبس : "ميرتيلوس"... إن مثل هذه الأقوال إنما تحط من قدرك أنت أكثر مما تشيننى . فهى إما صادرة عن رجل يريد أن يرهق عرفاني ويدفعنى إلى الغضب، أو صادرة عن مجنون. كلمة أخرى ولن تصبح أكثر من مواطن ثائر أمام ملكه .

ميرتيلوس : إن قاهر "أونوماءوس" الجميل يغضب، ويهدد ، لم يستطع أن ينتصر وحده فى معركة كان الفضل الحقيقى فيها يرجع إلى جياده مادام كان فى مركز الهارب . ولكن هاهو ذا يظهر بطلا شجاعا ، مسلحًا ضد رجل مجرد من السلاح . فسر حتى النهاية ، وإياك أن تعفو عنى . لأنك لو تركتنى أغادر هذا المكان ، فستعلم المدينة كلها لأية خيانة تدين بالملك ، وبأى وعد اشتريت الخيانة .

بـيـلـويـس : أتقـول بأى وعد ؟ إنك تفـقـد صـوابك . إننى لم أعـدك بشىء ، وأنت لم تطلب منى شيئا .

مـيـرتيلوس : سـل إذن صـمـت هــذه التى تخـصـك بحكـم قـانون السـبـاق ، ولكنهـا تخـصـنى بحكم القسم ، والقسم يعلو على القـانون ، لأن القانون قد هزئت به الخـديعة . فـقبل السباق ، كمـا تعلم ، وكما رأيت ، استدعتنى إليـها فـهل تعـرف السـبـب ؟ لكى تهـب لى نفسـها . فـقبـل السباق - لكى تهب بيلويس السباق ومملكة "إليد" - راحت خطيبته تبيع نفسـها مقسـمـة على ذلك للحوذى "ميرتيلوس" .

إيبـسودامى : (**مرتاعة**) إنه يكذب يا " بيلويس " .

مـيـرتيلوس : أكذب ... تقول إننى أكذب... إذا كنت أكذب فكيف أقنعتنى إذن بأن أخون سيدى ، وأعمل لحسابها وأعمل لحسابك .

إيبـــودامى : إنه يكذب... أقسم لك بأنه يكذب. فأينا تصدق، أنا أم هو؟

مـيـرتيلوس : أقسمى ، يا "إيبودامى" ، أقسمى مرة أخرى ، فإذا كانت الأيمـان التى مثل أيمـانك لا تمزق السمـاء ، فذلك لأن كل شىء مباح الآن . إنها ساعة نوم العقـاب ، إن الصـاعقة نفسـها نائمة ، وإذا لم تكن الآلهـة صـمـاء ، فـلابد أنهـا سجينة إله آخر أقوى منها لا يفقه لغة البشر ، وينبغى أن نرثى لها .

بـيـلـويـس : أنت الذى كذبـت يا "ميرتيلوس" ، وحتى لو كنت صـادقًا ، فإنك ســتعود فتكذب . لقد صـفـحت عنكَ طويلا ، فاخـرج من هذه المدينة إذا أردت الحياة.

إيبـــودامى : إنه يكرهك يا "بيلوبس" . فاقتله . إنه يحبنى فاقتله حالا .

مـيـرتيلوس : اسـتـمع إليـهـا يا "بيلوبس". فـهـذه هى صـرخـة الحب الوحيدة التى أستطيع أن أسمعها منـها . إنها تريد منك أن تقتلنى ، تريد منك أن تقتلنى فى الحال لأنها فى هذا المساء ، لأنها بعد لحظة، لن تكون واثقة من هذه الرغبة . آه ... يا بيلوبس لو كنت تسـتطيع أن تدرك كـيف كـان جسدها ، على الرغم منها ، قد بدأ يستسلم بين ذراعى ، تحـت الإهانة وتحـت العنف ، لما ترددت فى الضـرب . لا تتردد ، فإننى أريد أن أموت .

إيبـــودامى : إنك تريد أن تموت لأنك مــغلوب ، تريد أن تموت لأننى أحب " بيلوبس " .

مـيـرتيلوس : أتراها كانت تصرخ بذلك عاليا لو كانت على يقين منه ؟ أجل إننى أريد أن أفر بعيدا عن هذه التى خنق فيـهـا صوت الحق، وسط ضجة الانتصارات. إننى غريب عليها، وقد يكون لى وطن فى مكان آخر ، الحب السـامـى ليس فيه محقرا ، والمعشوقات فيه لسن بكاذبات ، واللغة التى تتخاطب بها الوحشية والضعف الدنس ليست هى اللغة الوحيدة المفهومة على أرضه . إذا تركتنى أعيش فلن تنام مطمئنا ما حييت . إن حمرة يدى القاتل أبدع فى نظر المرأة من حـمـرة عـبـاءة الملك . اقـتلنى . وإذا أردت أن تحبك ، كما تريد أن تحبـك ، فلا تعبـدها واحتـقـرها ، ما أشد اضطرابك ، وكم تحس بأنك مجرد أعزل ... ضد

رجل أعـزل من السـلاح ، لأننـى أنا الذى أسـعى إليك ، إننى أسعى إلي الرجل الذى سيقتلنى ، وأننى لأشد منه وأقــوى ... ... غـــريب أن أثبت نظرى على الرجل الذى سيقتلنى ، وأن أقـرأ الخـوف عـلى وجهـه . تشجـع يا بيلوبس ... أرق دم الآلهة .

[ينقض على بيلوبس]

بـيـلـوبـس : وأخيرا ، هأنت قد رضيت (**يطعنه**)

مـيـرتيلوس : وأخيـرا ها أنا ذا قد أجبت (يسـقط) " بيلوبس" ، لقد غررت بك . وسقطت فى شركى ، لقد كبوت فى الجرم . فأيقظت الآلهة ، فشكرا .

إيبـــودامى : " بيلوبس " ، هاهى ذى زوجتك .

مـيـرتيلوس : الزواج ... الزواج ...فيا تاج العالم ويا موكب السماء أضئ مشـاعلك ، وأنت أيتـهـا الأرض ، أزهرى لمخدع الزواج . المخدع الذى سيضع فيه "بيلوبس" فوق جسد إيبودامى الأبيض يده ، يد القاهر ، يد الملك . أضئ المخدع الذى سيلتقى فيه بيلوبس وإيبودامى ، ويصنع معها سلالته ، فلتكن هذه السلالة ثأرى .

بـيـلـوبـس : لقد نال ضربة قاضية ، ومع ذلك فلا يزال يسب ويلعن .

إيبـــودامى : **(تجذب " بيلوبس " ناحية سلم القصر)** – لماذا تفكر فيه ؟ لقد حلت يداه، ولم يعد ليديه حول ولا قوة ، وقد حلت مكانهما يدا زوجتك . إنك لست له يا بيلوبس . إنك لى .

* * *

المشهد الخامس

[نفس الأشخاص - لوكونوئيه]

لوكونوئيه : " ميرتيلوس " ...

ميرتيلوس : كلا، يا "لوكونوئيه"... بل ما بقى من "ميرتيلوس"، ما صنعه من "ميرتيلوس" " بيلوبس " و " إيبودامى " . رفات ميت نفاية قبيحة ملطخة بالقطران الأحمر، فضلة مآلها للعفن. انظرى إليهما أيتها الخادمة الأمينة ... إنهما جميلان ، سعيدان ، واقفان يتعانقان بخيلاء في المجد العرسي . لقد جئت فى حينك يا لوكونوئيه . فأنشدى معى ...

لوكونوئيه : أى حبى ... حبى ينزف دمه ، وحياتى ونورى يدعاننى ويختلطان به في التراب. أواه ... فليجنبونى هذه الشناعة، وأية شناعة أخرى ستحلو لى ... " ميرتيلوس " ، يجب إيقاف هذا الدم . إننى أعرف كيف أضمد الجراح . الأمر بسيط ، الأمر يكاد يكون بسيطا .

ميرتيلوس : آه .. لا تظنى أنك ستسلبيننى موتى. إذا كنت قد أتيتنى بالعناية والنحيب والدموع والحب ، فلا حاجة لى بك . فيهما يجب أن يكون التفكير ، فيهما وحدهما . أيها اليأس ، أيها اليأس العزيز ، أى صديقى ، أهذه رسولك؟ هل أنت مستعدة للسب معى ، للعويل معى ؟ هل أنت حقيقة غضبى ؟ إن كنت غير ذلك فاغربى عن وجهى ...

لوكـونوئيـه : أنا ما تحب يا ميرتيلوس .

إيبـسودامى : (**مخاطبة " بيلوبس "**) أى حبيبى ، هأنـذا ملتصـقـة بـك ، مقترنة بك فى الصدر إلى الركبتين لا يوجد بينى وبينك إلا جسدانا . " بيلوبس " ، ما أبعدك عنى .

مـيـرتيلوس : آه .. يا لوكونوئيه ، انظرى إليهما . ألن نفرقهما ؟ كلا ، أيها الحب ، أيتها الغيرة ، دعا ذلك ... يجب أن يتزوجا . يجب أن يخلطا أعضاءهما وأنفاسهما ، وأن يولد عقابهما من متعتهما .

بـيـلـوبـس : آه ... ألا يمكن أن يسكت ؟ .

إيبـــودامى : لن يلبث أن يموت ، وليمت العالم معه إذا لم أكن أنا العالم بالنسبة لك . ولتمت معه الآلهة إذا أرادت أن تسلبنى فكرة منك ... ... "بيلوبس" استمع إلىَّ ، لا تستمع إلى أحد غيرى ، لا تر أحدا غيرى .

مـيـرتيلوس : أيتها العدالة ... ... أيتها العدالة ... ... كلا ليست هناك عدالة ... إن فمى لشديد الجفاف، حتى إن العدالة لا يمكن أن تنقع غلته . أيتها القوى التى لا اسم لها ، أيتها المحن التى لا وجه لها ، أيتها الألوان من العقاب التى لا حدود لها ، إنما حاجتى إليك أنت ، وليست إلى الآلهة .

بـيـلـوبـس : هل تسمعينه ؟؟

إيبـــودامى : إننى لا أسمع فى سكينة العالم إلا قلبك قريبا من أذنى ، والنَّفَس الرقيق الذى يصعِّده صدرك . إننى حرة ، حرة ، حرة بين ذراعيك .

بيلويس : آه ... فلنرفع عن كاهلنا عبء هؤلاء الموتى !

إيبودامى : ليس هناك جرم ، وليس هناك مذنبون ، فإن يدى التى تداعب كتفك بريئة ، وفمك تحت أناملى برىء ، وحبنا برىء . ونومنا برىء . وأول نظرة تلقيها علىَّ عند صحوك ستكون نظرة البراءة . وأبناؤنا سيكونون أبرياء .

بيلويس : إننى خائف يا " إيبودامى " . إننى خائف ليس من خطئنا ، وإنما من سعادتنا . فإن سعادة كهذه إنما هى تحدٍ هائل لقوانين العالم المحزنة ، ولو أنها - مذنبة كانت أو لا - من شأنها أن تغفر .

ميرتيلوس : أيتها الأرض ، أيتها الأرض ، أى خطيبتى ، إنك البطن الوحيد الذى سأخصبه . فها هى ذى البذرة الحمراء قد باتت فيك ، وأنت تنتفضين في أعماقك . فلتنم ولتنضج بذور ثأرى . وليكن الحصاد وفيرا ، آه يا لوكونوئيه ... لوكونوئيه ... لقد زال عنى صوتى وانقطعت منى الأنفاس، ليتنى أعيش حتى أقول كل شىء ... لوكونوئيه ... ساعدينى، تكلمى بدلا منى . العنى بدلا منى .

لوكونوئيه : لست أدرى كيف ألعن ؟

ميرتيلوس : إنك تحبيننى ، ولقد قتلانى. أليس هذا كافيا لكى تحقدى؟

لوكونوئيه : وا أسفاه ... إننى لا أحقد . وإنما أبكى .

ميرتيلوس : ليكن . تكلمى بلا غضب . تكلمى باسم الوداعة . تكلمى باسم الألم الأعزل ، تكلمى باسم الضحايا . أسرعى ، أسرعى ، يا لوكونوئيه .

لوكـونوئيــه : سمعا وطاعة . ولكن خبرني بما يجب أن أقول .

مــيــرتيلوس : ليكن وفيراً حصاد قاتل أبيه وحانث قسمه .

لوكـونوئيــه : ليكن وفيرا حصاد قاتل أبيه وحانث قسمه .

مــيــرتيلوس : ليأت أبناء " بيلوبس " و " إيبودامى " إلى الدنيا وأيديهم ممتدة إلى السكين ورقابهم ممتدة إلى السكين .

لوكـونوئيــه : أيديهم ممتدة إلى السكين ، ورقابهم ممتدة إلى السكين

مــيــرتيلوس : وليلعنوا آباءهم ... إننى لا أقوى يا لوكونوئيه ، يجب أن ننتهى ... لابد أن تكملى وحدك .

لوكـونوئيــه : لابد من ذلك حقا ؟

مــيــرتيلوس : لابد ...

لوكـونوئيــه : ليلعنوا آباءهم ، وليلعنهم أبناؤهم ، وليلعن أبناء أبنائهم أبناءهم .

مــيــرتيلوس : أجل .

لوكـونوئيــه : ولتضرب الزوجة زوجها الذى ينام مطمئنا . وليبتر الأب ابنته فى زهــرة حياتها ، وليهن الابن أمه ويسبها .

مــيــرتيلوس : أجل .

لوكـونوئيــه : ولا يكـونن لهــذه الســلالة ، لهـذا الأخطبـوط ، من عمل ولا تفكير إلا إبادة جنسه .

مــيــرتيلوس : أجل

إيبـــودامى : لقد نجوت يا " بيلوبس" . ونجوت معك ، ولم يعد من خطر يهددنا فوق هذه الأرض الحبيبة حيث سيهلك عما قريب أولئك الذين يعادوننا . إن السـلام يفيض على العـالم ،

انظر ... إن الشمس تميل . وعما قريب ستهبنا الليل ... ليلنا ..

بيلويس : ألم يخلف هذا اليوم في نفسك شيئا من الرعب ؟

إيبودامى : حتى شبح الموتى مات . وذكرى الموتى ماتت ، إننى ولدت منذ قليل .

ميرتيلوكس : استمرى يا لوكونوئيه .

لوكونوئيه : لتحمل الحرب والغيرة مشاعلهما ، ليأت السأم والمقت بسمومهما... وحيث يسقط الخنجر من يد الجريمة المنهكة، فليرفع الخنجر ... وليطالب الثأر بالثأر ... وليقتل القضاة وعندئذ فليعاقب القضاة ... ... انهضوا يا أبناء بيلوبس وإيبودامى وتعالوا إلى ميرتيلوس .

بيلويس : أنت زوجتى ، أنت ثروتى ، أنت غنيمتى ، يقينى الضعيف ، حليفتى فى الموت ...

إيبودامى : أنت سيدى ، أنت طفلى ، أنت ... ...

ميرتيلوس : عيناى تضطربان . كل شيء يصبح بخارا وسحابا . هل يأتى أولئك الذين تنادينهم ؟ هل يأتون ؟؟

لوكونوئيه : إنهم يأتون يا حبيبى . فإن كتل الظلام هذه التى تقترب ، إنما هى أشباح أولئك الذين لم يولدوا بعد . إنهم يأتون ، إنهم يستجيبون لك. انظر ... انظر إلى هذين : إنهما توءم منفصل مجتمع على حقد لا يخمد. إنهما ولدا "إيبودامى" و"بيلوبس" ، إن شفاههما مخضبة بالدم . لقد أوعز أحدهما إلى أخيه أن يلتهم أبناءه فى وليمة لا اسم لها .

ميرتيلوس : من هما ؟

لوكونوئيه : الأول هو " أتريه " ، والآخر هو " تييست " .

ميرتيلوس : " أتريه " ، " تييست " . قولى ، من ترين غيرهما ؟

لوكونوئيه : إننى أرى خلفهما ملكا عظيما مقبلا ، تفيض نظرته رعبا . يحمل بين ذراعيه فتاة قتيلة .

ميرتيلوس : من تكون هذه الفتاة ؟

لوكونوئيه : إنها ابنته . إنه قاتل ابنته - فلتطلب نفساً ...

ميرتيلوس : لوكونوئيه ، لقد عميت عيناى . فمن ترين ؟

لوكونوئيه : إننى أرى ملكة فاجرة - إنها بالقرب من عشيقها يترصدان ، ينتظران الزوج الواثق عند عتبة القصر . يجذبانه . انتظر ، لقد ذُبحا بدورهما أيضا .

ميرتيلوس : ومن غيرهم ؟ من ؟ الأسماء فقط ، فليس لدى وقت .

لوكونوئيه : إننى أرى إليكترا . وأرى أوريست .

ميرتيلوس : وهكذا طابت نفسى .

[يموت]

لوكونوئيه : ميرتيلوس ... آه ... لم أستطع إذن أن أقول لك غير هذه الاستدعاءات لخوارق القديسات ، غير هذه الخرافة الشنيعة التى أردت أن أهدهدك بها وأنت مقبل على الموت كما يريد الطفل أن يُهدهد قبيل نومه ، كنت أتمنى ألا أحدثك إلا بلغة حنانى ، ولكنها لم تكن تثير اهتمامك . إن حبى لم يختلق كلمات الحقد إلا لكى يرسم شيئا من الابتهاج على نظرة ميرتيلوس الأخيرة . لقد كذبت . لقد

اختلقت خرافة ، خرافة لطفل يموت . وهاهى ذى آلهة
الشتاء قد شرعت في مسيرة تستغرق القرون . قفن !
فلقد مات للأسف ! ... وليس به حاجة إلى الانتقام . إن
ألمى والوحشة فوق هذه الأرض سيكونان شاهدين له ،
وفيهما الكفاية . قفن ! ولكن الوقت قد فات . ولم يعد
العالم إلا صمتا .

إيبـــودامى : لقد صمتا . فلم يعد العالم إلا صمتا .

* * *

المشهد الأخير

[إيبودامى - بيلوبس - لوكونوئيه - المعمارى - جلوكوس - ميلون - الأركادى - أجاتو كرانيس - بروكليس - جمهور]

[من بعيد تسمع أصوات تقترب لموسيقى حفل وابتهالات]

المعـــمــارى : المجد لبيلوبس ، محررنا ...

جلوكـــوس : المجد لبيلوبس ، مليكنا ...

الجـمـــهـور : المجد لبيلوبس ، وإيبودامى ...

أجاتوكراتيس: وهذه قصة أخرى ... لقد قتل " بيلوبس " ميرتيلوس .

الأركـــادى : لا شأن لنا بذلك .

مــــــيلون : المجد لبيلوبس ! المجد لبيلوبس ولأميرتنا ! .

الجمهور : عاش ... عاش ... بيلوبس عمراً مديدا ...

المعماري : يجب على الملك الجديد أن يظهر سلطته ، ثم إن "ميرتيلوس" هذا لا بد أنه لم يَرُق لبيلوبس ، لقد كان يحوم حول "إيبودامي" في الأيام الأخيرة ، حياة مديدة ! حياة سعيدة لبيلوبس !

بروكليس : إن هذه الميتة في نظري لا تبشر بخير . فالملوك عادة ما يكونون صالحين في بداية حكمهم . فإذا كان حكم هذا الملك يبدأ على هذا النحو . فكيف ستكون نهايته ؟ ثم إن " ميرتيلوس " كان حوذيا وابناً لأحد الآلهة ... عهداً سعيداً " لبيلوبس " و " إيبودامي " ! ... ...

ميلون : حوذي ممتاز ... يقال إنه ربما خان أونوماوس في السباق .

المعماري : أجل ! وسَمَّن هذا الجلوكوس على حسابنا . المجد لبيلوبس ملكنا الجديد ...

جلوكوس : أما أنا فإنني أرثي له . وستقولون لأنه أثراني . الحق أنه كان رجلا يفضلنا جميعا . ربما كان مخطئا . هاهو ذا الذي عاقبه مخطئ بدوره . ولا تزال القضية مفتوحة ، ولا يزال هناك دين واجب . إن الآلهة ماهرة ، تعرف كيف تأخذ جميع الناس بأخطائهم .

الجمهور : فلتبارك الآلهة زواج بيلوبس و إيبودامي... ولتكن سلالتهما سلالة ظافرة، وليشرفهما أبناؤهما .

بيلويس : إننى أشكر لكم ابتهالكم . وأود أن يُدفن "ميرتيلوس" في جنازة عظيمة تليق بمكانة الملوك، فأنا أحب للذى أهانني وعاقبته أن يدفن بطريقة كريمة ، ولكننى لا أريد حدادا . إن الأعمال ستتوقف غدا في مناطق العمل ، لتستأنف في فجر اليوم التالى ، وإننى أرد على تمنيات شعبى الطيبة بتمنياتي له بالنجاح والفلاح . وأرى أن بقية هذا اليوم ، وهو أول أيام حكمي ، ويوم انتصارى وزواجي ، أرى أن تنفق بقية هذا اليوم كلها في الأفراح .

لوكونونيه : الأفراح ... ...

ستار

ثرثرة بعد جنازة

تأليف : ياسمينة رضا

(جائزة موليير لأحسن كاتب درامى ١٩٨٧ ، ١٩٩٥)

.

ياسمينه رضا

إذا كان المسرح الحالى ، بشكل عام ، يوحى بنوع من التشابه فى الإنتاج، إلا أنه يبدو فى صورة من التباين أو التنافر الذى يثير الحيرة. ففى إنتاج هذا المسرح تتعايش نصوص فى غاية التماسك ودقة الحبكة ، إلى جانب نصوص أخرى متهرئة ممزقة . ونصوص فى غاية اليسر والسهولة ، إلى جانب نصوص فى غاية التعقد والغموض . كما نجد نصوصا أحادية الدلالة ، مع أخرى متعددة الدلالات ، ونصوصا فى قمة الشاعرية إلى جانب نصوص مرتجلة إلى أقصى درجات الارتجال على حد قول سيجيلد بوجوميل .

ومع ذلك فبالرغم من نقاط الاختلاف والتباين ، فهناك بعض نقاط التشابه أو على الأقل بعض الخطوط العريضة التى تجمع هذه الأشتات وهذه الأصوات الفردية .

هذه الحقيقة تنسحب أيضا على حالات الكتابة النسوية . فالكاتبات أيضا ، شأنهن شأن الرجال الكتّاب ، فإذا كن يجتمعن حول صفات معينة ، فهذا لا يلغى الفوارق بينهن . وإذا كانت أعمال ياسمينة رضا تعد نموذجا واضحا للكتابة النسوية فإنها لا تنحصر فى قضايا

الجنس الآخر ، بل ولا تميز بين الجنسين فى أعمالها ، بل ولا نشعر عندها بهيمنة الشخصيات النسائية أو القضايا التى تهم المرأة بنوع خاص .

كتبت ياسمينة رضا أولى مسرحياتها عام ١٩٨٧ بعنوان " ثرثرة بعد جنازة " حصلت بها على جائزة (موليير لأحسن عمل درامى) وفى عام ١٩٨٩ كتبت مسرحية " اجتياز الشتاء " وفى عام ١٩٩٤ كتبت ياسمينة رضا مسرحيتها الثالثة بعنوان " فن " محققة نجاحا تجاوز حدود فرنسا . وفى عام ١٩٩٥ ، عرضت لها مسرحية "رجل المصادفة" . ومن الجدير بالذكر أن ياسمينة رضا حصلت مرة أخرى على جائزة موليير وذلك فى عام ١٩٩٥ .

الحدوته عند ياسمينة رضا تأتى في المستوى الثانى من الاهتمام . إن مسرحية مثل "ثرثرة بعد جنازة " تقدم لنا أفراد أسرة يجمعهم دفن الوالد . تتألف المجموعة من الأخوين (ناتان) و (أليكس) والأخت (إيديت) وخالهم (بيير) وزوجته (جوليين) و (إيليزا) العشيقة السابقة للأخ (أليكس) . وتجرى الأحداث فى ضيعة الأسرة . والحقيقة أنه ليس ثمة أحداث حقيقية . فبمجرد دفن الميت تنخرط الشخصيات فى سلسلة من الأحاديث والمناقشات التي لا علاقة لها بالجنازة ولا بالفقيد ، وإنما تنصب على العلاقات الأسرية بين الإخوة والخال والخالة ومغامراتهم العاطفية الفاشلة . وتتنوع الأحاديث على هوى اللقاءات ومداخلات الشخصيات . فلا قضية أساسية ولا موضوع حقيقى .

الجوهر فى مثل هذه المسرحيات ليس ما يجرى على المنصة ، وهذا ما يشير إليه الشخصيات . (فنحن نمر بجوار كل شىء) على حد تعبير (إيما) فى مسرحية " اجتياز الشتاء " والشخصيات تشعر بالحنين (لما لا يقع) . وهذا ما تعبر عنه ياسمينة رضا فى "ثرثرة بعد جنازة " .

* * *

عرضت هذه المسرحية فى ١٥ يناير ١٩٨٧ على مسرح باريس فيليت بإدارة هنرى دى مينتون .

إخراج : **باتريس كيربرات**

ديكور : **جاك لى ماركيه**

توزيع الأدوار

ناتان بول بارج فى الثامنة والأربعين
إيديت جوزيان ستوليرو فى الخامسة والأربعين
أليكس جان ميشيل دوبوى فى الثالثة والأربعين ، شقيق ناتان وإيديت
بيير جان بول روسيّيون فى الخامسة والستين ، خالهم
جوليين لوسيان هامون فى الرابعة والخمسين ، زوجته
إيليزا كارولين سيهول فى الخامسة والثلاثين، صديقة أليكس السابقة

المكان

- ضيعة للأسرة فى لواريه
- فضاء مفتوح ووحيد
- عناصر متتالية توحي بالغابة والمنزل

بحيث إن لحظات " الإظلام " تكون أقصر ما يمكن .

(١)

[الظهيرة. في سكون عشب الغابة، رجل يهيل التراب على نعش الأب ، ثم يبتـعد . ناتان وإيديت وأليكس يقفـون جامدين. على مسافة منهم ، بيير وجوابين. بمعزل قليلا ، إيليزا . ناتان يخرج من جيبه ورقة ويقرأ بصوت مرتفع]

نـــاتـــان : "حينما ماتت أمى ، كان عمرى ست سنوات. كانت تصعد السلم بحقيبة سفرها وأنا أتذكر الحقيبة التى سقطت من الجنب فوق البلاط الحجرى . وحينما توفى والدى ، كنت فى الحادية عشرة من عمرى، وكانت الحرب دائرة ... لقد وجدتنى وحيدا فى العالم. وحيدا نشطا فعَّالا ، لدرجة أن الشيطان زارنى ... وقد استقبلته كعون إستراتيجى ، حصن حصين كنت أختفى فيه من مرمى القذائف . منذ ذلك اليـوم وحـتى الأبد ، خـرجت إلى الحـيـاة مـغطى بالأشواك من رأسى إلى قدمىَّ، منزها من الخطأ وبارداً. أطلقت على ابني المتخيل اسم ناتان. سيمون وينبيرج ١٩٢٨"

كان والدى فى العشرين من عمره .

[إظــــلام]

(٢)

[شرفة . مستوى المنزل . منضدة . كراسي حديقة]
[أليكس وناتان واقفان]

نـــاتـــان : من أين جئت ؟

ألـــيـكـــس : من غرفتي .

نـــاتـــان : ناديتك ، ولم تجبني .

ألـــيـكـــس : هل سافرتْ ؟

نـــاتـــان : لا أعرف .

ألـــيـكـــس : من أبلغها ؟

نـــاتـــان : لا أعرف .

ألـــيـكـــس : أنت .

نـــاتـــان : كلا .

[تظهر إيديت]

إيـــديـــت : أنا ... أنا التي أبلغتها .

ألـــيـكـــس : هل طلبتِ منها الحضور ؟

إيـــديـــت : لا . **[لحظة]** وما أهمية ذلك ؟

ألـــيـكـــس : هل سافرتْ ؟

إيـــديـــت : لا .

ألـــيـكـــس : قولي لها أن تذهب .

إيـــديـــت : كف عن ذلك ...

ألــيــكــس : قولى لها أن تذهب ، لو سمحت .

[صمت]

إيــــديــــت : هل تحبان أن أعد قهوة ؟

ألــيــكــس : يوجد بالداخل مسخرة !

إيــــديــــت : اسمع يا أليكس ، ألا ترى أن هذا ليس وقته ...

نــــاتــــان : دعيه ...

إيــــديــــت : كانا يتقابلان ، ولقد جاءت هنا دون أن تعلم أنت .

ألــيــكــس : إذن ؟

إيــــديــــت : أقصد أنه ليس من المستغرب وجودها هنا .

ألــيــكــس : لأنك بمجرد أن تترددى على شخص تحضرين جنازته بالضرورة ! عليك أن تمضى حياتك فى الجنازات يا مسكينة !

نــــاتــــان : ممكن تعدين لنا قهوة يا إيديت ؟

إيــــديــــت : طيب ...

ألــيــكــس : خل عنك . سأذهب أنا **[وهو ينصرف]** الحقيقة أنا الذى أبدو مستغربا .

نــــاتــــان : سلوكك هو المستغرب .

[أليكس ينظر إلى ناتان ثم ينصرف . إيديت تجلس]

[صمت]

[تظهر إيليزا]

إيــــديــــت : اجلسى ... تعالى ، اجلسى ...

إليــــــزا : كلا ، لن أبقى ، شكرا ... أنا جئت لأودعكم ... إلى اللقاء يا إيديت ... **[تتعانقان]** إلى اللقاء يا ناتان ... تقبل عليه وتبسط له يدها بعد تردد . تستدير نصف دائرة .

نـــاتـــان إيليزا ...

إيليـــــزا : نعم ؟

نـــاتـــان : ابقى قليلا ...

إيـــديـــت : ابقى قليلا ...

إيـــديـــت : أليكس ذهب ليعد قهوة ، ابقى قليلا ...

إيليـــــزا : سيعود .

[لحظة]

نـــاتـــان : أين خالي ؟

إيليـــــزا : ذهب ليقوم بجولة على الطريق مع زوجته .

نـــاتـــان : هل كنت تعرفينها ؟

إيليـــــزا كلا .

نـــاتـــان اجلس .

إيليـــــزا : كلا .

نـــاتـــان : إذا جلست أنا ، هل تجلسين ؟

إيليـــــزا : كلا .

صوت **[أليكس من الخارج]** : إيديت أين الفناجين ؟

إيـــديـــت : فوق الحوض ...

[تنهض وتخرج . صمت]

نـــاتـــان : أنتِ قصصتِ شعرك .

إيليـــــزا : نعم ... منذ فترة طويلة .

نـــاتـــان : هذا أفضل .

إيليـــــزا : تظن ذلك ؟

نـــاتـــان : نعم .

إيليـــــزا : يجب أن أسافر ...

[صمت]

نـــاتـــان : إلى اللقاء .

إيليـــــزا : إلى اللقاء ...

[تستدير نصف دائرة ثم تعود إليه]

إيليـــــزا : **[بسرعة فائقة]** ناتان، أعتقد أننا لن نلتقي بعد ذلك أبدا؛ وهناك شيء يجب أن أقوله لك ... في خلال هذه السنوات، لم أفكر إلا في شيء واحد فقط، هو أن ألقاك، لم يكن عندي سوى هاجس واحد، هو أن ألقاك. أن أراك، أن أسمع صوتك ... لقد عشت أفكر فيك ، لا أستطيع أن أحب أحداً غيرك ...

[تستدير وتنصرف بسرعة . يبقى ناتان وحده]

[إظــلام]

[المشهد نفسه، الإضاءة نفسها. ناتان وحده]

[تظهر إيديت حاملة فناجين القهوة]

إيـــديـــت : هل سافرت ؟

نـــاتـــان : نعم .

[تضع الفناجين فوق المنضدة]

إيـــديـــت : جان اتصل بالهاتف قبل قليل . كنت على وشك أن أدعوه على الغداء غدا، ثم قلت في نفسي.. الواقع أنني لا أرغب كثيرا في رؤيته ، ليس هو بالذات ، ولكن ... لقد أرسلوه إلى لندن .

نـــاتـــان : راضيا ؟

إيـــديـــت : نعم ، أعتقد ذلك **[تبتسم]** أخبرني بذلك بنبرة صادقة ...

[ناتان يبتسم]

إيـــديـــت : ألا تشعر بالحر ؟ لست أدرى لماذا أشعر بالحر ... **[تخلع الصدرية]** كأننا في شهر سبتمبر ... أحسنت صنعا برحيلها .

[يظهر أليكس حاملا وعاء القهوة]

ألـــيـــكـــس : ستكون خفيفة . فلم أجد سوى القليل من البن .

نـــاتـــان : في البلاكار ؟

ألـــيـــكـــس لم أبحث فيه .

إيـــديـــت : هذه أول مرة أراك تعد فيها قهوة .

ألـــيـــكـــس : كيف تظنين أنني أعيش ؟

إيـــديـــت : لم أقل أنك لا تعرف . أنت تأخذ كل شيء على الوجه السيئ .

ألـــيـــكـــس : لا آخذه على الوجه السيئ . ماذا قلت أنا ؟ كل ما هناك أنك تتصورين أن معرفتي إعداد القهوة يعتبر معجزة ،

أى إنسان تافه يستطيع أن يعد القهوة، ليس فى ذلك عمل خارق ... حتى فى المطبخ ، سألتنى إذا كنت أعرف .

إيديت : [**متأثرة**] أنا لم أسألك إذا كنت تعرف ، وإنما سألتك إذا كنت تريد أن أساعدك .

أليكس : سيان .

ناتان : [**بينما أليكس يفرغ من صب القهوة فى الفناجين**] قهوتك هذه بول أطفال .

[**أليكس ينوق ويضع فنجانه بادى القرف**]

أليكس : ماذا يفعل ثلاثتهم ؟

ناتان : بيير وزوجته يتنزهان . وإيليزا سافرت .

أليكس : هل رأيتها ؟

ناتان : جاءت لتودعنا .

أليكس : هل طلبت منها أن تسافر ؟

ناتان : كلا .

[**صمت . أليكس يسير خطوات**]

أليكس : يجب قص هذا البستان . إنه ملىء بالحشائش . [**إلى إيديت**] هل يوجد مقص ؟

إيديت : تريد أن تقص البستان بالمقص ؟

أليكس : لا أستطيع أن أنظر إلى هذه الغابة دون أن أتذكر أبى وهو يختنق تحت... من الجنون أن ندفنه هنا... ألا تشعران أنتما بهذا الشعور ؟ أرى رأسه ومنخريه مليئة بالتراب ،

مع ضوضاء الطيور العالية ...

إيـــديـــت : كف عن ذلك ...

نـــاتـــان : المقص فى المخزن فوق المنضدة .

ألـيـكـس : [ملتفتا نحو إيديت] – عندى رغبة فى قطف بعض العوسج ، تصور . سأحضر المقص .

[ينصرف . لحظة]

أيـــديـــت : هل تتذكر باقات العوسج .

نـــاتـــان : هو يتذكر .

إيـــديـــت : ماذا أعد للعشاء ؟ لا يوجد شىء . يوجد علبة سردين ، وأرز ...

نـــاتـــان : عظيم جدا .

إيـــديـــت : هل تظن أنهم سيبقون هذا المساء ؟

نـــاتـــان : ليس عندى أى فكرة .

إيـــديـــت : هى متعبة جدا ...

نـــاتـــان : هى غريبة جدا ، مليئة بالحيوية ...

إيـــديـــت : هل تظن ذلك ؟

نـــاتـــان : نعم ... أنا أحبها .

[صمت]

إيـــديـــت : ساعدنى يا ناتان .

[إظــلام]

(٣)

[طريق ريفى . بيير وجوليين يسيران . خلعت معطفها الذى تحمله فوق ذراعها]

جـــــوليـين : لو كنت أعرف أن الحرارة ستكون بهذه الصورة، لارتديت المعطف الجابردين... اعترف أن هذا الجو غير متوقع على الأقل فى نوفمبر. على أية حال، لا أدرى لماذا ارتديت الحداد، شىء يثير السخرية ، أنا الوحيدة التى ارتدى السواد. ماذا نعمل هذا المساء ؟ هل سنبقى للعشاء فى رأيك ؟

بيـــيـــر : لا أعتقد أنه من الذوق أن نفرض أنفسنا .

جـــوليـــين : هل ترى بوسعك أن تواصل الطريق الليلة ؟ بصراحة يمكننا على الأقل أن نبقى للنوم .

بيـــيـــر : سنرى .

جـــوليـــين : هذا المنظر رتيب ! لا وجه للمقارنة مع نورماندیا . جميلة إيليزا ، أليس كذلك ؟

بيـــيـــر : متسيِّبة قليلا .

جـــوليـــين : متسيِّبة قليلا ، صحيح . هذه هى الموضة . توقف . فظيع أننى بمجرد أن أمشى خمسين مترا . ألهث وأختنق .

بيـــيـــر : شىء طبيعى ، لأنك لا تمارسين أى تمرينات .

جـــوليـــين : كلا ، كلا ، الأمر أخطر من ذلك ، عندى شىء فى القلب ، أنا متأكدة من ذلك . هات ، ضع يدك ... ليس هكذا ! ... **[ضحكة قصيرة]** بيير يتصنت على الطريق .

بيـــــيـــــر : [**يدخل يده تحت القميص**] كم شيئا تريدين ؟

جــوليـــين : ثلاثة ، بالإضــافــة إلى المعطف . ارتديت ســتــرة مـن الصــوف قـبل السـفر بالضبط .

بيـــــيـــــر : أنت تختنقين تحت كل هذه الملابس .

جــوليـــين : أختنق . إنها السترة الصوفية التي تخنقني .

بيـــــيـــــر : اخلعيها .

جـــــوليين : أين ؟ هنا ! ؟

بيـــــيـــــر : ستجد شجرة ...

جـــــوليين : هل ترى شجرة ؟

بيـــــيـــــر : إذا كانت لديك الشجاعة ، انزعيها في حقل الذرة ، وفي أثناء ذلك أقوم أنا بمراقبة الطريق .

جــوليـــين : وإذا رآني المزارع .

بيـــــيـــــر : لا يوجد أحد .

جــوليـــين : أنت لا تعرف المزارعين ، في ذات يوم ، عبر نيقولا حقلا لا أدري حقل ماذا ، وقد تبعه المزارع فوق جرّاره ! على العموم . لا تزعج نفسك ، لن تكون هناك مشكلة .

بيـــــيـــــر : نعود إذا شئت، فتخلعين هناك الصدرية الصوفية على الأقل.

جــوليـــين : تظن ؟... آه ، كلا ، أنا أشعر بالبرد في الذراعين . كلا ، كلا ، إنها القاتلة.

[**يستديران**]

جــوليـــين : هل كان متزوجا بهذه الفتاة ؟

بيـــــيـــــر : من ؟

جــولـيــين : أليكس .

بيــــيـــــر : كلا .

جــولـيــين : غريب أن ثلاثتهم غير متزوجين .

بيــــيـــــر : نعـم .

جــولـيــين : بالذات من هذا الجيل . شيء غير عادى .

ألــيــكــس : أنا تزوجتك وأنا في الثالثة والستين .

جــولـيــين : أنت لست مثالا ، انظر ، أليست هي التي هناك ؟

[بيير يلبس النظارة]

بيــــيـــــر : أوه ، أوه !

جــولـيــين : ماذا تفعل هناك ؟

بيــــيـــــر : ربما تعطلت السيارة .

[يتوجهان تلقاء إيليزا]

(٤)

[المكان الذى دفن فيه الأب]

[يظهر أليكس، يمسك فى إحدى يديه المقص وفى الأخرى ثلاث سيقان من العوسج الجاف الكستنائى اللون. ينظر إلى الأرض ، لحظة طويلة . وأخيرا يركع . لحظة]

ألــيــكــس : اسمع يا أبى . أنت مضطر لأن تستمع إلىَّ، فمنخراك الآن مليئان بالتراب، ولا تستطيع أن تصيح . الآن ، أنا

الذى أصيح وحدى ، ولن أكف عن الصياح . حينما أنظر إلى نفسى ، أشعر أننى عجوز صغير . أنا أصيح وأضطرب كالكلب الدوج ، شيء ما يقرصنى فى شفتى . وأنا فى سن الثانية عشرة صفعتنى لأننى كنت آكل فخذ دجاجة بيد واحدة . ودون سابق إنذار ، حتى لم تقل لى "كل بيديك الاثنتين" ، صفعتنى دون سابق إنذار . ولم يفتح أحد فمه، وصعدت أنا إلى حجرتى وبكيت طويلا. وجاء ناتان – لكنه كان قد فرغ من الآكل حينما جاء – وقال لى " هكذا هو ، لأن ماما ماتت " ، فأجبته قائلا : "دعنى وحدى ، فليمت هو الآخر ... "

[ظهر بيير . توقف على بعد أمتار ، فى صمت]

ألـيـكـس : أنت هنا ؟

بيـيـر : آسف ...

ألـيـكـس : جئت أنت أيضا للزيارة ؟

بيـيـر : أنا أطيع ساقيَّ العتيقتين . دفعتانى ، فاستسلمت لهما .

[صمت]

بيـيـر : هل هذه الزهور من أجله ؟

ألـيـكـس : كلا .

بيـيـر : هذا يذكرنى بأمك . كانت دائما تعمل باقات جميلة من العوسج ، فى الصيف .

ألـيـكـس : نعم .

بيـيـر : يؤسفنى أنهما لم يدفنا جنبا إلى جنب .

ألـــيـكـــس : أراد أن يكون هنا .

بيـــــيـــــر : أعرف .

ألـــيـكـــس : أنانية كبيرة .

بيـــــيـــــر : الضيعة كبيرة ، لست مضطرا للمجيء إلى هنا .

[بيير يجلس فوق جذع شجرة]

بيـــــيـــــر : ممكن أبقى ، أم أنك تفضل أن أذهب ؟

ألـــيـكـــس : كلا ، ابق .

[لحظة]

بيـــــيـــــر : كم عمرك الآن ؟

ألـــيـكـــس : ثلاثة وأربعون عاما .

بيـــــيـــــر : ثلاثة وأربعـون ... أنا شـاهدت مـولدك ، وأنت الآن في الثالثة والأربعين... وأنا في مثل عمرك ، كان كل شيء يبدو لي قد انتهى ، وولى ... نوع من الفردوس المستهلك .

ألـــيـكـــس : والآن لا ؟

بيـــــيـــــر : كلا ! ... كلا ، كلا ، الآن لا ...

ألـــيـكـــس : كم كان عمري أنا ؟

بيـــــيـــــر : حينما كنت في مثل عمرك ، كنت أنت في العشرين .

ألـــيـكـــس : كنت تعيش في نيويورك ...

بيـــــيـــــر : في بوسطون ... كنت مـغرما إلى درجة الجنون بإحدى الأمريكيات **[يضحك]** كان صدغاي منتفخين مثل سلطانيتي القهوة .

[أليكس يبتسم]

ألــيــكــس : أنا أذكر الأمريكية .

بيـــيـــر : هل رأيتها ؟

ألــيــكــس : كلا ، لكن " أمريكية " ، أو " أمريكانية " بيير ، كانت أسطورة في العائلة.

بيـــيـــر : تظن ؟ استمر ذلك ستة أشهر . وفي نهاية الستة أشهر سافرت إلى فلوريدا مع صاحب مصنع معجون أسنان .

ألــيــكــس : ولكنك بقيت طويلا في الولايات المتحدة .

بيـــيـــر : ثلاثة سنوات ... ولكن دون الأمريكية. كانت هناك أخريات، ولكن تلك كانت مختلفة ...

[لحظة قصيرة]

ألــيــكــس : كيف تفسر أن أبى لم يتزوج مرة أخرى ؟

بيـــيـــر : كان عنده ثلاثة أبناء . فلماذا كنت تريد أن يتزوج مرة أخرى ؟

ألــيــكــس : هل كانت له مغامرات ؟

بيـــيـــر : لم يصل إلى علمى . ممكن . **[لحظة]** مع مدام ناتّى ، ربما .

ألــيــكــس : مدام ناتّى ؟ مهذبة الأظفار ؟

بيـــيـــر : ليس عندى أى دليل ...

ألــيــكــس : مدام ناتّى !

بيـــيـــر : كانت جميلة جدا ، وجه مثلث لطيف . كان ناتان أيضا يشك في الأمر .

ألــيــكــس : حقا ؟

بيـــــيـــــر : من المؤكد أننا نخون بعضنا .

ألـــيـــكـــس : مدام ناتّي ...

بيـــــيـــــر : لعلمك ، أبوك لم يكن كثيرا الـ... لم يكن ذلك يمثل اهتماما أساسيا بالنسبة له . حينما ماتت " ليلا " ، كان في مثل سنك . أنا لم أشاهده في شبابه ، لكنه بعد ذلك كان يعطيني دائما الانطباع بنوع من الزهد .

ألـــيـــكـــس : الذى يستأثر بمهذبة الأظفار .

بيـــــيـــــر : كلا !... يعني ، ربما . أرجو ذلك !

[الاثنان ينظران في صمت إلى الأرض المغطاة حديثا]

[لحظة]

بيـــــيـــــر : لعلمك ، في مثل لحظات الحزن هـذه – ستقول إني أثير السخرية – ترد على شفتيَّ كلمات شاعرية ... بلاهة ، هه؟

ألـــيـــكـــس : كلا ...

بيـــــيـــــر : بلى ، بلاهة ...

[صمت]

ألـــيـــكـــس : تصور أغرب شيء ؟ ... أريد أن أطلب منه الغفران ... حينما كان مريضا ، كنت آتي وأجلس على فراشه ، لا أستطيع أن أجد الكلام ، وأردت مرة أن أمسك يده ، فحركها ليسوِّي الغطاء ... فلم ألح ... وقال لي " ماشي الحال في النقد ؟... " " نعم ... " " تقرأ كتبا جيدة " " ... كان ثمة مرارة في صوته ! ...

[صمت]

ألـــيــكـــس : هل تعتقد أنني سألقاه ؟... هل هذا يضحكك ؟

بيــــيـــــر : ماذا إذن ؟

بيــــيــــر : أبدا... هي طريقة في تعبير وجهك ذكرتني بشيء... ببعض تعبيرات وجهك وأنت صغير ... هذا كل ما فى الأمر .

ألـــيــكـــس : تقصـد أن فى مثل سنى لا توجه مثل هــذه الأسـئلة ، هو ذاك ؟

بيــــيــــر : كلا ، كلا ، أبدا .

ألـــيــكـــس : بلى . أنت تبتسم بطريقة فيها شفقة ، كأنما ...

بيــــيــــر : أبدا ، أبـدا . مطلقا ، أنا لا أبتسم بطريقة فيها ... أو لا ، أنا لم أبتسـم ، أنا " تنهدت " ، كمـا يقـال فى الأدب ... تنهدت وأنا أبتسم ... ثم إنك تغيظنى !

ألـــيــكـــس : ماذا قلت أنا ؟ أنا لم أقل شيئا .

بيــــيـــــر : وأنا أقول أى حاجة . سامحنى .

[صمت]

ألـــيــكـــس : أنت لم تجب عن سؤالى ...

بيــــيـــــر : هل تعتقد حقا أننى أستطيع أن أجيبك ؟

ألـــيــكـــس : أنت لديك فكرة . كل إنسان لديه فكرة .

بيــــيـــــر : فكرة ... نعم .

ألـــيــكـــس : إذن ؟

بيــــيــــر : أعتقـد أن السـؤال عـن لقـائه لن يطـرح بعـد فـترة ... هذه فكرة ...

ألـــيــكـــس : حينما أموت ؟

بيـــيـــر : أوه كلا ! قبل ذلك بكثير !

ألـــيـكـــس : ولكنني أريد أن تقول إنني سألقاه قريبا ! حاجة بسيطة، وواضحة ، أنا أريد أن تقولى لى : "نعم ، ستلقاه قريبا ." أنا أحتاج لهذا ! من الغريب أنك لا تفهمنى ! أنا أحتاج لهذا . قد يكون سخيفا ، لكننى أريد أن أسمع ، أريد أن يقال لى : " نعم ! ستلقاه ! "

[صمت]

بيـــيـــر : إننى أصرح لك بأننى فهمت تمام الفهم ...

ألـــيـكـــس : هل تعرف ماذا كان يقول لى دائما ، وأبداً ! بالإضافة إلى الفكرة التى كانت مسيطرة عليه بأن أعمل فى وزارة الخارجية ، كان يقول لى : "يجب أن تستقر ! " تلك كانت كلمته المفضلة : " تستقر " ... كيف يمكن مواجهة حياة تشبه هذه الكلمة ؟

بيـــيـــر : حينما تراه ، اسأله عن ذلك .

ألـــيـكـــس : نعم ... **[يحاول أن يبتسم]** لعلمك ، هذه الأمور كلها هى التى ينبغى توضيحها ، وإلا ...

بيـــيـــر : نعم .

ألـــيـكـــس : وإلا ... لم أكن أستطيع أن أقاومه . لم يكن يسمعنى ... أبدا ... لا أذكره مرة واحدة وهو يستمع لى دون ضيق ، دون تبرم ... بهدوء .

بيـــيـــر : نعم .

ألـــيـكـــس : إذا لم ألقه ... **[يصمت ، عاجزا عن المواصلة]** .

بيـــــيـــــر : أنت لست فى حاجة لأن تتكلم ...

ألـــيـكـــس : لا أستطيع أن أقنع نفسى بهذه الفكرة ، فمهما ظننت بى ، هذه الفكرة مستحيلة اليوم ...

بيـــــيـــــر : نعم ... مؤكد .

[صمت]

ألـــيـكـــس : أنت تتمتع بصبر أيوب ...

بيـــــيـــــر : صحيح ؟

ألـــيـكـــس : نعم . أنت تتمتع بصبر أيوب .

بيـــــيـــــر : حسنا .

[صمت]

بيـــــيـــــر : قبل قليل ، قابلنا إيليزا على الطريق ... سيارتها تعطلت . كانت المسكينة كالمجنونة . وقد عدنا إلى القرية على الأقدام . واتصلنا هاتفيا بكل مكان ، لا يوجد أى ميكانيكى يريد أن ينتقل يوم السبت من توسان .

ألـــيـكـــس : هل هى هنا ؟

بيـــــيـــــر : وأين تريد أن تكون ؟ لقد أعدناها معنا ، كانت تريد أن تجلس على كرسى فى محل البقالة في انتظار سيارة إصلاح من " جيان " لن تأتى أبدا .

ألـــيـكـــس : أنا لم أرها منذ ثلاث سنوات ...

بيـــــيـــــر : ثلاث سنوات ... كل هذه المدة ؟

ألـــيـكـــس : نعم .

بيـــــيـــــر : إيه نعم .

ألــيـكــس : لم أكن أتوقع أن ألقاها اليوم ...

بيــــيـــر : ربما ...

ألــيـكــس : كلا .

بيــــيـــر : أنت حتى لا تعرف ماذا كنت سأقول !

ألــيـكــس : بلى .

بيــــيـــر : إذن ، ماذا ؟

ألــيـكــس : هى لم تأت لمواساتى ، اطمئن . لم تأت من أجلى ... لقد جاءت احتراما للأعراف . احتراما للتقاليد البرجوازية .

بيــــيـــر : شىء سخيف .

ألــيـكــس : أليس كذلك ؟

بيــــيـــر : أنت السخيف !

[صمت]

ألــيـكــس : كيف يمكن أن تكون على هذه الدرجة من ...

بيــــيـــر : من ماذا ؟

ألــيـكــس : من التفاؤل .

بيــــيـــر : التفاؤل ... لا أعتقد أنك اخترت الكلمة المناسبة .

ألــيـكــس : أنت فهمت مقصدى . ترجم .

بيــــيـــر : أنت تريد أن تقول ، إننى أظهر فى الحياة نوعا من المزاج المعتدل ... نعم ... نعم ... ولكن حينما أموت ، لن يبكى أحد على قبرى البتّة .

[أليكس ينتحب]

[إظــلام]

(٥)

[فى مكان ما من الحديقة ، إيليزا و إيديت و جوليين تتنزهن]

جـــــوليـين : من الذى يقوم برعاية الضيعة ؟ بستانى ؟

إيــــديــت : لا أحد الآن . فيما مضى كان هناك بستانى . أما الآن ...

إيليـــــزا : أنا أحب هذه الناحية ، بعيدة عن الأنظار .

إيــــديــت : أنا أيضا . هذا هو الريف .

جـــــوليـين : عندكم بستان فاكهة وخضراوات كبير ، خسارة ألا تستفيدوا منه .

إيــــديــت : كنا دائما نستفيد منه . كان بابا يهتم به جدا .

جـــــوليـين : رائع أن يأكل المرء من ثمار بستانه الذى يرعاه بنفسه . أو من خضراواته. على أية حال الخضاروات هى الغالبة .

إيــــديــت : كان عندنا كرز وفراولة . لكن الفراولة لم تنجح كثيرا ، كانت مرة .

جـــــوليـين : أنا لا أحب الفراولة كثيرا إلا إذا كانت بالسكر مع سلطة الفواكه . إيديت : نعم .

[لحظة]

جـــــوليـين : كأننا فى الصيف حقا ! ارتديت صباح اليوم سترة من الصوف من باب الاحتياط ، ثم خلعتها عند عودتى ، فلم أستطع أن أتحملها .

إيـــديـــت : العشب جاف جدا ، فالمطر لم ينزل منذ أيام..
يمكن أن نجلس فوق العشب ، إذا أردت ؟

إيليـــــزا : فلنجلس .

جـــولـيـن : فلنجلس .

[تجلسان . لحظة]

إيـــديـــت : الشعر القصير لائق عليك جدا .

أيليـــــزا : صحيح ؟

إيـــديـــت : يجعل لك رقبة جميلة ، رقيقة جدا ...

إيليـــــزا : أنت لطيفة .

جـــولـيـن : هل كان شعرك طويلا ؟

إيليـــــزا : نعم .

إيـــديـــت : كانت لها ضفيرة تزحف خلفها .

إيليـــــزا : حينما قصصتها ، كنت كالصلعاء ، كنت أشبه ابن
السيدة فاشية . لم يكن مثل الآن .

إيـــديـــت : الآن جميل .

إيليـــــرا : نعم ، الآن معقول .

[صمت]

جـــولـيـن : بينما أنا أفكر في .. **[تفتش في حقيبتها]** هذه
هي الصدرية الصوفية . دسستها في حقيبتي وإلا كنت
سأنساها ... لا أظن أنك رأيتها ، لقد أحضرت لك صورة
لوالدك التقطت في سان جان في أثناء الزواج ...

ولكن أين هى؟ ... آه ، هاهى ذى ! **[تقدم الصورة لإيديت]** هى لك طبعـا . **[بصوت ملؤه الشجن]** أنا أجدها رائعة .

إيليـــــزا : جميلة جدا .

جـــــولين : أليس كذلك ؟ أجدها "حارّة" . "حارّة" هذه هى الكلمة ، أجدها مناسبة .

[إيديت تتأمل الصورة]

إيـــديـــت : ممكن أحتفظ بها ؟

جـــــولين : هى لك . لقد أحضرتها خصيصا .

إيـــديـــت : كأنه ناتان . التعبير .

إيليـــــزا : الابتسامة ، نعم ...

[لحظة]

إيليـــــزا : كان ذلك خلال زواجكما ؟

جـــــولين : نعم . قبل عامين . التاريخ خلف الصورة ... أنا دائما أسجل التاريخ على الصور ، وإلا لما عرفنا متى ولا أين .

إيليـــــزا : على العموم ، لا يمكن أن تنسى تاريخ زواجك .

جـــــولين : من يدرى ؟ لا طبعا . لكنها عادة عندى ، أسجل التاريخ على جميع أوراقى . المستندات ، الصور ، الإيصالات ، حتى البطاقات البريدية !

إيليـــــزا : هل عندك ألبوم ؟

جـــــولين : للبطاقات البريدية ؟ كلا !

إيليـــــزا : للصور .

جـــــولين : نعم ، طبعا . وأنت أليس عندك ؟

إيليـــــزا : كلا .

جـــــوليين : ولا أنت ؟

إيـــديـــت : بلى ...

جـــــوليين : أنا عندى خمسة ألبومات أو ستة. الأبناء ، والأحفاد ... هذه عقليتى ، عقلية النملة المحافظة .

[يبتسم . لحظة]

إيـــديـــت : أما زلت تقابلين زوجك الأول ، يا جوليين ؟

جـــــوليين : الأول مات ، المسكين ، بسكتة قلبية وهو فى الخامسة والثلاثين .

إيـــديـــت : سامحينى ، لم أكن أعرف ذلك على الإطلاق .

جـــــوليين : لا تعتذرى ، فأنت لم يكن من الممكن أن تعرفى ذلك . ثم تزوجت من طبيب أسنان وتطلقنا قبل ثمانى سنوات . لكننا ظللنا على علاقة طيبة ، ونتقابل من آن لآخر . بل وحينما تزوجت من بيير ، أرسل لى برقية تهنئة!

إيليـــــزا : ثلاثة أزواج . لقد تعبت من أجلنا ، لو جاز لى التعبير !

جـــــوليين : فى يوم عيد ميلادى الثامن عشر ، تنبأت لى منجمة بارعة بأننى سأدخل الدير . لم أكن جميلة جدا . ولكن على أية حال ! وحينئذ ألقيت بنفسى فى معركة التحدى والمقاومة .

إيليـــــزا : وانتصرت ...

جـــــوليين : **[متواضعة]** فى النهاية ، نعم .

[صمت]

[إيديت تتطلع بعيدا ، يغشاها ألم دفين . إيليزا وجولين ترقبانها خلسة دون أن تجرؤا على الكلام]

إيـــديـــت : حينما كنت صغيرة ، كنت أعمل عقوداً من الزهور . وتيجانا من الزهور فوق رأسي ... في الربيع ، كانت الأرض هنا تغطى بالعقود والتيجان .

إيليـــــزا : أما زلت تقابلين جان ؟

إيـــديـــت : يعنى ... أنا أتحدث عن الزهور وأنت تفكرين في جان ؟

إيليـــــزا : **[مبتسمة]** كلا ...

إيـــديـــت : حبيبى الخالد ...

[لحظة]

إيـــديـــت : تعرفين ماذا كان بابا يقول لي : " الشيء الذى نجحت فيه فعلا فى حياتك ، العمل الوحيد الذى يحق لك أن تفخرى به ، هو أنك لم تتزوجى جان ! "... كان يسميه السيد تسى تسى ... **[تبتسم]** ! كان غباءً ! كان غباءً بحيث كنت بعد لحظة أضحك رغماً عنى ... **[تضحك رغما عنها]** ! "ادعى السيد تسى تسى ، فسيسلينا ! "

[تضحك . جوليت وإيليزا وجولين تقلدانها]

إيـــديـــت : مات بابا ، وبقى لى جان . وجان سافر إلى لندن ... وأنا صرت تفاحة قديمة جفت .

[صمت]

جـــولـيـن : إذا كنت أنت تفاحة قديمة جفت ، فماذا أقول أنا ! ...

إيـــديـــت : أنت عندك أبنـاء ، وعندك أحفاد ، وعندك زوج ، وأسرة ... وتتزينين وترتدين الثياب ...

جـــولـيـن : لا شيء يمنعك من أن تتزيني وترتدي الثياب !

إيـــديـــت : لمن ؟

جـــولـيـن : ليس لأحد . لجميع الناس ... لنفسك .

إيـــديـــت : وددت لو كان ذلك لشخص معين ، أتجمل لشخص معين ... وأرتدي الثياب ، وهذا الشخص سيظهر بعد ذلك !... **[لإيليزا]** هل أنا أقول كلاما فارغا ، يا آنسة ؟

إيليـــزا : كلا ...

إيـــديـــت : عرفت رجلا . ذات يوم ... رئيسي في العمل . رجل عادي جدا ... وذات مساء ، انتظرته بجوار سيارته ، وقلت له "أريد أن أبقى معك هذه الليلة"... فقال: "هذه الليلة كلها ؟" فقلت " نعم " ... **[لحظة]** لم أكن متزينة ولا أي شيء ... كنت كما أنا الآن ...

[صمت]

إيليـــزا : وبعد ؟

إيـــديـــت : لا أعرف لماذا أحكي لكم هذا .

إيليـــزا : ومع ذلك احكي ...

إيـــديـــت : ذهبنا إلى شقته . وقدم لي كأسا وانتهى كل شيء .

[صمت]

إيليـــزا : هل قابلته بعد ذلك ؟

إيـــديـــت : في المكتب . لا أكثر . بعد ذلك سافر .

[صمت]

إيـــديـــت : في التاسعة والثلاثين ... كنت في التاسعة والثلاثين من عمـري ، ولم أكـن أعرف شيئا ... لو كان هذا الرجل نظر إليَّ ، كان من الممكن أن أكون أكثر رقة وأنوثة ...

[صمت]

إيـــديـــت : في أثناء الجنازة، صباح اليوم - هذه الذكرى تسيطر على اليوم - تصـورت أنه ظهر خلف شـجرة ... وظل قليلا على حدة وهو لا يحوِّل نظره عني... النساء جميعهن يروين الحكايات نفسها. لا توجد أية ميتافيزيقيا في هذا الموضوع ...

إيليـــــزا : هل أنت متأكدة ؟ ...

[لحظة قصيرة]

إيـــديـــت : لماذا جئت أنت ؟

إيليـــــزا : أنت تعرفين .

إيـــديـــت : كلا .

إيليـــــزا : ليكن ...

إيـــديـــت : حينما رأيتك تحضرين ، تصورت أنك مجنونة ...

إيليـــــزا : هل ما زلت تتصورين ذلك ؟

إيـــديـــت : نعم ...

إيليـــــزا : إذن ، لماذا تسألينني ؟

إيـــديـــت : [مخاطبة جولبين التي تحاول أن تبدو طبيعية بالرغم من ضيقها وعدم فهمها المتزايد] هذه المرأة ، يا عزيزتي جولبين ، أصابت أخويَّ بالجنون.

إيليــــزا : لا تبالغى .

إيـــديـــت : مولعين بالحب ، إذا شئت ! ... دعك من هذا الأسلوب .
أنا لست عمياء ، كما تعرفين ...

إيليــــزا : أنت مخطئة. وددت لو أنك على صواب، لكنك على خطأ...
[مخاطبة جوليين] . لو سمحت يا سيدتى ، سأوضح الأمر لك : كل ما هناك أننى عشت مع أليكس ، فى حين أننى "متيَّمة بحب" ناتان . هذا هو الموضوع ... ستعرفين أن الأمر مختلف .
[جوليين تبتسم بأدب]

إيـــديـــت : هل كنت عشيقته ؟

إيليــــزا : ليلة ...

إيـــديـــت : وهل أليكس يعرف ؟

إيليــــزا : كلا ، لا أعتقد ... ليلة حب وفراق ... **[تبتسم]** كما حدث بينك وبين رئيس المكتب ... وأنت ، أليس لديك ليال تروينها لنا يا جوليين ؟ هل أستطيع أن أدعوك جوليين ؟

جـــوليين : كلا... نعم ، تستطيعين طبعا أن تدعونى جوليين... ولكن ليس عندى ليال ... يعنى ليس عندى ليال أو ... عندى ليالٍ بطبيعة الحال ، لكن ليس عندى ليالٍ من هذا النوع ... أنا أعبر بطريقة سيئة للغاية .
[تخرج منديلا وهى مضطربة للغاية]

إيـــديـــت : نحن فى منتهى السفالة معك .

جـــوليين : أوه كلا . مطلقا .

إيليـــــزا : هي على حق . سامحيني .

جــــولين : عفوا ، ليس هناك ما يدعو لذلك . أنا لست بعد في موقف السيارات العتيقة، حتى لو كان ذلك يبدو على مظهري .

إيليـــــزا : ليس هذا ما قصدت إليه ! ثم إنك لا تتركين هذا الانطباع مطلقا .

جــــولين : كنت أفرح . **[لحظة قصيرة]** وددت يا إيديت أن أقول تعليقا بسيطا ، مع أن موقفي كمستمعة غير متعمدة قد لا يسمح لي بهذا الخاطر، لكنني أجد أنه من الطبيعي جدا ، في يوم كهذا ، أن نتعلق بذكريات معينة . "نتعلَّق" كلمة سيئة ، ليست هي الكلمة التي أردت أن أقولها ... ماذا نقول حينما يصطدم شخص ... يرتطم ؟

إيـــديــت : لقد ارتحت لأنك أثرت هذا الموضوع . والآن لم أعد أفكر فيه بالمرة .

[صمت]

[يظهر ناتان ، يحمل في يده سلة مشتريات يظهر منها جزر وسيقان بعض الخضروات . يتوقف ويسجل لحظة قصيرة مندهشا]

نـــاتـــان : أنت رجعت ؟

إيليـــــزا : سيارتي أصابها عطل . المفروض أن يأتي من سيصلحها الساعة السادسة. ألم ترها ؟

نـــاتـــان : لم أتخذ هذا الطريق، فأنا قادم من "دامبيير". ماذا بها ؟

إيليـــــزا : تسألني أنا ؟

نـــاتـــان : هل تحبين أن ألقى عليها نظرة ؟

إيليـــزا : تفهم فى الموضوع ؟

نـــاتـــان : كلا . مطلقا .

إيليـــزا : البقال يقول علبة الأوتوماتيك

نـــاتـــان : **[بابتسامة]** السيد فاشية خبير !... لقد أحضرت ما يكفى لإعداد حساء خضار باللحم، تفضلن معى أيتها النسوة .

[ينصرف خلف ناتان]

[إظـلام]

(٦)

[الشـرفـة]

[يظهر ناتان ومن ورائه مباشرة إيديت وجولين وإيليزا . يضع السلة ويفرغ ما فيها فوق المنضدة]

نـــاتـــان : جزر ولحم وعظم بالنخاع وبقدونس وطماطم ...

إيـــديـــت : لا يوضع الطماطم فى حساء الخضار .

نـــاتـــان : نضعه مرة ... ومخلل وبطاطس ولفت ! هذا يكفى ؟ أرجو أن تبقوا للعشاء ؟

جـــوليـن : بكل سرور ، إذا لم يكن بيير يرى عكس ذلك .

نـــاتـــان : أين هو ؟

جـــــوليـين : ذهب إلي مكان ما مع أخيك على ما أظن . يمكنني أن أقشِّر الخضار إذا أردتم ؟

نــــاتـــــان : يمكننا أن نقشره هنا معا ، أليس كذلك ؟ فلنستغل وجود الشمس .

إيــــديـــت : وأنا سأقطع اللحم . سأحضر السكاكين .

[تخرج حاملة اللحم والبقدونس ووعاء المخلل]

نــــاتـــــان : **[مخاطبا إيليزا]** هل ستبقين ؟

إيليـــــــزا : كلا .

نــــاتـــــان : لا تكوني حمقاء ، كيف تسافرين ؟

إيليـــــــزا : لا أعرف . إذا كانت السيارة معطلة فعلا . فسآخذ القطار . لابد أن يكون هناك قطار في " جيان " .

جـــــوليـين : أبقي ، وسنوصلك .

إيليـــــــزا : لا أعتقد ، متشكرة .

نــــاتـــــان : على أية حال ستساعديننا في التقشير ؟

إيليـــــــزا : **[تبتسم]** . طبعا ... لقد اشتريت ما يكفي فرقة بأكملها .

نــــاتـــــان : ليست عندي أية فكرة عن الكميات ... لقد طلبت من المرأة البائعة أن تعطيني كل ما يجب من أجل إعداد الحساء ، وهي التي وضعت الطماطم . ألا يوضع الطماطم في الحساء ؟

إيليـــــــزا : من حيث المبدأ ، لا .

جـــــوليـين : ممكن نعمل كمية صغيرة من السلاطة ، تكون لطيفة .

نــــاتـــــان : هكذا .

[تصل إيديت حاملة أوراق صحف ، وسكاكين ومصفاة . تضع الكل فوق المنضدة بجوار الخضار]

إيـــديـــت : سأضع الماء ليغلي ، ثم أعود .

[تتصرف]

[إيليزا وناتان وجوليين يفرشون الأوراق فوق المنضدة ويجلسون ويبدءون في التقشير]

جـــوليـين : أليس عندكم مقشرة ؟ على العموم سكين عادي ممكن يؤدي الغرض ، وبسرعة أيضا .

نـــاتـــان : هل تحبين أن أذهب لأرى ؟

جـــوليـين : كلا . كلا . لا تزعج نفسك . هذه عملية بسيطة . أنا سأتصرف .

[يظهر بيير يتبعه أليكس]

بيـــيـــر : ماذا أرى ! ماذا أرى !

جـــوليـين : هل تساعدنا يا عزيزي ؟

بيـــيـــر : معقول ؟

ألـــيـكـس : ما هذا ؟

نـــاتـــان : حساء .

[بيير يجلس إلى المنضدة . أليكس يظل واقفا ، جامدا]

بيـــيـــر : **[مخاطبا إيليزا]** أنا رهيب في مثل هذه الأعمال .

ألـــيـكـس : **[مخاطبا إيليزا]** سيارتك معطلة ؟

إيليـــزا : نعم .

ألـــيـكـس : هل استدعيت ميكانيكيا ؟

إيليـــــزا : نعم ... سيأتى حوالى الساعة السادسة .

ألـــيـكـــس : ماذا بها ؟

نـــاتـــان : السيد فاشيه يقول علبة الأوتوماتيك .

ألـــيـكـــس : آه ، حسنا ... أنت عندك أوتوماتيك ؟

إيليـــــزا : **[تبتسم]** – نعم ...

ألـــيـكـــس : حسنا ، هذا يكون عمليا فى المدينة ، هه ؟

إيليـــــزا : نعم ...

ألـــيـكـــس : عملى . جيد ... **[لحظة]** وأين إيديت ؟

نـــاتـــان : فى المطبخ . ستأتى الآن .

ألـــيـكـــس : طيب ... فلنقشر !...

[يجلس إلى المنضدة ويمسك لفتة]

[صمت . تصل إيديت]

إيـــديـــت : آه ، كلكم هنا ؟

بيـــيـــر : أنا شخصيا أراقب فقط .

إيـــديـــت : ممكن تعطينى مكانا بجوارك فى الشمس ؟

بيـــيـــر : تعالى ، تعالى ، تعالى !

جـــوليـين : أنا أردِّد منذ الصباح ، لم أر مثل هذا الجو فى نوفمبر .

ألـــيـكـــس : هذه اللفتة عفنة .

جـــوليـين : يجب أن أعترف بأن اللفت ليس ممتازا **[إلى ناتان]** أنت لست مسئولا عن ذلك !

نـــاتـــان : مؤكد أننى لا أشعر بأننى مسئول فعلا .

جـــوليـين : على أية حال أنت تقوم بهذا العمل كمحترف حقيقى .

نـــــاتـــــان : تعتقدين ذلك ؟

ألــيــكــس : أخي محترف كبير ، يا جوليين ، في كل شيء ، وفي كل مادة . إنه ما يمكن أن أطلق عليه النموذج الكامل للمحترف .

نـــــاتـــــان : طبعا هذا ليس مديحا كما تفهمون .

ألــيــكــس : لماذا ؟ هذا مديح ... **[يأخذ لقمة أخرى]** الكلمات وحدها هي التي تتغير مع الزمن... حينما كنت طفلا ، كان جميع أبطالي يشبهون ناتان : سندباد، دارتانيان ، توم سوير ، أفضلهم عندي كان ناتان ... ناتان الساطع، الذي لا يقهر، المثالي بين جميع النماذج ... عفنة هذه الأخرى . **[يلقي باللقمة ويأخذ حبة بطاطس]** في سن العاشرة كان يعزف كونشيرتو بيانو في حجرة الاستقبال . كانت الأسرة كلها تنصت إليه في خشوع ديني .

جـــــولـيـين : هل ما زلت تعزف ؟

نـــــاتـــــان : مازلت أعزف . لكنني لا أعزف في حفلات .

ألــيــكــس : نعم... هذه خسارة. أنا كنت في وقت ما أعزف على الناي... **[ضحكات]**

ألــيــكــس : كلا ، كلا ، هذا صحيح ! على " ألكينا " ، وهو نوع من البامبو المجوف له فتحات ، اشتريته في المترو .

إيــــديــــت : لا أذكر أنني سمعتك تعزف .

ألــيــكــس : صحيح ؟ ولا حتى أنا ، تصوري . لم أستطع أن أخرج صوتا واحدا .

بيـــيـــر : أهذا هو الذى تسميه عزفًا على الناى ؟

ألـــيـكـس : بلا مـشكلة . تضع إسطوانة من نوع مـاشـو كـامبـوس وتعـزف معهـم أمـام المرآة .

نـــاتـــان : بالبنش الأحمر ...

ألـــيـكـس : نعـم وبغطـاء الرأس ذى الثقبين الذى كـان يليـق علىَّ جدا ... بابا قاد أكبر أوركسترات العالم بهذه الطريقة .

إيليـــزا : بالبنش ؟

ألـــيـكـس : كلا . بالمنامة ... أخبرونى ، هل الخضراوات تتقلص فى الغليان ؟ عندنا هنا ما يكفى لستة أشهر !

إيـــديـــت : ليس من الضرورى أن نضع كل شىء .

ألـــيـكـس : ستبقى على العشاء ؟ أقصد ستبقى هذه الليلة ؟

بيـــيـــر : إذا وافق الجميع ، أفضل أن أسافر صباح الغد .

إيـــديـــت : غرفتك جاهزة ، يمكنك حتى أن تبقى إلى يوم الاثنين .

بيـــيـــر : لا ، لا ...

جـــولـيـن : لم أحضر معى فرشاة أسنان ولا قميصًا للنوم .

بيـــيـــر : حاجة شيك ؟

جـــولـيـن : اسمع !...

نـــاتـــان : ستجدين كل ما تريدين هنا .

جـــولـيـن : شكرا جزيلا .

إيليـــزا : يجب أن أتصل هاتفيا بمحطة السكك الحديدية .

إيـــديـــت : اليوم السبت ... هناك قطار الساعة الثامنة .

نـــاتـــان : سأرافقك .

إيليـــــزا : شكرا ...

إيـــديـــت : ستوب ! هذا يكفى . لا داعى لتقشير الباقى ، فلا أعرف ماذا سأصنع به لو قشر .

[تنهض وتشرع فى رفع الأشياء . إيليزا وجوليين وبيير يقلدونها . ناتان يغادر المنضدة ويبتعد ليدخن سيجارة . أليكس وحده يبقى جالسا]

جـــوليـين : **[مخاطبا ناتان]** هل تعرف ماذا نسيت ؟ ولكن لا أهمية لذلك : بصلة !

نـــاتـــان : آه فعلا . آسف .

جـــوليـين : أنا أمزح معك . ولكنها تعطى نكهة لطيفة .

نـــاتـــان : نعم ، نعم .

[ذهاب وإياب . يختفون حاملين الخضراوات والمقشرة إلى الداخل . يظل أليكس وناتان . لحظة]

ألـــيـكـــس : " تعطى نكهة لطيفة ! "

[تظهر إيديت من جديد لتأخذ ما تبقى من الأوعية]

نـــاتـــان : ألم تعودوا بحاجة لى ؟

إيـــديـــت : كلا ، كلا ، ليس هناك ما يجب عمله ...

[تأخذ السكين وحبة البطاطس وكان أليكس ما يزال ممسكا بهما ، ثم تخرج . ناتان يبتعد فى الحديقة . أليكس وحده .

[إظــلام]

(٧)

[المكان المدفون فيه الأب. ناتان واقف جامد يداه فى جيبه. على الأرض توجد سيقان العوسج ، وعلى مقربة المقص]

[دون ضوضاء تظهر إيليزا كأنها لا تجرؤ على الاقتراب. لحظة طويلة قبل أن يتكلم]

نــــاتــــان : قبل أسبوعين ، ذهبت إلى غرفته ، لم يكن يستطيع أن ينهض.. طلب منى أن أحضر له الإلكتروفون **[جهاز الشحنات الكهربية]** ومكبرات الصوت، هكذا كان تعبيره.. وقد وصَّلت كل شىء بجوار فراشه . كان يريد الاستماع إلى السوناتا قبل الأخيرة لبيتهوفن ، جزءًا منها بالذات ... وقد استمعنا إليها فى صمت. كان قد وضع إصبعه حتى لا أتكلم . كنت جالسا فوق الفراش . وحينما توقفت الأسطوانة ، قال لى : " وأنا مقتنع أننا سوف نلتقى "فسألته" من ؟ "فقال بيتهوفن، العبقرية المثالية ، الرجل الذى يهدى إليك هذا الإيحاء، لا تتصور مع ذلك أنه مات!" على العكس من أليكس ، أنا سعيد جدا لأنه دفن هنا .

[صمت]

إيليــــزا : من الذى أخذ هذا القرار ؟

نــــاتــــان : هو نفسه . كان لا يريد المدفن ، ولا الجنازة ... ومنذ خرج إلى المعاش كان يسكن هنا .

إيليـــــزا : وحتى وهو مريض ؟

نـــاتـــان : نعم ، كانت معه ممرضة طول الوقت .

[لحظة]

إيليـــــزا : وأليكس ؟

نـــاتـــان : كان معه ؟

نـــاتـــان : كان يأتى في المساء ... على مضض فى أغلب الأحيان ، المسكين كان يحضر كتبًا حينما أصبح بابا عاجزا عن القراءة ، واستقر هنا فى الأيام الأخيرة ، حينما أصبح بابا لا يتعرف على أحد ... أنت تغيرت .

إيليـــــزا : تقدمت في السن .

نـــاتـــان : كلا ، نعم ، ربما .

[صمت]

إيليـــــزا : أ ما تزال فى " نانتر " ؟

نـــاتـــان : كلا . لقد سجلت فى مكتب باريس .

إيليـــــزا : حسنا .

[لحظة]

نـــاتـــان : وأنت ؟

إيليـــــزا : لا جديد .

نـــاتـــان : يعنى ؟

إيليـــــزا : لا شيء ... حياتى لم تتغير .

[لحظة]

نـــاتـــان : ما تزالين تسكنين في آخر الدنيا ؟

إيليــــزا : نعم .

نـــاتـــان : شارع سان بيرنار .

إيليــــزا : نعم .

نـــاتـــان : سكن مناسب ...

[تبتسم]

نـــاتـــان : لطيف منك ما قلته لى قبل قليل

إيليــــزا : شكرا للكلمة ...

نـــاتـــان : ماذا تريدين أن أقول ؟

إيليــــزا : لا شىء ...

نـــاتـــان : سيارتك تعطلت كما يحدث فى الروايات .

إيليــــزا : أقسم لك أن هذا صحيح .

نـــاتـــان : ولكننى أصدقك . فى رأيى ، أنه هو من فوق السماوات السبع . الذى دبَّر هذا الأمر فى المحرك .

إيليــــزا : دعك من هذا الكلام الفارغ .

نـــاتـــان : أبدا . لقد صنع ذلك ليلقى السرور فى نفسى .

[لحظة]

إيليــــزا : هل يسرك أن أكون هنا ؟

نـــاتـــان : ما رأيك أنت ؟ ... أليكس نسى المقص ...

[صمت . ناتان يرفع المقص ويضعه فى جيبه]

نـــاتـــان : لماذا جئت ؟

إيليــــزا : الآن ؟

نـــاتـــان : اليوم .

إيليــــــزا : بل سلنى كيف تمكنت مـن المجىء . لم أعمـل فـى حياتـى شيئا ضـد العقل مثل هذا .

[صمت]

إيليــــــزا : هل تريد أن أتركك ؟

نـــاتـــان : كلا، لا أريد أن تتركينى ... **[لحظة]** . أنت أصبحت محرَّمة أكثر من أى وقت مضى ، يا إيليزا . لكن اليوم لا أريد أن تتركينى ... **[لحظة]** أنت تعرفين فيما أفكر ؟ عمل ضدَّ العقل ... إننى أريدك هنا فوق القبر ... أطرد ألما بألم آخر.

[تقترب منه كثيرا]

إيليــــــزا : وددت أن أكون ألمك ، يا ناتان .

[يعانقها بعاطفة ويبدأ فى نزع ملابسها]

[إظـلام]

(٨)

[الشـرفـة]

[أليكس ما يزال جالسا إلى المائدة . تظهر جـوليين ، على عجل]

جـــوليـين : أين إيليزا ؟

ألـيـكـس : تلاطف أخى .

جـــوليـين : عفوا ؟ !

ألـيكـس : تلاطف أخي .

جـوليـن : لا أفهم .

ألـيكـس : بل أنت فهمت جيدا يا جولين . أنت لست صماء .

جـوليين : ولكن أين ؟

ألـيكـس : آه ! آه ! آه !... أنا أعشق هذا السؤال ! آه ! آه !... ومع ذلك فأنت متعجلة جدا .

جـوليين : ليس هذا ما قصدت إلى قوله !... أردت أن أقول إنك هنا ... وبما أنك هنا وأنني أخرج من المنزل ... أوه أسكت !

[تتصرف منفعلة جدا . تصل إيديت]

إيـديـت : أين إيليزا ؟

ألـيكـس : ليس عندى فكرة .

إيـديـت : ألم ترها تخرج ؟

ألـيكـس : بلى ، لقد مضت من هنا ...

إيـديـت : بيير على الهاتف مع الميكانيكى . يقول إنه لا يستطيع أن يأتى قبل صباح الاثنين .

[أليكس يهز كتفيه]

إيـديـت : ماذا نفعل ؟

ألـيكـس : استدعوا آخر ...

إيـديـت : هذا هو الوحيد الذى يستطيع . على أية حال ، لا أحد يقوم بأى إصلاح يوم الأحد ! ... ماذا نفعل ؟ هل نوافق على يوم الاثنين ؟ وإذا سافرت مساء غد ، فلمن تترك المفاتيح ؟

ألـيكـس : افعلى ما تريدين ، أنا خارج عن الموضوع تماما .

إيـديـت : يمكن أن نتركها مع فاشيه ، فهو يعرف مكان السيارة .
ألا يقفل صباح الاثنين ؟

ألـيكـس : لا أعرف شيئا . ولا يهمنى ذلك .

إيـديـت : شكرا لمساعدتك .

[تنصرف]

ألـيكـس : بإمكانها أن تدبّر حالها بمفردها ؟ !... تزعجنا بسيارتها القديمة العفنة !!!

[يبقى لحظةً جالسا وحده . ثم ينهض ، يدور حول نفسه ثم يتقدم عدة خطوات فى اتجاه الغابة]

[يظهر بيير]

بـيـيـر : إلى أين ؟

ألـيكـس : هيم ؟!

بـيـيـر : ستمطر .

ألـيكـس : هل تعتقد ؟ نعم ...

بـيـيـر : الجو صاعق . لذلك كانت هذه الحرارة الشديدة .

ألـيكـس : نعم ...

[لحظة]

بـيـيـر : هل تريد سيجاريللو ؟

ألــيــكــس : أنت تدخن السيجاريللو ؟

بيــــيـــر : مرة كل ستة أشهر ... **[يقدم العلبة إلى أليكس الذى يأخذ منها واحدة]** هدية من بوابة بيتى . سيجاريللو إسبانى ، هل تحب هذا ؟ **[أليكس يسعل]** قوية ، أليس كذلك ؟

ألــيــكــس : **[يسعل ويضحك]** مقرفة !

بيــــيـــر : نعم .

ألــيــكــس : مثل الـ ...

بيــــيـــر : جبن البون ديفيك ... نتعوَّد عليها ...

ألــيــكــس : متى ستسافر ؟

بيــــيـــر : صباح غد . هل هذا يضايقك ؟

ألــيــكــس : كلا ، كلا ... هل تعرف شيئا أكثر حزنا من الريف فى الخريف؟... السكون... لا شىء يتحرك ... أنا أكره الريف ... لو كان الأمر يقتصر علىَّ ، لبعت كل شىء ... غدا .

[يتمشى وهو يدخن . بيير يبقى جامدا]

ألــيــكــس : ناتان يعشق الريف .

بيــــيـــر : أنت تظلم ناتان كثيرا .

ألــيــكــس : لماذا ؟ لأننى أقول إنه يحب الريف ؟

بيــــيـــر : ليس هذا فقط ...

ألــيــكــس : هل هذا عيب فى رأيك ؟

بيــــيـــر : فى رأيى ، لا .

ألــيــكــس : ناتان يتنزه ، يمشى وحده ساعات وساعات ... **[لحظة]** يتأمل بين الأشجار ...

بيـــــيـــــر : بينما أنت تختنق فى اضطرابات دوامة الحياة ...

[اليكس يبتسم . لحظة قصيرة]

بيـــــيـــــر : كل ما تسيء أنت عمله، هو يحسن عمله... كل ما لا تحبه، هو يرضى به ... من يسمعك ، يجد أنه أفضل إنسان فى الوجود ، وأقل الناس إنسانية ...

ألـــيـكـــس : أقل إنسانية ؛ كلا ...

بيـــــيـــــر : نعم . موهوب ، عميق ، ثابت لا يتزعزع ... إن مديحك ، مديح الأفعى السامة ذات الجرس ... لا أحد يقاوم ذلك ، صدقني ...

ألـــيـكـــس : **[بعد لحظة وكأنه يسترد أنفاسه]** أنت عنيف جدا يا بييرو . ولكنك لا تدرك معنى ما تقول ...

بيـــــيـــــر : كالعادة ، أنت تعرف جيدا ... هل تشعر بالبرد ؟

ألـــيـكـــس : أكاد أتجمد من البرد .

بيـــــيـــــر : هل تحب أن نرجع ؟

ألـــيـكـــس : كلا .

[صمت]

ألـــيـكـــس : قبل ثلاث سنوات . تركتني إيليزا . الجميع اعتقدوا فى ذلك الوقت أنني أبله . أبله ، أعمى . أما هو فقد فعل كل شيء حتى لا يراها . حبا لى ، على ما أعتقد ... ابتعد ... كما عزف عن الموسيقى وكما عزف عن الشهرة ، والجنون الذى كان به ، وبطولته ... أنا لم أحب فى حياتى أحداً مثله . لو مات ناتان ، لا يمكن أن تتصور كيف ستكون

وحدتي ... ربما وجدته اليوم ... مرة أخرى هو لا يقول
شيئا . خرج ليتسوّق للعشاء ... وعاد حاملا طنًا من
الخضراوات وبدأ الجميع يقشرون في الشمس بسببه ،
بسببه هو فقط ...

[تظهر إيديت . صمت]

ألـيـكـس : ماشي الحال ؟

أيـديـت : نعم ... **[لحظة]** عمَّن كنتما تتحادثان ؟

بيـيـر : عن ناتان .

إيـديـت : ماذا كنتما تقولان ؟

ألـيـكـس : أنت أيضا تحبين الريف ؟

إيـديـت : سؤال غريب !

ألـيـكـس : ألا ترين أنه حزين ؟

إيـديـت : اليوم ، ربما .

بيـيـر : مع هذا النور المفاجئ ...

إيـديـت : سينزل المطر بعد قليل .

بيـيـر : هذا بالضبط ما كنا نقوله .

إيـديـت : كن لطيفا ، لا تحاول أن تعاملني على أنني بلهاء .

بيـيـر : لماذا ؟ هذا صحيح . هذا بالضبط ما كنا نقوله .

[لحظة]

ألـيـكـس : هل سوَّيتم موضوع السيارة هذا ؟

بيـيـر : نعم.. قلت للرجل أن يأتي يوم الاثنين. ماذا تصنع زوجتي؟

إيـديـت : تشاهد التلفزيون .

بيـــــيـــــر : وماذا يعرضون ؟

إيـــديـــت : لست أدرى . منوعات . لست أدرى .

بيـــــيـــــر : حسنا ... لم أكن أعرف أن عندكم تليفزيوناً هنا أيضا ، هل هو جديد ؟

إيـــديـــت : من سنة ونصف تقريبا . أحضرناه من أجل بابا .

بيـــــيـــــر : آه ! نعم ، طبعا ...

[صمت]

إيـــديـــت : وضعت كل شيء على النار . وضعت كل شيء في ثلاثة قدور . سنأكل الباقى غدا ... ممكن سيجارة ؟

ألـــيـكـــس : لا أنصحك .

إيـــديـــت : لماذا ؟

بيـــــيـــــر : لا تسمعى له . **[يقدم العلبة إلى إيديت]** خذى .

إيـــديـــت : ليست جيدة ؟

ألـــيـكـــس : هى " غير عادية " .

إيـــديـــت : **[تدخن]** – لا بأس بها .

[ينظران إليها وهى تدخن]

إيـــديـــت : لا تنظران إلىّ هكذا . **[تضحك]** أشعر كأنكما أعطيتمانى سما وتنتظران أن أموت !

ألـــيـكـــس : أنت لست بعيدة جدا ...

[يظهر ناتان ومن ورائه إيليزا . يمسك المقص وسيقان العوسج التى قطعها أليكس]

[صمت]

ألــيــكــس : نزهة جميلة ؟

نـــاتـــان : أنت الذى قصصت هذه السيقان ؟

ألــيــكــس : كان بإمكانى أن أتركها عامداً ...

نـــاتـــان : والمقص أيضا ؟ ... فى غمرة الشك ، أخذت كل شىء .

[لحظة قصيرة]

ألــيــكــس : **[مخاطبا إيليزا]** كنتما معا ؟

نـــاتـــان : نعم . لماذا ؟

ألــيــكــس : يمكن للمرء أن يسأل سؤالا . لماذا " لماذا " ؟

بيــيـــر : **[مخاطبا إيليزا]** تكلمت مع الميكانيكى فى الهاتف .

إيليـــزا : كم الساعة الآن ؟

بيــيـــر : اطمئنى ، اطمئنى ! لا يستطيع أن يأتى مساء اليوم . اتفقنا أن يأتى صباح الاثنين .

إيـــديـــت : بما أنه لن يكون هناك أحد هنا ، فقد رأيت أن نترك المفاتيح عند البقال ... هل عندك حل آخر ؟

إيليـــزا : أنا آسفة لإزعاجكم بهذه القصة .

بيــيـــر : الإزعاج لك أنت؛ ولا تنسى أنك ستضطرين للعودة لأخذها.

إيليـــزا : نعم .

بيــيـــر : نرجو ألا يكون الأمر خطيرا .

إيليـــزا : نعم .

ألــيــكــس : هى ليست هنا ...

إيليـــزا : ماذا ؟

ألــيــكــس : أنت لست هنا ، يا إيليزا . هل أنا مخطئ؟

نــــاتـــــان : نحن جميعا لسنا هنا اليوم . أليس كذلك ؟

ألـــيــكـــس : أكيد .

نــــاتـــــان : هناك أوقات لا نعبأ فيها بموضوع سيارة...

ألـــيــكـــس : آه ، أنا شخصيا ، لا أعبأ إطلاقا .

نــــاتـــــان : حسنا ، وهي كذلك .

ألـــيــكـــس : أحسن ! **[لحظة]** هذا لطيف جدا من بيير وإيديت !

إيـــــديــــت : **[مخاطبة إيليزا]** لا تسمعي له .

إيليـــــــزا : هما يتحدثان بالنيابة عني . أنا لم أقل شيئا .

نــــاتـــــان : كيف حال حسائي ؟

إيـــــديــــت : ينضج على النار .

نــــاتـــــان : المطر سينزل بعد قليل .

إيليـــــــزا : **[مخاطبة بيير]** أين زوجتك ؟

بيــــيـــــر : في الداخل . تشاهد التلفزيون .

نــــاتـــــان : لماذا لا ننضم إليها ؟

بيــــيـــــر : فكرة ممتازة ، بشرط أن نغلق الجهاز ... **[إلى إيليزا]** هل تصاحبينني ؟

[إيليزا تتقدم نحو بيير الذي يقودها نحو البيت . ناتان يتأهب ليتبعهما حينما أوقفته إيديت]

إيـــــديــــت : ممكن تنتظر لحظة ؟ عندي شيء أقوله لك .

ألـــيــكـــس : هل أضايقكما بوجودي ؟

إيـــــديــــت : نعم ، لو سمحت ، لن أطيل .

[أليكس يتردد . يتقدم عدة خطوات ثم يعود]

ألـيكـس : **[مخاطبا إيديت]** بالمناسبة ... عرفت شيئا عن بابا قبل قليل . وأعتقد أنه سيسركما معرفته أنتما أيضا .

إيـديـت : ماذا ؟

ألـيكـس : سليه هو .

[يقترب من ناتان ويهمس فى أذنه . ناتان يبتسم]

ألـيكـس : **[مخاطبا إيديت]** كل شخص لديه أسراره ... **[يتراجع]** أنا فى غرفتى . إذا كان أحد يريدنى .

نـاتـان : **[مشيرا إلى العوسج]** ماذا أصنع بهذه ؟

ألـيكـس : ألقها .

[يختفى . إيديت وناتان يبقيان وحدهما]

إيـديـت : قل لى .

نـاتـان : أنت أولا .

إيـديـت : تمطر ...

نـاتـان : كلا ...

إيـديـت : نعم، أحسست بنقطة... هل تساعدنى فى تنظيم الكراسى؟

نـاتـان : ماذا هناك ؟

[لحظة]

إيـديـت : هل كنت مع إيليزا ؟

نـاتـان : نعم .

إيـديـت : هل لحقت بك ؟

نـاتـان : نعم .

إيـديـت : أليكس قال لجوليين إنك كنت تلاطف إيليزا . أنا أنقل حرفيا .

نـــــاتـــــان : هل هذا ما كنت تريدين أن تقوليه لى ؟

إيـــديـــت : نعم .

نـــــاتـــــان : وبعد ؟

إيـــديـــت : كيف وبعد ؟

نـــــاتـــــان : وبعد ؟

إيـــديـــت : وبعد ، ترى هذا مناسبا !

نـــــاتـــــان : مناسبا كيف؟ هل الجملة هي التى تضايقك، أم مضمونها؟

إيـــديـــت : أنت رهيب ...

نـــــاتـــــان : اسمعيني يا إيديت ، حتى الآن هذا اليوم يسير دون مشاكل ، إذا جاز لى التعبير ... دعى هذه الكراسى !... نحن قوم متحضرون، نقاسى من القواعد ، كل منا يمسك أنفاسه ، ليس هناك مأساة ... لماذا في الواقع ؟ لست أدرى ، ولكن هذه هي الحقيقة . أنا وأنت نشارك في عبء الكرامة هذا ... نحن رزينون ، " وجهاء " ، نحن كاملون ... أليكس ليس أقل تحضرا ، لكن كبرياءه بعيد ... بعيد .

إيـــديـــت : لماذا تدافع عنه ؟

نـــــاتـــــان : أنا لا أدافع عنه..فليذهب ويخبر جوليين المسكينه أننى ألاطف إيليزا ، هذا جزء من طبيعته ، ولكن أن ترددى أنت ذلك على مسامعي ، وعلى حدة ، كأننا في مدرسة ، كطفلة ، وأن يشغلك هذا ، اليوم ، لست أفهم .

[صمت]

إيـــديـــت : لقد رددت لك ذلك لكى تعرف عقلية أليكس ... كانت مجنونة بحضورها اليوم .

نــــاتـــــان : كلا .

إيــــديـــت : نعم .

نــــاتـــــان : كلا ، كلا . أنت رددت لى ذلك من باب الفضول، لأنه كان عندك شك ... **[يقترب منها ويأخذها بين ذراعيه]** أين ؟ **[يقبلها ويداعب شعرها برقة]**

إيــــديـــت : هل ما زلت تحبها ؟

نــــاتـــــان : هذا هو ما أردت أن تقوليه لى .

[إيديت تبتعد . تنظر حولها ، مضطربة . الجو تغير . أصبح مكفهرا]

نــــاتـــــان : هل ندخل ؟

إيــــديـــت : تريد أن تخبرنى شيئا عن بابا ؟

نــــاتـــــان : [يتردد قبل أن يتكلم] هل تذكرين مدام ناتى ؟

إيــــديـــت : مهذبة الأظفار ؟

نــــاتـــــان : نعم .

إيــــديـــت : وبعد ؟

نــــاتـــــان : الحقيقة أن جلسات تهذيب الأظفار التى كانت تعقد لبابا، ربما لم تكن.. هذا مجرد فرض، لم تكن مجرد جلسات تهذيب أظفار.. ومع ذلك، فأنت ترين أننا لم نغير الموضوع كثيرا .

إيــــديـــت : بابا ... ؟

نــــاتـــــان : بابا .

إيــــديـــت : مع تلك المرأة .

نــــاتـــــان : الصغيرة ...

إيـــديـــت : كانت تصغره بثلاثين عاما ...

نــــاتــــان : كان يدبِّر حاله بطريقة لا بأس بها .

إيـــديـــت : هل كنت تعرف ذلك ؟

نــــاتــــان : تقريبا .

إيـــديـــت : هل أخبرك بذلك ؟

نــــاتــــان : كلا ... ولكن ، ذات يوم كنت عنده، في شارع "بيير ديمور" ووصلت مدام ناتِّي ، وجهَّزت طستها ومقصاتها ... وخرجت أنا . وكنت قد نسيت نظارتي ؛ فرجعت بعد عشر دقائق ... وضغطت على الجرس ، وأخيرا ، جاء أبي يفتح على استحياء ، أشعث متدثرا في معطف المطر ، معطف المطر المعلق في المدخل منذ مائة عام ، فوجدت ذلك غريبا بعض الشيء كرداء ... وأعاد لي النظارة من خلال الباب ، دون أن يسمح لي بالدخول.

إيـــديـــت : هل سألته عن شيء ؟

نــــاتــــان : نعم ، نظارتي .

إيـــديـــت : لماذا لم تخبرنا .

[حركة تملص من جانب ناتان . لحظة]

إيـــديـــت : المسكين ...

نــــاتــــان : المسكين ؟ ... لماذا ؟

إيـــديـــت : لأن ...

[يظلان جامدين لحظة]

[إظــلام]

(٩)

[داخل المنزل . كراسى موسدة (فوتويات) ، منضدة منخفضة . بوفيه صغير . إيليزا وجولبين وبيير جالسون]

بيـــيـــر : كنت أسكن فى شقة صغيرة بشارع لوبيك . وكنت مفلسا في ذلك الوقت ، لكن كانت لي صديقة غنية ، زوجة موثق عقود من " دييب " كان له أيضا مكتب في باريس . باختصار . كان دائم السفر . وفي عام من الأعوام وجدت نفسها وحيدة فى فترة رأس السنة . وأنا لم يكن عندى ما أعمله ، فاقترحت عليَّ أن نسافر إلى " ميجيف " لمدة أسبوع . رحلة غرام ، فوافقت . فقالت لى : " هذه هى النقود ، ادفع كل شىء : التذاكر والفندق، إلخ . " فأخذت النقود وذهبت إلى إحدى وكالات السفر بميدان الأوبرا . فحجزت الفندق ، وحجزت في عربة النوم ، ودفعت الحساب ، وخرجت ...

[يظهر أليكس]

أليـكـس : أكمل .

بيـــيـــر : أنا أحكى حكاية " بايو " ، أنت تعرفها .

أليـكـس : استمر ، استمر .

[أليكس يبقى واقفا بينما بيير يكمل قصته]

بيـــيـــر : إذن ، أين وصلت ؟... أجل ، خرجت ، وسرت فى الطريق لآخذ حافلة من ميدان الأوبرا . انتظرت . وفى اللحظة

التى وصلت فيها الحافلة ، تصوروا من الذى رأيته ينزل من الحافلة ؟ " بايو " ، صديق قديم من أيام الدراسة ، كنت أراه من آن لآخر، لطيف جدا . وبعد السلامات والأحضان، سألنى عن أخبارى ، فقلت له إنى سأسافر غدا إلى " ميجيف " . لم يكن هو أيضا لديه ما يعمله ، فقال لى : " ميجيف رائعة " وعلى الفور أخرجت المظروف الذى أخذته من وكالة السفر ، وقلت له : هنا كل شيء يلزم لشخصين ، السفر ، والفندق ، إذا لم يكن عندك مانع نسافر غدا ، أنا وأنت . فنظر إليَّ وقال : والفتاة ؟ "فأجبته قائلا : " لا تشغل بالك ، "أحلق لها " . على أية حال ، فقد مللتها . وسافرنا .

ألسيكس : والبقية ؟

بيير : خلاص . البقيَّة ، " ميجيف " والجليد الرائع ...

ألسيكس : أظن أنها لاحقتك بعد ذلك لتعيد لها النقود .

بيير : نعم ، تقريبا ، لكننى لم أعد شيئا كما تعرف .

جولين : شيء فظيع ! إذا كنت تتصور أنك تضحكنا بهذه القصة!

ألسيكس : ما هو الفظيع !

جولين : لست أدرى ، على الأقل كنت ترد النقود .

بيير : من أين ؟

جولين : حينما أتخيل هذه المرأة المسكينة التى بقيت وحدها فى باريس ! **[تضحك]**

بيير : أرأيت ، أنت أيضا تضحكين .

جـــوليـين : أنا مخطئة .
بيــــيـــر : هل صُدمت يا إيليزا ؟
إيليـــزا : أنا ، أبدا . أنا أجد هذه القصة غريبة جدا . وجولبين أيضا ، وهو الدليل .
جــــوليين : الذى صدمنى هو أنه لم يرد النقود . كان بوسعه أن يقدم هدية ... أو يرسل بعض الزهور على الأقل . باقة كبيرة!
بيــــيـــر : كنت على وشك أن أرسل إليها بطاقة صغيرة من هناك . كان ينبغى أن أفعل ذلك .
جــــوليين : لا تكن أكثر فظاعة مما أنت ... **[إلى إيليزا]** يتصور أنه يسرك ، المسكين.
ألـيـكـس : إيليزا حساسة جدا لهذا النوع من الفكاهة . إيليزا تحب الرجال الفسقة ، عديمى الأخلاق .
بيــــيـــر : دعونا من المبالغات .
ألـيـكـس : ليس أنت يا عزيزى بييرو ، أنت طفل برىء . **[يقترب من النافذة الخيالية]** السماء تمطر .
بيــــيـــر : أ ما يزالون فى الخارج ؟
[لحظة]
جــــوليين : نعم ...
ألـيـكـس : هل رأيتم خريطة العالم التى رسمها السوفييت ؟ روسيا فى وسط العالم ، ونحن فوق فى بوغاز ، كأننا فى سجن تحت الأرض ... حاجة لطيفة !

بيـــــيـــــر : هل يمكن أن تعرف لماذا تحدثنا عن ذلك ، هكذا فجأة ؟

ألـــيـكـــس : لأنني أنظر إلي الريف .

[يصل ناتان مبللا]

جـــــوليـين : يا إلهي ! لقد أغرقك المطر .

نـــاتـــان : بسيطة ، بسيطة ، هذا مفيد .

بيـــــيـــــر : وأختك ؟

نـــاتـــان : صعدت لتغير ملابسها .

بيـــــيـــــر : أنت فاجأتنا ونحن في محاضرة في الجغرافيا .

ألـــيـكـــس : في الفلسفة .

بيـــــيـــــر : في الفلسفة !

نـــاتـــان : ممكن أشارك ؟

[أليكس يبتسم . لحظة]

نـــاتـــان : حسنا . لا بأس .

إيليـــــزا : يجب أن تغير ملابسك ، ستصاب بالبرد .

نـــاتـــان : كلا ، كلا ، سيجف هذا حالا .

بيـــــيـــــر : حكيت لهم حكاية " بايو " !...

نـــاتـــان : **[مخاطبا جوليين]** ألم تكوني تعرفينها .

جـــــوليـين : كلا .

بيـــــيـــــر : لقد أرعبتها الحكاية .

جـــــوليـين : أبدا ، مطلقا . لا أرى سببا للرعب ، على أية حال .

نـــاتـــان : الليل بدأ ... الجو حزين هنا . ألا تشربون شيئا ؟ ولا حتى منقوعًا ساخنًا ؟

[تظهر إيديت]

إيـــديـــت : غيرت ملابسي ، كنت مبللة ...

ألـــيـكـــس : ما رأيكم لو نلعب لعبة لإضفاء البهجة على الجو ؟ مونوبولي ، سكرابل ، يوجد هنا كل شيء .

نـــاتـــان : والضامة والشطرنج ...

إيـــديـــت : ألن تلعبوا ؟ لا أحد يرغب في اللعب هنا !

نـــاتـــان : كلويدو ...

ألـــيـكـــس : آه ! آه ! أجمل لعبة في العالم. كيف تذكرت هذه اللعبة ؟

نـــاتـــان : أخشى أن تكون جولبين لا تعرفها .

ألـــيـكـــس : نعم ، الكولونيل موتارد ...

نـــاتـــان : دكتور أوليف ...

جـــولـيـن : مادموازيل بير فينش ...

ألـــيـكـــس : عظيم !

بـيـــيـــر : تعرفين هذه اللعبة ؟

جـــولـيـن : طبعا . هل تظنون أنني بلهاء . أنا جدّة مرتين .

نـــاتـــان : وتلعبين الكلويدو مع أحفادك ؟

جـــولـيـن : الكلويدو ، والميل بورن ، والكرابيت .

إيـــديـــت : كم عمريهما ؟

جـــولـيـن : ثلاث سنوات وسبع سنوات . طبعا أنا لا ألعب إلا مع الكبير . الصغير بدأ يتكلم بالكاد . يقول " بابا " ، ويقول أشياء بسيطة ، لأن الأطفال ... أقصد أن الأطفال الذين يتأخرون في الكلام يكونون بعد ذلك ذلقي اللسان .

ألــيــكــس : إذن أنت تأخرت في الكلام .

إيليــــزا : أليكس !

ألــيــكــس : ماذا ؟ ... ماذا هناك يا إيليزا ؟

إيليــــزا : لا شيء ...

ألــيــكــس : بلا ! " أليكس ! " ... ماذا هناك ؟

[صمت]

إيليــــزا : اهدأ ...

ألــيــكــس : أنا هادئ جدا . هل أبدو عصبيا ؟

إيــــديــت : حسنا . يكفي هذا الآن !...

ألــيــكــس : ما معنى " يكفي هذا ! " ماذا هناك ! إنكم تدهشونني !

نــــاتـــان : أنت أيضا تكلمت متأخرا جدا . لكن النتيجة ليست أكيدة.

ألــيــكــس : على أية حال !... أوه ، جوليين ، لابد أن تشرحي معنى هذه العبارة ! أنت تستخدمينها كثيرا لكنني لم أفهم جيدا ، كيف أقول ، لم أفهم " الأصل اللغوى "

بيــــيــر : شيء مؤسف بالنسبة لناقد أدبي .

ألــيــكــس : لذلك لابد أن أعرف .

إيليــــزا : كفى ، يا أليكس ...

ألــيــكــس : تريدين أن أكف ؟

إيليــــزا : نعم .

ألــيــكــس : إذن ، أكف .

[لحظة]

إيــــديــت : اذهب وأعدد لنا قهوة ما دمت تجيد إعدادها .

نـــاتـــان : ليته يعد لنا منقوعًا ساخنا .

ألـيـكـس : منقوعًا ؟ منقوعًا يا جوليين ؟ أنا أمزح . أنا أمزح . منقوع للجميع .

إيـــديـــت : اذهب .

ألـيـكـس : أنا ذاهب **[ينصرف]** ، أنا ذاهب .

[صمت]

نـــاتـــان : كان يمزح يا جوليين ... لا تأخذى كلامه مأخذ الجد .

جـــوليـين : أنت لطيف ، لكننى أعتقد أن أخاك لا يستلطفنى بالمرة .

الجـــمـيـع : كلا ، كلا .

جـــوليـين : **[وهى تكاد تجهش بالبكاء]** نعم ، نعم . لا أهمية لذلك ، لا أهمية لذلك .

إيـــديـــت : جوليين ، إنه ليس فى حالته العادية اليوم .

جـــوليـين : عارفة ، عارفة . ومن الطبيعى أنهم جميعا اليوم متأثرون، وأنا هنا مثل ... [تبكى] لقد ألح بيير لكى آتى لكننى كالغريبة . لست فردا من الأسرة حقا .

إيـلـيـــزا : إذا كان هنا شخص ليس فردا فى الأسرة فهو أنا يا جوليين وليس أنت. أنت زوجة خالهم ، أنت من الأسرة تماما .

جـــوليـين : **[وهى تبكى]** قال لى قبل قليل أشياء ... كأننى حيوانة .

نـــاتـــان : ماذا قال لك .

جـــوليـين : لا شىء ... ليسخر منى فقط.. لا تقولى يا إيديت، أرجوك.

إيـــديـــت : سأذهب لإحضاره .

جـــــوليـين : كلا ! لماذا تذهبين لإحضاره ، دعيه فى حاله المسكين .

بيــــيـــــر : يا له من يوم يا أبنائى !

جـــــوليين : أنا آسفة ... أنا آسفة . أنا أثير السخرية .

نــــاتـــــان : ليس هناك أى سبب لكى تتأسفى .

جـــــوليين : كلكـم تبذلـون مجـهـودا لكى ... وأنا أنخـرط فى البكاء !... كالبلهـاء ... [تنتحب] كل ما أستطيع عمله !

[إيديت تعــود ووراءها أليكس . أليكس يتــوقف دون أن يقول شيئا أمام جوليين]

جـــــوليـين : **[مخاطبة أليكس]** أنت لا ذنب لك ... انتهى الأمر . وأطلب منكم جميعا أن تسامحونى .

[أليكس يجذب ذراع جوليين لكى تنهض . حينما وقفت يأخذها بين ذراعيه ويقبلها ، ويظل محتفظا بها لحظة بين ذراعيه حينما يتركها ، نرى وجهها مبللا بالدموع]

[لحظة]

بيـــــيـــــر : **[مخاطبا أليكس]** أليس عندك شىء من الكحول ، بدلا من منقوعك هذا ؟

ألـــيـكـــس : بلى ... سمعا وطاعة !...

إيليـــــــزا : هل أذهب معك ؟

ألـــيـكـــس : لن نذهب إلى أى مكان . كل شىء هنا .

[بمساعدة ناتان ، يفتح باب البوفيه ويخرج زجاجات يضعها فوق المنضدة المنخفضة]

نـــــاتـــــان : ما عليكم إلا مشقة الاختيار يا أصدقائى ... ولو أننى أنصحكم بوجه خاص بالزجاجة الخضراء . مشروب خرشوف مجرى ...

بيـــــيـــــر : إنه مهضِّم !

نـــــاتـــــان : هنا كل ما تريد . يمكنك أن تضيف ماءً بالثلج ، ويمكنك أيضا أن تسمَّ زوجتك .

بيـــــيـــــر : دعها تتنفس .

نـــــاتـــــان : ذق ، وسترى .

بيـــــيـــــر : هل هو ردىء ؟

نـــــاتـــــان : أحد الزبائن هو الذى أعطانى هذه الزجاجة . وهى هنا منذ خمس عشرة سنة .

بيـــــيـــــر : أعطنى كأسًا من الويسكى !

نـــــاتـــــان : جولبين ؟

جـــــوليـين : نقطة من بورتو .

[أليكس يقدم لها]

جـــــوليـين : شكرا . ستوب ! أنت لطيف .

نـــــاتـــــان : إيليزا ؟

إيليـــــزا : أنا أذوق هذا المشروب المجرى .

بيـــــيـــــر : آه، كنت متأكدا من ذلك! كنت متأكدا أن شخصا سيأخذ منه ، وكنت متأكدا من أن هذا الشخص هو أنت !

إيليـــــزا : لماذا ، هل رأسى مكتوب عليه أننى أشرب الخرشوف ؟

بيـــيـــر : رأسك رأس رائدة مقـدامـة . بالذات العـينان ... حـدقـة عينيك حدقـة مغامرة جسورة .

إيـــديـــت : ماذا تقول ؟

بيـــيـــر : كلا . هـذا صـحيح . أنت تحبين المخاطرة . لا تحبيـن أن يفرض عليك أسلوب حياة معين . هل أنا مخطئ ؟

إيليـــزا : **[تبتسم]** فى هذه الحالة ، لا أشعر بأننى أخاطر مخاطرة كبيرة .

نـــاتـــان : **[يقدم لها كأسها]** لا تتكلمى بأسرع مما يجب ...

إيليـــزا : **[ترفع كأسها]** سنرى ...

إيـــديـــت : وأنا ، ألا أشرب شيئا ؟

ألـيـكـس : ماذا تريدين ؟

إيـــديـــت : بورتو أبيض **[مخاطبا بيير]** تشرب هكذا ؟ ألا تريد بعض الثلج ؟

بيـــيـــر : كلا ، كلا ، لا تزعج نفسك . هكذا رائع .

[أليكس وناتان يملآن كأسيهما . إيليزا تتوق الخرشوف]

نـــاتـــان : كيف الحال ؟

إيليـــزا : حلو ، كله حنين وفلفل **[تكمل شرب كأسها]**

نـــاتـــان : المزيد ؟

إيليـــزا : نعم ... أنت أعطيتنى قليلا فى قعر الكأس .

[يقدم لها مرة أخرى . إيليزا تبتسم لبيير]

[لحظة]

[صوت المطر فى الخارج]

بيــــيـــــر : " لا أعذبَ على قلب مفعم بالأشجان الجنائزية

" نزل عليه الجليد منذ زمن بعيد ،

" من المشهد الدائم لظلماتك الشاحبة ،

" إن لم يقم ، فى مساء غاب قمره ، مثنى مثنى ،

" بتنويم آلامه فوق فراشٍ جسور . "

نـسـاتـــمـان : لمن هذا الشعر ؟

بيــــيـــــر : من ديوان " غيوم وأمطار " خمّنوا من يكون الشاعر .

إيـــديـــت : أنت .

بيـــيـــــر : " يا أواخر الخريف ، أيها الشتاء ، أيها الربيع الملوث بالأوحال . " أيتها الفصول التى تُغرى بالنعاس !... " هذا شرف عظيم لى يا حبيبتى، لكن هذا الشعر للأستاذ شارل بودلير :

نــــاتـــــان : أخبرينى يا جوليين ، هل ينظم لك بعض القصائد عندما يأتى المساء ؟

جـــــوليين : أحيانا . يحدث له ذلك . ولكن هذا يحدث بالأحرى فى الصباح .

بيــــيـــــر : الصباح .فيكتور هوجو .المساء ، بودلير ، أبو للينيير .سيفوتك القطار يا إيليزا .

نــــاتـــــان : لا يزال أمامنا متسع من الوقت ، القطار فى الثامنة .

ألـسـيـكـــس : [إلى إيليزا] – لماذا تعودين ؟

إيليـيـــــزا : لأننى لن أنام هنا

ألـــيـكـــس : لماذا ؟

إيليـــــزا : لأن ...

ألـــيــكــس : لأن ماذا ؟

إيليـــــزا : لأنه يجب أن أعود .

ألـــيــكــس : هل هناك من ينتظرك ؟

إيليـــــزا : كلا ...

ألـــيــكــس : إذن ؟

[لحظة قصيرة]

إيليـــــزا : **[تبتسم] إذا أسرفت في شرب الخرشوف فسينتهي بي الأمر إلى البقاء .**

ألـــيــكــس : هل تريدين البقاء ؟

إيليـــــزا : **اسمع يا أليكس . لقد قررت السفر ، وسآخذ قطار** الثامنة .

ألـــيــكــس : **ولكنني لا أدري لماذا تريدين السفر ، هل ذلك بسببي أنا؟**

إيليـــــزا : كلا .

ألـــيــكــس : **[مخاطبا بيير]** هل يمكن أن تصحبها معك صباح غد .

بيــيـــر : بالتأكيد !

ألـــيــكــس : ستعودين معهما صباح غد ، فما المشكلة ؟

إيليـــــزا : لا أفهم معنى لإلحاحك ...

ألـــيــكــس : وإذا طلبت منك البقاء ؟

إيليـــــزا : لماذا ؟

ألـــيــكــس : هل لا بد من سبب ؟

إيـــديــث : دعها تفعل ما تريد يا أخي ، ما أثقلك !

إيليــــــزا : شكرا ، يا إيديت .

ألــيـكــس : وأنا الذى يجب أن تشكرونى . لا تخلطى الأمور .

بيــــيـــر : ماذا لو تركتموها تفكر ، هذه الصغيرة ؟ **[إلى إيليزا]** تأخذين قرارك فى آخر لحظة . كما توجب الحكمة .

إيليــــــزا : سأعمل باقتراحك ...

بيــــيـــر : مالك تلزم الصمت يا ناتان !

نـــاتـــان : النقاش انتهى ، أليس كذلك ؟

بيــــيـــر : لم أكن أعرف أن أباكم كان يكتب. أنا أنتقل من موضوع إلى موضوع آخر تماما ، لكننى لم أكن أعرف أن "سيمون" كان يكتب . كان ذلك كشفا بالنسبة لى حينما سمعتك تقرأ هذا النص ...

نـــاتـــان : كان يكتب فى شبابه ... لا أعتقد أنه واظب على ذلك ...

بيــــيـــر : لو كان هناك رجل ...

نـــاتـــان : لم تكن تتصور أنه يكتب ...

بيــــيـــر : نعم ! يكاد يكون التناقض بعينه ... كيف يمكن أن نتصور عقلية فى أساسها تجريدية مثل عقليته ، مكرسة للرياضيات والموسيقى ، ثم تهتم بالأدب !

ألــيـكــس : أنا لا أرى فى ذلك أى تناقض .

بيــــيـــر : إذا لم يكن الفعل ... الالتزام الجسدى، الالتزام العاطفى. **[يملأ كأسه]** آه ، الشيخوخة ! حينما يدخل المرء فى الشيخوخة ، يقول كلاما فارغا .

جـــــوليين : ألا ترين أنه من الواجـب أن نلقى نظـرة على الحساء ، يا إيديت ؟

إيــــديــــت : كل شيء على ما يرام . تأكدت من ذلك حينما رجعت .

بيـــــــــر : [إلى أليكس] – لذلك كان يشعر بالأسى لأنك لا تكتب .

ألــيــكـــس : حسنا، تصـور أننى كنت أنتظر هذه الخاتمة منذ البداية، ومع ذلك كنت أرجو ألا تكون ...

بيــــيـــــر : كاتب فاشل !

ألــيــكـــس : فاشل ، نعم .

بيــــيـــــر : عفوا ! كل ذلك لا أهمية له . إنها الريح فى الخارج .

ألــيــكـــس : ليس عندى ما أقوله . لم يكن عندى ما أقوله فى يوم من الأيام. كيف يكتب المرء حينما لا يكون لديه ما يقوله بالمرة؟

بيــــيـــــر : لا أظن أنه ليس لديك ما تقوله ...

ألــيــكـــس : حـقـا ؟ هل تظن أن لدى مـا أقـوله ؟ إذن مـاذا ؟ قل لى ماذا ، فنكسب وقتا .

بيــــيـــــر : أنا متعب يا عزيزى . لم أعد أقوى على مثل هذا الهراء .

ألــيــكـــس : أنت تقـول لى إن لدى مـا أقـوله ، وأنا أسـألك مـاذا ؟ هل تعرف خيرا منى ؟

إيــــديــــت : إذا لم يكن لديك ما تقوله ، فقُل ! لا أعرف لماذا تقرفنا !

ألــيــكـــس : آه !.. أيتها الرقيقة إيديت لم أعرف عنك هذه اللغة ...

إيــــديــــت : حسنا ، الآن عرفتها .

ألــيــكـــس : عرفتها نعم ... هل أخذت قرارا يا إيليزا ؟ لا داعى للنظر إلى ناتان ، هو يريد أن تبقى بالتأكيد .

إيــــديـــت : إذا قـررت البقـاء ، لابـد من إشـعـال المدفأة في الغـرفة السفلية ، فهي مرتع للرطوبة .

نـــاتـــان : لا داعي ، صراحة .

[لحظة]

نـــاتـــان : إذا بقيت إيليزا فلن تبيت في هذه الغرفة .

إيــــديـــت : أين تبيت ، إذن ؟

نـــاتـــان : في غرفتي .

إيــــديـــت : وأنت ؟

نـــاتـــان : في غـرفـتـي أيضـا ، أيـن تريديـن أن أذهـب ؛ بمعنى آخر ، إذا بقيت إيليزا فسنقضي الليلة معا .

[صمت]

إيــــديـــت : أشعر كأنني أحلم ... **[إلى إيليزا]** ماذا ستصنعين ؟ قولي شيئا !

[صمت]

إيــــديـــت : ولكن قولي شيئا . الجميع يقررون لك ، وأنت صامتة كالتمثال ، تكلمي !

نـــاتـــان : لست أدري سببا لهذه الحالة التي أنت فيها ...

إيــــديـــت : لم أعـد أفهـم شيئا . أشـعر كأنني أعيش في عالم من المجانين !... يوم جنازة بابا ! **[تبكي]**

نـــاتـــان : بالضبط .

إيــــديـــت : بالضبط ، ماذا ؟

نـــاتـــان : يوم جنازة بابا .

إيــــديــــت : يجب أن تنام مع هذه الـ ؟!... ولكن، قولي شيئا يا إيليزا ! أرجوك ، قولي شيئا ... بابا ... بابا ... تعال !... أريد أن أموت ...

جـــــوليـين : **[تحوطها بذراعها]** اهدئي يا إيديت ، اهدئي .

إيـليـــــــزا : أليكس ، اصحبني إلى المحطة لو سمحت .

ألــيــكــس : أنت مخطئة ...

إيـليـــــــزا : لو سمحت ...

نـــــاتــــان : سأصحبك أنا .

إيـليـــــــزا : هيا بنا .

[تنهض]

ألــيــكــس : انتظري **[صمت]** دقيقة ؟ عندي كلمة أقولها لك . كلمة واحدة ... يعني، ربما أكثر قليلا من كلمة ... **[لحظة]** في يوم الحداد هذا ... كان ينقص حادث ... فعل ، كلمة ... في هذه الحجرة ، يوجد شخص كنت أعتقد أنه غاب نهائيا ... لكنه جاء ليثبت العكس تماما . هذا كل شيء . **[إلى إيليزا]** والآن ، افعلي ما تريدين .

إيـليـــــــزا : هل أنت متأكد أن هذا كل شيء ؟

ألــيــكــس : هي تبكي ... وأنت تسافرين ... **[يلتفت إلى ناتان ويرمقه بنظرة]** أما أنا، فبالعكس ، أشعر بامتنان كبير ... هذا كل شيء حقا **[إلى بيير]** هل تعطيني سيجارة .

[بيير يقدم إليه العلبة . أليكس يأخذ سيجارة]

إيـــــديـــــت : وأنا أيضا ، لو سمحت ...

ألـــيــكـــس : أرأيت سجائرك في النهاية ...

[يشعل سيجارة إيديت ، ويقدم العلبة لبيير]

[لحظة]

نـــاتـــــان : **[إلى إيليزا]** – أنا ما زلت تحت أمرك .

إيـلـيــــــزا : هيا بنا .

[تتوجه إلى بيير وتبسط له يدها]

إيـلـيــــــزا : إلى اللقاء ...

بيــــيـــــر : خذي مظلة !

إيـلـيــــــزا : نعم ... **إلى اللقاء** يا جولبين .

جـــــولـيـن : إلى اللقاء يا إيليزا .

إيـلـيــــــزا : كان معي معطف ؟

إيــــديـــت : معلق في دولاب الممر ...

[إيليزا تميل على إيديت وتقبلها بسرعة وتستدير لتخرج]

ألــيــكـــس : وأنا ، لا يقال لي إلى اللقاء ؟

إيـلـيــــــزا : إلى اللقاء ...

[إيديت تمسك بذراع إيليزا]

إيـــديـــت : لا تذهبي ...

[لحظة قصيرة]

ألــيـكـسس : هل سنصل إلى قمة السخرية ؟ **[إلى إيليزا]** خروجان زائفان في يوم واحد ، هذا كثير .

إيـــديـــت : لا تذهبي ، أرجوك ... أنا لا أقوى على الكلام ...

إيـلـيــــــزا : مرتين ، هذا كثير فعلا يا إيديت ، هو على حق ...

بيـــيـــر : أنت لم تخرجى بعد من الحجرة ...

ألــيــكــس : وأنت أيضا تدلى بدلوك .

بيـــيـــر : أنا لا أتدخل . أنا أعلق .

إيليــــزا : **[إلى أليكس]** ساعدنى ...

ألــيــكــس : أنا لـن أكـف ... لقـد لاحظتك منـذ الصبـاح ، أنا أعـرف كل شىء عنك ، حركاتك ، وجهك ، طريقتك فى التحرك ، طريقتك فى الكلام . أعرف بالضبط كيف ستخـرجين ، كيف ستغلقين الباب ، تتدثرين بالمعطف ... فى السيارة ، لن تقولى شيئا ، ستشعلين سيجارة ... ستتظاهرين بالحزن ... وكل ذلك يستوى بالنسبة لى ، يستوى تماما . كنت أتوقع انقـلابا ، لو كنت قابلتك فى ظروف أخـرى ، لكنت بالتأكيد لاحقت سرابا ... هيا ، أخرجى !

[إيليـزا تتراجع ، تتجـاوز ناتان وتخـرج . ناتان يتأهب ليتبعها . ثم يتوقف ويلتفت إلى أليكس. يبحث عن كلماته... وأخيرا وفى حركة عجز ، يبتسم]

[أليكس يبتسم . ناتان يخرج]

[صمت]

[يتقدم أليكس خطوات ويجلس مكان إيليزا]

ألــيــكــس : إذن ، الفيلسوف ؟ ألا تقول شيئا ؟

بيـــيـــر : أنا الفيلسوف ؟

ألــيــكــس : بيـيـر الفـيلسـوف **[إلى إيديت]** كـفى عـن البـكاء . تمخطى ، خلاص ، انتهى الموضوع .

إيـــديـــت : أنا حطمت كل شيء ...
ألــيــكــس : كلا .
إيـــديـــت : أجل ...
ألــيــكــس : قلت كلا .
[صمت]
ألــيــكــس : ماشي الحال يا جوليين ؟
جـــولـيـين : نعم ، نعم ...
ألــيــكــس : ليست غريبة ، العائلة ، هه ؟
جـــولـيـين : اسمع يا أليكس ، أرجوك ، لا تستمر في الحديث معي على أنني متخلفة عقليا ...
ألــيــكــس : بدأنا !
جـــولـيـين : أؤكد لك أن هذا شيء بشع للغاية .
ألــيــكــس : هل ترين أنهما كانا على حق حينما سافرا ؟
جـــولـيـين : يا له من سؤال !
ألــيــكــس : ليس هناك فخ وراء السؤال . أود أن أعرف رأيك .
جـــولـيـين : ولكن كيف تريد مني أن أجيب عن سؤالك ؟
ألــيــكــس : الـ" ٥٠٤ " أمام سور الحديقة ، وهما مبللان ... وإيليزا ساخطة ، شعرها يتجعد حينما ينزل المطر ... **[لحظة]** أشعر أنني بصحة جيدة ... أشعر أنني فارغ تماما وبصحة جيدة .
[صمت]
بـيـــيـــر : فارغ ... نعم .

ألــيـكــس : أين تقابلتما أنتما الاثنان ؟

بيــــيـــر : أى ، آى ، أى ... أين كان ذلك ؟

[جولبين تتنهد]

بيــــيـــر : بالإعلان ...

جـــولـين : من غير المعقول ...

بيــــيـــر : تحت بواكى " بور رويال " ...

جـــولـين : عند أصدقاء مشتركين ، بكل بساطة .

ألــيـكــس : صاعقة ؟

بيــــيـــر : هى ، نعم .

جـــولـين : أنت متعب ، تعرف .

[لحظة]

بيــــيـــر : كانت ترتدى دثارا كورسيكيا ...

جـــولـين : دثارا !

بيــــيـــر : ماذا يسمى ؟ كاب ؟

جـــولـين : كاب ! دثار ، قبعة عبيطة .

بيــــيـــر : إذن كاب ، وتنزهنا فعلا تحت بواكى "بور رويال" ، دون أن أتمكن من مسك ذراعها لحظة واحدة ، نظرا لنوع ثوبها ...

جـــولـين : كان بإمكانك أن تفعل ذلك ، كان يكفى أن أخرج ذراعى .

بيــــيـــر : لكنك لم تخرجيها .

[صمت]

ألــيـكــس : أكمل ... أنا أعشق هذه القصص .

بيــــيــــر : مشهيات الذاكرة ...

ألــيــكـــس : استمر ... أرجوك .

جــــوليــين : المشهيات... حينما يكون فى الفورمة . حينما يكون فى كامل لياقته ، أقصد حينما يكون الجمهور كثير العدد ، وبطبيعة الحال متجاوبا ، فإنه يكون قادراً على أن يحكى حكايات ، ليس فقط لا أصل لها ولا فصل ، وإنما زيادة على ذلك ، تنتهى بتعريضنا للسخرية .

بيــــيــــر : وهل تعرف ماذا تفعل هى فى هذه الحالة ؟ تقول: " كلا ! ماذا تخترع ! ". فماذا يكون موقفى ؟

جــــوليــين : مطلقا . لا أقول شيئا بالمرة .

بيــــيــــر : تتخذين هيئة ... وهذا أسوأ .

جــــوليــين : مطلقا .

[صمت]

ألــيــكـــس : استمر ...

بيــــيــــر : أستمر ؟

ألــيــكـــس : استمر ...

بيــــيــــر : الجمهور هو الذى ينقص ، كما ترى . **[يبتسم]** عدم وجود مشاهدين ! **[إلى إيديت التى تنهض]** أين تذهبين ؟

إيـــديـــت : إلى المطبخ **[تخرج]**

بيــــيــــر : **[إلى جوليين]** اذهبى وساعديها ؛ يعنى ، لا تتركيها وحدها .

[جوليين تنهض]

جـــوليـين : هل سيعود أخوك ؟ ... ماذا نصنع بكل هذا الحساء ! إن لم نكن أربعة ؟

بيـــيـــر : نعطيه للقطط .

جـــوليـين : **[إلى أليكس]** هل عندكم قطط ؟

بيـــيـــر : للقطط الضالة ، التى تجول ...

[تخرج جولبين]

بيـــيـــر : لا تطيق فكرة البعثرة ... هل تحلم ؟

ألـيـكـس : أحلم ؟

[يسمع صوت ماء وصفق منتظم . أليكس متمدد فى الكرسى الموسد وعيناه شبه مغمضتين]

بيـــيـــر : من أين يأتى هذا الصوت ؟

ألـيـكـس : هذا المزراب .

بيـــيـــر : آه ...

ألـيـكـس : ربطته بخرقة ، وكدت أقتل نفسى . ألم تر ؟

بيـــيـــر : بلى ، رأيت .

[صمت]

بيـــيـــر : هل أختك ما تزال ترى الـ ... نسيت اسمه ، مندوب المشروبات ؟

ألـيـكـس : جان سانتينى . نعم .

بيـــيـــر : كورسيكى ؟

ألـيـكـس : من أصل إيطالى .

بيـــيـــر : كان عندى محاسب اسمه سانتينى . كان من كورسيكا .

ألـــيـكـــس : آه ، نعم .

بيــــــيـــــر : من كورسيكا القديمة.. أنت واثق أن هذا ليس كورسيكيا؟

ألـــيـكـــس : واثق .

بيــــــيـــــر : الصوت مستمر ... مزرابك هذا غير محكم .

ألـــيـكـــس : أحب هذا . أحب هذا الصوت كثيرا .

بيــــــيـــــر : نعم ... يعنى ...

[صمت]

بيــــــيـــــر : آه من هذه الشيخوخة !

[صمت . تعود جولبين]

جـــــوليـين : [مخاطبة بيير بصوت خفيض] – هى تبكى ...

بيــــــبـــــر : [بعد لحظة] إيديت !

ألـــيـكـــس : دعيها ... ما من شيء يمكن عمله ...

جـــــوليـين : تريد أن تكون وحدها... يجب أن نتركها وحدها... ألا يوجد نور آخر هنا؟ لماذا لا تشعلون هذا المصباح ؟ هل هو سليم ؟

ألـــيـكـــس : جربى ...

[جولبين تشعل المصباح]

جـــــوليـين : هكذا أفضل ، أليس كذلك ؟

بيــــــيـــــر : اجلسى .

جـــــوليـين : سأرفع الأكواب .

بيــــــيـــــر : سنفعل ذلك بعد قليل

جـــــوليـين : حسنا

بيـــيـــر : لابد أن تتحركى ، هه ؟

جـــوليـين : كلا ، كلا ، سأجلس .

[لحظة]

جـــوليـين : ما الذى يطبِّل فى الخارج .

بيـــيـــر : المزراب .

جـــوليـين : المزراب يحدث هذا الصوت ؟

بيـــيـــر : نعم .

[لحظة]

جـــوليـين : أخـذت هذا الشـال من المدخل . لا يمكن أن نقـول إنه مناسب جدا... ألا ترى أن الجـو فيـه لسـعـة برد ؟ لقـد تأكدت من التدفئة فهى شغالة .

بيـــيـــر : الرطوبة ...

جـــوليـين : نعم بالتأكيد . الجدران رطبة .

[تقبل إيديت بسرعة ، مضطربة للغاية]

إيـــديـــت : يوجـد شـخص عـلى الباب . شـخص يحـاول أن يدخل ! هل تسمعون ؟!

[لحظة قصيرة . يدخل ناتان وإيليزا]

نـــاتـــان : هذا نحن ... **[لحظة . إلى إيليزا]** تعالى .

[يأخذها من ذراعيها . يتقدمان] •

نـــاتـــان : **[إلى إيديت]** رأينـا شبحا يمـر سريعًا فى الدهليز . كنت أنت ؟

إيـــديـــت : سمعت الكالون ... ظننت أن أحداً يقتحم المنزل .

نـــاتـــان : الباب لم يكن مغلقا بالمفتاح .

إيـــديـــت : سمعت ضوضاء .

[لحظة قصيرة]

بيـــيـــر : عدتما ... أو أنكما لم تسافرا ؟

نـــاتـــان : سافرنا ... وعدنا **[إلى إيليزا]** اجلسي .

[إيليزا تجلس وجلة]

[صمت]

جـــولـيـين : هذه المسكينة الصغيرة تنتفض من البرد . **[تنهض وتقدم الشال إلى إيليزا]** خذي ، تدثري في هذا... سامحيني يا إيديت ، لقد عثرت عليه في المدخل، أعتقد أنه شالك .

إيـــديـــت : **[إلى إيليزا]** هل تشعرين بالبرد ؟ هل تريدين كنزة **(بلوفر)** صوفية ؟ عندي أشياء كثيرة فوق .

إيليــــزا : كلا ، كلا ، لا أريد شيئا . شكرا . هذا يكفي تماما

[تضع الشال فوق كتفيها وتبتسم لإيديت . إيديت تبتسم لها]

إيليــــزا : رائحة طيبة عندما ندخل من الخارج ...

إيـــديـــت : صحيح ؟

إيليــــزا : نعم ، رائحة طيبة جدا .

[لحظة . إيليزا تنظر إلى أليكس]

إيليــــزا : خروجان مزيفان ...

ألـــيـكـس : في يوم واحد ... ولم لا ؟

[صمت]

بيـــــيـــــر : إذن سافرتما حقا ثم رجعتما ؟ **[إلى جولبين]** ماذا ؟ أنا لا أوجـه أسـئلة !... زوجـتي تستهجـن كلامي ، ولكنني لا أوجه أية أسئلة !

نـــاتــــان : لقد غـادرنا هـذا المنزل.. نعم ، إيديت ؟... اقـتـربي... مـاذا تفعلين هناك؟... اجتزنا الحديقة ، تحت المطر... وركبنا في السيـارة ... وشـغلت الكونتـاكت ... وشـغلت المسـاحـات ... والأنوار ... وظلت إيليـزا صـامـتـة ... ولم تشـعل سيـجـارة ، ولم تتظاهر بأنهـا حـزينة ... وبقـينا في مكاننا ، دقـيقـة ، ربما ؟ خلال هذه الدقيقة حدث شيء غريب ، ومفاجئ... محطة " جيان" التي كنا نظن أننا في " جيـان " ، كانت هنـا ، أمـام سـور الحـديقـة ... وكـانت السـاعـة في أعلى الواجهة تشير إلى السابعة، فكان أمامنا ساعة نقضيها... **[لحظة ، يتقدم خطوات ويقترب من النافذة ثم يعود]** كان هناك أناس كثـيرون من كل نوع على الرصـيف ، أشبـاح يحملون الحقائب ، وأشبـاح سـائقين ، وسيـارات أجرة ، وأنوار فنادق ، وضـوضـاء عربات تفرمل في برك الماء ... فقلت لإيليـزا " هيًـا ندخل أي مـقـهى " ، وشـربنا شـيـئـا وحكيت لهـا إحدى الذكريات التي ترجع إلى ثلاثين عـامـا مضت في هذه المحطة نفسهـا ، فقـالت لي " إنني أشـعر بالرعب من مـحطات السكك الحـديدية " ... وفـيـمـا نحن نتكلم ، كـانت السـاعـة تدور والوقت يمـضي ... فـعـبـرنا الشـارع ، وأسرعنا إلى شباك التذاكر لشراء التذكرة ...

ثم رصيف المحطة ، الصفارة ، العربة الأولى التى ركبت فيها ... وسمعنا ضجيج الأبواب وصرير اصطكاك الحديد ، وتحرك القطار ... ورأيتها تختفى فى الريف ، وهى من نافذتها رأت الريف ينوب ويختفى ... وكذلك المحطة اختفت ... وأغلقت الكونتاكت ، وأطفأت الأنوار ، وقطعنا الطريق فى الاتجاه العكسى ونحن نجرى ...

[صمت]

أليكس : **[إلى بيير]** هل عرفت لماذا لم أكتب ؟... بسبب هذا بالتحديد... هذا النوع من الأشياء ... المحطة بقيت دائما خالية فى هذا المكان ... **[إلى إيليزا]** أنتما سافرتما ... وبقينا نحن الأربعة جالسين هنا ، بين هذه الجدران الأربعة ، أنا هنا فى هذا المكان نفسه ، لم أتحرك ... ثم حدث شىء غريب أيضا، غريب جدا ... كنت جالسا فى الـ ٥٠٤ فى الخلف ، وأنت كنت فى الأمام . وكان ناتان يقود ، وكان قد شغَّل المساحات على السرعة المضاعفة ، أنا أتذكر ذلك تماما : الكاوتشوك ردىء ، أحدث صوتا عند الاحتكاك ... وعبرنا " دامبيير " ، ووضعت أنت شريط موسيقى ، لشوبير ... والتفتت نحوى وسألتنى إذا كان الصوت عاليا جدا ، فقلت " لا ، لا ، لا... لا تغيرى شيئا ، لا تغيرى شيئا " فلم تغيرى شيئا . وطرحت رأسى للوراء ورأيت الأشجار، والأنوار وخطوط الماء التى تجرى على الزجاج ، ونظرة ناتان فى المرآة ، نظرة ناتان الباسمة ،

والليل ... الضباب والليل ... وكنت ، كيف أقول ، فارغا ، نعم ثقل فوق المقعد الخلفي ، مطمئنا ، آمنا ... **[لحظة]** تلك هي الكتابة بالضبط ، تذهب إلى مكان لا تذهب إليه ... ومهما نكن قد صنعنا فوق الصفحة التى أصبحت خالية ... فهناك العودة ونهاية المغامرة ... وأنا فى سن العشرين ، كنت أتخيل إبداعى سبع مجلدات من الورق الفخم ، عالما من الوحوش المدمرة ، ترفعها أمواج البحر الهائجة ، يسيطر عليها الهوس والجنون ... مخلوقات صاخبة ، مخلوقات فيها العبقرية والقوة والنَّصَب ... كان ذلك تصوُّرى وأنا فى العشرين من عمرى ... وبدلا من كل ذلك ، الحلية اليومية ، الجرح الصغير في وسط العالم ، المجرى الذى لا ينتهى من الرغبات ، والخطوات ، والحركات العقيمة ... متاهة الطرق العقيمة ... وكذلك الحنان ... الحنان الذى يُجمِّدنى ... **[لحظة]** والحساء العظيم الذى أعدته لنا إيديت ، وأنا سأرشُّ فوقه جميع توابل المطبخ .

إيـــديـــت : ذق !

ألـــيـكـــس : ستربن !

[صمت]

إيـــديـــت : اتصلت هاتفيا بجان قبل قليل . سيأتى .

ألـــيـكـــس : السيد " تسى تسى " سيأتى للعشاء ... لن يصل قبل منتصف الليل .

بيـــــيـــــر : " فى مساء غاب قمره ، مثنى ، مثنى ... "

جـــــوليـين : كف يا بيير . اسكت مرة .

[لحظة]

ألـــيــكـــس : إلى المائدة !

إيـليـــــزا : هكذا بسرعة ؟

ألـــيــكـــس : تقصدين أخيراً .

[إظـــلام]

المترجم فى سطور:

حمادة إبراهيم محمد إسماعيل

دكتوراه الدولة من جامعة السربون

رئيس قسم اللغة الفرنسية بمركز اللغات والترجمة بأكاديمية الفنون، مؤلف ومترجم وناقد مسرحى .

فى مجال الترجمة ترجم الأعمال الكاملة للكاتب المسرحى الفرنسى أوجين يونسكو (٣٤ مسرحية) ، والأعمال المسرحية الكاملة للكاتب الفرنسى ألفريد جارى . وعشر مسرحيات لجان تارديو وبعض مسرحيات الإيطاليين إدواردو دى فيليبو وداريو فو . كما شارك فى ترجمة ومراجعة موسوعة وصف مصر .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومي للترجمة

١- اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	شوقي جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضري
٥- ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكي
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو. س. جودي	محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١- مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسي للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥- الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسي سميث	أشرف رفيق عفيفي
١٦- أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف أحمد عتمان
١٧- مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوي
١٨- الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولي و بدوي عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجي	ماجدة العناني
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد علي الناصري
٢٣- تجلي الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥- مثنوي	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشري الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨- رسالة في التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجي وعبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣- التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤- الرواية العربية	روجر ألن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثة	بول ب. ديكسون	خليل كلفت
٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدي أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد علي
٤٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتي
٤٩-	الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستي	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسي التدعيمي	ب. نوفاليس وس. روجسيفيتز وروجر بيل	لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسي سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحي
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	علي يوسف علي
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود علي مكي
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطي
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبري محمد عبد الغني
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهري
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعي
٦٣-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدي أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسي العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلي
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومي

٧٥- فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦- چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨- العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩- شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
٨١- الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢- مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد علي
٨٣- مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤- موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦- طول الليل (رواية)	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧- نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨- الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩- الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠- وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣- محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤- مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥- مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	سري محمد عبد اللطيف
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧- هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨- الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩- تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠- مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١- النص الروائي: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢- السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣- قبر ابن عربي يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤- أوبرا ماهوجني (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦- الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرا متى	أشرف علي دعدور
١٠٧- صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من المؤلفين	محمود علي مكي
١٠٩- حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	مني قطان
١١١- المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	إكرام يوسف

١١٣-	راية التمرد	سادي پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلي
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	سمية رمضان
١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية في مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق في التاريخ الإسلامي	أميرة الأزهري سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندي وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم والنموذج المثالي للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقي	سيدرك ثورپ ديڤي	سمحة الخولي
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحي	بشير السباعي
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقي جلال
١٣١-	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعي	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا (رواية)	طارق علي	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	باري ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف ماري مواريه	كاميليا صبحي
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد فاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبوري
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية: تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومي
١٤٣-	قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديرك لايدر	عدلي السمري
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدوني	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دي ليبس	علي عبدالرءوف البمبي
١٤٧-	مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوي
١٤٨-	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكي أندرسون إمبرت	علي إبراهيم منوفي
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١) — فرنان برودل — بشير السباعي

١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى — مجموعة من المؤلفين — محمد محمد الخطابي

١٥٣- غرام الفراعنة — فيولين فانويك — فاطمة عبدالله محمود

١٥٤- مدرسة فرانكفورت — فيل سليتر — خليل كلفت

١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر — نخبة من الشعراء — أحمد مرسي

١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى — جي أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو — مي التلمساني

١٥٧- خسرو وشيرين — النظامي الكنجوي — عبدالعزيز بقوش

١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢) — فرنان برودل — بشير السباعي

١٥٩- الأيديولوجية — ديڤيد هوكس — إبراهيم فتحي

١٦٠- آلة الطبيعة — بول إيرليش — حسين بيومي

١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسباني — أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا — زيدان عبدالحليم زيدان

١٦٢- تاريخ الكنيسة — يوحنا الآسيوي — صلاح عبدالعزيز محجوب

١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١) — جوردون مارشال — بإشراف: محمد الجوهري

١٦٤- شامبوليون (حياة من نور) — چان لاكوتير — نبيل سعد

١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال) — أ. ن. أفاناسيفا — سهير المصادفة

١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل — يشعياهو ليڤمان — محمد محمود أبوغدير

١٦٧- في عالم طاغور — رابندرنات طاغور — شكري محمد عياد

١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة — مجموعة من المؤلفين — شكري محمد عياد

١٦٩- إبداعات أدبية — مجموعة من المؤلفين — شكري محمد عياد

١٧٠- الطريق (رواية) — ميجيل دليبيس — بسام ياسين رشيد

١٧١- وضع حد (رواية) — فرانك بيجو — هدى حسين

١٧٢- حجر الشمس (شعر) — نخبة — محمد محمد الخطابي

١٧٣- معنى الجمال — ولتر ت. ستيس — إمام عبد الفتاح إمام

١٧٤- صناعة الثقافة السوداء — إيليس كاشمور — أحمد محمود

١٧٥- التليفزيون في الحياة اليومية — لورينزو فيلشس — وجيه سمعان عبد المسيح

١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية — توم تيتنبرج — جلال البنا

١٧٧- أنطون تشيخوف — هنري ترويا — حصة إبراهيم المنيف

١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث — نخبة من الشعراء — محمد حمدي إبراهيم

١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال) — أيسوب — إمام عبد الفتاح إمام

١٨٠- قصة جاويد (رواية) — إسماعيل فصيح — سليم عبد الأمير حمدان

١٨١- النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات — فنسنت ب. ليتش — محمد يحيى

١٨٢- العنف والنبوءة (شعر) — و.ب. ييتس — ياسين طه حافظ

١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما — رينيه جيلسون — فتحي العشري

١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام — هانز إيندورفر — دسوقي سعيد

١٨٥- أسفار العهد القديم في التاريخ — توماس تومسن — عبد الوهاب علوب

١٨٦- معجم مصطلحات هيجل — ميخائيل إنوود — إمام عبد الفتاح إمام

١٨٧- الأرضة (رواية) — بُزرج علوي — محمد علاء الدين منصور

١٨٨- موت الأدب — ألفين كرنان — بدر الديب

١٨٩-	المعنى والبصيرة مقالات في بلاغة النقد المعاصر	بول دي مان	سعيد الغانمي
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجاني
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨-	الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية. المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١-	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧-	ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فرديناند دوسوسير	جوناثان كللر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧- المسرح الإسباني في القرن السابع عشر — خوسيه ماريا ديث بوركي — السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن — جانيت وولف — ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد — نورمان كيجان — أمير إبراهيم العمري
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر — فرانسواز جاكوب — مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية) — خايمي سالوم بيدال — جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات — توم ستونير — مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣- فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي — أرثر هيرمان — طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام في السودان — ج. سبنسر تريمنجهام — فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزي (جـ١) — مولانا جلال الدين الرومي — إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦- الولاية — ميشيل شودكيفيتش — أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادي — روبين فيدين — عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير — تقرير لمنظمة الأنكتاد — ياسر محمد جادالله وعربي مدبولي أحمد
٢٣٩- العربي في الأدب الإسرائيلي — جيلا رامراز - رايوخ — نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار — كاي حافظ — صلاح محجوب إدريس
٢٤١- في انتظار البرابرة (رواية) — ج . م. كوتزي — ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض — وليام إمبسون — صبري محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١) — ليفي بروفنسال — بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية) — لاورا إسكيبيل — نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات — إليزابيتا أديس وآخرون — توفيق علي منصور
٢٤٦- مختارات قصصية — جابرييل جارثيا ماركيث — علي إبراهيم منوفي
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر — والتر أرمبرست — محمد طارق الشرقاوي
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية) — أنطونيو جالا — عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر) — دراجو شتامبوك — رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم — دومنيك فينك — ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢) — جوردون مارشال — بإشراف: محمد الجوهري
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية — مارجو بدران — علي بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية — ل. أ. سيمينوفا — حسن بيومي
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة — ديف روبنسون وجودي جروفز — إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون — ديف روبنسون وجودي جروفز — إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت — ديف روبنسون وكريس جارات — إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة — وليم كلي رايت — محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر — سير أنجوس فريزر — عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور — نخبة — فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣) — جوردون مارشال — بإشراف: محمد الجوهري
٢٦١- رحلة في فكر زكي نجيب محمود — زكي نجيب محمود — إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية) — إدواردو مندوثا — محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن — جون جريبين — علي يوسف علي
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة — هوراس وشلي — لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم علي
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكي
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزي (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية الفكرة والتاريخ	توماس سي. باترسون	شوقي جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية في مصر	سي. سي. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابي في مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود علي مكي
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمساني
٢٧٧-	الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزي
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوي
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	علي عبد الروف اليمبي
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامي الدهلوي	حسن نظامي الدهلوي	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغي	محمود علاوي
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمي	أنتوني كنج	محمد يحيي وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائي	ديفيد لودج	ماهر البطوطي
٢٨٩-	ديوان منوچهري الدامغاني	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربي	روجر آلن	مجدي توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مويرز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازي	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازي السيد
٢٩٩-	ثورة في التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس في الأدبين الإنجليزي والفرنسي (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيري وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس في الأدبين الإنجليزي والفرنسي (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيري و محمد الجندي
٣٠٢-	أقدم لك فتجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورين فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكي
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٣١٠- أقدم لك: يونج	ماجي هايد ومايكل ماكجنس	محيي الدين مزيد
٣١١- مقال في المنهج الفلسفي	ر.ج. كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدي
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعي
٣١٥- جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحي
٣١٦- محاكمة سقراط	أي. ف. ستون	نسيم مجلي
٣١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايتري اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفي برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي	دبليو بوجين كليبناور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يوناني قديم	هانم محمد فوزي
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدي	محمود علاوي
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق علي منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامي صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراي	سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	علي إبراهيم منوفي
٣٣٣- الإسلام في بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالي ساروت	فتحي العشري
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوي
٣٣٩- تاريخ الأدب في إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخري لبيب

٣٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمي
٣٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٣٤٣- العالم البرجوازي الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤- الموت في الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائي	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨- المتصوفة الأولون في الأدب التركي (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣- الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤- الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥- التيارات السياسية في إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧- متون هرمس	تيموثي فريك وبيتر غاندي	عمر الفاروق عمر
٣٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧- القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨- المصطلح السردي: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩- المرأة في أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠- الفن والحياة في مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١- المتصوفة الأولون في الأدب التركي (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب في إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	توبور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبي للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول	روى متحدة	أشرف كيلاني
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجي كليموفسكي	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافللي	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجي رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندي في بلاد الشرق العربي	شبلي النعماني	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتي روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	آلكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء في الفكر السياسي الغربي	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانسنتز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسي والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النتة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدي
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغني رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسَرل: الفلسفة علماً دقيقاً	إدموند هُسَرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار البيغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد علي مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج في النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفي
٤٩٥- اللوبي	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصري
٤٩٦- الحكم والسياسة في أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولي	مجموعة من المترجمين
٤٩٧- العلمانية والنوع والدولة في الشرق الأوسط	نادية العلي	مصطفى رياض
٤٩٨- النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد علي بدوي
٤٩٩- تقاطعات الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠- في طفولتي دراسة في السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكي	طلعت الشايب
٥٠١- تاريخ النساء في الغرب (جـ١)	آرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢- أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسي الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤- كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥- كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦- ربما كان قديساً (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمي الجمال
٥٠٧- سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقي فهيم
٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومي	عبدالباقي جلبنارلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩- الفقر والإحسان في عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدوني	عبدالرازق عيد
٥١١- كوكب مرقّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمي الجمال
٥١٢- كتابة النقد السينمائي	تيموثي كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣- العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمي
٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومي عبد السلام
٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطي دوجلاس	فدوى مالطي دوجلاس
٥١٦- إرادة الإنسان في علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبري محمد حسن
٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨- استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩- محاضرات في المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٥٢٠- الولع الفرنسي بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢- إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	علي إبراهيم منوفي
٥٢٣- الفن الطليطلي الإسلامي والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
٥٢٤- الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
٥٢٥- موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦- أقدم لك السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيي الدين مزيد
٥٢٧- أقدم لك كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيري
٥٢٨- أقدم لك تروتسكي والماركسية	طارق علي وفلْ إيفانز	جمال الجزيري
٥٢٩- بدائع العلامة إقبال في شعره الأردي	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصري
٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١-	ما الذي حَدَثَ في «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢-	المغامر والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوي
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوي	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوي
٥٣٨-	النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانيلر	محمد الحديدي
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هي تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلاني كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودي وآن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدي الجابري
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دي ثربانتس	على عبد الرءوف البمبي
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر في عهد محمد على	عفاف لطفي السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٥٦-	أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردار وبورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحي أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٤-	عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	علي السيد علي
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولي في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومي بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسي	سير رويرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١- تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب في زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤- مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥- الاقتصاد السياسي للعولمة	جين وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشري محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودي	محمد قدري عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	محمد إبراهيم وعصام عبد الرءوف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكي	جون ماهر وجودي جروفز	محيي الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيبرجر	بإشراف: محمد فتحي عبدالهادي
٥٨١- المحقق بمبتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت آبادي	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروي آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصيني	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدي
٥٨٨- أمنحوتب الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتي
٥٨٩- تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدي عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	علي عبدالتواب علي وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبري السوربوني	مجدي عبدالحافظ وعلي كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول فاليري	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أماني فوزي
٥٩٥- الحكم والسياسة في أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولي	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية في العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومي علي قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوي
٦٠٠- الإسلام في التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢- ليوتار نحو فلسفة ما بعد حداثية	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافي	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. آبوت	توفيق علي منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكي (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمي
٦٠٦- قصة البردي اليوناني في مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدني

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هاري سينت فيلبي	صبري محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هاري سينت فيلبي	صبري محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافي	أجنر فوج	شوقي جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لويث جوثمان	علي إبراهيم منوفي
٦١١-	النقد والأيديولوجية	تيري إيجلتون	فخري صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسيني	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التي وقعت في سراييفو من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٦	أليس بسيريني	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولي	عايدة الباجوري
٦٢٠-	السلام الصليبي	توماش ماستناك	بشير السباعي
٦٢١-	النوبة المعبر الحضاري	وليم ي. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	آي تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازي
٦٢٣-	نوادر جحا الإيراني	سعيد قانعي	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥-	الجرح السري	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق علي منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدي محمود المليجي
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسي
٦٣٠-	سيرتي الذاتية	أحمد بللو	صبري محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقي المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روي ماكاويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوي
٦٣٥-	التثبيت والتكيف في مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعي
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعي
٦٤٠-	الكسياد	الأميرة أناكومنينا	حسن حبشي
٦٤١-	برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدري عمارة
٦٤٢-	أقدم لك داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادي	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلي ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سيهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحي العشري
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جي دي موباسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذي لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسي
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوي
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبري التهامي
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبري التهامي
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبري التهامي
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعي
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راي هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	ولفجانج انش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشي	ليلى الجبالي
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلي
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطي
٦٧١-	قل لي كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسي للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوي
٦٧٤-	ديوان الإمام الخميني	آية الله العظمى الخميني	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدني
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدني
٦٧٧-	تاريخ الأدب في إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٨-	تاريخ الأدب في إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص في هذا الفصل؟	ستانلي فش	أحمد الشيمي
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبري محمد حسن

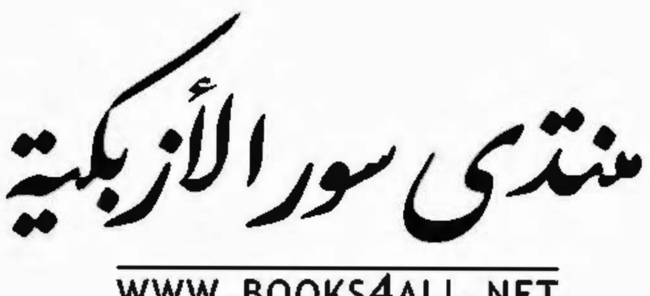
٦٨٣- سكين واحد لكل رجل (رواية)	ت. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤- الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسي
٦٨٥- الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسي
٦٨٦- امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧- محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العناني
٦٨٨- الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩- الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠- محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١- ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢- أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣- أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حاييم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤- أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥- أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦- أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧- أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨- أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩- أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠- الكاتب وواقعه	ماريو فرجاش	بسمة عبدالرحمن
٧٠١- الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢- الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوى
٧٠٣- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤- فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥- فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦- الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧- أقدم لك: فالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨- فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩- معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠- الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	يان هاتشباى وجوموران إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١- درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢- ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ١)	هوميروس	سليمان البستاني
٧١٣- ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ٢)	هوميروس	سليمان البستاني
٧١٤- ميراث الترجمة: حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥- جامعة كل المعارف (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٦- جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧- جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨- جامعة كل المعارف (جـ٤)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩- جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢٠- جامعة كل المعارف (جـ٦)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢١- فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى

٧٢٢-	الصفحة وقصص أخرى	بشار كمال	الصفصافي أحمد القطوري
٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمني	أحمد ثابت
٧٢٤-	اليسار الفرويدي	بول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥-	الاضطراب النفسي	جون فيتكس	مي مقلد
٧٢٦-	الموريسكيون في المغرب	غييرمو غوثاليبس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧-	حلم البحر (رواية)	باجين	وحيد السعيد
٧٢٨-	العولمة تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩-	الثورة الإسلامية في إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠-	حكايات من السهول الأفريقية	أن جاتي	عزت عامر
٧٣١-	النوع الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدري عمارة
٧٣٢-	قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣-	مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوي
٧٣٤-	بونابرت في الشرق الإسلامي	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥-	فن السيرة في العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكي
٧٣٦-	التاريخ الشعبي للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوي
٧٣٧-	الكوارث الطبيعية (مج٢)	باتريك ل. أبوت	توفيق علي منصور
٧٣٨-	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	جيرار دي جورج	محمد عواد
٧٣٩-	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	جيرار دي جورج	محمد عواد
٧٤٠-	خطابات القوة	باري هندس	مرفت ياقوت
٧٤١-	الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢-	أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسي
٧٤٣-	الثقافة منظور دارويني	روبرت أونجر	شوقي جلال
٧٤٤-	ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥-	المآثر السلطانية	بيك الدنبلي	محمد أبو زيد
٧٤٦-	تاريخ التحليل الاقتصادي (مج١)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمي
٧٤٧-	الاستعارة في لغة السينما	تريفور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨-	تدمير النظام العالمي	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩-	إيكولوجيا لغات العالم	ل.ج. كالفيه	باتسي جمال الدين
٧٥٠-	الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١-	الإسراء والمعراج في تراث الشعر الفارسي	نخبة	علاء السباعي
٧٥٢-	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلي	نمر عاروري
٧٥٣-	التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤-	الشرق والغرب	أنّا ماري شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥-	تاريخ الشعر الإسباني خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكي	علي إبراهيم منوفي
٧٥٦-	ذات العيون الساحرة	إنريكي خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧-	تجارة مكة	باتريشيا كرون	آمال الروبي
٧٥٨-	الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد
٧٥٩-	النثر الأردي	مولوي سيد محمد	جلال الحفناوي
٧٦٠-	الدين والتصور الشعبي للكون	السيد الأسود	السيد الأسود

٧٦١- جيوب مثقلة بالحجارة ( )	فيرجينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢- المسلم عدوًا و صديقًا	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣- الحياة في مصر	أمريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤- ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥- ديوان خواجة الدهلوى (شعر تصوف)	خواجة الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦- الشرق المتخيل	تيرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧- الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨- حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩- أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠- السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١- السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢- بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣- دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	جون فيزر وبول ستيرجز	بإشراف محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤- الديموقراطية الأمريكية التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥- مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦- منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧- الانفجار الأعظم	جيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨- صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩- خيط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠- من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١- الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢- المسرح المسكون	مارفن كارلسون	جلال عبد المقصود
٧٨٣- العولمة والرعاية الإنسانية	فيك جورج وبول ويلدنج	طلعت السروجى
٧٨٤- الإساءة للطفل	ديفيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥- تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦- الذئبة (رواية)	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧- العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨- سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩- الانتظار (رواية)	هاجين	منى الدروبى
٧٩٠- الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوى
٧٩١- العطور ومعامل العطور في مصر القديمة	محمد الشيمى	ماهر جويجاتى
٧٩٢- دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ	منى ميخائيل	منى إبراهيم
٧٩٣- ثلاث رؤى للمستقبل	جون جريفيس	رءوف وصفى
٧٩٤- التاريخ الشعبي للولايات المتحدة (جـ٢)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٩٥- مختارات من الشعر الإسباني (جـ١)	نخبة	على عبد الرءوف البمبى
٧٩٦- آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن	نعوم تشومسكى	حمزة المزينى
٧٩٧- الرؤية في ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨- الإرشاد النفسي للأطفال	كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد	سميرة أبو الحسن

٧٩٩- سلم السنوات	آن تيلر	عبد الحميد فهمي الجمال
٨٠٠- قضايا في علم اللغة التطبيقي	ميشيل ماكارثي	عبد الجواد توفيق
٨٠١- نحو مستقبل أفضل	تقرير دولي	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢- مسلمو غرناطة في الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعي
٨٠٣- التغير والتنمية في القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسي
٨٠٤- سوسيولوجيا الدين	دانييل ميرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	درويش الحلوجي
٨٠٥- من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربري
٨٠٦- الطبقة العليا المتوسطة	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧- يحيى حقي: تشريح مفكر مصري	ميريام كوك	خيري دومة
٨٠٨- الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسي	محمود سيد أحمد
٨١٠- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسي	محمود سيد أحمد
٨١١- تاريخ التحليل الاقتصادي (مج٢)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمي
٨١٢- تأمل العالم الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية	ميشيل مافيزولي	فريد الزاهي
٨١٣- لم أخرج من ليلى (رواية)	آني إرنو	نورا أمين
٨١٤- الحياة اليومية في مصر الرومانية	نافتال لويس	آمال الروبي
٨١٥- فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغني
٨١٦- العدو الأمريكي	فيليب روجيه	بدر الدين عرودكي
٨١٧- مائدة أفلاطون: كلام في الحب	أفلاطون	محمد لطفي جمعة
٨١٨- الحرفيون والتجار في القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسي جمال الدين
٨١٩- الحرفيون والتجار في القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسي جمال الدين
٨٢٠- ميراث الترجمة: هملت (مسرحية)	وليم شكسبير	طانيوس أفندي
٨٢١- هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٨٢٢- فن الرباعي (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣- وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعي
٨٢٤- لغة الدراما	دافيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥- ميراث الترجمة عصر النهضة في إيطاليا (جـ١)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦- ميراث الترجمة عصر النهضة في إيطاليا (جـ٢)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧- أهل مطروح البدو والمستوطنين والدين تخصص السلالات	دونالد پ كول وثريا تركي	محمد علي فرج
٨٢٨- ميراث الترجمة: النظرية النسبية	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩- مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغاني	مجدي عبد الحافظ
٨٣٠- رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١- ميراث الترجمة: تطور علم الطبيعة	ألبرت أينشتين وليو پولد إنفلد	محمد النادي وعطية عاشور
٨٣٢- تاريخ التحليل الاقتصادي (جـ٣)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمي
٨٣٣- الفلسفة الألمانية	فرنز شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤- كنز الشعر	ذبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور
٨٣٥- تشيخوف: حياة في صور	بيتر أوربان	علاء عزمي
٨٣٦- بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوي

٨٢٧- عناكب في المصيدة	ناتاليا فيكو	على فهمى عبدالسلام
٨٣٨- فى تفسير مذهب برش ومقالات أخرى	نعوم تشومسكي	لبنى صبرى
٨٣٩- أقدم لك: النظرية النقدية	ستيوارت سين وبورين فان لون	جمال الجزيرى
٨٤٠- الخواتم الثلاثة	جوتهولد ليسينج	فوزية حسن
٨٤١- هملت، أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٨٤٢- منظومة مصيبت نامه (مج٢)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٨٤٣- من روائع القصيد الفارسى	نخبة	محمد علاء الدين منصور
٨٤٤- دراسات فى الفقر والعولمة	كريمة كريم	سمير كريم
٨٤٥- غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب
٨٤٦- الطبيعة البشرية	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٨٤٧- الحياة بعد الرأسمالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود
٨٤٨- ميراث الترجمة: تاريخ الدولة العربية	يوليوس فلهوزن	عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩- سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق
٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحداثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٨٥١- ميراث الترجمة: الطب التجريبى	كلود برنار	يوسف مراد
٨٥٢- العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج١)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٤- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج٢)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٥- فهم الاستعارة فى الأدب	جيرارد ستيم	محمد أحمد حمد
٨٥٦- القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى	فرانشسكو ماركيث بيانو بياتويا	عائشة سويلم
٨٥٧- نادجا (رواية)	أندريه بريتون	كامل عويد العامرى
٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية	ثيو هرمانز	بيومى قنديل
٨٥٩- السياسة فى الشرق القديم	إيف شيمل	مصطفى ماهر
٨٦٠- مصر وأوروبا	القاضى فان بملن	لطيفة سالم
٨٦١- الإسلام والمسلمون فى أمريكا	جين سميث	محمد الخولى
٨٦٢- ببغاء الكاكادو	أرتور شنيتسلر	محسن الدمرداش
٨٦٣- لقاء بالشعراء	على أكبر دلفى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٤- أوراق فلسطينية	دورين إنجرامز	عبد الرحيم الرفاعى
٨٦٥- فكرة الثقافة	تيرى إيجلتون	شوقى جلال
٨٦٦- رسائل خمس فى الآفاق والأنفس	مجموعة من المؤلفين	محمد علاء الدين منصور
٨٦٧- المهمة الاستوائية	ديفيد مايلو	صبرى محمد حسن
٨٦٨- الشعر الفارسى المعاصر	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٩- تطور الثقافة	روبن دونبار وآخرون	شوقى جلال
٨٧٠- عشر مسرحيات (جـ١)	نخبة	حمادة إبراهيم
٨٧١- عشر مسرحيات (جـ٢)	نخبة	حمادة إبراهيم


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٠٨٨ / ٢٠٠٥